إبراهيم أبو عواد

صرخة الأزمنة

(سِفر الاعتراف)

مقدمة

إنَّ هذا الكتاب عبارة عن خواطر ذاتية وأفكار شخصية ، دُون العَودة إلى أيِّ مَرجع . لقد استسلمتُ للتَّداعيات الفكرية ، وسَلَّمْتُ نَفْسي للأحاسيس والذكريات والوَعْيِ واللاوَعْي ، ولم أكتب دراسةً تعتمد على التَّوثيق والمنهج العِلْمِيِّ . أردتُ لهذا الكتاب أن يَكون أفكاراً شخصية نابعة من القلب إلى القلب . رُبَّما أكُون قَد نَجحتُ ، ورُبَّما أخفقتُ . وعلى أيَّة حال، إنَّ الحياة مَزيجٌ من الدَّواء والسُّم، والحب والكراهية، والنجاح والفشل، والانتصار والهزيمة. وشَرَفُ المحاوَلة يَكفيني .

لا أزْعُم أنني الفَيلسوف العبقريُّ ، ولا أُقدِّم نَفْسي كَمُنظِّر على البشرية . لَسْتُ وَصِيَّاً على مشاعر الناس . أحترمُ الأشخاصَ الذين يُحِبُّونني ويَعتبرونني عبقرياً وناجحاً . وأحترمُ الأشخاصَ الذينَ يَكرهونني ويَعتبرونني جاهلاً وفاشلاً . إنَّ المرجعيةَ الفكريةَ وزاويةَ الرؤيةِ تُحدِّدان طبيعةَ الأشياء، وماهيةَ الأحكامِ الصادرة .

والشَّيْءُ المؤسف أنَّ أحكامنا في كثير من الأحيان تَكون غَير دقيقة ، لأنَّنا نَحكم على صَورةِ الشَّيء التي صَنَعَتْهَا عُقولُنا ، ولا نَحكم على حقيقة الشَّيء . إنَّنا نَحكم على التاريخ المتخيَّل ، ولا نَحكم على التاريخ كما هو على أرض الواقع . إنَّنا نَحكم على الأشياء وَفْقَ أهوائنا الشخصية وما نَتَمَنَّاه، ولا نَحكم على الأشياء كما هي في الحقيقة. لقد انشغلنا بصورة الشَّيء، وابتعدنا عن حقيقة الشَّيء. والْحُكْمُ على الشَّيء فَرْعٌ عَن تَصَوُّرِه ، والناسَ أعداءُ ما يَجْهَلون .

إنَّ الحقيقةَ مِثْل الدَّواء الْمُر ، طَعْمُه يُضايقنا ويَستفز مشاعرَنا ، ويُشْعِرنا بالاستياء والضِّيق ، لكنَّ الشِّفاء فِيه . والإشكاليةُ الكُبرى في السياق الإنساني تتجلى في اختيار الطريق السَّهل الذي لا يُوصِل إلى أيِّ شَيء ، والهروب مِنَ الطريق الوَعِر الذي يُوصِلنا إلى الغاية الْمَرْجُوَّة . لقد قَتَلَنَا الاستسهال ، وَقَتَلَ رُوحَ الحقيقة في قلوبنا. لا نَنظُر إلى عواقب الأمور. نتخندق في اللحظة الآنِيَّة ، ونَعيش ضِمْن قُيود الواقع الحالي،ولا نَنظر إلى ما وراء الأشياء، ولا نُخطِّط للمستقبل. إنَّ مُستقبلنا وراء ظُهورنا ، لأنَّنا نَنظر إلى الماضي باستمرار . نَهرب من الحاضر المؤلم ، ونخاف من المجهول ، ولا نثق بِقُدرتنا على صناعة المستقبل ، لذلك نَعود إلى الماضي ، ونُحْضِره كما هُوَ إلى واقعنا الْمُعاش . وهذه العمليةُ الخطيرة تُشْعِرنا بِجَدوى حياتنا . وتعاطي الماضي بهذه الصِّيغة القاتلة يُشْبِه تعاطي المخدِّرات. إنَّها النَّشوةُ المؤقَّتة الزائلة، ثُمَّ العذاب الأبدي ، والمعاناة الدائمة.

في عالَم الكتابة ، أتقمَّصُ شخصياتٍ مُتعدِّدة ، لأنَّني أنظُر إلى نَفْسي مِن كُلِّ الزوايا . أكشِفُ نِقاطَ قُوَّتي ، وأكتشِفُ نِقاطَ ضَعفي . أنا الخياليُّ والواقعيُّ . لا تَتَّهِمْني بالتناقض ، إنَّ الفلسفة هي التغيير المستمر لزاوية الرؤية . والتَّنظيرُ لا علاقة له بالتطبيق ، كما أن الرومانسية لا علاقة لها بالزواج . ألعبُ دَوْرَ القاضي والقاتل والضحية في نَفْسِ الوقت . فلا تَستغرِب مِن كَلامي . أعيشُ بين الفلسفة والهلوسة ، وأبني مَجدي على أنقاضي . ولا مَجْدَ لِي إلا السراب.

أسْبَحُ في المنطقة العميقة. الشاطئُ ورائي، وَلَم أعُدْ أراه . لا فُرصة أمامي إلا مُواصلة السباحة، والقتال حتى اللحظة الأخيرة . مُكْرَهٌ أخاكَ لا بَطَل .

يَتكوَّن هذا الكتاب من أربعة أجزاء : الجزء الأول _ الفَيلسوف والعانس . وهو خِطاب يُوجِّهه الفَيلسوف للعانس ، ويُوضِّح فيه المبادئَ الفلسفية في العلاقات الاجتماعية ، خصوصاً الزواج والعُنوسة . ولا شَكَّ أن الزواج هو العنصر الأساسي في عملية الحراك الاجتماعي .

والجزء الثاني _ سُوسيولوجيا الجِنس ، ويَكشف معالِمَ البُنية الاجتماعية للطاقة الجنسية ، ويُوضِّح التقاطعات الحاسمة بين الإنسان ومُحيطه الاجتماعي مِن جِهة، وبين المشاعر الإنسانية والعلاقات الجسدية مِن جِهة أُخرى .

والجزء الثالث_ صرخة الأزمنة . ويَتضمَّن مَقولات شخصية شديدة التَّكثيف ، وهي نابعة من أفكاري الذاتية ، وليس أفكار الآخرين .

والجزء الرابع_سِفر الاعتراف.وهو شَرح للمقولات وتفسير لها أي إنَّه شرح لصرخة الأزمنة.

لقد حَاولتُ جاهداً أن أُقَدِّمَ نظريةً فلسفيةً خاصةً بِي بَعيداً عن تقليد الآخرين ونسخِ أفكارهم. وبصراحة ، لا أقْدِرُ أن أُقَيِّمَ عَملي ، ولا أعْرِفُ هَل سَيَكُون هذا الكتاب سَبَباً لمحبة الناس لِي ، أو كُرههم لي . وعلى أيَّة حال ، أنا أحترمُ مشاعرَ الناس ، لكنَّ مشاعرهم لا تَحْكُمني ، ولا تُؤثِّر في أفكاري . أعْرِفُ أنَّ الحقيقة صادمة بطبيعتها ، وأنَّ الدواء الْمُر لا بُدَّ مِن شُربه . إنَّني أقول كَلِمتي دون ضَغط داخليٍّ ، ودُون إملاءات خارجية . وأقْبَلُ النَّقدَ البَنَّاءَ بِصَدرٍ رَحْب . والتاريخُ سَيَحْكُم لي أو عَلَيَّ .

إبراهيم أبو عواد

(١)

الفَيْلسُوفُ والعَانِسُ

قلتُ لكِ : لا أستطيع أن أُدمِّر نفْسي وأُضَحِّيَ بمستقبلي من أجلكِ . الفيلسوف لا يُدمِّر حياته من أجل العوانس . أنا صريح وواضح . والشخصُ الواضح لا يمكن أن يكون شخصاً حقيراً . أعرف أن المجتمع لا يحترم المرأة ، ولكن ما ذنبي أنا ؟ . هل مطلوب مني أن أكون كبش الفداء ، أو أن أقود جمعيات حقوق المرأة . هل أتحمل مسؤولية الهزيمة ؟. هل عليَّ وحدي أن أدفع الثمن وأدفع ضريبة العمل الذي لم أقم به. إن كان هذا يُريحك، فخذي أقواس النصر ، وأعطني أطلال الهزيمة . أنا وأنتِ ضحيتان ، كلانا يحمل وشم الهزيمة مع اختلاف الأسماء والوجوه والأقنعة .

لن أستغرب إذا حقدتِ عليَّ، ولكني أُفضِّل أن أخسرك من أجل أن أربح نفْسي . وليس لديَّ وقت لكي ألعب بمشاعركِ . لا أُحب أن أخدعكِ . أكره الحبَّ حين يكون شفقةً وإحساناً . العانسُ أفضل من الزوجة المخدوعة . والعقيمُ أفضل من الأب الفاشل الذي سيَقود أبناءَه إلى الهلاك . والبكاء على الحب الوهمي أفضل من الاستمرار في هذه اللعبة القاتلة. لن ألعب دور الصياد. فلا تلعبي دور الفريسة. أنا أعرف أنَّكِ عانس ، وأعرفُ أنني عانسٌ ، وكلمة " عانس " _ في اللغة _ تُطلَق على الرَّجل والمرأة. نحن متعادلان في أرض السراب. مات المحارِبُ، وماتت الأسيرة. أينَ أقواسُ النصر ؟. أينَ رايات القبائل؟ . أنا وأنتِ مهزومان . والتاريخُ يَكتبه المنتصرون. أعرف أنك تريدين اصطياد أي رَجل لكي يُريحك من ضغط الأهل ونظرة المجتمع ، لكني رَجل فاشل ، لا أَصْلُحُ أن أُكَوِّن أُسرةً صالحة. هكذا يصبح الاعتراف بالهزيمة انتصاراً ، ويصبح الصيادُ فريسةً ، والفريسةُ صياداً .

أشعر بالوَحدة القاتلة . في دمي فراغ عاطفي رهيب . فهل الحل أن أُدمِّر نفْسي من أجل الآخرين ؟. هل هذه هي التَّضحية ؟. أشعرُ بعجزٍ رهيب، وكُلُّنا عاجزون. يحتلُّ قلبي حزنٌ غامض، وكُلُّنا غارقون في مشاعر الأرامل. أَخُونُ نفْسي معَ نفْسي. مُصابٌ أنا بِعُقدة الشُّعور بالنقص . ولا شيء يَنقصني سوى مضادات الاكتئاب . ارتديتُ الأقنعةَ لأُخفيَ وَجهي الميْت. أضعُ نظاراتٍ سوداء لأُخفيَ دُموعي. أضعُ العطر لأُخفيَ رائحةَ جُثتي . حاولتُ أن أكُون مُهرِّجاً يُضحك الناسَ

ويَضحك معهم كَي يَنسى هُمومَه . ولكنَّ هذا المهرِّج يعود إلى بيته ، ويبكي أمام المرآة وحيداً . لا زوجةٌ ولا دَولة . لا جُغرافيا ولا تاريخ . وعندما لا يَجِدُ الإنسانُ دَولةً يُصبِح هُوَ الدَّولةَ ، وعِندَما لا يَجِدُ قانوناً يَحميه يُصبِح هُوَ القانونَ ، ويُطبِّقه بِيَدَيْهِ .

لا نستطيع أن نَخدع أنفسنا أمام المرايا . قلوبنا مرايا مكسورة . ونحن نُهاجر مِنَ الرمال إلى الصحراء ، ومن العطش إلى السراب. قَضَيْنا حياتنا نضحكُ على بعضنا. فلماذا نكذبُ أمامَ انكسار أرواحنا ؟. الاعتراف سَيِّد الأدلة . وبقائي حَيَّاً حتى هذه اللحظة دليلٌ على مَوتي . والأحزانُ تَدُلُّ النوارسَ على قبري .

كُلُّ النساء اللواتي أحببتهنَّ تَزَوَّجْنَ غَيري . هَرَّبْتُ النساءَ من قلبي . وَهَرَبْنَ مِن عالَمي . البُوفيه مفتوح ، لكني فاقد الشهية . ولا ألومُ إلا نفْسي ، ولا أحتقر إلا نفْسي . أعترفُ _ وأنا بكامل قواي العقلية ولستُ واقعاً تحت أي ضغط _ أنني فاشل . واعترافي بالفشل هو النجاح الوحيد في حياتي . قد تَسألين بدافع الفُضول : لماذا هَرَبْتَ من النساء وهَرَبَت النساء مِنكَ ؟ . الجواب بسيط ، لأني مريضٌ نفسياً ، ومُصاب بعُقد نفسية لا حَصْرَ لها . أخافُ من الالتزام، وأخاف من تحمل المسؤولية. لا أقدر أن أتحمَّلها ، ولا أريد أن أتحملها . ولا توجد امرأة تنتظر رَجلاً إلى الأبد . وأريد أن أخبركِ بِسِر ، ولكنْ لا تُخبري أحداً : إن حياتي كُلَّها عُقَد نفسية تجاه النساء ، لذلك صرتُ فيلسوفاً ! . قد تقولين : هذا كلام مجانين . وأنا أقول: ومَن فِينا العاقلُ ؟. العُقلاء يُمارسون الجنونَ كسراً للملل والروتين . تماماً كالحدَّاد الذي يمارس مهنة النجارة ، أو السَّجان الذي يمارس مهنة الشاعر . والجنونُ الذي يُوصل إلى بَر الأمان أَفْضَلُ من العقل الذي يُوصل إلى الهاوية . وَلَن يَعرف السرابَ إلا مَن عاش في الصحراء ، ولن يَعرف العقربَ إلا مَن ذاق سُمَّه. ولن تعرفَ غِشاءَ البكارة إلا المرأة الْمُغْتَصَبَة .

زمان ، كنتُ رومانسياً حالماً . والآن ، قلبي ماتَ ، لكني أمشي إلى حفلة تأبيني . أنا جثة هامدة ، لكني أحتفل بعيد ميلاد حفار قبري . أنا ضوء غامض في الزنزانة ، لكني أُهَنِّئ سَجَّاني بمناسبة ترقيته. كانت الرومانسيةُ كذبةً كُبرى صَدَّقْناها في لحظات ضَعفنا . حاوَلْنا أن نجد القوة في الحب ، لكنَّ الحضارة وَجدت القوة في الكراهية . كان الحب طابع بريد ، والرسالة لم تصل. كأنني أتوسَّل إلى الذكريات ، وأتسوَّل المشاعرَ . وكل شيء انتهى . ولكل بداية نهاية.

رُبَّما كانت الذِّكرياتُ طَريقاً للخَلاصِ أو الهروبِ . رُبَّما أَكُونُ قَد عِشْتُ حَياتي قَبْلَ الآن في مكانٍ ما . وبما أنني جثة هامدة، ولا أمل لي في الحياة. اسمحي لي أن أكشف أسرارَ وصيتي. أنا الميتُ الحي لا الحي الميت. وانتظارُ الموت أشد من الموت. والانتظار دائماً صعب.

فلسفتي هي ما بعد المرأة . المرأةُ ماتت. وبَقِيَت علبة المكياج . انكسرت عذوبة الروح، وتحطَّم شموخ الأنوثة . ذهبت سبايا الحروب إلى الاغتصابِ ، وبقيت قمصان النوم على حبل الغسيل . صارت النساءُ الْمُتَّشحات بالسواد أرشيفاً للرقيق الأبيض . وأنا أرفعُ الراية البيضاء في مُدن الطاعون . لا أحد يحب أحداً في هذه المقبرة ، معَ أن الجميع أموات . كلهم يتقاتلون على الحطام ، معَ أن فرصة الربح معدومة .

صحيحٌ أنني الذئبُ . لكنكِ لستِ ليلى . أنتِ الذئبةُ . فاكرهيني أجِدْ نفْسي . إنَّ كُرْهَكِ لي يدل على ذكائي ، فاسمحي لي أن أمدح نفْسي قبل أن أبنيَ مستقبلي في المقبرة . إن المرأة التي تَدخل في مداراتي تُحرَق . ولا تَقْدِرُ امرأةٌ أن تعيش معي . والجثة لا تُحاكم جثةً. لا تقولي إنكَ متوحش . أنا ضحيةُ نفْسي وجلادُ قلبي. أنا لم أتصالح مع نفْسي ، فكيف أتصالح معَ الآخرين ؟. أخوضُ حرباً ضد ذكرياتي ، فكيف أُوقِّع اتفاقية سلام مع الأغراب ؟ .

في الدول المارقة ، في المجتمعات الهمجية ، يكون الزواج مقبرة الحب ، وتكون الأنثى محاصَرة ومحصورة بين خيارَيْن قاتلَيْن : إمَّا أن تُصبح عانساً أو مِمسحةً لحذاء زوجها . أنا أصِفُ الداءَ القاتل . ولا أعرفُ الدواء . ولكني أتوقع أنَّه مُر إن لم يكن قاتلاً . رُبما جَرحتُ مشاعركِ ، لكنَّ الحقيقة دائماً صادمة ومُرَّةٌ .

فقدتُ الثقةَ بنفْسي.ومن كثرة الزوجات الخائنات اللواتي رأيتهنَّ في حياتي ، فقدتُ ثقتي بالأنوثةِ المشتعلة . وكُلُّ الزَّوجات الخائنات يَلْعَبْنَ نَفْسَ اللعبة مَعَ تغيير الأسلوب . لا أريد أبناء . لا أريد أن أُوَرِّثهم الجرثومةَ القاتلة. لا أُريدهم أن يَحملوا عُقدي النفسية مِثل وثيقة حَصْر الإرث. لقد وَرَّثْتُهم نِعمةَ العَدم .

أركضُ في الشوارع القذرة كالأرنب المذعور ، مُجلَّلاً بالمنافي والهزائم والعار . تبخَّرت الأغاني الوطنية، وانكسرتْ أقواسُ النصر، ولم يَعُد هناك شيء نبكي عَلَيه. ولأنَّ حياتي هي السراب، أُحِبُّ أن أُكتشَف بعد مَوتي . قضيتُ حياتي هارباً من نفْسي، وكسرتُ المرايا لئلا أرى وجهي . فررتُ من أصدقائي وأعدائي . هربتُ من الذين يحبونني ، وهربتُ من الذين يكرهونني .

كان الحب والكراهيةُ يضغطان على أعصابي . هكذا أتعادلُ مع أمواج البحر ، وأُدْفَن في رمال الشاطئ ، معَ أنَّ شهادة ميلادي هي رمال الصحراء .

أحزن على نفْسي ، أرى الرجال يتزوجون ويُنجبون ويضحكون مع زوجاتهم ، وأنا مريض نفسياً ، في سباق مع الزمن لقتل الوحش في داخلي ، أُقاتِل الاكتئابَ والوَسْواسَ القهريَّ، وأخوض حرباً أهلية داخل أعصابي ، وأحترق من الداخل ، ولا أحد يشعر بي ، وأنا شخصياً لم أعد أشعر بنفْسي ، ولا أَلُوم إلا نفْسي . وأعرف أن لا أحد يختار طبيعة امتحانه . الامتحان مفروض عَلَينا ، وكل شخص عليه أن ينجح في امتحانه ، والحِيلة في ترك الحيلة ، أشعر أنني جثة مُتعفِّنة ، سَوْفَ يَتخلَّصون مِنِّي في أقرب فُرصة . سَتَمحو الرياحُ اسْمي في أرشيفِ القلوبِ المكسورة . ولا يُوجَد شارع يَحْمِلُ اسْمي . أنا الاسمُ الغريبُ . أنا اسْمُ الغرباءِ الذين مَرُّوا على هذه الأرضِ . سَوْفَ يُلقي البَحَّارةُ جُثتي الْمُحاطة بالذباب في البحر ، كي تنطلق السفينة بكل رومانسية وثقة . لن يهتم أحد بمشاعر الأموات . أنا عِبء ثقيل على الآخرين ، ونقطة سوداء في تاريخ الحضارة ، ووصمة عار في رايات القبائل . ولكن،هل تاريخ الحضارة أبيض أو أسود ؟. هل رايات القبائل مرفوعة أم مُنكَّسة؟. هل كان العالَم جميلاً ورومانسياً وهادئاً وأنا قُمتُ بتلويثه ؟ . كُلُّنا ضحايا ، وَكُلُّنا نبحث عن المجرم، والمجرمُ ساكن فِينا. كأننا نُدافع عن حقوق المرأة ، ونريد حماية ليلى من الذئب . ونحن الذئابُ أو ليلى هِيَ الذئب. الخناجر مُعلَّقة في سُقوف حُلوقنا . أنا نقشُ الهزيمة في الأغاني الوطنية . لَستُ أنانياً . لم أتزوج ، لأني لا أريد تكرار أخطاء مَن سَبقوني ، لا أُريد أن أُورِّط امرأةً معي ، سأدفع ضريبةَ الحياة وَحْدي، أنا الوهمُ الذي ابتلعَ جُرثومةَ الحضارة،وعليَّ أن أدفع الثمن وَحدي.

ما الفائدةُ إذا انفصلت الرغبة عن القدرة ؟ . رَجلٌ يعشق زوجته لكنه عاجز جنسياً . ما فائدةُ العشق في هذه الحالة ؟ . ما الفائدة إذا انفصل اللفظ عن المعنى ؟. أحياناً أسأل نفْسي : هل أنا موجود في هذا العالَم ؟ . إذا كانت الدنيا سراباً ، فشيء طبيعي أنَّ كُلَّ عناصرها من البشر والشجر والحجَر سراب .

الجميعُ يُشعرونك بالحب ، ويُحيطونك بالمشاعر الراقية . لكنهم عاجزون عن مساعدتك ، لا أحد يستطيع انتشالك من الهاوية السحيقة . فما فائدة الحب الذي لا يُترجَم إلى واقع ملموس ؟ . ما معنى " قلوبنا معك وسيوفنا عليك " ؟ . ماذا يستفيد الرجل من رومانسية زوجته إذا كانت زوجته خائنة ؟. تتبخَّر الضَّحِكاتُ ، وتختفي العباراتُ العاطفية ، والمِحَكُّ الحقيقيُّ هو قاع الهاوية .

قال لي أحد أصدقائي القُدامى : ((مَن يَجلس مَعَكَ يَكره نفْسَه)) . وأنا أقول لَكِ إنني قاسٍ لأنني أحترمكِ ، وأُريدكِ أن تكون زهرةً في حديقة الحضارة ، عَصِيَّةً على القَطْفِ والوَأْدِ. لا أُريدكِ أن تكوني جارية في سُوق النِّخاسة . الجواري كثيرات ، وعُلَب المكياج كثيرة ، وعمليات التجميل كثيرة، لكنَّ العِبرة كامنة في عُذوبة الرُّوح وشُموخ الأنوثة. فلا تَكرهيني إذا بَدَوْتُ قاسياً أو وَقِحاً. أنا طبيب جَرَّاح أَقْطَع الأعضاءَ لإنقاذ المريض . أنا طبيب الأمراض النِّسائية والتَّوليد ، أطَّلع على جسد المرأة بدافع تخليصها ، وليس بدافع الشهوة الغريزية . أنا الْمُخَلِّص لا النَّخاس . ومعَ هذا ، فأنا أحتاج إلى مَن يُخَلِّصني . وتَذَكَّري أن باب النَّجار مُخَلَّع .

ماذا تريدين منِّي بالضبط ؟ . هل تتوقعين إذا قلتِ لي إنني أُحِبُّكَ أو مُعْجَبة بِكَ وبكتاباتكَ أن أتقدَّم للزواج مِنكِ ؟ . أنتِ واهمة ! . لقد وضعتِ قِطعة الْجُبْن في المِصْيدة ، فهل تظنين أنني فأر ساذج ؟. هَرَبَتْ فِئرانُ السفينة . وأنا رَجلٌ فاشل ، أو بالأحرى : أنا ذَكَرٌ فاشل ، لأنَّ الرجال زرعناهم في المقابر الجماعية ، ولم يَعُدْ هناك رجال !. فابحثي عن ذَكَرٍ آخَر يَلعب دور البطولة في حياتكِ ، ابحثي عن وطنٍ يُولد في السراب كشريط سينمائي تالف . إنَّ رومانسيتي الحقيقية لا تَظهر إلا في عصر السبايا .

أنتِ تريدين أن أضحكَ عليكِ لئلا تُجرَح مشاعركِ . تُريدين مني أن أخدعك بالكلام العاطفي لئلا يُخدَش كبرياء أنوثتك ، ولكني لا أستطيع أن ألعب بمشاعرك لأحميَ مشاعرك . هذه لعبة قاتلة ، وسوف ينقلب السحر على الساحر . لا تُقلِّدي الجواري اللواتي يحتفلنَ في عيد الحب بالكراهية . صَدِّقيني ، لا يمكن الاحتماء من الموت بالموت . الموت هو البداية لا النهاية .

الزواجُ مقبرة الفلاسفة ، والفيلسوفُ صاحب الرَّقْم القياسي في عدد مرات الموت، والمرأةُ تُفسِد عقلَ الفيلسوف كما يُفسِد الْخَلُّ العَسَلَ . إن الفلسفةَ والمرأةَ ضِدَّان لا يجتمعان. وأنا قد اخترتُ الفلسفةَ، فلا تتَّهميني بالوقاحة وعدم التهذيب . لا أريد أن أصدمك بالحقيقة ، ولا أحب أن يكون الحب شَفقةً أو إحساناً . النساء على قفا من يشيل ، وكذلك الرجال أو الذكور ! .

حياتي انتهت ، واللعبةُ انتهت . حتى اللعب في الوقت الضائع انتهى. لقد ضاعَ الوقتُ في بلادنا المقبرةِ . يُخَيَّل إِلَيَّ أنَّني زَبُون مُجرَّد زبون . ولوْ وجدتِ رجلاً آخر لركضتِ خَلْفَه ، كأنني الأمل الأخير في حياة العوانس . وأنا بلا أمل . أنا العاشقُ الأول للحزن والعانسُ الأخير في القائمة السوداء . لا تُحِبِّيني لِذَاتي، بل تعتبريني صَفقةً تُخَلِّصُكِ من نظرات الناس الجارحة. تُريدين مُخلِّصاً لا زوجاً ، لم تجدي في الطريق غَيري ، ولوْ وجدتِ غَيري لذهبتِ معه ، هل هذه نقطة

قوتي أم ضعفي ؟ . ظِل رَجل أفضل مِن ظِل حائط . ومُطلَّقةٌ أفضل مِن عانس . صارَ الحبُّ صَفقةً تجاريةً بلا مشاعر إنسانية ، والزَّواجُ مِصْيدة، والعلاقاتُ الإنسانيةُ مُحاولة للاصطياد في الماء العَكِر .

عَريسُ الغفلةِ هو الخاسر، لأنَّه سَيَدْفَعُ ، والعانسُ هِيَ الطَّرَفُ الرابحُ لأنَّها بِضاعة تَمَّ تَسويقها بنجاح ، وتَمَّ بَيعها بالسِّعر المتَّفق عَلَيه بين العريس وأهلِ العَروس ، أي بين المشتري والبائع . كُلُّ شَيء ضاع ، ولم يَعُدْ هُناك شيء نَبكي عَلَيه .

الرائحة أفضل من العَدَم. تلهثين ورائي ليس حباً فِيَّ ، ولكنك تعتقدين أنني الأهبل الذي يَسْهُل الضحك عليه ، والفريسة التي يسهل اصطيادها . أحياناً، أفكر أن أستعين بحراس شخصيين لحمايتي من جيش العوانس ، أنا القائد المهزوم رفعتُ الراية البيضاء في سوق الرقيق الأبيض ، ولم أعرف دلالات الألوان في رايات القبائل. أنا المِلِكُ المخلوع الذي سيغتالني العشق الوهمي. نسيتُ أشلائي في المعارك، ومِتُّ عند دموع أمي في ليالي الشتاء . أمي هي المرأة الوحيدة في حياتي ، والموتُ هو شهادة ميلادي .

الحياةُ أقصر مِن أن نملأها بالذكريات . ولا داعي للكراهية والحقد، ففي النهاية كلنا سنفترق. لقد اخترنا الفراق الأول ، أمَّا الفراق الثاني فمفروض عَلَينا ، ولا نعرف طبيعته ولا نعرف تَوقيته. هنا تتجلى قوة الموت. الموتُ أقوى من الرومانسية، وأقوى من الحياة . الموتُ هو الحياة الحقيقية . ونحن دُميً في مسرح للعرائس ، نلعب بأشلائنا، ونضحك في مأتم آبائنا . نَحْنُ ضَحايا آبائنا .

آباؤُنا صَنَعوا الهزائمَ، وأضاعوا الفُرَصَ، وما زالوا يُحَمِّلُوننا مَسؤوليةَ هزائمهم كَي يَتَنَصَّلوا من المسؤولية ، ويلعبوا دور الناصح الْمُوَجِّه . يُحَمِّلوننا مَسؤوليةَ فَشَلِهم . وعَلَينا أن نَقضيَ حياتَنا في تَصحيح أخطائهم وخطاياهم .

إنَّنا نَموت في الحياةِ، ونموت في الموت. والموتُ لا يَلعب ولا يضحك. نحن أقنعة ، والموتُ هو وجهنا الحقيقيُّ . نحن الهامش ، والموتُ هو المتن . نحن الدولة المارقة ، والموت هو الانقلاب الذي لا يَرحم . نحن أحرف في أبجديةٍ منسية ، والموتُ هو طاقةُ المعنى وتفجيرُ اللغة .

فاتكِ قطارُ الزواج، وصرتِ عانساً. تُضَيِّعين وقتكِ في المحطة ، وكُلُّ وقتكِ فراغ . تجلسين في المحطة، لا أحد ينتظركِ ولا تنتظرين أحداً . وأنا قُبطان السفينة ، آخِرُ مَن يُغادرها. وفي

الحقيقة ، لن أغادرها . سأغرق معها. ولن أهرب مثل فئران السفينة. سأصيرُ وجبةً دسمةً للأسماك . اسْتَمِرِّي في البحث عمَّن يُنقذكِ من العنوسة، ولا تَيْأسي . ضَعي خُطةً إستراتيجية لاصطياد رَجل، أيِّ رَجل. وانصبي الفِخاخ في كل مكان . صار الإنسانُ هو الفأرَ والمِصيدةَ في نفْس الوقت .

أنظر إلى المرآة ، وأتخيل نفْسي أبَاً . سأكون _ حتماً _ أبَاً فاشلاً . ولأنني لم أتزوج ، وفَّرتُ على أبنائي فاتورةَ العُقَد النفسية . وَفَّرْتُ على زوجتي ضريبة القَرَف . لقد دفعتُ ضريبةَ انكسار التاريخ وحيداً . وكما جئتُ وحيداً سأعود وحيداً .

إن الأنثى حين تستشعر خطر العنوسة ، وتحس أن شبح العنوسة بدأ يُهاجمها ، فإنها تدخل في الهلوسة وعدم التركيز ، مِمَّا يجعلها تقدم تنازلاتٍ رهيبة ، وتُلاحِق السراب وهي تَعلم أنَّه سراب ، وتعيش على الأمل سواء كان صادقاً أم كاذباً ، وتخضع لسُلطة الأمر الواقع . وظِل رَجل ولا ظِل حائط. وهذه السياسة الضاغطة على أعصاب الأنثى تُدمِّر حياتها، وتجعل الجسدَ الأنثويَّ رَدَّةَ فِعل، ومفعولاً به ، وتفقد الأنثى رُوحَ المبادَرة . وهذا هو الخضوع بعَينه ، والحاجة إلى الشيء هو الفقر بِعَينه ، والخوف مِنَ الفقر هو الفقر ، والغنيُّ هو الْمُستغني . لكنَّ الأنثى هي التابع الخاضع لسُلطة الآخرين . وهذا يَجعل بعض النساء يَتَمَرَّدْنَ على سُلطة الأمر الواقع، ويُهاجمن المجتمعَ الذكوري المتطرف في ذكوريته ، والعاشق لامتلاك جسد المرأة . وفي المجتمعات المتخلفة يُحصَر الشرف في غشاء البكارة فقط ، معَ أن شرف هذه المجتمعات ضائع منذ مدة بعيدة. فلا داعي للخجل أيتها العانس ، اضربي ضربتك الآن . ولتكن ضربة مُعلِّم . استغلِّي شبابكِ وتاجري بثدييك أمام عيون الرجال ، قبل أن تلتهم الشيخوخة نضارتك أو يأكلك سرطان الثدي . اعرضي نفسك في أسواق النِّخاسة . قَدِّمي سيرتك الذاتية العاطفية للسماسرة ، رُبما يشتريك أحد رجال الأعمال الذين يُقَدِّسون المشاعرَ كالدولارات . اكسري عيونَ الزبائن . لم يأتِ الخجل بنتيجة ، ربما تأتي الوقاحة بنتيجة . مَن يَدري ؟! .

الفرق بيني وبينك. أنا عانس بإرادتي، لذلك لستُ واقعاً تحت أي ضغط. وأنتِ عانس رغماً عنكِ ، لذلك أنتِ واقعة تحت الضغط . كانت أمي دائماً تقول لي : "يا ولد أنتَ معمول لك عمل كي لا تتزوج " ، " ولا توجد امرأة تقدر أن تعيش معك " . وأمي أكثر الناس معرفةً بي .

أنا كالطبيب الذي يُصارح مريضه بأنه مُصاب بالسرطان ، وأن أيامه معدودة على كوكب الأرض . الحقيقة دائماً مُرَّة وجارحة . وأنا أقول لك إنك عانس ، وأنا عانس ، والدولة تتفكك ، والمجتمع يسير إلى الهاوية السحيقة من أجل إيجاد حَل ، وأنا ليس عندي وصفة جاهزة ، ولا

أعرف الحل . ولا أملك عصا سحرية. وأقول لك: اكسري ظِلَّكِ ، واقلعي شَوْكَكِ بيدكِ . لن يأتيَ أحد لمساعدتك . أسقطي الناس من حساباتك. كلهم يَضحكون معك، ثم يضحكون عليك. لا يمكن للميت أن ينقذ ميتاً . ولا فائدة من استغاثة الغريق بالغريق . ولا معنى للتعويل على الوهم . أنتِ تصرخين في العدم ، وتُنادين على الفراغ .

الحب تشتيت للذِّهْن ، وخطر حقيقي على عقل الفيلسوف . وكل امرأة أحببتها في حياتي أبعدتني عن اللهِ دون أن تَشعر . والعَقَبةُ الكأداء في رحلة سَفَري إلى اللهِ هي المرأة ، لذلك تخلصتُ مِنها ، لأن نهايتي ستكون على يدها . وَمِنَ الحب ما قَتل . وهذه هي تجربتي الشخصية . لا أحْمِلُ الناسَ على ما حَمَلْتُ نفْسي عَلَيه ، ولا أُعمِّم ، فالتَّعميمُ دائماً خاطئ .

كُنتُ حقيراً في التعامل مع النساء ، لكني لم أستغل أيةَ امرأة ، ولم أستثمر في نقاط ضعفها ، ولم أبحث عن رجولتي الافتراضية معها. أنا قاسٍ على نفْسي ، ودكتاتور على قلبي . وأيضاً ، كنتُ قاسياً على المرأة في حياتي ، وعُقدة الشعور بالذَّنْب لا تُفارقني . ومعَ هذا ، فالمرأة لم تَكُن حَمَلاً وديعاً . إنْ كُنتُ مُذنِباً فكلنا مُذنِبون بشكل أو بآخَر. وأعترف بكل ذنوبي ، ولا أبحث عن تبرير لأخطائي ، لأن تبرير الخطأ خطيئة. والسؤال الذي يطرح نفْسه : إذا كُنَّا جميعاً مجرمين ، فَمَن الضحية ؟ . وإذا كُنَّا جميعاً نشعر أننا مظلومون ، فَمَن هو الظالم ؟ . إن المجتمع دخل في السراب ، ومن الصعب أن يَخرج .

الزواج يُشكِّل خطراً على الفيلسوف . والفيلسوف إذا اقترنَ بالمرأة ، فإنه يخسر كثيراً . والفيلسوف هو الطرف الخاسر في مُعادَلة الزواج . حتى لو تزوَّجَ الملكة فكتوريا _ التي كانت تحكم كوكب الأرض _ فهو الخاسر ، فَمَا بَالُكِ بِمَن هِيَ دُونها ؟! . قَضَينا حياتنا نَكذب على بعضنا البعض. كُل شيء ضاع. نتحرك في متاهة الرومانسية . لا قبيلةٌ وراءَنا . ولا بوصلة أمامنا . لا دَولة ولا شعب . نَحْنُ السرابُ الأرجوانِيُّ .

يُسحَق الترابُ تحت أقدامنا ، لكنَّه سَيَعلونا يَوماً ، ويُعلِن انتصاره عَلَينا . مَن يضحك أخيراً يَضحك كثيراً . اكرهيني أيتها العانس . إن الحب له ضريبة لا أستطيع دفعها . أنتِ عَقبة في طريقي، فاحفظي كرامتك، وانسحبي من حياتي ، وابحثي عن فريسة ساذجة يسهل اصطيادها . انثُري السُّمَّ في شوارع الذاكرة ، أو ضَعي السُّمَّ في الدَّسَم ، أو ضَعي قِطعةَ الْجُبْنِ في المِصيدة ، وانتظري مجيء الفئران. اكسري جُغرافيا السراب. خَلِّصي نَفْسَكِ بنفْسكِ. لا تنتظري المخلِّص . لن يأتِيَ المخلِّص .

ينتظرني مستقبل باهر في المقبرة ، ولستُ بحاجةٍ إلى حفار قُبور لِيُساعدني على الموت. سأموتُ وَحيداً كما جِئْتُ إلى هذا العالَم وحيداً . لا تُحَدِّثيني عن الرومانسية . لقد كنتُ فيلسوف الرومانسية ، وأظنُّ نفْسي خليفة دودي الفايد ، لكنني كَفرتُ بالرومانسية ، وهَرَبْتُ من حياتي ، وآمنتُ بالموت لفظاً ومعنىً وحياةً .

أنتِ عانس خاضعة لِسَيف القبيلة ، وواقعة تحت ضغط المجتمع . وأنا عانس اختيارياً أشعر بالفراغ العاطفي. زواجُنا هو مُقايَضة، أو صفقة استثمارية قائمة على التنازل بين الطرفين . لذلك ، فأنا أذكى مِن أن أتزوج . الحب في هذه الحالة كِذبة نَيسان ، معَ أنَّ الرجال والنساء يَكذبون على بعضهم البعض طوال السنة .

كأن الزواج اختراق أمني ، والعِشق حاجز عسكري . ورُبما تقولين الآن : أنتَ مُعقَّد ومريض نفسياً . فأقول : أن أكون مُعقَّداً ومريضاً نفسياً أفضل من أن أكون زوجاً فاشلاً وأباً سَيِّئاً. ففي الحالة الأولى: ضَرَري مقصورٌ على نفْسي ، وأنا وَحْدي أتعذب . ووحدي أدفع ضريبة انكساري. أمَّا في الحالة الثانية ، فالضَّرَرُ يتعدى إلى الآخرين، فأتسبَّب بآلامهم وعذابهم ، ويَدفعون معي ضريبةَ الانهيار . ولا ذَنْبَ لهم، فلماذا أتحمَّلُ وِزْرَهم ؟ . أنا أُقاتِل نفْسي لأُخلِّص نفْسي . وأنا حتى هذه اللحظة عاجز عن إنقاذ نفْسي ، فكيفَ أُنقِذ الآخرين وأُكوِّن أُسرة صالحة في هذا المجتمع المريض ؟!. لا يمكن تكوين أُسرة صالحة في مجتمع غير صالح . إنَّكَ لَن تَجْنِيَ مِنَ الشَّوْكِ العنبَ ، ولا معنى للبحث عن زُجاجة العِطْرِ في المزبلة ، ولا معنى للبحث عن طَوق النَّجاة في حقل الألغام .

إن المرأة عقبة في طريق الفيلسوف ، وستمنعه من أداء رسالته . وعلى الفيلسوف أن يتخلص من المرأة، قبل أن تتخلص منه . يتغدى بها قبل أن تتعشى به. لا أقْدِرُ أن أُجامِل على حساب وجودي ، ولا مجاملة في الفلسفة وتاريخ الحضارة. المرأة ذلك الوهم الغامض . إنها عُلبةُ المكياج المخدوشة ، والرُّوحُ المكسورة .

قَضَيْتُ حَياتي أضع الخطط للهروب من المرأة والتَّهربِ من الزواج. أنا كثير الشَّك في النِّساء، ولا أثِقُ فِيهِنَّ. حَياتي عُقَد نفسية تجاه النِّساء مُنذُ طُفولتي حتى الآن ، مَعَ اعترافي بأنَّني كُنتُ مَحبوباً مِن قِبَل النِّساء .

اشكريني لأنَّني حَمَيْتُكِ مِن عُقدي النفسية . امدحيني لأنني حَصَّنْتُكِ ضِدَّ جنوني . هَرَبْتُ من حياتكِ من أجلكِ . فَرَرْتُ مِن وجهكِ لأكسر قناعي في مرايا الرعد . وقفتُ في وجه الإعصار

وحيداً ، وأبعدتك عن الخطر ، ولم أُورِّطك معي . اشكريني لأنني لم أُدمِّر حياتك. ولو تزوجتكِ لقضيتُ على مستقبلك ، ودخلتُ في انتحاري التدريجي . لا أخافُ من المستقبل ، لأنه ليس لي مستقبل. كنتُ وردةً، فصرتُ جثةً هامدة . كنتُ صَقراً فصرتُ حشرةً . دوام الحال مِنَ الْمُحال .

أنا في سباق مع الزمن . حياتي هي مَوتي ، لأن حياتي انتظار الموت . وانتظارُ الموت هو الموت . أعمل جاهداً لتجهيز نفْسي قبل تجهيز جنازتي . أخوض حرباً حقيقيةً ضد نفْسي قبل لقاء مَلَكِ الموت . معاناتي تتفاقم . الاكتئابُ يَذبحني ، والوَسواس القهريُّ يُدمِّر ذهني ، ويأكل لحمي قبل أن تأكله الديدان . أسمع أصواتاً تتردد في جسمي. أشعر أن هناك أشخاصاً يتقاتلون في داخلي. وُلدتُ مَيْتاً ، محكوماً بانتظار الموت . أمي أنجبتني للموت . ميلادي هو بَدء العَد التنازلي . وكل إنسان عليه أن يُخلِّص نفْسَه بنفْسه. لا أعرفُ طبيعة نهايتي. أعيش على الأمل. أرجو اللهَ، وأخافُ ذنوبي .

لا أستطيع أن أُفكِّر بِلَيلة الدُّخلة . لأنَّ ليلة دخلتي هي ليلة دخولي إلى القبر . لا أستطيع رؤية غرفة النوم ، لأنني أحْمِلُ فِرَاشَ الموت على ظَهري أينما ذهبتُ . لستُ متأكداً أنني عشتُ . لكني متأكد أنني سأموت . رُبما تكون هذه الأفكار وَصِيَّتي الأخيرة . وَصِيَّةُ البَحَّار قبل غَرَقِه أو رسالة اليتيم إلى أُمِّه التي لم يرها ، وسَلَّمَتْهُ للموت ، وأخذها الموت . كَم كُنتُ أتمنى أن أكون إنساناً طبيعياً . ورغم العداوة الوهمية بيننا ، إلا أنني أتوقع أن تَزوري قبري في لَيلةٍ ماطرةٍ .

ماذا أستفيد من الرومانسية عندما يأتيني مَلَكُ الموت؟.ما فائدةُ الزهور المحيطة بِفِراش الموت ؟. ما فائدة أسوار المقبرة الذهبية وأنا تحت التراب ؟ . أعرفُ أن الموت قادم، ولا أعرف مِن أين سيأتي. عنصر المفاجأة قاتل . وانتظار الموت كالموت . والانتظار دائماً قاتل .

لا معنى للرومانسية في مجتمع يحتقر المرأة . لا معنى للزواج في مجتمع يحصر الشرف في جسد المرأة . كلنا نتقاتل على السراب . كلنا ضحايا نقضي حياتنا في التفتيش عن المجرم ، والمجرمُ ساكنٌ فِينا . نُضيِّع أعمارنا في البحث عن الأشياء خارج ذواتنا ، وهي موجودة في داخلنا . نهرب من ظلالنا ، وهي ملتصقة بِنا .

كأنني أبحثُ عن الطهارة في السراب ، وأبحث عن التَّطهُّر في الوحل . ربما تخلصتُ من المرأة لأنها اكتشفت نقاطَ ضَعفي . وكان عليَّ أن أتخلص منها لأنها تعرف سِرَّ الْحَجَرِ الذي يرتكز عَلَيه قصري الرمليُّ .

فلسفتي في الرومانسية تتلاءم مع عصر الجواري. وفلسفتي في الجنس تتلاءَم مع زواج المِسيار . في الحالتين ، أنا صفقة خاسرة بالنسبة إلَيكِ . تسافرين في كل تفاصيل الحياة ، وأعرف أنك سترجعين إلَيَّ ، ليس حباً فِيَّ ، بل لأني الزَّبونُ الوحيد، والأملُ الأخير في حياتكِ باعتبارك عانساً . لم تجدي غَيري في طريقكِ ، فخدعتِ نَفْسَكِ بالحب والذكريات . لو كنتُ رَجلاً بين الرجال لَمَا نظرتِ إلَيَّ ، ولكني رَجل في الشارع الخالي . أنا مُجرَّد صفقة استثمارية لإنقاذك من نظرات أهلك ونظرات المجتمع . كُلهم يعتبرونك بضاعة كاسدة. عيونهم تطلب مِنكِ أن تُسوِّقي نفسكِ ، وتجدي المشتري المناسب القادر على دفع ثمن البضاعة وحملها ، وإراحة الناس منها . أنا صفقة تجارية بلا مشاعر ، وأنتِ بضاعة بلا أحاسيس . فقدتُ الثقة بنفْسي ، وفقدتُ الثقة بالنساء . أنت تخضعين لقرف الرجال لأنك مضطرة واقعة تحت سيف العادات والتقاليد . واليدُ التي لا تَقدر على قطعها قَبِّلْها . الراقصة مضطرة لتحمل قرف الزبائن لأنهم القادرون على الدفع . ومَن يَدفع للراقصة يفرض عليها أسلوب الرقص . ومَن يَدفع للموسيقار يَفرض عليه اللحن .

الراقصةُ رقصتها لَيْسَت نابعةً مِن ذاتها ، بل هِيَ مَفروضة عَلَيها مِن قِبَل صاحب الملهى حَسَبَ رغبة الزبائن الذين يُحدِّدون الزمانَ والمكانَ ، لأنَّهم هُمُ الذين يَدفعون المالَ . ومهما كان مِزاجُ الراقصة وحالتها النفسية ، يجب أن ترقص لأنَّها مُوظَّفة تُؤدِّي عَمَلَها وَفْقَ رغبة الزبائن القادرين على الدفع . لقد صارتْ سِلْعةً شَيْئِيَّةً ورَقْماً ضِمْن الأرقام . والمهرِّجُ مَهْمَا كان حزيناً وبائساً ، يَنبغي أن يَضحك ويُضْحِك الجمهورَ الذي دَفَعَ ثمن التذاكر . إنَّه انفصال الروح عن المادة ، وانفصال المشاعر الإنسانية عن الواقع .

الحضارةُ لا تَتمتَّع بالاكتفاء الذاتي. إنها واقعة تحت ضغط عناصر الطبيعة . زَوجةٌ تُمارِس الجِنسَ مَعَ زَوجها بلا رَغبة ذاتية، وإنما نُزولاً عِندَ رَغبة زَوجها. زَوْجٌ يَهتمُّ بإشباع رغبته الجنسية دُون الاهتمام بإشباع الرغبة الجنسية لزوجته. إنَّها الأنانية ، حيث يتمُّ اعتبار المرأة وسيلةً للتَّرفيه والمتعة بلا شُعور ولا شَهوة. يهتمُّ الرَّجلُ بِنَفْسِه ، وفي سبيل تثبيت وجوده يَسحق مشاعرَ زوجته . ولا شَيْءَ يَجمعهما إلا الفِرَاش . وقد تكون المسافة بين زوجين ينامان على نفس السريرِ ملايين الأميال . وكُلُّ زَوْجَيْن لا يَجمعهما إلا الفِرَاش هُما نواة المجتمع المنهار .

والعوانسُ مِثْل البِضاعة الكاسدة أو مِثْل التاجر الذي يُريد تَرويج بضاعته . حيث إنَّ العوانس يَعْرِضْنَ أنفسهنَّ للزواج ، أوْ يَقوم الأهلُ بِعَرْضِهِنَّ للزواج ، للتخلص من نظرة المجتمع القاسية التي تَعتبِر العانسَ أرضاً بُوراً أو بضاعةً كاسدةً . تُحاوِلُ العانسُ أن تَهرب مِن ضغط الأُسرة ، وتَفِرَّ مِن

أحكام المجتمع القاسية ، فَتَقبل بأيِّ رَجُلٍ أو ذَكَرٍ ، على أمل أن يَنتشلها مِن قاع المستنقع . وظِلُّ رَجل أفضل مِن ظِلِّ حائط . العانسُ سِلْعةٌ غير رائجة ، تَسعى إلى تَسويق نفسها ، واصطيادِ رَجل يُخرِجها من دائرة العُنوسة . المرأةُ في سِباق مَعَ الزمن لاصطياد رَجل يُحرِّرها من نظرة المجتمع ويُشبعها جسدياً ومادياً . وهذا حُلْمٌ بَعيد الْمَنال .

لا تَقْدِر المرأةُ أن تُفكِّك عُقدي النفسية . جاك دريدا شخصياً لا يستطيع تفكيك عقدي النفسية . ويوماً ما ، ستعرفين كم كنتُ شهماً لأنني حَمَيْتُكِ مِنِّي . ولا تيأسي أيتها العانسُ، حاولي اصطيادي. طريق الألف ميل يبدأ بخطوة. قد تتعب الفريسة من الركض ، وتُسَلِّم نفْسَها لصيَّادها . قد يتعب الجنود في المعركة ، ويرفعون الراية البيضاء .

دُوَلٌ للسراب ، وبَشَرٌ للحُطام . والتاريخُ طاحونة هواء في مدينة الاختناق. بلادنا مقبرةٌ كريستالية . فكيف سَتُولَد الأزهار ؟ . إنَّك لَن تجنيَ من الشوك العنبَ ، ولن تحصل على الماء من النفط .

العانسُ " تتمسكن حتى تتمكن " . ليس لديها ما تخسره . رمت الجوكر على طاولة القِمار في أول اللعبة. ورمت كل أوراقها . تقامر بمستقبلها، ولا ماضٍ لها ولا حاضر. دخلت في مملكة الهلوسة، تلهث وراء ظِل رجل، أي رَجل . مريضةٌ بالوهم . تُقدِّم التنازلات ، التنازل إثر التنازل،خاضعة لسُلطة الأمر الواقع،وخاضعة لسُلطة الانتداب على قلبها وجسدها. مجتمع يَحتقر المرأةَ، لأن المرأة تَحتقر نفْسَها. فاتها القطار. وطائراتُ الأعداء تقصف المحطة . كل شيء ضاع ، وانتهت لعبة القط والفأر . لا أريد خداعكِ ، ولا أريد أن ألعب بعواطفكِ . وكل شخص في هذا العالَم يبحث عن مصلحته الشخصية ، وهذا حَقُّه ، وليس عيباً ولا أنانية . وأعرفُ أنَّ الرَّجل بإمكانه أن يُسيطِر على جسد المرأة بإرادته ، لكنَّه لا يَقْدِر أن يُسيطِر على قلبها إلا بإرادتها .

لَوْ أقْدِر أن أُزوِّج كل العوانس لأرتاحَ من السمسرة العاطفية، والابتزاز الضمني، والخضوع والإخضاع، وأُريح العالَم من استغلال نقاط الضعف . لا أُحِب أن يُمسَك الشخص من يده التي تُوجعه.أحب أن تكون العلاقة الإنسانية بين أنداد. أحتقرُ الشخصُ الذي يُطلِق النارَ على أعزل . يجب أن تكون المواجَهة بين طرفين متساويين. أكره الذكورَ الذين يُسَمُّون أنفسهم رِجالاً ، ولا يَستشعرون رُجولتهم المزعومة إلا أمام النساء والأطفال. العملاقُ لا يَكون عِملاقاً بين الأقزام ، وإنما يكون عملاقاً بين العمالقة .

ارحمني يا إلهي . أنا أحترق من الداخل ، أنتَ وحدك تعرف مقدار الضغط الهستيري على ذهني . حَرِّرْني يا إلهي مِن نفْسي .

أيتها العانسُ المحترمة . أنتِ تريدين رَجلاً يَضحك عليك ، ويَخدعك بالكلام العاطفي ، ويُشعرك أنك زهرة في حديقة الحضارة. لكنَّ هذا الدور لا أستطيع أن ألعبه،لأنَّ الحضارة منهارة ، وأنا منهار. والأشواك أكثر من الأزهار . والزهرةُ هي العنصر الشاذ. إنكِ تنظرين إلَيَّ كصيدٍ ثمين معَ أني فاشل، لأني الوحيد في طريقك ، ولا تملكين حق الاختيار. أنتِ واقعة تحت الضغط . أنتِ دولة واقعة تحت الاحتلال وخاضعة لشروط المحتل . أنتِ رَدَّةُ الفِعْل لا الفِعْل . أنتِ الغريزة لا العقل . أنتِ الجسد لا الروح .

الشخص المحشور في الزاوية لا يملك حق الاختيار . إنك تتسوَّلين المشاعرَ . تَرْمِينَ قلبكِ للرجال كي يتصدقوا عليك بالأحاسيس والذكريات وأطفال المستقبل ، إذا كان هناك مستقبل . والمتسولون لا يملكون حق الاختيار . والعاجزُ يتلقى الأوامرَ ولا يُلقيها . والضعيف لا يَستطيع فرض شروطه على الآخرين . " أشَحَّاذ وتُشارِط ؟! " .

مجتمعاتنا موبوءة. ومن الصعب تَكَوُّن أُسَر صالحة فيها. في أحيانٍ كثيرة ، تكون ليلةُ الدُّخلةِ مثل حبوب الهلوسة، يتناولها الإنسانُ، ويَسبحُ في الخيال الشَّهي والوهمِ اللذيذ. وعندما يَفيق يكتشف الكارثةَ التي أقدمَ عليها.ولوْ خُيِّرْتُ بين حبل المِشنقة وليلة الدُّخلة لاخترتُ حبل المشنقة ، لأن الزواج انتحار تدريجي في المجتمعات المتخلفة . لَوْ خُيِّرْتُ بين مُواجَهة الإسكندر وَمُواجَهة امرأةٍ في لَيلة الدُّخلة ، لاخترتُ مُواجَهة الإسكندر . وهذا هُوَ الفَرْقَ بَيْنَ الموتِ السريعِ والانتحارِ التَّدريجيِّ . قد تقولين إنكَ تُشكِّل خطراً على النظام الاجتماعي . وأنا أقول : لا مَعنَى للرُّومانسية. المعنَى هُوَ الكفاح المسلَّح . إن الكفاح المسلح والوحدة الوطنية شيء واحد ، وإن الزمان والمكان شيء واحد . وأنا الجثةُ الأرجوانية . فهل رأيتِ جثةً تُشكِّل خطراً على الأمواتِ الذين يتزوجون أعشاب المقابر ؟ . الملكاتُ خادماتٌ في بَيتي ، فكيف أتزوَّجُ راعيةَ الغنم ؟ .

انصبي لي فخَّاً أيتها العانسُ . حاولي اصطيادي بكل مهارة وكَيد . فَكِّري باصطيادي كما يُفكِّر الصَيَّادُ بالفريسة. انطلقي إلى الفريسة بكل سرعة كما تنطلق رصاصة القَنَّاص إلى الهدف وتُصيبه بِدِقَّة . الضحيةُ لم تجد أحداً يبكي عليها . كل واحد متخصص في البكاء على نفْسه .

عندما تتزوج المرأةُ تفقد السُّلطةَ على جسدها . يدخل جسدُها في مدار الاحتراق . زمان ، كنتُ مريضاً نفسياً . والآن ، دخلتُ في الجنون بشكل رسمي ، فاشكريني لأنني لم أتزوجكِ . لقد أرَحْتُكِ مِن قَرَفي . اكرهيني أيتها العانسُ . رُبما تُحقِّق الكراهيةُ ما عَجِزَ الحبُّ عن تحقيقه .

أيتها العانسُ المناضلة التي تبحث عن زوجٍ في كل مكان . أعرفُ حجم الضغط عليكِ ، وأُقدِّر مشاعركِ المكسورة . وأُدرك أُمنيتكِ المستحيلة في وجود زوج وأطفال واستقرار عاطفي وحياة عائلية.لكني لا أستطيع أن أُدمِّر نفْسي من أجل العانس. ما معنى أن أُنقذكِ من الغرق وأغرق أنا ؟. لو كنتُ أستطيع أن أجد لكِ زَوجاً لَمَا قَصَّرْتُ . ولكني لا أقْدِرُ أن أكُون فَريسةً لكي تُمارسي هوايتك في الصيد . إن أكثر شخص يتضرر من الزواج في هذا العالَم هو الفيلسوف .

رُبما لو دَرَسْتِ إدارة وتسويق ، لاستطعتِ إدارة مشاعرك بشكل أفضل ، وتسويق نفسك في سوق الرجال . لا قيمة للمشاعر في مجتمع العوانس . الزواج صفقة تجارية تشتمل على الفهلوة واستغلال نقاط الضعف . والمرأة بضاعة محكومة بقانون العَرْض والطلَب . المجتمع يتآكل ، والأنوثة تضمحل . هذه هي الحقيقة الْمُرَّة .

حياتنا كابوس . متى نَفيق ؟ . حياتنا امتحان ، متى تُعلَن النتائج ؟. " الناس نِيام فإذا ماتوا انتَبَهُوا " . لستُ مستعداً أن أُضَحِّيَ من أجل المرأة ، ولا أطلب من المرأة أن تُضَحِّيَ مِن أجْلي .

نحن مُتعادِلان في الأنقاضِ ، راحلان إلى هزيمة الذكريات . الصراع على الضباب. والصراع في الضباب. هذا هو مُلخَّص حياتنا التي لم نَعِشْها. أهْرُبُ من الرومانسية ، لأنها تُشعرني أني حقير . لو تعلمينَ مدى احتقاري لنفْسي . لن تتخيَّلي كَم أَكْرَه نفْسي . عِندَما كُنتُ جاهلاً كُنتُ أحتقِرُ الناسَ ، وعِندَما صِرْتُ فَيْلَسوفاً صِرْتُ أحتقِرُ نَفْسي .

لستُ فارسَ أحلامِكِ. أنا نَكِرةٌ، لا أمْلِكُ حِصاناً لأصبحَ فارساً . أنا مُهَرِّجٌ عاطل عن العمل ، لأن السيرك أُغلق بالشمع الأحمر . حياتنا ملهى نهاري ، فلا داعي للذاهب إلى ملهى ليلي. كلنا نرقص على دماء آبائنا ، ونحتقر الراقصات اللواتي يَرقصن على الرخام البارد . الحشراتُ ترقص على بلاط الزنازين ، والأميراتُ يرقصن على السَّجاد الأحمر ، والْمُخْبِرون يَرقصون على أشلاء الضحايا . كلنا راقصون . أُمَّةٌ من العبيد والسبايا، باعتْ شَرَفَها للغزاةِ ، وحصرت مفهوم الشرف في أغشية البكارة. أنا عاطلٌ عن المشاعر والذكريات . أُفَتِّشُ في حُطامي عن زهرة . ربما تأتي صرخة الولادة من تحت الأنقاض . ربما يَعْثُر الأغرابُ على قارورة العِطر في أكوام القُمامة .

في بداية حياتي، حاولتُ أن أكون مِثل دُودي الفايد. لكنني أدركتُ أن طريقه يُوصل إلى الهاوية السحيقة . دم النساء ثقيل على قلبي ، وأُحب أن أعيش وحيداً مع دمي الذي لا يمكن أن يخونني .

كل فيلسوف يعرف أن المرأة عقبة في طريقه . لكنَّ الكثيرين لا يَذكرون هذا الأمر ، لئلا يُتَّهموا بأنهم أعداء المرأة . إنهم يُجاملون المرأة على حساب قناعاتهم . الفيلسوف عقل ، والمرأةُ جسد. الفيلسوف وجهٌ والمرأة قِناع . الفيلسوف حقيقةٌ، والمرأة مِكياج . كيف يلتقي النقيضان ؟. كيف تجتمع الأضداد ؟. أنا صفقة خاسرة لكل النساء . ولا توجد امرأة عاقلة تتزوج جثةً هامدة . أنا الجثةُ الهامدةُ .

لا معنى للرومانسية في مجتمع العوانس . رُبما كنتُ سأتزوج ، لَو لَم أكُن مريضاً نفسياً . والعبقريُّ هو الذي يكتشف بنفْسه أنه مريض نفسياً . أنظر إلى المرآة ، وأسألُ أنقاضي : هل يمكن أن أكون زوجاً صالحاً أو أباً صالحاً ؟ . الجواب : لا . سوف أظلم زوجتي وأبنائي . أنا شخص فاشل . أنا نقطة سوداء في تاريخ المجتمع . لو كَوَّنْتُ أُسرةً ، فإنني سَأُوَرِّثها عُقدي النفسية واكتئابي ووسواسي القهري . سوف أقُودها إلى الهاوية. أنا رُبَّان السفينة الذي سَيَقُودها إلى الغرق ، ويغرق معها. لماذا تَعشقيني أيتها العانسُ التي تستثمر رُوحَها وشرعيةَ وجودها في أجساد الرجال (الفرائس) ؟ . أنا شخصياً لا أُحب نفْسي . ارْمِي لِيَ الطُّعْمَ أيتها العانسُ الرومانسية. أنا فأر السفينة الذي غرق مع السفينة ورفض الهروب . حياتي كلها هي حُطام السُّفن. ضاعت ذكريات الفلاسفة، وسقطت الرومانسية في آبار النفط. وقُتل دودي الفايد. سامحيني إن كنت قاسياً عليكِ . أنا أغرق مُنذ قُرون ، وأنتظرُ مَن يَرمي لي طَوق النجاة .

أيها العاطلُ عن العمل. أيها العاطلُ عن المشاعر. دَمِّرْ حياتكَ من أجل العانس. ثم ادعم حقوق المرأة . قد يأتي الحل السحري بعد الدمار . قد تنبعث الأحلام بعد الطوفان . دخلت العانس في الهلوسة الرسمية ومدارِ الاحتراق . الطريق ذهاب بلا إياب . ستنبت الأزهار في الهاوية السحيقة ، لكننا لا نتمكن من قطفها ، لأننا عندئذٍ سنكون تحت التراب . لقد فات الأوان ، ووصلنا متأخرين إلى أحلامنا الضائعة . ودائماً ، يصل العشاق متأخرين . فاتنا القطار ، وموعد الحصاد الرهيبُ غطَّى على مواعيد الغرام. ووصايا الموتى غطت على رسائل العشق . والعشقُ مِثْل اللعب بالكِبريت . أوَّلُه تَسلية ، وآخِرُه حريقٌ مُرْعِب .

غارقةٌ أنتِ في الجوع الجسدي والعطشِ الروحي . لكنني الضبابُ . لن يُقدِّم الضبابُ شَيئاً للطريق الطويل . لن يُقدِّم السرابُ شيئاً للصحراء . ماذا يستفيد الأموات من الأموات ؟ . سيهرب العشاق من أنفسهم ، سيهربون من بعضهم البعض . انتحرَ الحمَامُ الزاجل ، ولن تصل الرسائل. سوف تُحرَق رسائل الحب في المواقد في ليالي الشتاء .

أنا القائد المهزوم في كل المعارك . ومن كثرة الهزائم ، صرتُ خائفاً أن أمشي تحت أقواس النصر . أنا المقامِر الخاسر في كل الصالات . ومن كثرة الخسائر ، صرتُ خائفاً أن أرمي الورقة الرابحة . مستقبلي العاطفي وراء ظَهْري . وأجملُ حُبٍّ ضاعَ . ولم يبقَ هناك شيء نبكي عليه. أرجوكِ أيتها القاتلة المقتولة ، لا تُوقظي الوحشَ الساكنَ فِيَّ . اكْسِري ذِكرياتي . واترُكي الضبابَ للضبابِ . الميتُ سَيَرِثُ الميتَ . الميتُ سَيَرْثِي الميتَ . والموتى سَيَدْفِنُون الموتى .

لم أُحب المرأةَ إلا في لحظات ضعفي . كان الحب نزوةً عابرةً . العشقُ خنجر مسموم . والذكريات طعنة قاتلة . والمشاعر اختراق أمني . تُفكِّرين في ليلة الدُّخلة، ويُهَيمن على تفكيرك ممارسةُ الجنس . هل فكرتِ بليلة دخولك إلى القبر ؟ . أنا أفكر كثيراً بهذه الليلة . الموتُ يُسيطر على تفاصيل حياتي، ولا يترك لي فرصة للاستمتاع بحياتي. كيف يستمتع الإنسان وهو مطلوب ؟ . إن الموت يَطْلُبه . هل يُمكِن للمحكوم بالإعدام أن يَضحك ؟ .

كان عليَّ أن أعرف أنني لستُ طبيعياً ، ولا أُشْبِه الناسَ . كان عليَّ أن أعرف مُبكِّراً أني مريض نفسياً ، وأسيرُ إلى الهاوية كما يسير القطيع إلى حافة الجبل . مات الراعي ، ومات الذئب ، وماتت ليلى . كل شيء مات . ولم يعد هناك شيء نبكي عَلَيه .

لَم أعِشْ مُراهَقَتي . يبدو أنني الآن أعيش مُرَاهَقَتي المتأخِّرة . عُمري كُلُّه هو ماضٍ بلا حاضر ولا مستقبل. كل أحلامي رُجوع إلى الذكريات . وكلما وضعتُ رأسي على الوسادة ، تذكرتُ الموتى الذي كنتُ أعرفهم . حياتي شريطٌ سينمائي ، أُشاهده كل ليلة، قبل أن أذهب إلى الموت الصغير. أعيش في موتي الصغير منتظراً الموت الكبير. ما أصعب الانتظار ! . إن الانتظار هو الموت.

لا أريدُ أبناءَ يَدفعون معي ضريبة الحضارةِ . سأدفعها وحدي . جئتُ إلى هذا العالَم وحيداً ، وسأعود وحيداً . أنا مكسور من الداخل . أحمل جرثومة التاريخ في قلبي . وفي أعصابي تنمو بذرة الهلاك . أنا موجود ، لكن وجودي هو دليلُ العَدم ، وحياتي هي الدليل على الفناء . ولا أُريد أن

أنقل إِلَيْكِ عَدوى الاكتئاب . ابحثي عَن رَجلٍ آخَر أو صَيدٍ ثمين . أنا صفقة خاسرة ، ومشروع فاشل .

أنا وأنتِ خَطَّان مُتَوَازِيان لا يَلتقيان ، لأن القانون الذي يَحكم المرأةَ هو قميص النوم ، أمَّا القانون الذي يَحكم الفيلسوف فهو انهيار الحضارة . لذلك من مصلحة الفيلسوف والمرأة ألا يَلتقيا. وإذا التقيا، فإن زوجة الفيلسوف ستكون أكثر النساء تعاسةً. لقد دَخلتْ في الْمَدار القاتل، وليس أمامَها إلا الاحتراق ، ولا فرصة للنجاة.

بدأتُ حياتي مثل دودي الفايد ، لكنها حياة تعيسة . والعلاقاتُ النسائية مثل الشرب من ماء البحر . كلما شربتُ أكثرَ عطشتُ أكثر . يجب قطعُ العلاقات النِّسائية مِثْلَما يَقطع الطبيبُ العُضْوَ الفاسدَ في جسم الإنسان للحفاظ على حياته. كل هذه العلاقات مَضيعة للوقت والأحاسيس . لقد مات الرجل ، وماتت المرأة . وعلى الإنسان أن يَقضيَ حياته كاملةً في الاستعداد للموت . الموتُ هو الحقيقةُ في هذه الحياة ، وهو الحياةُ الحقيقية . لا بُدَّ أن يُفْطَمَ الطِّفلُ ، حتَّى لَوْ بَكى بِحُرقة . سَوْفَ يُفْطَمُ رَغْماً عَنه .

أشعرُ أنني كالمرأة المطلَّقة . لَدَينا نفْس المشاعر ، ونفْس الإحساس بالضياع . والحب القديم يطاردنا . ولم أكن أعرف أن الحب أكثر خطورةً من الكراهية . ولا داعي أن أُحَمِّلَ الآخرين مسؤولية أخطائي. ولستُ أُحَمِّلُ المجتمع عِبءَ عُقدي النفسية. الذنبُ ذنبي ، ولا أبحث عن تبرير . أنا الجثةُ الهامدةُ ، ولا أبحث عن قاتلي ، لأني أنا القاتل والمقتول .

أنا الآنَ بكامل قواي العقلية ، وأتمتع بصحتي . ومعَ هذا ، فأنا ريشةٌ في مهب الريح. أهدمُ نفْسي بنفْسي ، وأخوض حرباً أهلية داخل جسمي ، وأعضائي تتقاتل. وحواسِّي في حرب بلا هُدنة . فماذا سأفعل في ساعة الاحتضار ؟ . ماذا سأفعل على فِراش الموت ؟ .

كثيراً ما أتساءل . لو لَم أكن مريضاً نفسياً ، كيف سيكون مسارُ حياتي ؟ . كيف ستكون علاقاتي الاجتماعية والعاطفية ؟ . كيف سيكون شكل ذكرياتي ؟ . وبعد كل هذه الأسئلة ، أتذكر أن كلمة " لَوْ " لا مكان لها في التاريخ والحضارة .

لا أحد يهرب من ماضيه . لا تقدر الصحراءُ أن تهرب من السراب . ولا يَقدر الطريق أن يهرب من الضباب . طريقُنا طويل . وقد لا يُوصِل إلى أي شيء . النهايةُ غير مضمونة. والضوءُ في نهاية النفق غير واضح، لكن الضَّوء يُولَد فِينا أثناء رحلتنا.

لقد رأيتِ وجهي بلا قناع . اكتشفتِ نقاط ضعفي ، وعرفتِ الحجَرَ الذي يَحمل قصري الرملي . عرفتِ خرائطَ غريزتي السِّريةَ . أمَّا الآخرون فقد عرفوا أبعادَ عقلي. وهذا يعني أنكِ سيطرتِ عليَّ. رَميتُ أوراقي كاملةً أمامكِ، فكيفَ أدخل في لعبة الحب؟.صار الحب اختراقاً أمنياً. وأنا الخاسر، وليس لدى العانس ما تخسره. لو أقامَ الإمامُ الشافعي علاقةً مع مادونا ، فهو الخاسر ، لأن الثوب الأبيض تظهر فيه أصغر نقطة سوداء . مَن يَمْلِك التاريخَ سَوْفَ يَخاف على تاريخه ، أمَّا ابْنُ الشوارع فلا تاريخ له كَي يَخسره . الماءُ الصَّافي يَخافُ مِنَ التَّلَوُّث ، أمَّا مِيَاه المجاري فلا تَخاف مِن شَيء .

سَيف العاداتِ والتقاليدِ على رقبتكِ . أنتِ واقعة تحت الضغط النفسي والاجتماعي ، لذلك أنتِ مُضطرة أن تتحمَّلي قَرَفي . الراقصةُ في الملهى الليلي مضطرة أن تتحمل قرف الزبائن ، أن تُشعرهم بالحب والحنان حتى لو كانت تكرههم وتحتقرهم. الراقصة في الملهى الليليِّ لا تَمْلِكُ هُوِيَّة تحديد الزبائن. وظيفتها تَحَمُّل قَرَفِ الزبائن. هِيَ مَشَاعٌ ومُلْكٌ عَام لِكُلِّ مَن يَدفع. هذه هي قواعد المهنة. لقد انفصلت الإرادة عن المشاعر، وانفصل الحب عن المعنى . والفيلسوف يُفتِّش عن المعنى ، كما تُفتِّش العانس عن الزَّوج . " مُطَلَّقة أفضل من عانس " . والمجتمعُ يحتقر المرأةَ المطلَّقة ، فهو يَعتبرها امرأةً مُسْتَهْلَكَةً ومُسْتَعْمَلَةً ودرجة ثانية ، وبالتالي يَنْزِل سِعْرُها كالسيارة الْمُسْتَعْمَلَة. لو كنتُ متزوجاً فلن تفتخر بي زوجتي أو أبنائي. فلا تكرهيني أيتها العانس . إنني أكرهُ نفْسي .

لا تُحاولي تدميري ، أنا أُدمِّر نفْسي بنفْسي . لا تحزني عليَّ ، ما الفائدةُ حين يَحزن السَّجانُ على السجين ؟ . لا تُشفقي عليَّ . ما الفائدة حين يُشفِق القاتلُ على الضحية ؟ . وأنا ضحيةُ نفْسي . أنا القاتل والمقتول . أصبحت الرومانسيةُ مِثْلَ قُطعة الْجُبْنِ التي تُرمى للفأر لإيقاعه في المِصيدة . لقد انتهت الرومانسية،وماتت المرأة، وبقي شَبَحُها المصبوغُ بِمُسْتَحْضَرَات التجميل. ماتت الحضارةُ بِمَوْتِ المرأة ، ونحن نعيش في فلسفة ما بعد المرأة .

إنَّ المرأة تُشعرني أنني مُصاب بانفصام في الشخصية . إنها تراني بلا قناع . وهذا أمر شديد الخطورة . إنها تَطَّلِعُ على نقاط ضعفي ، وتراني في أسوأ حالاتي . لذلك ، كان الحل هو العزلة والاعتزال . والهروب من الحب أفضل من الحب القاتل . سأهرب من نساء الأرض . كلما أحببتُ امرأةً تذكرتُ أني مريض نفسياً . وكلما أردتُ أن أكون رومانسياً ، عرفتُ أنَّ مَلَكَ الموت سيقضي على الرومانسية . إن الموت انتصر على الحب ، ولا شيء يَهزم الموتَ .

هل أقضي على مستقبلي من أجل امرأة عانس ؟ . إن الرومانسية أكبر خطر يُهدِّد عقل الفيلسوف . ولو لَم أكن فيلسوفاً لصرتُ زِير نساء . أشكرُ اللهَ أن جعلني فيلسوفاً ليُبعدني عن النساء . إلهي ، كَم أنتَ كريم ، وكَم أنا لئيم .

المرأة لا تتمتع بالاكتفاء الذاتي ، لأنها تعتمد على قميص النوم والمكياج . إن جسدها العاري ليس مُغرِياً ، لذلك تعتمد على قميص النوم . إن وجهها ليس مغرياً ، لذلك تعتمد على المكياج . إن المرأة تبحث عن الإسناد الخارجي ، لأنها لا تتمتع بالقوة الذاتية . لقد ماتت المرأة ، وصارت سلعةً في سُوق الرقيق الأبيض ، سواءٌ في المجتمع أم على شاشات التلفاز . دخلت العانسُ في أفلاكِ الهلوسةِ . دخلت العانس في مدارات الاحتراق .

إن المرأة مشهورة بالطبخ، لكن أشهر الطباخين رِجال . والمرأة معروفة بالأزياء، وأشهر مُصمِّمي الأزياء رجال، والمرأة مُختصة بالحمل والولادة ، وأشهر أطباء الأمراض النسائية والتوليد رِجال . والمرأة تَحيض دُون الرَّجل ، لكنها تسأل الرَّجل عن أحكام الحيض الذي هو من أبرز خصائصها . وهذا يُشير إلى أن المرأة كائن تابع لا يتمتع بالاستقلالية والاكتفاء الذاتي .

أنا الأمل الأخير في حياة العانس . حاولي اصطيادي أيتها العانس في كل زمان ومكان . كلما أحببتُ امرأةً عرفتُ أني مريض نفسياً . الزواجُ سباق مسافات طويلة ، وأنا مُتَخَصِّص في المسافات القصيرة. أسألُ أشلائي : لماذا أنا فاشل في الحب ؟، فَيُجيب خشبُ تابوتي : لأنكَ فاشل في الحب .

بَكَيْتُ على نساءٍ كثيرات في حياتي ، فلا تكوني الرَّقْمَ الصعب في القائمة السوداء . شعوري شعور امرأة مُطلَّقة . مكسورٌ أنا . والذكرياتُ تذبحني بسكاكين المطبخ في بيتنا المهجورِ. أطلالُ قلبي تاريخٌ جديدٌ للأنقاض . أرى ضوءاً في آخر النفق. وهذا الضوء هو الموت .

الحضارةُ مِثْل امرأة تدورُ على الْمُحَامِين لعلهم يُنْهُون اعتقالَ زَوْجِها . مِن أيْنَ تُحْضِرُ أتعابَ الْمُحامين وَرُسومَ المحاكم ؟. البلادُ تتساقطُ، لَكِنَّها مَشغولةٌ بالشعارات الانتخابية . كُلُّنا هُنود حُمْر مَعَ اختلاف الأقنعة . اخْتَرَعُوا قَانونَ إبادة الهنود الحمر لتصدير انطفاءاتِ البشر إلى السماسرة .

التاريخُ أعمى مِثْل شَخص أَحَبَّ امرأةً ثُمَّ عَلِمَ أنها مُتزوِّجةٌ فأَحَبَّها هِيَ وزَوْجها معاً ! . تاريخُ المشاعرِ زُكامٌ ، وجُغرافيا القلوبِ المكسورةِ أنقاضٌ . تَصعدُ الأحلامُ مِنَ الأنقاضِ الإنسانية . الأوطانُ مَسروقةٌ، يُعَامَلُ فِيها البشرُ كالأغنام التي لا تَمْلِكُ حَقَّ الاعتراضِ على قاتلها (الراعي).

هذه الحياةُ اللاحياة التي يَعيشها العبيدُ الفخورون بالخِزْيِ والعار . يَنْحَنُون لِجلادهم عِندَ قَبْضِ رَواتبهم في نِهاية كُلِّ شَهْر . إنَّهُ الانتحارُ بِعَيْنِه .

لَقَد ضَاعَ ما لا يُقَدَّرُ بِثَمَنٍ ، فَمَا بَالُكِ بِمَا يُقَدَّرُ بِثَمَنٍ ؟!. قَضَيْتُ حياتي هارباً مِن نَفْسي وهارباً مِنَ الناس. كُنتُ أشعرُ بالعذاب دائماً لأنَّني كُنتُ أُحِبُّ نِساء مُتزوِّجات، لَكِنِّي كُنتُ أدْفِنُ هذا الْحُبَّ في قَلْبي، ولا سُلطة لِي على قلبي. أنا أفْضَلُ مَن يَدْفِنُ المشاعرَ فلا تَظْهَر على ملامحِ الوجه والسلوكِ الإنسانيِّ . أنا دِكتاتور على قَلبي . أنا قَاتِلُ مَشَاعِرِي ، وضَحِيَّةُ ذِكرياتي . أنا الهروبُ المستمِرُّ . الْحُبُّ الطاهرُ يُعَوِّضُنا عَن هَزائمنا ، أمَّا الْحُبُّ الْمُلَوَّثُ فهو الاكتئاب الهوسِيُّ . كُلُّ الأشخاص الذين يُحِبُّونني ، لَوْ عَاشوا مَعي فَسَوْفَ يَكْرَهُونني . قالوا إنَّ ابْنَ العَمِّ يُنْزِلُ ابنةَ عَمِّه عَن ظَهْر الفَرَس. لقد ماتت ابنةُ العَمِّ وهَرَبَت الفَرَس . أشعرُ أنَّ كُلَّ امرأةٍ لَها نصيب فِيَّ ، وأنَّني لَسْتُ مُلْكَ نفْسِي . أنا مُلْكُ الجميعِ ، ولَسْتُ مُلْكاً لأحَدٍ .

مَشاعري مُختلِطة . كأنني اعتزلتُ الكِفاحَ المسلَّحَ ، وَتَفَرَّغْتُ لِدَعْمِ حُقوق المرأة . ماتت حضارةُ المعنَى . انكسرتْ أبجديةُ الطوفان . القائدُ يُرْسِل جُيوشَه لِمُحاربة أخيه ، ويظلُّ في الشُّرفة مَعَ زَوجته التي تَرْتدي قَميصَ النَّوم يَشربان الشَّايَ الأخضرَ الممزوجَ بالدَّم الأحمر. ضَحَّى بالشباب لِكتابة تاريخ الوهم ، لصناعة جُغرافيا السراب، لزيادة عدد الْمُعْجَبَات. غُرفةُ العملياتِ هِيَ قَميصُ النَّومِ أو غرفةُ النَّوم . والمقبرةُ تَتَّسِعُ للقاتلِ والمقتول .

أنا أقول كلماتي ، وأصنعُ أبجدِيَّتي . وَلَسْتُ وَصِيَّاً على مشاعر الناسِ ، ولَسْتُ مَعْنِيَّاً بِمَن يُحِبُّني أو يَكْرَهُني . أنا لا أكتبُ لِيَرْضَى عَنِّي الملوك ، أو حكومات تزوير الانتخابات . العُميان يَسيرون في الطريق الذي رَسَمَتْهُ السُّلطاتُ الأمنيةُ مَعْصُوبي الأَعْيُن، مُطْمَئِنِّين إلى انتحارهم المتكرِّر . والغُزاةُ يُمْلُون على أصحاب الأرضِ طَريقةَ العَيشِ . الطغاةُ في الداخلِ ، والغزاةُ في الخارج .

يُحاولون زراعة أعْيُن جديدة لنا وألسنة جديدة ، فَنُشاهِد ما يُشاهِدون ، ونقول ما يَقولون ، لقد صار كُلُّ مَن هَبَّ وَدَبَّ يُنَظِّر في السياسة والرُّومانسية والكِفاح المسلَّح.صَارتْ وَظيفةُ الْمُحَلِّلِ السياسيِّ وَظيفةَ مَن لا وظيفةَ لَهُ . والمضحكُ المبكي أنَّ الأمةَ العربية تلهث وراء رغيف الخبز ، ومَعَ هذا فَكُلُّ أفرادها مُحَلِّلُون سياسيون . والمتاجِراتُ بأثدائهنَّ صِرْنَ يُنَظِّرْنَ في الدِّين والسِّياسة والاقتصاد والأدب والفنون والرياضة ، والواحدةُ مِنْهُنَّ لا تَعْرِف أحكامَ الحيضِ ، لَكِنَّكَ تَراها تَبحث في كُلِّ المواضيع كأنها مَلِكة الفلاسفة والأدباء. والطغاةُ صاروا يضعون نظريات لتنمية مجتمعاتهم مِن وُجهة نظر بوليسية ، حيث يُرمَى الشعب في سجون الجوع والعطش والنسيان .

وهذه قِمَّةُ الدِّيمقراطيةِ والعدالةِ الاجتماعيةِ . وقد تَرْكب مَعَ سائق تاكسي فيضع أثناء الطريق عِدَّةَ نظريات في عِلْم الاجتماع السياسيِّ وقصيدة النثر والاقتصاد الجزئيِّ والكُلِّي والفيزياء والرياضيات والرومانسية .

أعتذِرُ للشَّمسِ والقَمَرِ عَن وُجودي . لقد كُنتُ نُقطةً سَوداء في تاريخ الحضارة البشرية ، وعِبْئاً ثقيلاً على كاهل هذا الكوكب . أنا وَصمةُ العارِ في تاريخ أحزان الشوارع . عِشْتُ في العَصْرِ الذي لَم أُحِب أن أعيشَ فِيه ، وَعِشْتُ مَعَ الأشخاص الذين لَم أُحِب أن أعيشَ مَعَهُم . كُلُّ امرأةٍ تَدخل مَداري تَحترِق . أكتبُ مأساتي ، أجِدُ لها نِهايةً على الورقِ ، لَكِنَّها تظلُّ مَفتوحةً على كُلِّ الاحتمالات . المرأةُ عَقَبَةٌ في طَريقِ تَحقيقِ أحلامي ، وَقَد نَجَحْتُ في تَجَاوُزِها مُبكِّراً . الزواجُ هُوَ مَقبرةُ الفلاسفةِ. يُدَانُ القَتيلُ، ويُبَرَّئُ القاتلُ . أنتَ مُتَّهَمٌ وَمَنبوذٌ سَوَاءٌ ثَبَتَتْ بَراءتُكَ أوْ إدانتُك. صَدَرَ حُكْمُ المحكمةِ قَبْلَ المحاكَمة ، فلا تُضيِّع وَقْتَكَ في الدفاع عَن نَفْسِك ، ولا تُناقِش القاضي . القاضي هُوَ الجلادُ . بِلادُنا صَارَتْ مِقْصلةً ، لا تَقْبَلُ الأعذارَ الصادقةَ ولا الكاذبةَ . والموتى لا يَمْلِكُون القُدرةَ على الحِوار والنِّقاش . الوَطَنُ صارَ أجملَ المزابل .

إنَّ المجتمعَ البشريَّ صار سُوقَ نِخاسة ، لا يُبَاع فيه إلا البشر الذين صاروا سِلَعاً تنتقل من قَصْر إلى قَصْر ، ومُهرِّجين يَنتقلون مِن سِيرك إلى سِيرك . يأتي الإنسانُ إلى هذا العالَم وَحَوْلَ عُنقه حَبْل المِشنقة ، وَعَلَيه أن يَقْضِيَ حَيَاتَه لِفَكِّ هذا الحبل . احتمالُ النَّجاحِ وَارد بِقُوَّة ، لَكِنَّ احتمال الفشل أقْوَى . والإنسانُ في سِباق مَعَ الزَّمَن ، لأنَّ العُمُرَ مَحدودٌ ، والفُرص التي تَذهب لا تَعود .

مَن يَعمل في مَنجم للفحم لا يَستطيع أن يَحميَ ملابسَه مِنَ الاتِّساخ . وَمَن حُوصِر داخل منجم للذهب ، على استعداد للتَّضحية بِكُلِّ الذهب من أجل الخروج سالماً . إنَّ أنصافَ الكُتَّاب حَوَّلوا نُصوصَهم إلى مناجم للفحم ، وبالتالي لَم يَنالوا مِن كتاباتهم سِوى ما يناله عامل المنجم من الاتِّساخ .

إنَّ كلماتهم التي تُجدِّف في الظلام جَعَلَتْ مِنهم بَشَراً درجة ثالثة أو رابعة . وهؤلاء الْمُرْتَزِقَة لَم يحترموا مشروعهم الأدبيَّ ، فَخَسِرُوا شَرعيةَ الكتابة. إنَّهم كالعُمَّال في منجم الذهب . يَتْعَبُون ويَموتون في سبيل إخراج الذهب لِغَيْرهم . أمَّا هُم فَيَظَلُّون عُمَّالاً فُقَراء بائسين، لا مُستقبَل لهم سِوى العمل في ظُلمات ما تحت الأرض ، ولا حياة لهم سِوى الموت مُحَاصَرِين بين الصخور والغبار والأتربة .

عِشْتُ تَحْتَ الأرضِ . وكانَ حُلْمي أن أعيشَ فَوْقَ الأرضِ . أنا الفَأرُ الذي لَم يَرَ الشَّمْسَ .

طُمُوحي أن أخْرُجَ مِن تَحْت الأرض لأرى الشمس . لا أُريدُ أن أكُونَ تحت الأرضِ مَرَّتَيْن . أنا الغريبُ التائهُ في الذِّكرياتِ، كأنَّني طَلَّقْتُ نَفْسي ، وتَزَوَّجْتُ الحكومةَ . الحكومةُ زَوجتي وعَشيقتي. زَوجتي التي أشُكُّ فِيها ، وعَشيقتي التي تَخُونُني . وأنا بَيْنَ الشَّكِّ والخِيانةِ ، أخُونُ قَلبي ، وأكْسِرُ رُومانسيةَ أحزاني ، وأصِيرُ خائناً . وَصَلْنا إلى حالة التَّعادُلِ ، مَعَ أنَّنا خاسران . لقد أَهَنْتُ نَفْسِي بِأَن وَضَعْتُهَا في غَيْرِ مَوْضِعِها .

ماتت المرأةُ بَيْنَ مَلاقِطِ الحواجب ومَلاقطِ الغسيل ، فأينَ حضارةُ الأُنوثةِ ؟ . تاريخُ الأُنوثةِ هُوَ الوَأدِ. لا تاريخ ولا جُغرافيا ولا دَولة. صارت الدَّولةُ مَزرعةَ أفيون يُسيطِر عَلَيها الزُّعماءُ اللصوصُ وسَماسرةُ الوَحدةِ الوطنيةِ . وهؤلاء الْمُرْتَزِقَةُ مُحَصَّنون ضِدَّ النقد والعَزْل والْمُساءلة والعِقاب ، لأنَّهم فَوْقَ القانون . كَتبوا القانونَ بأيديهم لِيَكُون سَيفاً على رِقاب الشعب .

نتحرَّكُ في مُحيطٍ من الأشباح والقيمِ المنهارة المنبثقة عن الأنانية اللحظية وثقافةِ الخلاص الفرديِّ. يُبَـرْمِجُ الناسُ ذواتهم وفق السياسات البوليسية . وعمليـاتُ التَّدجين والتَّهجين في المجتمع البشريِّ تُحِيلُ الشعبَ إلى قَطيع أغنام يَرْعَاه ذِئبٌ يَلعب دَوْرَ الراعي. وَشَيئاً فَشَيئاً، تتحول الأغنامُ إلى ذئاب تنتظر لحظة الانقضاض على الفرائس . الإنسانُ صَيَّادٌ وفَريسةٌ في آنٍ مَعَاً .

إنَّ الإنسان الذي تَعَوَّدَ أن يَكون رأساً ، مِنَ الصَّعْبِ عَلَيه أن يُصبِح ذَنَبَاً . أنا جَسَدٌ للتراب ، لكنَّ كَلِمتي تَنشطِرُ كانشطار الذَّرَّة . صحيحٌ أن الذَّرة حجمها صَغير ، لكنَّ الطاقة المنبعثة مِن انشطارها هائلة .

عِشْنا معاً كأغراب، ولَم نُحاوِلْ أن نكتشف أحزانَنا. مِيلادُنا هُوَ العَدُّ التنازليُّ. ولحظةُ الصَّفاءِ هِيَ لحظة التَّلَوُّث. إنَّهُ الصعود إلى الهاوية . لَيْسَ بعد التَّمام إلا النُّقصان . والوصولُ إلى الضَّوء في آخر النَّفقِ مُخيفٌ ، والوصولُ إلى آخر درجة في السُّلَّم مُثير للقلق . والقمرُ إذا اكتملَ ، لَيْسَ أمامَه إلا النُّقصان .

الكابوسُ أن تَمنحكَ امرأةٌ قَلْبَها ثُمَّ تكتشف بَيْنَكَ وبَيْنَ نَفْسِكَ أنَّكَ وغدٌ ، أو أن تَمنح امرأةً قَلْبَكَ ثُمَّ تَكتشِف أنَّها عَميلة للمُخابَرات . لا تُوجَد أيَّةُ امرأة تستطيع أن تَتحمَّل اكتئابي الشَّرِس . قَضَيْتُ حياتي هارباً مِن الْحُبِّ ، لأنَّ الْحُبَّ يَضغط على أعصابي ، وَيُحَمِّلُني مَسؤوليةً كبيرة فوق طاقتي. إنَّ تكوينَ أُسْرَةٍ في مجتمع مُتخلِّف يَحتقِر المرأةَ أمرٌ شديد الخطورة ، وكوكب الأرض مكان خَطِر للعَيش فِيه .

كُلُّ شَيء ضاع . ولَم يَعُدْ هُناك شَيء نَبكي عَلَيه . الأحلامُ تَضيع ، والحياةُ مُستمرة . يَنظُر الإنسانُ إلى المقبرة ، فَيَتَمَنَّى أن يَكون مَكانَ صاحب القبر. المرأةُ ماتت . والمِكياجُ يَصنع حضارةَ الأُنوثةِ الوهمية.سَيَأتي زَمَنٌ يَتَمَنَّى فِيه الرَّجلُ أن يَكون عَاجِزاً جِنسياً. يَخترِعُ الناسُ لَوازِمَ افتراضيةً. لَيْسَ شَرْطاً أنَّ كُلَّ امرأةٍ جميلةٍ سَتَتَزَوَّج . قَد تُصبِح عَانِساً . لَيْسَ شَرْطاً أنَّ كُلَّ رَجُلٍ عَبقريٍّ سَيُصبِح غَنِيَّاً. قَد يُصبِح فقيراً.عِندما تَضحكُ المرأةُ لِزَوْجِها،لَيْسَ بالضَّرورة أنَّها تُحِبُّه أو تُخْلِص له. فالزَّوجةُ الخائنة قَد تَجلِس مَعَ زَوجها وتضحك له ، لكنَّ قلبها مَعَ رَجُلٍ آخَر ، لأنَّها تعيش في الفراغ . والعشيقُ هو الذي يَملأ الفراغَ الذي تَركه الزَّوجُ . وَكُلُّ رَجل يَفشل في فَكِّ شِيفرة زوجته الرُّوحية والجسدية ، سَوْفَ يُحوِّلها إلى زوجة خائنة . والجاهلُ يُحوِّل النِّعمةَ إلى نِقمة. قراءةُ التاريخِ تَجعل الإنسانَ ذا أعصابٍ باردة ، لأنَّ التاريخَ جسدٌ ميت، يَتحرَّك في دائرة مُغلَقة، ويُعيد نَفْسَه. وبالتالي، لا مَعْنَى للمفاجأة أو الصَّدمة. لا جَديدَ تحت الشمس . والتاريخُ يُعيد نَفْسَه .

كُلَّما تَقَدَّمْتُ في السِّن ازددتُ احتقاراً لِنَفْسِي . يَحْرِصُ الإنسانُ على صِحَّته كَي يَستمتعَ الدُّودُ بِجَسده . أنا أُكذوبةٌ ، سَواءٌ تَزَوَّجْتُ أَم لَم أتزوَّجْ ، وأن أكُونَ رُومانسياً فاشلاً أفضل مِن أن أكُونَ زَوْجاً فاشلاً. لا قِيمة للأُسرة في مجتمع يَحتقِر المرأةَ . تَعَوَّدْتُ على الوَحدة في حَياتي تمهيداً للوَحدة في قَبْري. الحياةُ سَطحيةٌ ، وحُفرةُ قبري عَميقةٌ . إنَّ الذي يَخْسَر في الحبِّ يَرْبَح في الحياة ، لكنَّ الْمُضحِك الْمُبكي أنَّني خَسِرْتُ في الحبِّ والحياة معاً . دَخَلْتُ في مَدار الانتحار التدريجيِّ ، وَمِنَ الصعب أن أُفْلِتَ مِن جاذبية الْمَدار القاتلة . إنَّه النِّداء الذي يَنبعث مِن أعماقي ، وأسمعُ صَداه في كُلِّ الذكرياتِ. وَصَلْتُ إلى أبعد نقطة في الفلسفة، وَلَم أعُدْ أرى أمامي إلا الموت. أسْبَحُ في المنطقة العميقة ، ولَم أعُدْ أرى الشاطئَ . أنا مُؤَرِّخُ الحبِّ الضائع في هذا الفراغ السَّحيق، في هذا العَدَمِ الجارحِ . لَوْ تَزَوَّجْتُ فكأنَّني أُطْلِقُ النارَ عَلى قَدَمَيَّ . كأنَّني أُطْلِقُ رَصاصةَ الرَّحمة على أيام عُمُري. وإذا كانت مُونيكا سيليش قَد طُعِنَتْ مَرَّةً واحدة، وَتَدَخَّل الناسُ لإنقاذِها. فأنا مطعون طِيلةَ حياتي ولم يَتقدَّم أحدٌ لإنقاذي. ما الفائدةُ إذا أحَبَّكَ الناسُ وعَجِزُوا عَن إنقاذِكَ ؟ .

عِندَما تُصبِح المرأةُ مِمْسَحَةً لِحِذاءِ زَوْجِها، سَتَعْرِف المعنى الحقيقيَّ للرُّومانسية. سَتَعْرِف العَشَاءَ على ضَوء الشُّموع. الحضارةُ تنهارُ لأنَّها لَم تَتعلَّم مِن أخطائها. والتاريخُ أكاذيبُ الأقوياء . إنَّما الكَوْنُ عَدَمٌ فلسفياً وفيزيائياً . ومِن كَثرةِ مَا زُرْتُ طبيبي النَّفْسِيَّ جَعَلْتُ مِنهُ مَريضاً نَفْسِيَّاً .

تَبدأُ البشريةُ مِن قُمصان النَّوم، وتنتهي إلى القتل والموت . تَصيرُ ثِيابُ الإنسانِ أكثرَ أهميةً مِنهُ، وتَصيرُ السيارةُ أكثرَ أهميةً مِن راكبها. يُحِبُّني الجميعُ ، لكنَّ أحَدَاً لا يَستطيعُ إنقاذي . قُلوبُنا مَعَكَ، وسُيوفُنا عَلَيْكَ . وما يُؤلِمُني هُوَ أنَّ الأشخاص الذين أحْبَبْتُهُم ماتوا قَبْلَ أن أقول لهم إنَّني أُحِبُّكم . وعَلَيَّ وَحْدي أن أعيشَ في عذاب الذِّكريات .

إنَّ فَلسفةَ الإنسانِ الحقيقيةَ تتجلى في سِبَاقه مَعَ الزمن ، مِن أجل قَتْلِ الوحش الساكن فيه ، فإمَّا النَّصر أو الهزيمة . ولا خِيار أمامَ الإنسان _ سَواءٌ كان ناجحاً أَم فاشلاً _ سِوى القتال حَتَّى النهاية ، وَلَن يَرفع الرايةَ البَيضاءَ . لا وَقْتَ لِرَفْعِ راية الاستسلام . إنَّهُ في سِباق معَ الزمن . ورَفْعُ الرايةِ البَيضاءِ مَضْيَعة للوقت . والوقتُ الذي نَقضيه في التَّخطيط للاستسلام يَكفي للتَّخطيط للنَّصْرِ ، والوقتُ الذي نَقضيه لِتَبرير أخطائنا يَكفي لإصلاحها .

الْمُقَاتِلُ يُعْرَفُ في المعركةِ ، ولا يُعْرَفُ بالأوسمةِ العسكرية . والمرأة تُعْرَفُ بِعُذوبة الرُّوح ، ولا تُعْرَفُ بِقَميص النَّوم . والعَالِمُ يُعْرَفُ بنظرياته ، ولا يُعْرَفُ بِشَهادة الدُّكتوراة .

أكتبُ لقارئٍ افتراضيٍّ في المستقبَل . أرى امرأةً تَزُورُ قَبري بَعْدَ وَفاتي ، وَهِيَ تُدْرِكُ قِيمتي الفكرية والأدبية . لهذه المرأةِ التي لا أعْرِفُها ، أنا أكتبُ . أنا مُؤَرِّخُ الأحزانِ الماضيةِ ، ومُكْتَشِفُ كُلِّ الأحزانِ الآتيةِ .

حَياتُنا هِيَ الأُكذوبةُ الْمُعطَّرة بالذكرياتِ والأقنعةِ . نَخُونُ الأحياءَ ، ونَخُونُ الأمواتَ. إنَّ ثَمَنَ الأزهارِ التي يَشتريها الناسُ ويُقَدِّمُونها للمَوتى الذين مَاتوا جُوعاً ، كانت تكفي لإشباعهم وإنقاذهم مِنَ الموت جُوعاً. لا مَعْنَى لإطلاقِ الرَّصاصِ على الجثث . لا مَعْنَى لِكِذْبة نَيْسَان ، لأنَّ حَيَاتَنا كُلَّها كِذْبةٌ كُبرى .

عِندَما أُوضَعُ في قَبري العميقِ وَحيداً ، لَن تُنْقِذَني شَجاعةُ حُرَّاسي الشَّخصيين ، ولا ضَحِكات النِّساء الْمُعْجَبَات بِي . أرْمَلتي سَتَذهب مَعَ زَوْجِها الجديدِ إلى المطعم ، وتقول له نَفْسَ كَلِمَاتِ الحبِّ التي كانت تَقُولها لِي ، بَيْنَما أنا في قَبري وَحيداً ، لا حَوْلَ لِي ولا قُوَّة . أنا أتعرَّض للسؤال والحسابِ ، وهُمَا يَتبادلان أحاديثَ الغرام . أنا طعامُ الدُّودِ ، وهُمَا يتناولان العَشَاءَ على ضَوء الشُّموع .

الأحلامُ تختفي في مَدارات الاحتراق ، والحياةُ مستمرة . لا مكانَ إلا الوهم ، والزمن هو النَّقلات النَّوعية داخل النَّفْس البشرية، وليس له علاقة بعقارب الساعة . والنَّفْسُ البشريةُ سَرابٌ. نَحْنُ نَتحرَّك في السَّرابِ أُفقياً وعمودياً .

حَياتي كُلُّها تَنقيبٌ عَن الحبِّ الضَّائعِ في الوَطَنِ الضَّائعِ . في حياتي ، تتكاثرُ الأضدادُ ، وتُولَد التناقضاتُ . كانت المرأةُ التي تَصْلُح للرُّومانسية لا تَصْلُح للزواج ، والمرأةُ التي تَصْلُح للزَّواج لا تَصْلُح للرُّومانسية . انتحرت الرُّومانسيةُ ، وفَقَدَ الزَّواجُ مَعناه في مُجتمَع الأوهامِ . وأقسى أنواع الرومانسية هي رُومانسية الرَّجل الذي يَعشق المرأةَ المتزوِّجة وغَير المتزوِّجة بلا تفريق .

المعنَى يَنتحِرُ في هذا العالَم الظالم. كُلُّ إنسان يَشعر أنَّهُ مَظلومٌ وضَحِيَّةٌ. فَمِن أيْنَ جاءَ الظُّلْم ؟. وأيْنَ المجرمون إذا كُنَّا جميعاً ضَحايا ؟ . عِندَما تَسقطُ الحضَارةُ في الحروبِ ، تُصبِح الأُنوثةُ هِيَ الحضارةَ المركزية. وفي ظِلِّ سُقوط الحضارات، على الإنسانِ أن يَبحث عَن قَلْبِ امرأةٍ للعَيْشِ فِيه ، لِكَيْلا يَسقط مِن التاريخ .

أنا رومانسيٌّ حالِم على الورق ، لكنَّ حياتي انقلاباتٌ عسكرية . وعُقدي النَّفسية تجاه النِّساء تَمنعني أن أكون رُومانسياً حقيقياً ، وتَمنعني من الزواج . أنا الوَهْمُ المحاصَرُ بالذكريات . أنا الحزنُ الساطعُ . أعيشُ في الخيال ، ولا أعيش في الواقع . وعلى أيَّة حال ، إنَّ الرومانسية والزواج في المجتمع المتخلِّف المبنيِّ على أنقاضِ الإنسان ، هُما عَمليتان انتحاريتان .

ومَهْما يَكُن مِن أمرٍ ، سَوْفَ أظلُّ أكْرَهُ الرَّجلَ الذي يَعتقد أنَّه اشترى زوجته بأمواله ، وأكْرَه المرأةَ التي تَقضي حياتها مِمْسَحةً لِحذاءِ زَوجها .

*

(٢)

سُوسيولوجيا الجِنس

(البُنية الاجتماعية للطاقة الجِنسية)

الزَّواجُ هو العُنصر الأكثر تأثيراً في الحراك الاجتماعيِّ . وفي الزواجِ ، يَتحوَّل الجِنسُ مِنَ الشَّبَقِ الغريزيِّ إلى الوظيفةِ الرُّوتينية. والمرأةُ كائنٌ غامضٌ ، مشاعرُها مُعقَّدة ، وعواطفُها متناقضة. لكنَّ المرأةَ إذا تَكَرَّسَتْ تَعَدَّدَتْ . يعني إذا صارَ وُجودُها راسخاً في حياة الرَّجل ، فإنَّها تُصبِح كُلَّ شَيء في حَياته، وكأنَّها تَقمَّصتْ كُلَّ نساءِ العالَم. إذا تَكَرَّسَتْ في حياةِ الرَّجل، تَعَدَّدَتْ شَخصياتها ووجوهها وأقنعتها ، وسَيطرتْ على مفاصل حياته ، وتَحَكَّمَتْ بِوُجوده مِنَ الألف إلى الياء . وإذا تشابهت النساءُ في عَيْنَيْكَ ، فهذا دليلٌ على أنَّ رَأْسَكَ هُوَ شَاهِدُ قَبْرٍ .

وكَثيراً ما كُنتُ أسأل نَفْسي : لماذا تَخونُ المرأةُ زَوْجَها ؟ . ما الذي تُريده بالضبط ؟ . وبالطَّبْع ، كانت الإجابة الجاهزة : ضَعْف الوازع الدِّينيِّ والأخلاقِيِّ. وهذا صَحيح . ولكنَّ القضية تحتاج إلى مُعالَجة تَفصيلية ، ولا يَتِمُّ حَلُّها بِكلمة أو كلمتين . إنَّ الزَّوجة الخائنة تَحتاج إلى رَجُلٍ يُعيد اكتشافَها ، لأنَّ الزواجَ نظامٌ رُوتينيٌّ ميكانيكيٌّ مُغلَق. وعُنفوانُ الزَّواج يَتجلى في لَيْلة الدُّخلة، حيث يَبدأ العَدُّ التنازليُّ لا التَّصاعديُّ . وقوةُ لَيْلة الدُّخلة تَبْرُز في استحالة تِكْرارها ، فَهِيَ كَعُود الثِّقاب ، اشتعال لِمَرَّةٍ واحدة فقط ، ثُمَّ انطفاء أبدي . وهذه الشَّرارةُ انطفأتْ ، والوَردةُ ذابلة ، وبعد لَيْلة الدُّخلة يَدخل الزَّوجان في الْمَلَلِ الجِنسي ، والرُّوتين الوظيفي . تَنتحِر العواطفُ تَدريجياً ، وقد تَبدأ رِحلةُ البَحث عَن شَرارة جَديدة ، وقَد يَكتفي الزَّوجان بالانطفاء ، ويَقتنعان بِه . ولَيلةُ الدُّخلةِ هِيَ انقلاب عسكريٌّ ، الدُّخولُ فِيه مَضمون ، لكنَّ الخروج مِنهُ غَير مَضمون . وأيُّ شَخص يستطيع إشعال شرارة الحرب . ولكنْ ، لَيْسَ أيُّ شخص يَستطيع إطفاءَها. ومَهْما يَكُنْ مِن أمرٍ ، فلا بُدَّ مِنَ المغامَرة لا المقامَرة ، وأفضل طريقة للتخلص من الخوف اقتحامُه .

كُلُّ امرأةٍ مُتزوِّجة إذا أقْدَمَتْ على خِيانة زَوجها ، فعلى الأرجح ، سَوْفَ تُخْبِر صديقاتها الْمُقَرَّبات كَي تَستعرض " عضلاتها الرومانسية والغرامية " أمامَهنَّ ، وتُقدِّم نَفْسَها كبُؤرةٍ للإغراء، ومَصْدَرٍ للمُغامَرات العاطفية. وهي بذلك تُعلِن التَّمرد على الحياةِ الزَّوجية وتقاليدِ المجتمع، وتَكْسِر رُوتين الحياة الزوجية ، وتُحطِّم الْمَلَلَ الجِنسيَّ ــ وَفْقَ مَنظورها الشخصيِّ ــ . وكُلُّ امرأةٍ

مُتزوِّجة إذا تَوَفَّرَت الظروف المناسبة زماناً ومكاناً للخيانة الزَّوجية، فَسَوْفَ تَخون زَوْجَها . ليس بالضرورة أن تصل إلى مرحلة الزِّنا ، لأنَّ مفهوم الخيانة الزَّوجية أكبر مِنَ الزِّنا .

إنَّ الزَّوجة الخائنة تُخْبِر صديقاتها المقرَّبات بمغامرتها العاطفية (المقامَرة) ، وتُقدِّم نَفْسَها كامرأة قادرة على الإغراء وجذب الرجال ، ولا يَستطيع الرجالُ مقاومةَ سِحْرها وإغرائها ، لذلك يَلهثون وراءها . إنَّها تَميل إلى الاستعراض والتفاخر والتَّباهي . وهذا الوهمُ يُشْعِرُها بأنوثتها وحيويتها ونقاط قُوَّتها . والمرأةُ لا تَنظر إلى غَير زَوجها إلا إذا كان زوجها لا يُشْبِعها عاطفياً أو جسدياً ، ولا تَبحث عَن غَيره إلا إذا كان عاجزاً عن تحقيق طموحاتها وأحلامها . وهذا المبدأ يُمْكِن استخدامه في السياسة ، حيث المواطنُ لا يَبحث عَن رئيس آخَر إلا إذا كان الرئيس عاجزاً عن تحقيق طموحات الشعب .

الفَراغُ هو القاتلُ ، يَقود الإنسانَ إلى الأفكار السَّيئة . ونَفْسُكَ إن لَم تَشْغَلْها بالحق شَغَلَتْكَ بالباطل . نظراتُ العُيونِ المتبادَلةُ هِيَ بِداية الخيانة . واللهُ يَعْلَمُ خائنةَ الأعْيُن . والخِيانةُ الزَّوجية يَختلف شَكْلُها باختلاف الطبقة الاجتماعية . المرأةُ الفقيرةُ خِيانتها بِدائيةٌ وساذَجة . أمَّا نِساءُ عِلْية القَوم ، فخيانتهنَّ مَمزوجة بالذِّكرياتِ والمشاعر والأيديولوجيات . وَلَوْ أنَّ امرأةً فقيرةً خانتْ زَوْجَها ، فإنَّ الجميعَ سَيُلْقُون عَلَيها تعاليمَ الشَّرفِ ، ويُنظِّرون عَلَيها ، ويَعتبرونها مُجْرِمةً تَنتمي إلى بِيئة مُتخلِّفة ، وتَفتقِر إلى الوَازع الدِّينيِّ ، ولَيْسَ عِندَها أخلاق . أمَّا إذا كانت الزَّوجة الخائنة مِن الطبقة المخملية ، فَسَوْفَ يتمُّ اعتبارُها ضَحِيَّةً للذكريات والأحلام الضائعة ، وتُصبح شَهيدةً في سَبيلِ الحبِّ والعواطف الإنسانية النبيلة . الأقوياءُ ذُنوبُهم مَغفورةٌ دَائماً ، ولَدَيهم الحاشية ووسائل الإعلام القادرة على اختراع التَّبريرات ، وقلبِ الحقائق ، وتَسميةِ الأشياء بِغَير أسمائها .

الخيانةُ الزَّوجيةُ في الطبقة المخملية تُشير إلى أنَّ القضية لَيْسَتْ قضية بنات شوارع أو نساء جاهلات . الخيانةُ الزَّوجية هي أيديولوجية متكاملة ، تَرمي إلى اكتشاف المجهول ، وصناعةِ المغامَرات العاطفية ، وإنهاءِ حالة الروتين . والزَّوجةُ الخائنةُ تُريد كَسْرَ الْمَلَلِ ، وتَطمح إلى إعادة اكتشافها ، وتُريد التَّحررَ مِن سُلطة النظام الروتيني المغلَق ، وتُريد أن تَشعر بِرِعشة الحب ، ومُتعةِ الاكتشاف الأول . والزَّوجةُ الخائنة تلجأ إلى تَفعيل سلاح الإغراء بَعيداً عن زَوجها الغارق في النظام الاستهلاكيِّ ، والذي يَلهث ليلاً ونهاراً من أجل توفير مُتطلبات الأسرة . وإغراءُ الزَّوجةِ قَد ضَعُفَ في مؤسسة الزواج الوظيفية الرُّوتينية ، لذلك تَسعى الزَّوجةُ الخائنةُ إلى إعادة اكتشاف سلاحها الفتَّاك (الإغراء) خارج إطار الزَّواج الخانق . وحتَّى لَوْ كانَ الزَّوْجُ يُشْبِعُ زوجته جِنسياً،

فهذا لا يَمنحها حصانةً ضِدَّ الخيانة ، لأنَّ الإشباع الجنسيَّ _ على فَرض وجوده _ لا يُغني عَن الإشباع العاطفيِّ ولا يُعَوِّضه . والجديرُ بالذِّكر أنَّ الزَّوجات الخائنات لا يَتَصَرَّفْنَ بشكلٍ تلقائيٍّ وارتجاليٍّ . إنهنَّ يُخَطِّطْنَ لكل خُطوة . وكُلُّ خطواتهنَّ مَحسوبة ومَدروسة بعناية فائقة .

إنَّ المرأةَ التي تَخون زَوْجَها ، تُريد أن تُثْبِتَ لِنَفْسِها أنها ما زالت جذابةً ومُغْرِيَةً للرجال ، وأنها لَيست كالسيارة المستعمَلة . لقد تَعَوَّدَ زَوْجُها على رُؤيتها فلم يَعُدْ يَراها . لَم تَعُدْ مُغْرِيَةً بالنِّسبة إلَيه ، لأنَّ الاعتيادية قَتَلَتْ بريقَ الأنوثة ، وبالتالي أصبحت المرأةُ قِطعةَ أثاثٍ وتحصيل حاصل ، وهذا جعلها تبحث عَن رِعشةِ الحب ورَجفةِ القلب في ظِلِّ نظام استهلاكي مُغلَق وقاتل ، وتُريد الخروج من النظام الماديِّ الروتيني المتوحِّش .

وهناك إشكاليتان تتعلقان بالزواج في المجتمعات المتخلِّفة : الأُولَى _ الزواج مَقبرة الحب ، والثانية _ المرأة خادمة مَنْسِيَّة في المطبخ .

الخيانةُ الزَّوجية هي محاولة الخروج من رائحة البصل في المطبخ المحدود المحاصَر بالقيم الحياتية الاستهلاكية إلى فضاءات الرومانسية والمغامَرات والذكريات . كما أنَّه يتمُّ تصوير الخيانة الزَّوجية كمحاولة لإعادة اكتشاف الأُنوثة ، حيث البحث عن شَرارةِ الحب ، ولَسعةِ العِشق ، وعُنفوانِ المشاعر، ورِعشةِ الغرام. هذه الرِّعشةُ التي قُتلت في ضجيج الحياة الاستهلاكية ، والْمَلَلِ الجِنسيِّ ، ورُوتينِ الحياة الزوجية المحصورة والمحاصَرة .

لقد تَحوَّلت العلاقاتُ العاطفية إلى نظام ميكانيكي شَيئي . وبدأ العَدُّ التنازليُّ ، وتَكرَّس الانتحارُ التدريجيُّ نظاماً حياتياً . بَدأ الزَّواجُ مِنَ الذِّروة (لَيْلة الدُّخلة) ثُمَّ يَحدث الهبوط، وكأنَّ الأمرَ صُعود إلى الهاوية . عِندَما تَرْمي حَجَراً في الهواء ، سيصل إلى لحظة يتوقف فيها . وهذه اللحظة تكون عِندَها السرعةُ صِفْراً ، والتسارع صِفْراً ، فيبدأ الحجر في التسارع العَكسيِّ ، ويَنْزِل إلى الأرضِ . لقد أصبحت لَيلةُ الدُّخلة مِصْيدةً ، وصارَ الصَّيادُ فَريسةً .

الخيانةُ الزَّوجيةُ صارتْ مَظهراً اجتماعياً (برستيج) في ظِل تَفَكُّك المجتمع ، وانهيارِ الأُسرة ، واضمحلال العلاقات الإنسانية ، وتقليد المسلسلات التُّركية والمكسيكية . والمرأةُ العربيةُ مَقبرةُ الرُّومانسيةِ ، وجُزءٌ مِنَ الأثاث ، وهي ذاهبة إلى النسيان في إحدى زوايا المطبخ . إنَّها أَمَةٌ في ثَوب حُرَّةٍ ، والمجتمعُ يَضغط عَلَيها . وكثيرٌ مِنَ العائلات تَرْتدي قِناعَ التماسكِ والاتحادِ خَوفاً مِن كلام الناس ، وحِفاظاً على المكانة الاجتماعية ، وهذه العائلاتُ المتماسكةُ على الورق ، المفكَّكة على أرض الواقع ، تُشكِّل بِذرةَ العُنف الاجتماعي .

وهُناك مبدأ ثابت في حياة الكثيرين ، وهو أنَّ الزَّوجة للإنجاب ، والعشيقة للحُبِّ . الزَّوجةُ للمطبخ والأولاد ، والعَشيقةُ للحُبِّ والرُّومانسية والـذِّكريات . الزَّوجـةُ لإعـداد الطعـام لِزَوجهـا وأولادها ، والعشيقة للعَشَاء على ضَوء الشُّموع . ما أصعبَ أن يَتجزَّأ الرَّجل ! ، جسده مَعَ زَوجته ، وقَلْبُه معَ امرأةٍ أُخرى .

والإنسانُ حِينَ يَغرَق في نظام نمطيٍّ انعزالِيٍّ مُغلَق ، يَحتاج إلى مَن يُعيد اكتشافَه ، ويُشعِره بأهميته في هذا الوجود . إنَّها رِحلة البَحث عن السُّلطة الاعتبارية والتقدير . الفراغُ العاطفيُّ يُحوِّل جَسَدَ المرأة إلى أيديولوجية ، والمجتمعُ يُؤَدْلِجُ المرأةَ كَي تَقمع جَسَدَها بجسدها ، وتَضطهد نَفْسَها بِنَفْسها . وهكذا ، تَعتبر المرأةُ نَفْسَها كُتلةً مِنَ اللحم الْمُغرِي ، وتَبدأ رِحلةُ الإغراء . والمرأةُ تَشعر بالاكتئاب حِينَ تَفقِد القُدرةَ على الإغراء . إنَّهُ سِلاحُها الفَتَّاك الذي يَمنحها الثِّقة بالنَّفْسِ ، ويُشعِرها بأنوثتها .

والإغراءُ للمرأةِ مِثْل الإبرة للنَّحلة . الإغراءُ مُسدَّس بِطَلقة واحدة فقط ، والذئابُ يتكاثرون في الغابة . المرأةُ تُؤمِن بأنَّ جسدها شَيطان يجب قَتْلُه . وهذه النَّظرة تُولِّد الكَبْتَ الجِنسيَّ. لقد تَحَوَّلت لَيلةُ الدُّخلة إلى مِصْيَدة ، وتَحَوَّلَ الجِنسُ إلى فخ .

وفلسفةُ الإغراء شديدة التعقيد . فالمرأةُ هي الفاعل والفِعْل في موضوع الإغراء ، والرَّجل هو رَدَّة الفِعْل . وفي بعض الأحيان يقوم الرَّجل بإغراء المرأة بطريقة غير مباشرة ، حيث إنه يُحرِّك جَذوةَ الإغراء في جسد المرأة ، فينبعث الرماد من تحت النار . وقد كانت المرأةُ تعتقد أنَّ النار انطفأت إلى الأبد . وهذا الانبعاثُ يُصيب المرأةَ بالغرور ، ويُشعرها بأنوثتها الصارخة . وسواءٌ كان الانبعاث حقيقياً أَم وهمياً ، فالمرأة تُحِبُّ الرَّجلَ الذي يَضحك عَلَيها ، ويُشعرها بأنها ملكة لا يُقاوَم إغراؤها .

وفلسفة الطاقة الجنسية قائمة على الشُّعور بِلَذَّة العُنفوانِ والخلودِ . والخلودُ هو الامتداد في جسد المرأة الذي يُشكِّل بُؤرةً اختزاليةً للمعنَى الوجوديِّ القائم على بقاء النَّوع وخُلود الاسم .

والمرأةُ مِثْل الإبريق الزُّجاجيِّ ، إذا كُسر لا يُمكِن إصلاحه وإعادته كما كان . وإذا خُدِش ، سيظل الخدشُ علامةً مُميِّزة . لذلك ، المرأة لها غِشاء بَكارة . أمَّا الرَّجل فَلَيْسَ له غِشاء بَكارة .

والرِّجالُ يَخْلِطُون بين الرومانسية والجِنس ، بين الحبِّ الخالص وحُبِّ مُمارَسة الجِنس . المرأةُ هي البُؤرةُ المركزية ، جسدها شديد التَّكثيف . والشخصُ الذي يَختزِل وُجودَه في جسد المرأة ثم يَرميها ، هُوَ شخص فاقدٌ لقيمة الرُّجولة ، لأنَّه حَوَّلَ المعنَى الكُلِّي إلى مَعنَى جُزئيٍّ .

والجِنسُ بَصمةٌ ، لكنَّ تأثيرها يَزول في متاهة التناقضات وكَومة الأضداد . الوجهُ أو القِناع . البَشَرةُ أو المِكياج. شخصٌ يَعشقُ امرأةً، لكنَّه عاجزٌ جِنسياً. يَعشقها لكنَّه غَير قادر على إسعادها ، بسبب عَجزه عن إشباعها جنسياً . الإرادةُ مَوجودةٌ ، لكنَّ جِسْمَه خانه . خَذَلَتْهُ قُواه المادية رغم وُجود القوة الرُّوحية . المشاعرُ افترقتْ عَن الجسد ، والخيال انفصلَ عن الواقع ، والأحاسيسُ افترقتْ عَن منظومة الحقوق والواجبات . وقد تُحِبُّ المرأةُ زَوْجَها رغم أنَّه عاجز جِنسياً ، لكنَّها _ في قرارة نَفْسِها _ تَحتقر ضَعْفَه ، وتَندب حَظَّها .

لَوْ كانَ هُناك رَجُلان في حياة امرأةٍ ، مَن ستختار ؟ . ما هي المعايير ؟ . الصوت ، والصَّدى ، والنِّداء الداخلي ، والغريزة ، والذكريات ، والمشاعر ، والقوة الروحية ، والقوة المادية، وإفرازات النظام الاستهلاكي . المرأةُ تَغتصِب نَفْسَها لِتَجد رُوحَها . إنَّها المتاهة ، ولا ضَوء في نِهاية النَّفَق . الإنسانُ يُدمِّر نَفْسَه بَحثاً عَن الْمُتعة ، لكنَّه يَخسر مَرَّتَيْن . ولا يُمْكِن جَنْيُ العنبِ مِنَ الشَّوك . والإنسانُ يَبحث عن السعادة في الخارج ، مَعَ أنَّها كامنة في ذاته .

مَنبع الحب الحقيقيِّ في الزواج هو التوافق الجسدي أثناء مُمارَسة الجِنس . الجِنسُ هو مَنبع النهر ، والعواطفُ هي الرَّوافد . لا أحدَ يُفرِّق بين الإعجاب والحب . فرضيةُ الحبِّ التي لَم تَصِلْ إلى مُستوى النظرية . الزَّواجُ هو سُقوطُ الأقنعةِ ، ونِهايةُ أُسطورة المكياج . كُلُّ زَوْجٍ يَرى شَريكَه على حقيقته. تنتقل المرأةُ مِن رائحة العِطْر في فترة الخطوبة إلى رائحة البصل في المطبخ بعد الزواج. كَيْفَ يَكون شكلُ المرأة حِينَ تستيقظ مِنَ النَّوم ؟ . كَيْفَ يَكون شكلُ الرَّجل حين يستيقظ من النوم ؟ . الزواجُ يَكشف حقيقةَ الأشياءِ الصادمةَ .

الناسُ يُمارِسون الجِنسَ ، لكنهم لا يَعرِفون مِيكانيكا الجِنس ، ولا يُدْرِكون الأبعادَ العاطفية والرمزية في الطاقة الجنسية . والبشريةُ حائرة بين إمكانية الجِنس بلا حُب ، وبين استحالة الحبِّ بلا جِنس. والحالتان محصورتان في الزواج . إنَّه الضياع الإنساني بين المتعة والمسؤولية المترتِّبة على هذه المتعة . لَوْ كانَ الزواجُ يَخلو مِنَ الجِنس ، هَل سَيُقْدِمُ الرَّجلُ والمرأةُ على الزواج ؟ . هَل يَتَحَمَّلان المسؤوليةَ المجرَّدة بِدُون وُجود لَذَّة جنسية؟.هَل سَيَطْمَحَان إلى تَكوين أُسْرَةٍ في ظِلِّ غياب الجِنس ؟. لَوْلا الشَّهوة الجنسية التي رُكِّبَت في الرَّجل والمرأة ، لَبَصَقَ كُلُّ طَرَفٍ على الآخَر . إنَّ الجِنسَ هُوَ الذي جَعل التَّضحيةَ خياراً إستراتيجياً في العلاقة بين الرَّجل والمرأة .

المرأةُ صَارتْ جُزءاً مِنَ الأثاث . تَتزيَّن للسائرين في الشوارع ، وفي بيتها تَكون في أسوأ حالاتها . لقد أسقطَ الزواجُ الأقنعةَ ، فظهرَ الرَّجلُ والمرأةُ على حقيقتهما ، لأن الحياة الزَّوجية

بدون مكياج . والرَّجلُ هو مركزية الغرور ، تَكون زَوجته جميلة ، لكنه لا يراها بِحُكم التَّعَوُّد على رُؤيتها ، فَيَبحث عن المرأة خارج البَيت . إنَّه لا يرى الجوهرة التي يَملكها. ينظر إلى ما في أيدي الناس ، لأنَّ الإنسان لا يرى الشَّيْءَ الذي في يده .

والدُّنيا كُلُّها مظاهر كاذبة وأقنعة ، والكُلُّ يَكذب على الكُلِّ . نِسبةُ المتعةِ في الزَّواج قليلة ، لأنَّ العلاقة الجنسية مَخلوطة بالشوائب والمسؤولية . لا يُوجَد في الدُّنيا نقاء كامل . وكَوكبُنا مكان شديد الخطورة للعَيش فيه. والمجتمعاتُ الإنسانية مُوحِشة ومُتوحِّشة . والمرأةُ الجميلة هي التي تَكون جميلةً حِينَ تَستيقظ مِنَ النَّوم . وبالتالي ، فلا تُوجَد امرأة جميلة ! . إنَّه جَمَالُ المِكياجِ وبريقُه.

في أيِّ مُجتمعٍ مُتخلِّفٍ قاتلٍ للرُّومانسية ، يُصبِح الزواجُ مَقبرةً للحُبِّ . والزواجُ إجراء ميكانيكي بَحْت مَعَ توابل رُومانسية، لأنَّه _ أي الزَّواج _ هو العمود الفِقري للمجتمعات البدائية المتخلِّفة شُعورياً ، والعاجزة عن تَوليد الذكريات. والمرأةُ سِلعةٌ لأنَّها عانسٌ في مَوْضِع البَيع والشِّراء، يَحكمها قانون السُّوق في مجتمع يَحتقِرها،ويَعتبرها وسيلةً للتكاثر وآلةً للتَّفريخ والتَّفريغ.

الرَّجلُ هو الفاعلُ، والمرأةُ هي المفعول بِه. والمنطقُ الاجتماعيُّ لا يَقْبَل أن يَتقدَّم المفعول بِه على الفاعل . حتى في قواعد اللغة ، لا يَتقدَّم المفعول به على الفاعل إلا ضِمن أساليب لُغوية مُقيَّدة . والنظرةُ الدُّونيةُ للمرأة مُنتشرة عَلى كَوكب الأرضِ بلا استثناء . وسببُ النظرة الدُّونية للمرأة يَعود إلى الطبيعة البيولوجية . فالمرأةُ هِي مَحل الشهوات ، ورَدَّةُ فِعْلٍ لا فِعْلٌ . جَسَدُها هو الوعاء لإفرازات الفِعْل الجنسيِّ . وَهِيَ تَقوم بعملها بصمت وخُضوع ، وتهتمُّ بِتَحقيق شَهوة الرَّجل أكثر مِن اهتمامها بِشَهوتها الشخصية .

والمرأةُ لَيْسَتْ مَعْنِيَّةً بالْمُطالَبة بحقوقها أو الدفاع عن بنات جِنسِها ، بَل هِيَ مَعْنِيَّة باصطياد رَجل يَتزوَّجها ، وتكوين أُسرة ، وانتهى الموضوع . المرأةُ لا تُتعِب نَفْسَها في القضايا الفكرية ، والمصيرِ الإنسانيِّ ، وحركةِ الزمان والمكان .

إنَّ حياةَ المرأة مَحصورةٌ بين المطبخ وغُرفة النَّوم . والحياةُ مستمرة سواءٌ كان الإنسانُ ضَحِيَّةً أَم مُجْرِماً . ولا أحدَ يَشعر مَعَ أحَد . كُلُّ إنسان يَبحث عن مصلحته الشخصية ، وهكذا يَتكرَّس الخلاصُ الفرديُّ فَلسفةً عامَّةً للمجتمع .

والإنسانُ إنْ سَيْطَرَتْ عَلَيهِ الشَّهوةُ الجنسية سَيَتَحَوَّل إلى وَحْشٍ مَجنون . وعقلُ المرأةِ في شَهوتها الجِنسية . والمرأةُ كائنٌ دَمويٌّ لارتباط حياتها بالدَّم في كُلِّ مراحل وُجودها ، وهي تَفقِد جُزءاً كبيراً مِن قُدراتها العقلية في فترة الحيض . دَمُ الحيضِ ودَمُ الافتضاض ودَم الولادة ... إلخ .

المجتمعُ غارقٌ في المفاهيم التي يَخترعها ثُمَّ يَفقِد السَّيطرةَ عَلَيها ، كالإنسانُ الذي يَخترع الرَّجلَ الآلِيَّ ثُمَّ يَفقِد السَّيطرةَ عَلَيه . ولَيْتَ الأمرَ يَقِف عند هذا الحد . إنَّ الرَّجلَ الآلِيَّ هُوَ الذي سَيْطَرَ على الإنسان . وهذه الكارثة مُنتهى السُّخرية ، لأنَّ المصنوع سَيْطَرَ على الصانع .

وهُناك مَفهومان يَظهران في المجتمع الإنسانِيِّ : الآنسة والسَّيدة . والفرقُ بينهما هو الفرق بين الجسد والتَّجسيد . ويَظهر مَفهوم " ابنةِ العَمِّ " ، حيث الرَّجل يُنْزِل ابنةَ عَمِّه عَن ظَهْر الفَرَس ، في إشارة إلى أنَّه الأحق بالزَّواج مِنها ، فَهُوَ العَريس ، وَهِيَ العَرُوس . وهذه العُقدة الاجتماعية تُشير إلى عقلية الاحتكار، حيث يتمُّ حَجْزُ الأُنثى مِثْل البِضاعة حتى يَأتِيَ الزَّبون للدَّفع والاستلام . وهذا أمرٌ مُتوقَّع في مجتمع يَحتقر المرأةَ .

الرَّجلُ والمرأة يَعيشان معاً، ولا يَعْرِفان فلسفةَ الجِنس، ولا مَعنَى الحبِّ،ولا إستراتيجية الزواج. يعيشان كالأغنام في الحظيرة . لا يَعْرِفان شَرارةَ الحبِّ ، ولا لَسعة الذِّكريات. الحبُّ الأولُ إن كان عنيفاً سَيُدَمِّر الزواجَ . والرُّومانسيةُ العنيفةُ هِيَ مَنظومة خيالية سَتَكْسِرُ قالبَ الزواج الحاضن لمشروع الحب . وعُنفُ الحبِّ يَأخذ مَنْحَىً خيالياً قد يُحطِّم إطارَ الزواجِ الضَّيقَ . وأبناءُ عصر الانحطاط لا يَعْرِفُون مَعنَى الأُنوثة ، لأنهم يَختزلونها في الجسد . إنَّ الأُنوثة هِيَ ثَورة المعنَى الرَّامية إلى التقاء الإنسان بإنسانيته .

البشريةُ تُمارِس الجِنسَ ، ولا تَفهم معنى الجِنس . وَلَوْ كانت تَفهم مَعنى الجِنس لَمَا صارت المرأةُ ضَحيةً . الجِنسُ هُوَ التطبيق الفلسفيُّ العقلانِيُّ للرُّومانسية . والجِنسُ يُؤسِّس فلسفةَ ما بَعْد المرأة، لأنَّ المرأةَ ماتت. وبِمَوْتِ المرأةِ انتهى التاريخُ. ولا معنى لِوُجود الرَّجل. الرَّجلُ هو الأكذوبةُ المنتفِخة في النظام الاستهلاكيِّ المتوحِّش .

أكثرُ شَيء يُحطِّم الرَّجل هو إصابته بالعَجْز الجِنسيِّ ، فهذا المرضُ قاتلٌ لِرُجولته ، ومُدمِّر لمشاعره. وعَجْزُ الرَّجلِ الجِنسيُّ والمشاعريُّ، تَدفع ثَمَنَه النِّساءُ أضعافاً مُضَاعَفَةً. وأكثرُ شَيء يُحطِّم المرأة هو الاغتصاب ، لأنَّه يُحوِّلها إلى حشرة مَنْزوعة الأنوثة .

ومشكلةُ البشرية هِيَ أنَّها لا تَنظُر إلى ما وراء لَيلة الدُّخلة . إنَّ الإنسانَ يتخندق في اللذة دُون النَّظر إلى المسؤولية المترتِّبة على هذه اللذة . لا بُدَّ مِن دَفع ضريبة الاستمتاع. ذَهبت اللذاتُ ،

وَبَقِيَت التَّبِعَات . والفلسفةُ الاجتماعيةُ لا تَبْرُز إلا مِن خلال النظر إلى ما وراء المرأة (ما وراء الجنس) . وهكذا تَتكرَّس فلسفة " ما وراء المرأة " أو " ما بعد المرأة " . يجب تجاوز المرأة ، لأنَّ الشَّيطان تجسَّدَ في جسد المرأة (أُنوثة الأنقاض) .

تَفقِد المرأةُ ثقتها بِنَفْسِها حِينَ تَشعر أنَّها كائن غَير مَرغوب فِيه ، وتنهار أُنوثتها في داخلها ، وتَدخل في مدارات الاكتئاب. والمرأةُ تَتحرَّك تَحت سَيف العادات والتقاليد . تَتحرَّك تحت الضغط الاجتماعي بسبب الخوف مِن شَبح العُنوسة .

الرَّجلُ يُريد مُمارَسة الجِنس ، والمرأةُ كذلك ، فَيَبحثان عن إطار شَرعيٍّ ، فَيَتَزَوَّجان وهُما عاجزان عَن تَحَمُّل المسؤولية، ولا يَعْرِفان الغايةَ مِن وُجود الزواج . إنَّهم يَتحرَّكان في مجتمع مقموع سياسياً ، ومَكبوت جِنسياً . يَبحثان عن الجنس فقط ، ثُمَّ يَقولان : الزَّواج نِصْف الدِّين . وذلك من أجل تَكوين إطار دِينيٍّ للشَّهوة الجنسية . والزَّواجُ المبنيٌّ على قاعدة سليمة هو نِصْف الدِّين ، أمَّا الزَّواج المنطلق من الغريزة فقط فهو هَدْمٌ للدِّين .

والإنسانُ سَوْفَ يَتعذَّب حِينَ يُفرِّق بين الرُّومانسية والزواج ، بين الحب والجِنس . سَيُصْبِح فَيْلسوفَ العذابِ والذِّكرياتِ . وَلَو استطاعَ الإنسانُ أن يَجعل كُلَّ لَيلةٍ في حياته هِيَ لَيلة الدُّخلة، فَسَوْفَ يُحطِّم الرُّوتينَ الجِنسيَّ، ويُكرِّس دَيمومةَ الاكتشافِ الجسديِّ المتواصِل . كأنَّ الجسدَ مَنْجَم، يُراد التَّنقيب فِيه كُلَّ مَرَّةٍ بأُسلوب جديد ، وأدوات جديدة .

والعِبرةُ لَيْسَتْ في دُخول لَيلة الدُّخلة . إنَّما العِبرة في الخروج مِنها . فالزَّواجُ انقلابٌ عسكريٌّ يَتحوَّل مَعَ مُرور الوقت إلى معركة . وكُلُّ شخص يَستطيع أن يَدخل في المعركةِ ، ولكنْ لَيْسَ كُلُّ شَخص يَستطيع أن يَخرج مِنها .

مُمارَسةُ الجِنس هِيَ مَنظومة التَّوافق بين رائحة جسد الرَّجل ورائحة جسد المرأة . والزواجُ هُوَ تَحَوُّل الجِنس مِنَ الشَّبَق الْهَوَسِيِّ إلى الإجراء الوظيفيِّ . والجِنسُ نافذةٌ على عالَم آخَر ، يتجاوز الحدودَ الزمانية والمكانية . والمشكلةُ الجذريةُ أنَّ الكثيرين يُمارِسُون الجِنسَ لِيَكْسِرُوا الْمَلَلَ ، لكنَّ الجِنسَ يَتحوَّل إلى مَلَل ، ويُصبِح عِبئاً واختناقاً بِحُكْم العادةِ والاعتيادية . وتُصبِح مُمارَسةُ الجِنس مِثْل الوظيفة الحكومية ، لذلك قَد تَنشأ الخِياناتُ الزَّوجيةُ ، ليس بالضَّرورة أن تصل إلى الزنا . فقد يكون معنى الخيانة أن يَبحث كُلُّ طَرَفٍ عَمَّن يُشْبِعُه عاطفياً ، ويُخرِجه إلى فضاءات رومانسية ومغامرات عاطفية بعيداً عَن روتين الحياة الزَّوجية .

ونحن في مجتمع مفتوح. الوازعُ الدينيُّ ضَعيف. والمنظومةُ الأخلاقيةُ مُتهاوية . الفسادُ الأخلاقِيُّ في كُلِّ مكان ، وهذا يَجعل الإنسان مُهيَّجاً جِنسياً ، كالذَّرَّة خارج مَدارها . القَنواتُ الفضائية هِيَ أسواق نِخاسة أعادتْ عَصْرَ الجواري . والمذيعاتُ هُنَّ الجواري اللواتي يتمُّ اختيارُهُنَّ حَسَبَ أحجام صُدورهنَّ ، وقُدرتهنَّ على الإغراء ، وهذا يَزيد مِن أسعارِهِنَّ .

انتشرت الخيانةُ الزَّوجية بكافَّةِ أشكالها في كُلِّ طبقات المجتمع . كما أنَّ غياب الرَّجل عن البَيت لساعات طويلة ورُجوعه مُرهَقاً، يَجعل المرأةَ تعيش في فراغ قاتل ، وهذا الفراغُ هو القوة الدافعة للخيانة. فالرَّجلُ لا يُشْبِع زوجته عاطفياً ولا جِنسياً. وأحياناً ، يُوجَد إشباع جنسي ، ولكنْ لا يُوجَد إشباع عاطفي. وبالتالي، يَبحث الزَّوجان عن تجديد حياتهما بعيداً عن مؤسسة الزواج، ويَسْعَيَان إلى اكتشاف الشَّهوة والأشواقِ الروحية خارج البيت.

والأشياءُ لا تَتحرَّك بحريةٍ في الأنساق الاجتماعية. فالأشياءُ مَحكومةٌ بالذكريات، وقُوةُ الأشياءِ لَيْسَت استقلاليةً ، لأنَّ الأشياء تستمد قُوَّتها من الذكريات . وقُوةُ الذكرياتِ تتحوَّل إلى تيار فلسفيٍّ يُهاجِم النَّواةَ الإنسانية ، وهذا هُوَ سِلاحُ الذِّكريات . والإنسان قَد يَخترع وَهْماً لِيُقْنِعَ نَفْسَه أنَّه مَرغوب ومَحبوب ، مِثْل المرأة التي تَخدع نَفْسَها لِتَجد نَفْسَها . تُرْسِل رَسائلَ الحبِّ إلى نَفْسِها . تَخترع الوَهْمَ لِتَهْرُبَ مِنَ الواقع ، وتُشْعِر نَفْسَها أنَّها مَحَط اهتمام الآخرين وأنظارهم ، ويُشار إلَيها بالبَنان .

والمرأةُ المتزوِّجةُ قد تُقْنِع نَفْسَها أنَّها مُسْتَهْلَكَة ، فَتبحث عَن التَّجديد والخروج من دائرة الروتين عن طريق اصطياد مَن يَكتشفها ، ويُعيد اللهفةَ والشَّبَق والشَّوق والعناصرَ الرُّوحية التي تآكَلَتْ بِفِعْل ضُغوطات الحياة الزوجية .

الحبُّ صَارَ عمليةَ اصطيادِ الفريسة . امرأةٌ تُلْقِي طُعْماً للرَّجل (السمكة) مِن أجل اصطياده . وهكذا صارت المرأةُ سِلعةً ، وصار تَسليعُ المرأةِ نظاماً اجتماعياً ضِمن جدلية العَرْض والطَّلَب . وفي أحيان كثيرة ، يُصبِح الجِنسُ بين الزَّوجين مِثْلَ الطُّعْمِ الذي يُلْقَى للسَّمكة ، أو قِطْعة الْجُبْن التي تُوضَع للفأر مِن أجل إيقاعه في المِصْيَدة .

إنَّ مُمارَسة الجِنس كالبَصمة ، لا تَتكرَّر . لا تُوجَد علاقتان مُتشابهتان . لا يُمكِن للرَّجل أن يُمارِس الجِنسَ مَعَ زَوجته مَرَّتَيْن ، ولا يُمكِن للحصان أن يَشرب مِنَ النَّهْرِ مَرَّتَيْن . كُلُّ مَرَّةٍ هِيَ عالَمٌ جديدٌ ، يَذهب ولا يَعود . إنَّه التَّجددُ الدائمُ والانبعاثُ المتواصلُ . والجِنسُ عَالَمٌ جَديدٌ يُوازي الواقعَ ، ولا يُمَاثِلُه .

والمجتمعُ الإنسانِيُّ عاجزٌ عن معرفة ماهية الجِنس ، وغَير قادر على معرفة معنى الرومانسية ، لأنَّ المرأة تتمُّ تَربيتها باعتبارها خادمةً ذليلةً لِزَوجها ضِمْن ثقافة المجتمع الذكوري القاسي ، وهذا الخضوع تُوَرِّثه المرأةُ لبناتها ضِمْن سِلْسلة القَهْر . وقد تَمَّ تَتويج الرَّجل حاكماً مُستبداً على المرأة ، فالرَّجل يُعامِل زوجته كالجارية ، دُون أن يخاف مِن أيَّة إجراءات مُترتِّبة على ذلك . وَمَن أَمِنَ العقوبةَ أساءَ الأدبَ . حتَّى إنَّ الزَّوجة تَحْمِلُ اسْمَ زَوْجِها ، وتتخلى عَن اسم عائلتها ، وهذا يدل على أنَّ المرأةَ سِلعة ، اشتراها زَوْجُها بماله ، وصارتْ مُلْكاً له .

وهكذا صارت المرأةُ قِطعةَ أثاث في البيت للزِّينة والديكور. والمجتمعُ يَقتل المرأةَ ، لأنها قَتَلَتْ نَفْسَها بِنَفْسِها . وَمَن عَوَّدْتَهُ على أكْلِكَ ، كُلما نظر إلَيكَ جاعَ. إنَّ المرأةَ صارت سِلعةً لأنها سَلَّعَتْ نَفْسَها بِنَفْسِها . تَعشقُ المرأةُ الرَّجُلَ الذي يَحتقِرُها . تَعشقُ جَلادَها ومُغْتَصِبَها وتعتبره مَثَلاً أعلى وقُدوةً عُليا . وهذا هو التَّدجين الذاتي. والمرأةُ مَسحوقةٌ لأنها سَحقتْ نَفْسَها ، إنَّها المرأةُ الْمُغْتَصَبَة معنوياً ، التي تُدافِع عَن مُغْتَصِبِهَا وجَلادها وقاتلها . إنَّه دفاع الضحية عن المجرم ، ثُمَّ تَقَمُّص الضحية للمُجْرِم . والمغلوبُ مُولَع بِتَقليد الغالب . والمرأةُ التي تَعشق مُغْتَصِبَهَا هِيَ نتيجة طبيعية للانهيار الاجتماعي، الذي يُكرِّس سِيادةَ الرَّجل على المرأة بالمفهوم الاستبدادي الاستغلالي .

ومعَ مُرور الزمن ، تَذوب في الزواجِ الرغبةُ الجنسيةُ . إذ إنَّ أفضل طريقة لقتل الجِنس هِيَ مُمارَسة الجِنس . كما أن مُمارَسة الجِنس ــ في أحيان كثيرة ــ تَقتل الحبَّ والرُّومانسيةَ ، لأنَّ هذه الممارَسة تُطْفِئ جَمرةَ الحبِّ ، وتَقضي على الشَّوق والرغبةِ. وبعبارة أخرى ، إنَّ الكثيرين يَعتقدون في قرارة أنفسهم أنَّ مُمارَسة الجِنس تُفْسِد الرومانسيةَ كما يُفسِد الْخَلُّ العسلَ ، لأنَّ الجِنسَ يُحوِّل المشاعرَ والذكريات إلى غَريزة وأداء شهواني ميكانيكي . كما أنَّ هُناكَ عُشَّاقاً يَبتعدون عَن الزِّنا بِعَشيقاتهم ، لَيْسَ بسبب الإيمان والتَّقوى ، ولكنْ للإبقاء على جَذوة الحب مُسْتَعِرَةً ، لأنهم يَرَوْنَ أنَّ الجِنسَ يُحطِّم الرومانسيةَ والأحاسيسَ .

المشاعرُ تَكون مُتأجِّجة في فترة الخطوبة، ثُمَّ تَنطفِئ في فترة الزواج . وفي هذا السِّياق، تَبْرُز فلسفة" لا تَتزوَّج المرأةَ التي تُحِبُّها ، وأحِبَّ المرأةَ التي تَتزوَّجها " . كثرةُ المِسَاس تَقتل الإحساس . تَتحوَّل المتعة الجنسية إلى عِبْء ، وتختفي اللذةُ ، وتبقى المسؤوليةُ ، فَتَحدث المشكلات بسبب غياب الاستعداد للحالات الطارئة . يَحْمِلُ الجميعُ فكرةً رومانسيةً حالمةً عن الزواج ، وهذه الفكرةُ الخيالية هِيَ سبب المشكلات . لذلك صار الزواجُ فَخّاً قاتلاً . يُمارِس الزَّوجان

الجِنسَ ، فتنكسر الشَّهوةُ، ويَنطفئ هَيَجَانُ الغريزة . انتهت اللعبةُ (المتعة) ، ولا مَفَرَّ مِن تَحَمُّل المسؤولية . إنَّها ضريبة مُمارَسة الجنس .

ومُمارَسةُ الجِنس قد لا تَكون بدافع الهوَسِ الجِنسيِّ أو الشَّهوة الغريزية ، وإنما قد تَكون بدافع الْمَلَل والقَرَف والوَحدة والفَراغ وكَسْر الروتين . ومعَ مُرور الوقت ، يَتحوَّل الجِنس إلى مَلَل . والإنسانُ إذا لَم يَجِدْ شَيئاً يَفعله ، فإنَّ الجِنسَ يُصبِح كُلَّ شَيء يَفعله . والجديرُ بالذِّكر أنَّ الكَبْتَ الاجتماعي والسياسي في المجتمعات المتخلِّفة يتحول إلى كَبْت جنسي يَحتاج إلى تَفريغ. وهذا يُفسِّر أن الطبقات المتدنِّية في المجتمع (الفقراء والمنبوذين) هُم الأكثر إنجاباً، بعكس الطبقة الراقية في المجتمع، فهي الأقل إنجاباً . ويَنبغي القَول إنَّ مُمارَسة الجِنس في المجتمعات المسحوقة تَصير تَفريغاً للاحتقانِ السياسيِّ المزروع في كيان الفرد المقموع العاطل عن الوطن .

إنَّ الكَبْتَ السياسيَّ في المجتمعات القامعة المقموعة ، يَتحوَّل إلى كَبْتٍ جِنسي يُوصِل الأفرادَ إلى العجز السياسي الكامل ، ويَدفعهم إلى التركيز المهووس في مُمارَسة الجنس كَحَل وَحيد ، وتَعويض عن خَيبات أملهم وعَجْزهم في الحياة العامة . وإنَّ الذين يَعيشون على هامش المجتمع ، يَهربون إلى ممارسة الجنس كتعويض عن هزائمهم في الواقع . إنَّه يَبحثون عن نَصْرٍ مِن أيِّ نَوع . وهكذا يصير الجِنس هو النجاح الوحيد في حياة المنبوذين والفقراء والضُّعفاء .

الرومانسيةُ شَيء، والزواجُ شَيء آخَر . والخطورةُ تتجلى في كَوْن الزواج والرومانسية ضِدَّيْن لا يَجتمعان . فالزواجُ أداء وظيفي ميكانيكي لا علاقة له بالرومانسية. هذه هي القاعدة ، ولا عِبرة بالحالات النادرة ، لأنَّ النادرَ لا حُكْمَ له . ولا مَعنى للرُّومانسية ، لأنَّ المرأة واقعة تحت ضغط العُنوسة . سَيْفُ العُنوسةِ على رقبتها ، فلا تَستطيع أن تُفكِّر بحرية ، وتتَّخذ القرارات بلا ضغط أو إملاءات.والرُّومانسيةُ إنَّما تَكون بين نِدَّيْن مُتَحَرِّرَيْن مِنَ الضغط الخارجي، وثقلِ العناصر المجتمعية.

وفي هذا السِّياق يَنبغي القَول إنَّ المالَ قادرٌ على صناعة المظاهر الرُّومانسية، لكنَّه لا يَقْدِر على صِناعة فلسفة الرومانسية. يُمْكِن شراء المظهَر بالمال، ولكنْ لا يُمْكِن شراء الجوهر بالمال. يُمْكِن امتلاك جسد المرأة بالمال ، ولكنْ لا يُمْكِن امتلاك قلبها بالمال . والمرأةُ مِثْل الطائرة الورقية ، دَعْهَا تُحَلِّق في السماء ، ولكنْ لا تُفْلِت الخيطَ .

إنَّ هُناك رجالاً لا يُحِبُّون مُمارَسةَ الجِنس في إطار الزواج معَ النساء اللواتي أحَبُّوهُنَّ واحترموهُنَّ ، لأنهم يَعتبرون الجِنسَ نَوعاً مِنَ التَّفوق وإرغام الخصم وقَهْره وإلحاق الهزيمة بِه ، كما

يَعتبرون الجِنسَ قاتلاً للرومانسية ، وهكذا يُصبِح الجِنسُ _ في أذهانهم _ مُعَادِلاً للاغتصاب (اغتصاب الجسد) رغم وجوده في إطار الزواج . وعلى الجهة الأخرى ، هُناك رِجال يَعتبرون مُمارَسة الجِنس فِعلاً انتقامياً وثأراً مِنَ المرأة ، فالمرأةُ عِندَهم مُجَرَّد وِعاء لتفريغ الشَّهوة المتأجِّجة.

وللأسف، إنَّ الموت أو الانتحار يُكوِّنان صورةً دراميةً لقصة الحب،ويَصنعان بُعداً أُسطورياً لها، فيظهر العاشقان في صورة الشُّهداء، ويُحاطان بهالة العِشْق والتَّضحية والخلود. وهذا الوهمُ المتفشِّي في المجتمع يَعود إلى حالة الكبت المسيطرة على النَّفْس البشرية . والزواجُ قالبٌ لا يَتَّسع للحُبِّ بِصُورته الخيالية الأُسطورية. والعذابُ يُعْطِي بُعداً أسطورياً للأحداث . وكأنَّ الموتَ يُكْمِلُ الدائرةَ، ويَقوم بالأشياء التي عَجِزَت الحياةُ عَن القيام بها . أو إنَّ الإنسانَ يُحقِّق أحلامَه في عالَم الموت ، وهذه الأحلام عَجِزَ عَن تحقيقها في عالَم الحياةِ . وهذا هو الوَهْمُ الْمُرَصَّعُ بالذِّكرياتِ القاتلة .

لقد فَقدت الأُسرةُ مَعناها في النظام الاستهلاكي المتوحِّش ، وانهارت القِيَمُ العائلية ، وتَفَكَّكَت الروابط الإنسانية. وصارت المفاهيمُ مُشوَّشةً . الزواجُ بِدُون رُومانسية ، والرُّومانسيةُ بِدُون زواج، ومُمارَسة الجِنس بِدُون احترام . يجب على الرَّجل أن يَتعلَّم احترامَ المرأة قبل التفكير بالزواج منها ومُمارَسة الجِنس مَعَها . ولا بُدَّ مِنَ التمييز بين الزِّيجات والصفقات .

صارَ الزواجُ صَفقةً تِجاريةً . بَيعٌ وشِراء حَسَبَ القانون ، قانونِ العَرْضِ والطَّلَب . ولا أُحِبُّ أن أكون جُزءاً مِن هذه المهزلة . انهارَ الحبُّ، وتَكَرَّسَت الغريزة الشهوانيةُ ، ويَتستَّر الجميعُ وراء شِعار " تكوين الأُسرة " .

هل يُمكِن تَكوين أُسرةٍ صالحة في مجتمع غَير صالح ؟. وَجَدْنا المِكياجَ وَلَم نَجِد المرأةَ. عِشْنا مَعَ المرأة لَكِنَّنا لَم نَعْرِفْها. تَقَمَّصْنا الحبَّ لَكِنَّنا لَم نَعْرِف الحبَّ . نَحْنُ نَتشدَّق بِقصص الحب والغرام للاستعراض والافتخار، وتقديمِ أنفسنا كَعُشَّاق رُومانسيين، كالشخص الذي يَركب سَيَّارةً فارهةً ، لَكِنَّه لا يَعْرِف مُكَوِّناتها ولا طريقة عملها . نحن مَشغولون بالقُشور ، ولَسْنا مَعْنِيِّين باللباب . نَضْرِبُ على السَّطح ، ولا نغوص في الأعماق .

إنَّ أعظمَ نظرية في تاريخ العلاقات الإنسانية هي " العَروس للعَريس والجري للمتاعيس " . وهذا الْمَثَل الشعبي الذي قَد يَبدو للوهلة الأُولَى ضِدَّ الثقافة الراقية، يُجسِّد الحالةَ الإنسانية بِدِقَّة . وينبغي النظر إلى الأبعاد الرمزية لهذا الْمَثَل ، وتطبيقاتها في كل المجالات الحياتية . إنَّ كُلَّ

عملية تتكوَّن مِن طَرَفَيْن أساسِيَّيْن، والآخرون على دَكَّة الاحتياط ، وظيفتهم التشجيع والتصفيق والسهر على راحة الطرفَيْن الأساسِيَّيْن .

وعُموماً ، إنَّ الحياةَ هي فلسفة ليلة الدُّخلة . اثنان يذهبان إلى الفعل الحقيقيِّ، ويَعود الآخرون إلى منازلهم بعد أن يُصفِّقوا ويَرقصوا مِن أجْلِ غَيْرِهم . تماماً كالأُمَّة العربية التي تَتفرَّج على مُنْجَزَات الحضارة العالمية ، ولا تُشارِك بِصُنعها . إنَّها تُصَفِّق وتَرقص من أجل الآخرين فقط .

ودائماً، إنَّ الانتصارَ في المعركة يُسَجَّل باسم القائد العسكريِّ ، أمَّا الجنود الذي يُقْتَلُون في المعركة فَيَذهبون إلى النِّسيان، ويُصْبِحُون نُصْباً تِذكارياً اسمه "الجندي المجهول". أمَّا القائد العسكري المنتصر فَيَأخذ المجدَ والذاكرةَ والتاريخَ والجغرافيا والأوسمةَ وأقواسَ النَّصْر وأكاليلَ الغارِ.

المرأةُ هِيَ القِناعُ ، وجَسَدُها كُتلةُ لَحْمٍ مَنْسِيَّةٌ ومُنْطَفِئةٌ . جَسَدُ المرأةِ ليس مُغرِياً ، وَلَوْ كانَ مُغرِياً لَمَا تَمَّ اختراع قُمصان النَّوم . وهذا دليلٌ واضحٌ على أنَّ جسد المرأة لا يَتمتَّع بالاكتفاء الذاتي ، وإنَّما يَبحث عن إسناد خارجي . وقوةُ الجسدِ لا تَكْمُن في ذاته ، بَل في الأشياء المحيطة به. كما أن إغراء ما يُغطِّي الجسدَ أشدُّ مِن إغراء الجسد . وقوةُ الشَّيءِ كامنةٌ في العناصر المحيطة بِه .

تَعيش المرأةُ حياتها كما يُريد الآخرون لا كما تُريد . تَحْرِص على رأي الآخرين في جسدها ، ولا تَحْرِص على رأيها الشخصيِّ . تقوم بعمليات التَّجميل، وتضع المِكياج ، وتُمارِس الإغراءَ. كُلُّ هذه الأمور لِنَيل إعجاب الآخرين وإشباعِ غرورها الداخليِّ وصناعة ثقة وهمية بالنَّفْس . الإغراءُ عُنصر أصيل في المرأة ، وستشعر بالاكتئابِ إذا فَقَدَت القُدرةَ على الإغراء . وإن حَاوَلْنا نَزْعَ الإغراء مِنَ المرأةِ حَوَّلْنَاها إلى حائط ، وإن أطلقناه بِلا قُيود حَوَّلْنَاها إلى جَسد . ينبغي حَصْرُ الإغراء في العلاقة الزوجية . وَمَعَ هذا ، أن تُشْعِرِي زَوْجَكِ بِأنَّه رَجَلٌ أهَمُّ مِن إشعاره بأنَّكِ أُنثى . ومَن يَعتقد أنَّه اشترى زوجته بالمال ، سَيُحَوِّل بَيْتَه إلى سُوق نِخاسة . وعِندَما يَتزوَّجُ الإنسانُ يجد على الأقل طبيباً نفسياً يُعالِجه مَجَّاناً . هذا هو المفروض .

والمرأةُ زِينةٌ في ذاتها، تَتزيَّن مِن أجل لَفْتِ أنظار الآخرين ، وإذا لَم يَنظر إلَيها أحَدٌ فَسَوْفَ تَحترِق ، وتنهار معنوياتها ، وتنكسر أحلامها . وقد نجحتْ وسائلُ الإعلام في تَحويل المرأة إلى أسطورة وأيقونة ، وهذا هو الوهم القاتل . أُحيطت المرأة بهالة من العُنفوان والْجَمَال والبريق ، وهذا قناعٌ وهميٌّ ضِد الواقع .

فالمرأةُ على شاشات التلفاز هي صورة خيالية ، ويَظهر قُبْحُها على أرض الواقع ، عِندَما يَزول المكياج ، وتَختفي المؤثِّرات الخارجية كالإضاءة وغَيرها . إنَّ وَسائل الإعلام هي أسواق نِخاسة لِتَجميل الجواري ورفعِ أسعارهنَّ قبل عملية البَيع . إنَّها عملية تَسمين الشَّاةِ وتَزيينها قبل ذَبْحها . وقد ضَحِكَت الأفلامُ والأغاني على الناس ، وجعلتهم يَعيشون في عالَم خيالي وسِحري بَعيداً عن الواقع الْمُر . الأفلامُ والأغنياتُ والبرامجُ التلفزيونية كُلُّها قوالب وهمية ساهمت في تَسليع المرأة ، وتحويلها إلى دُمية مُلَوَّنة ومَحصورة بين البَيع والشِّراء . صارت المرأةُ دُميةً في مسرح للعرائس .

الحياةُ لُعبةٌ وأُكذوبةٌ . الرَّجل والمرأةُ ، كلاهما قاتلٌ وضَحِيَّةٌ . وهُما يَتبادلان الأدوارَ في دائرة القلقِ والعذابِ . لا تُوجَد مُتعة مُجرَّدة في الدنيا . والجِنسُ في الزواج لَيْسَ صَافِياً . فِيه شَوائب . إنَّ المتعةَ المجرَّدة تُوجَد في الجنة فقط . أمَّا الدُّنيا ، فهي خليط من العَدْل والظلم ، والْجَمَال والقُبح، والمتعة والعذاب . ولحظاتُ السعادة في الدنيا قليلة . فالدُّنيا مركزيةُ العذابِ والقلقِ والمشكلاتِ .

إنَّ المجتمعَ العالمي قد بنى وحشيته وحِقْدَه على جماجم النساءِ المحصورات بين السَّبْي والوَأدِ ، بالمعنى الحقيقي أو المجازي. وصارَ المجتمعُ مَسرحاً للعَرائس الدُّمى . تدهن كُلُّ امرأةٍ وجهَها بالمكياج ومُستحضرات التجميل كي تَظهر مَقبولةً أمامَ النَّخاسين والسماسرة والذئاب البشرية . لقد خضعت المرأةُ لقانون السُّوقِ وأيديولوجيةِ المجتمع المنهار التي لا تُؤمِن بوجود المرأة خارج نطاق جسدها الذي صارَ قطعةً لحمٍ شَهِيَّةً لا أكثر ولا أقل . اقتنعت المرأةُ بِدَورها في الحياة الذي رَسَمَه المجتمعُ القاسي ، فيجب عليها أن تَكون سِلعةً ضمن قانون البيع والشراء ، ودُميةً مُلَوَّنةً بالمساحيق والأصباغ لتنال القبول في مجتمع مقموع سياسياً ومكبوت جنسياً .

صار جسدُ المرأة أُحادياً وتجريدياً بسبب انهيار إرادتها أمام مجتمع ميكانيكي وشَيئي ، يَغرَق في الأنماط الاستهلاكية القاتلة . لا مكان للعواطف والذكريات في أنساق المجتمع المسمومة . المرأةُ يتمُّ امتصاص رحيقها في سُوق نِخاسة عالمية مِن قِبَل الزَّبائن القادرين على الدَّفع ، وتَنتقل المرأةُ من زَبُون إلى زبون . وهذا الانتقال يتمُّ تَحديده حَسَبَ القوة الشرائية للزبون .

والإشكالية الكبرى أن المرأة اقتنعت بأن هذا الانهيار هو دورها في المجتمع . فصارَ كيانُ المرأةِ عُنصراً مأكولاً ، ومَفعولاً به ، ورَدَّةَ فِعْل . وصار جسدُها تكريساً لأنماط الشهوة والاستهلاك العنيف . وهذا التفكير البؤري المهووس أدى إلى نشوء أوضاع غريبة ومجنونة رمزياً : تَحَوُّل العالَم إلى سُوق نِخاسة ، وتَحَوُّل المرأة إلى سِلعة ، وتَحَوُّل الزواج إلى صِفقة تجارية تكون المرأةُ فيها

هي الخاسر الوحيد والأكيد، وتَحَوُّل العُرْس إلى مَأتم،وتَحَوُّل لَيلةُ الدُّخلة إلى سِفْر الخروج مِنَ التاريخ. والمرأةُ تَتحمَّل الجزء الأكبر من المسؤولية ، لأنها رَضخت لابتزاز المجتمع الغريزيِّ القاتل ، واسْتَمْرَأَت انهيارَ القِيَم السُّلوكية ، وقَبِلَتْ أن يَكون جَسَدُها هو بُؤرة انهيار القيم المعرفية .

وفي ظِلِّ هذا الزَّخْم الانسحابي على امتداد المنظور الاجتماعي المنقوص ، صار المجتمعُ سُوقَ نِخاسة كبيراً ، حيث البشر للبيع والشراء . وللأسف ، إنَّ الخاسر الأكبر هو المرأة لأنها الكائن القادر على تأنيث عناصر الشعور الوجداني في الإرهاصات المجتمعية .

صار بَيْعُ النساء لِمَن يَدفع أكثر ، وبالتالي دَفَعْنا النظامَ الأُنثوي إلى الخيانة جسدياً أو روحياً أو فلسفياً، فالمرأة التي تُحِبُّ (س) نُزَوِّجها لِ (ص) لأن المرأة في منظورنا الأُحادي مُجرَّد سِلعة ، لا رأي لها ، وهي فلسفة المفعول به مُطْلقاً ، ولا يمكن أن تمتلك إمكانية الفاعل، وهذا الاستقطاب المكسور يتحرك من رأس الهرَم المجتمعي حتى القاعدة ، ضِمن خطة منهجية تقوم على ثنائية القامع والمقموع. وسلسلةُ القمعِ الاجتماعيِّ تُدمِّر المشاعرَ الإنسانية، وتُفكِّك أبجدياتِ العاطفة الكلماتية.

والمرأةُ هِيَ الكَينونُ الفلسفيُّ ، والْمُعَادِلُ الوجداني لأنسنة العناصر الطبيعية . وهذه نُقطة قوة المرأة وضَعفها في آنٍ معاً ، لذلك تَمَّ استهداف المرأة قبل كُلِّ عناصر المجتمع ، مِمَّا جعل العمودَ الفِقري للمجتمع يتآكل تدريجياً . وهذا هو الانتحار التدريجي .

المجتمعُ الكابوسي الذي يضمحلُّ صارَ فيه الثائرُ رَجُلَ أعمالٍ لِصَّاً يسرقَ البلادَ والعبادَ . إنَّه المجتمع الذي يُصدِّر قيمَ الحقد والكراهية والشَّطَط الطبقي ، ويُتاجر بالعلاقات الإنسانية ، ويُكرِّس أنظمة الاستبداد بكلِّ أشكاله . إنَّه المجتمع الذي يفتخر بالشاب الذي يُقيم علاقةً مع فتاة ، ويَعتبر ذلك رُجولةً وفُحولةً ، ويحتقر الفتاةَ التي تُقيم علاقةً مَعَ شاب، ويَعتبرها امرأةً وضيعةً . هذا المجتمعُ المتخلِّف الانتكاسي يَنفي أبجديةَ الدلالاتِ الإنسانية ، تَمهيداً لقتل الإنسان .

لَوْ أقامت امرأةٌ فقيرةٌ ومَغمورة علاقةً مَعَ رَجُل ، فإن المجتمع كُلَّه سوف يصبح شريفاً ، ويصبُّ عليها الاتهامات ، ويُمَثِّل دَوْرَ التَّقي النَّقي الوَرِع . وَلَوْ أقامت امرأةٌ غنيةٌ ومشهورةٌ علاقةً مَعَ رَجُل ، فإن أحداً لا يستطيع الكلام ، بل على العكس ، سَوْفَ يأتي المديحُ لها مِن كُلِّ الجهات، باعتبارها رومانسيةً ومُرْهَفَة المشاعر . وهذا النفاق الاجتماعي ينعكس على الأنساق الفكرية التي تَرْمي إلى نهضة المجتمع عَقلاً ورُوحاً ومادةً .

وإذا قام الحاكمُ بسرقة الشعب ، ونَهْبِ ثروات البلاد، فإن الناسَ سَوْفَ يَمدحون أمانته وإخلاصه، أمَّا لَوْ قام شخصٌ فقير بالسَّرقة، فإنَّه سيظل منبوذاً طول حياته، ويتم إقصاؤه من الحياة، ويتعرَّض لأقصى العقوبات والتجريح . وهذا النفاقُ الاجتماعي يَتفشَّى في الدول المتخلِّفة التي تَمَّ تَحويلها إلى مزارع خاصة للحاكم وأُسرته وحاشيته ، وشركاتٍ استثماريةٍ لِعِلْيَةِ القَوم .

إنَّ الإشكالية المركزية في العلاقات الاجتماعية هي اعتبار مُمارَسة الجِنس في الزواج تَحصيل حاصل ، وهذا الرُّوتين الاعتيادي يَقتل عناصرَ الشَّوق واللهفة والشَّبَق في الحياة الزوجية . وبسبب التَّعَوُّد على الجِنس داخل الزواج، لَم يَعُد الجِنس سِوى إجراء ميكانيكي بَحْت بعيداً عن المشاعر، إذ إن التَّعَوُّد على الأشياءِ يَقتل الرُّوحَ في الأشياءِ، فَيَعجز الإنسانُ عن رُؤية الأشياء بشكل حقيقي، لأنه يَراها ببصره لا بَصيرته .

وكُلُّ العناصرِ المحيطة بالإنسان تَقتل رُوحَ الإنسان ، وتَجعله ضَعيفاً جِنسياً . الأمراضُ المادية والمعنوية ، والمشكلات الاجتماعية، والنَّمط الاستهلاكي المتوحِّش، والتغذية الضعيفة . إنَّ الإنسانَ يَعيش في مستنقع عميق ، ثُمَّ يُطْلَب مِنهُ أن يَكون رُومانسياً وفَحْلاً . إنَّكَ لَن تَجنيَ مِنَ الشَّوْكِ العِنَبَ ، وفاقدُ الشَّيء لا يُعطيه .

المرأةُ مِثْل بِرميل النفط الخام ، تحتاج إلى تَكرير . إنَّ الذهب مَخلوط بالتُّرابِ . وهذه هِيَ نُقطة القُوة والضَّعف في آنٍ معاً . العناصرُ تَنطفِئ في زَحمة الحياة اليومية . الدَّهشةُ ، والشَّبَق ، والشَّغَف،والشَّهوة، والانبهار.كُلُّ هذه العناصرِ تغيب تدريجياً في الحياة الزوجية ثُمَّ تختفي إلى الأبد.

نعيشُ في مجتمع السبايا ، ونحتقرُ السبايا مَعَ أنَّنا سَبَايا . لا فَرْقَ بَيْنَ سَبِيَّةٍ وسَبِيَّةٍ ، لأنَّ الحضارةَ سُوق نِخاسة ، والتاريخ نَخَّاس . نحن ضَحايا سلسلة القَهْرِ التي تمتدُّ مِن رأس الهرَم السياسيِّ حتى القاعدة . أسَدٌ عَلَيَّ ، وفي الحروبِ نَعَامَةٌ ، نرتدي أقنعةَ الرجال ، ونحن رجال على بعضنا البعض. ونحن خارج التاريخ ، ولا وزن لنا حضارياً . نَحْنُ نَتَسَوَّل رغيف الخبز ، والسياسة لُعبة الأغنياء .

اقتحامُ الأشياءِ يُلغي الدَّهشةَ والشَّوق . إنَّ الناظرَ إلى الجِنسَ مِنَ الخارج مَحكومٌ بالرَّغبة واللهفة ، وحِينَ يَدخل إلى هذا العالَم ويُجرِّبه يَفقد حَرارةَ التَّجربة ، لأنَّ الأمر صار عادياً ضِمْن الإجراءات الروتينية مثل الوظيفة الحكومية البيروقراطية . إنَّها عمليةُ قتلٍ مُنظَّمة للمشاعر والذكريات . ومَعَ مُرور الوقت ، تُصبِح العلاقةُ بين الزَّوجين كالعلاقة بين الأخ وأُخته .

كُلُّ شَيء سَيَذوب ويَختفي مَعَ الأيامِ . الأيامُ هِيَ البَوتقة التي تَصهر كُلَّ العناصرِ ، والنّسيانُ هُوَ حَجَرُ الرَّحى الذي يَطْحُنُ كُلَّ الذكريات . خَجَلُ النِّساءِ في لَيلة الدُّخلة يَزول تَدريجياً مَعَ مُرور الوقت ، ويَختفي احمرارُ الخدود ، وتُسيطِر الشَّهوةُ الواضحةُ والمكشوفةُ على سَير الأحداث . أيْنَ ذَهَبَ الخجلُ ؟ . لقد ذَابَ في الأداء الجِنسي الوظيفي الممزوج بالْمَلَل والاعتيادية والروتين . والتَّدرجُ المرحليُّ قائمٌ على الحاجاتِ المشتَرَكة ، والتنازلاتِ المتبادَلة بين الزَّوْجَيْن ، مِن أجل استمرار حياة المجتمعات البشرية .

الإنسانُ سَيَنْدَم سَوَاءٌ تَزوَّج أَم لَم يَتزوَّجْ ، وعَلَيه أن يَرتكب أخفَّ الضَّرَرَيْن . الضغطُ الاجتماعيُّ على كاهل الرَّجل مستمر ، والمرأةُ تَدفع ثَمَنَ المشكلات الاجتماعية نَفْسياً ومادياً أكثرَ مِنَ الرَّجل ، باعتبارها الحلقة الأضعف في المجتمع . والحضارةُ الإنسانيةُ تَنتقل مِنَ الهوَسِ الجِنسيِّ إلى القَرَفِ الجِنسيِّ .

إنَّ النساء يَدْفَعْنَ ثَمَنَ هزائم الرِّجال (الذكور) . والمرأةُ يتمُّ اضطهادها مِن قِبَل الذكور المهزومين . المرأةُ ضحيةُ وقاتلةٌ في آنٍ معاً. والمجتمعُ الفاشلُ حَصَرَها في زاوية الجِنس والإغراء . والإغراءُ سِلاحُ المرأةِ الفَتَّاك . والإغراءُ عُنصر غريزي أصيل في كيان المرأة وليس دَخيلاً .

تَبدأ الأُنثى رِحلةَ الاكتشاف . إنَّها تُريدُ اكتشافَ رَجلٍ غَيْرِ والدها . إنَّها عملية الاستبدال والإحلال . النِّساءُ حبائل الشَّيطان . وأيضاً ، إنَّ النِّساء هُنَّ شَياطين الإنس . والانحرافُ الأخلاقي عند المرأةِ هُوَ سبب انهيار الحضارة الإنسانية .

والمرأةُ التي تمتلك حضوراً اجتماعياً وفكرياً تَكون مُحمَّلةً بالعُقَدِ النفسية والحقدِ على الرجال، لأنها تَرسم حياتها في إطار التنافس معَ الرجال . فَمَثَلاً ، إنَّ أنصاف الكاتبات لَم يَجِدْنَ رِجالاً يُشْبِعون حاجاتِهنَّ الجنسية في الزواج ، وَلَم يَجِدْنَ مَن يَتفوَّق على غُرورهنَّ وكِبريائهنَّ الجِنسيِّ . فَتَحَوَّلَ الكَبْتُ والحِرْمانُ إلى ثَورة ضِد الدِّين والمجتمع والرَّجلِ .

لقد حَوَّلْنَ كَبْتَهُنَّ الجِنسيَّ إلى كِتابات الجسد ، وَهِيَ كتابات ضعيفة وساذجة ، تَتعلق بالجسد والشهوات والجِنس الفَج . وَهُنَّ بذلك يَمشين في طريق الانحرافِ الذي يتمُّ تَصويره كَحُرِّيةٍ وتَحَرُّرٍ وتَمَرُّدٍ على قوانين المجتمع الذكوري، وَفْقَ قاعدة " خَالِفْ تُعرَفْ " .

وانتشارُ الكتاباتِ الجِنسية (كتابات الجسد) في المجتمع هو دَليلٌ واضح على انتشار الكَبْتِ الجِنسي ، والنظرةِ الدُّونية للمرأة ، وتَصنيفِ المرأة كَسِلْعَةٍ . ولا شَكَّ أنَّ المرأةَ هِيَ المسؤولة عن النظرة الدُّونية لها ، وَهِيَ التي تَتحمَّل مسؤولية تَصنيفها كَسِلْعَةٍ.

وكُلُّ كاتبةٍ سَواءٌ كانت عانساً أَمْ عَجوزاً شَمطاء أَمْ غَير ذلك ، سَيَقودها الحِرمانُ العاطفيُّ والجسديُّ إلى رفض القيم الاجتماعية ، وَهِيَ تَعتبر أنَّ رَفْضَها دليلٌ على تَحقيق الذات في المجتمع المتطرِّف في ذُكوريته .

والكاتبةُ التي تعتقد أنَّها صارتْ كاتبةً عالميةً بِمُجَرَّد كتابة قصيدة حُب عن ابن الجيران ، هي كاتبة تافهة ، وغارقة في تقاليد المجتمع المتخلِّف الذي يُرَبِّي المرأةَ على أن تَكون جاريةً لِزَوجها . يجب تربيةُ النساء على أدبيات الثَّورة لا الفَوضى .

وعُموماً ، إنَّ هؤلاء النساء المريضات نفسياً ، خاضعات للاحتراق الداخلي ، ومُتمرِّدات بسبب النار التي تتأجَّج في دواخلهنَّ نتيجة الكَبْت الجِنسيِّ . إنهنَّ حَفنة مِنَ العوانس والْمُسْتَرْجِلات ، وغَير مَرغوب فِيهنَّ مِن قِبَل الرجال ، لأنهنَّ سائرات باتِّجاه مُضاد لأنوثتهنَّ ، وَيَعْتَمِدْنَ على المكياج لِيُخْفِينَ وُجوهَهنَّ ، ويَرتدينَ الثقافةَ لِيُخفِينَ قُبْحَ قُلوبهنَّ ، ويَعْتَمِدْنَ على الملابس الفاضحة مِن أجل نَيْلِ إعجاب الآخرين ، والاستحواذ على نظراتِ الذئاب الجائعة .

إنهنَّ مُسْتَرْجِلات وبعيدات كُلَّ البُعد عن الطبيعة الأُنثوية الراقية . وغُرورُهنَّ يَزداد بسبب الدَّعْم المجاني الذي يُقدِّمه أنصافُ الرجال ، حَيْث يُجامِلونهنَّ ويُشبعون غُرورَهنَّ بالكلامِ المعسول والإطراء الكاذب والمديح المجاني . ومِمَّا لا شَكَّ فِيه أن معرفتهنَّ بأنهنَّ نِساء بائسات ويائسات ، تَدفعهنَّ إلى رَفض القيم الاجتماعية ، كما تُؤدِّي إلى قيامهنَّ بِتَمثيل أدوار الْمُدَافِعَات عَن حقوق المرأة في المجتمع الذكوري والنظامِ الأبوي المتسلِّط . وهذه متاهة اجتماعية لانهائية ، وحلقة مُفرَغة، ونفق طويل بِلا ضَوء في آخِرِه .

المرأةُ تحتقر نَفْسَها ولا تثق بنفْسها ، كما أنها تحتقر بناتِ جِنسها ، ولا تثق بهنَّ . والمرأةُ تَعتبر نَفْسَها جاريةً للرَّجل ودُميةً في يده ، ومَوْضِع شَهوته ومُتعته . إنها تَتمنَّع وهي راغبة ، كَي تَحفظ ماءَ وجهها ، وتحافظ على قناع أنوثتها.النساءُ مَحصوراتٌ في إطار السبايا. إمَاء في أزياء الحرائر. وعُقولُ النساء في فُروجهنَّ . وَلَو اختفى التَّحرشُ الجِنسيُّ لَطَالَبَت النِّساء بِعَودته .

الزواجُ قائمٌ على الاستعداد النَّفسي والبدني لِمُمارَسة الجِنس . والاستعدادُ لممارَسة الجنس أكثرُ أهميةً مِن مُمارَسة الجِنس . وهذه الممارَسةُ تَكْسِرُ الحصارَ المفروضَ على المجتمع ، وتُنهي العُزلةَ المفروضةَ على الإنسان ، فينطلق إلى فضاء أكثر رَحابةً . إنَّ مُمارَسةَ الجِنس هي اكتشافُ العوالم السِّحرية خارج حُدود المعنى الضَّيق ، والهروبُ من الواقع المحصور إلى الأفق غير المحدود .

ومَعَ هذا ، فإنَّ كُلَّ مُتعة جنسية لها ثمن وضريبة لا بُدَّ مِن دَفْعها . السَّهَرُ والتعب والمسؤولية والالتزام والأعباء الحياتية . وعُموماً ، إنَّ مَعركةَ البشريةِ عَبْرَ تاريخها الطويل تَدور حَوْلَ الرغيف والمرأةِ لبقاءِ الحياةِ وبقاء النَّوع .

والرَّجُلُ عندما يُحِبُّ يَحترِقُ وَحيداً ، أمَّا الذَّكَرُ حِينَ يُحِبُّ فيزداد ضَحِكَاً مَعَ رِفاقه ، لأنَّه يَميل إلى استعراضِ عضلاته الغرامية ، وإبرازِ عناصر فُحولته ، وارتداءِ قناع الرومانسية والأحلام. وهكذا، تُصبِح المرأةُ عُنصراً مِن عناصر الاستعراض والتَّرويج الإعلاني والإعلامي. وهُناك أشخاص لا علاقة لهم بالنساء ، لكنَّ الواحد مِنهُم يُقدِّم نَفْسَه كَزِير نساء ، من أجل الاستعراض أمام الناس، وإحاطة نفْسه بهالة العشق والرومانسية والذكريات . إنهم يَبحثون عن الشُّهرة عن طريق استغلال سذاجة النساء ، واستخدام المرأة كأداة تسويقية . إنهم يَستخدمون المرأةَ ولا يَخدمونها .

في أحيان كثيرة ، تُفسِد مُمارَسةُ الجِنسِ الرومانسيةَ . والشخصُ الذي يَحترم نَفْسَه ويَحترم المرأةَ ، يُريح أعصابَه ، لأنَّه حِينئذٍ يَتحرَّر مِن ضَغط الغريزة الجنسية ، ويُحرِّر نَفْسَه مِن عناصر البُنية التحتية بسبب تَركيزه في البُنية الفَوقية .

العوانسُ خاضعاتٌ لقانون العَرْضِ والطَّلَب. وَكُلَّما ازدادَ المعروضُ خَفَّ الطَّلَبُ وَهَبَطَ السِّعْرُ. إنَّه قانون الوَفْرة والنُّدرة . الشَّيءُ الكثيرُ دائماً رخيص ، والشَّيء النادرُ دائماً ثَمين . والمرأةُ لا تَمْلِك حقَّ الاختيار ، لأنَّ الغريقَ لا يَمْلِك أن يُحدِّد نَوعَ طَوقِ النجاة . " أشَحَّاذ وتُشارِط ؟! " . وفي واقع الأمر ، إنَّ كثرةَ العوانسِ قَتَلَت المعنى الفلسفيَّ للرُّومانسية .

والفتاةُ في بداية حياتها يَقولون لها : جاءكِ عريس ، فتقول : كَيْفَ هُوَ ؟ . وعندما تَتقدَّم في العُمر يقولون لها : جاءكِ عريس ، فتقول : مِن أيْنَ هُوَ ؟ . وعندما تُصبِح عانساً يقولون لها : جاءكِ عريس، فتقول : أيْنَ هُوَ ؟ . وهذه هي القضية الْمُضحكة الْمُبكية . إنَّها تَفْقِد حقَّ الاختيار معَ مُرور الزمن، وتُصبِح بِضاعةً كاسدةً، ويتمُّ القبول بأيِّ سِعْر لِبَيع البضاعة . والمرأةُ عندما يَمضي قِطارُ عُمرها بلا زواج ، تُصاب بالهلوسة، وتُصبِح مُستعدةً لتقديم التنازلات الروحية والمادية من أجل العريس الافتراضي .

وبشكلٍ عام، إنَّ الجنس يُولِّد الحبَّ، لَكِنَّ الحبَّ لا يُولِّد الجِنسَ. لَوْ ذَهبت امرأةٌ إلى القاضي ، وقالت له إنَّني أكْرَه زَوجي، فسيقول لها القاضي : يا ابنتي، اصْبِري ، إنَّ الحبَّ سَيَأتي مَعَ العِشْرة ، فلا تُخْرِبي بَيْتَكِ بِيَدَيْكِ . وَلَوْ قالت له هذه المرأة إنَّ زَوجي عاجز جنسياً ، ولا يُشْبِعُني في الفِرَاش. فإنَّ القاضي سَيُفَرِّق بينهما لوجود الضَّرَر .

هَل الجِنسُ تحصيل حاصل في الزَّواج مِثْل الذهاب إلى الدَّوام في الوظيفة الحكومية ؟ ، أَم أنَّه يَتضمَّن معاني العِشْق والشَّبَق والتجديد والاكتشاف والمغامَرة ؟ .

إنَّ المجتمعات المتخلِّفة القائمة على الواقعية القذرة ، تَحشر المرأةَ في الزاوية ، وتَقتل رُوحَها وقَلْبَها . والمرأةُ أمامَ خِيَارَيْن قاتِلَيْن : إمَّا أن تُصبِح عانساً أو خادمةً لِزَوجها . وفي الحالتَيْن سَتَذهب إلى النسيان بين صحون المطبخ والثلاجة .

الحبُّ والجِنسُ وَرقتان مَحروقتان . صارا نَمطاً استهلاكياً بعيداً عن المنهجِ الفكريِّ والهدفِ والرؤيةِ ، لأنَّنا نعيش في زمن انتحار المعنى . " النساء على قفا من يشيل " ، والصراعُ على الذكور مُحْتَدِم . صارت مُمارَسةُ الجِنس هُروباً مِنَ الواقع القاسي ، وفِرَاراً إلى ما وراء الحياة الواقعية ، بَحثاً عن حياة جديدة تشتمل على المغامَرة والأحلامِ الوردية والذكريات المضيئة .

والزواجُ هو سِباق المسافات الطويلة . والشخصُ المتخصِّصُ في المسافات القصيرة سَوْفَ يَفشل لا مَحالة ، لأنَّه لا يَستطيع تَوزيع طاقته ووقته ، بِحَيث يصل إلى خط النهاية . والزواجُ الناجحُ يَقوم على التوافق الرُّوحيِّ والالتقاءِ الجسديِّ . وأيُّ خَلَلٍ في هذه المعادَلة سَيُؤدِّي حَتماً إلى انهيار الزواج ، حقيقةً أو مَجازاً ، أو كِلاهُما مَعَاً .

والزواجُ الذي يَفتقد إلى المغامَرة العاطفية المتجدِّدة ، يُصبِح مُقامَرةً بِلا جَدوى ، وجُثةً هامدةً تَعيش على التنفس الاصطناعيِّ . والزواجُ الفاشلُ عِبارة عن رَجل تَزَوَّجَ عُلبةَ مِكياج ، أو امرأة تَزَوَّجَتْ بَنكاً. وعلى الرَّجل قبل الزَّواج أن يَسأل نَفْسَه: هل أُريد امرأةً أتزوَّجها أَم بقرة أَحْلِبُها ؟.

وفي ضَوء الإجابة ، يَتحدَّد المسارُ والمصيرُ . والرَّجلُ والمرأةُ ضِدَّان يجب أن يَلتقيا في مُنتصَف الطريق كَي يُصبِحا مُتَكَامِلَيْن. تَقضي المرأةُ عُمرَها تُفكِّر في الرَّجل وكيفيةِ اصطياده، وهذا يَمنعها مِنَ الإبداع في العلوم والآداب . وهذا يُفسِّر قِلَّةَ أعداد النساء الفائزات بجوائز نوبل . أمَّا الرَّجل فَيُفكِّر في إعمارِ الأرضِ ، وصناعةِ الحضارة الإنسانية . الرَّجلُ خُلِقَ مِنَ التُّرابِ ، لذلك تَفكيره في إعمارِ الأرض ، والمرأةُ خُلِقَت مِنَ الرَّجل ، لذلك تفكيرها في إغراء الرَّجل واصطياده .

إنَّ انحرافَ المرأةِ هو السبب الأساسي لانحلالِ المجتمع ، وانهيارِ الحضارة ، وانكسارِ التاريخ . الإغراءاتُ مفتوحة على كُلِّ الاحتمالات ، لأنَّ القِطَّة التي كانت مُغْمَضَة العَيْنَيْن فَتَحَتْ عَيْنَيْها .

قد يستمرُّ الزواجُ بِدُون حُب ، ولكنَّه لا يستمر بِدُون جِنس . ومفهومُ الأُسرةِ لدى الكثيرين مُشَوَّشٌ، لذلك تَقبلُ الفتاةُ بأيِّ شخص يَتقدَّمُ لها من أجل إخراجها من العذاب التي تَعيشه في بيت

أبيها . يُصبِح الزواجُ طَوْقَ نَجاةٍ بِلا تَخطيط ولا مشاعر . ويَتحمَّل الآباء الجشِعُون جُزءاً كبيراً من المسؤولية في تَحويل بناتهم إلى زوجات خائنات ، لأنهم يَعتبرون الأُنثى بضاعةً بلا مشاعر ، يجب بَيْعُها لِمَن يَدفع أكثرَ .

والنقصُ الموجودُ قبل الزواج سَيَزدادُ خَطَرُه بعد الزواج . وعلى الإنسانِ أن يُعالِج مُشكلاتِه قبل الزواج ، لأنَّ الزواجَ معركة حقيقية يَنبغي الاستعداد لها مُسْبقاً ، ولا تُوجِد فُرصة لعلاج المشكلات أثناء المعركة . إنَّما يَكون العلاج قبل المعركة . أي أثناء الاستعداد للمعركة ، وليس أثناء المعركة . وفي هذا السياق ، ينبغي القَولُ إنَّ الأُبُوَّة لا تَسُدُّ ثغراتِ الرُّجولةِ ، والأُمومة لا تُكْمِل النَّقْصَ في الأُنوثةِ . القويُّ قَوِيٌّ بذاته ، وليس بالعناصر المحيطة بِه .

" الشَّرفُ يَأتي ويَذهب. المهمُّ الصِّحة ". هذه المقولةُ الساخرة هِيَ الوَصف الحقيقي لِمَا يَحدث على أرض الواقع . نَحْنُ نَعيش في أُمَّةٍ عَديمة الشَّرف ، لأنَّها باعت شَرَفَها مِن أجل رَغيف الخبز . وهذا الانهيارُ له صفتان : التراكمية والانسحابية . أي إنَّ تراكم المشكلات يُؤدِّي إلى الانهيار ، كما أنَّ الانهيار يَنتشر في كُلِّ المجالات ، ويَنسحب على كُلِّ العلاقات المعنوية والمادية . فعلى سبيل المثال، لا تُصْبِحُ الْمُغَنِّيَةُ مَشهورةً إلا إذا تَنازلتْ عَن شَرَفِها ، ولا يَركضُ المخرِجون وراء الممثِّلات إلا إذا عَلِمُوا أنهنَّ مُسْتَعِدَّاتٌ لإظهار ما يَلْزَم إظهارُه مِن لَحْمٍ. وهذا المبدأ الانتكاسي يُمكِن تَعميمه على كُلِّ المجالات الحياتية ، مَعَ اختلاف الزمان والمكان والأدوات .

في المجتمعات التي باعت شَرَفَها ، يتمُّ حَصْرُ الشرف في غِشاء البَكارة . والدُّوَلُ التي بَاعَتْ سِيَادَتَها لأعدائها ، لا تَمْلِكُ إلا جَسَدَ المرأةِ لِتُمَارِس عَلَيهِ السِّيادةَ الوهميةَ . إنَّها عملية تَعويض عن الخسائر وخَيبة الأمل . ودائماً ، هَزائمُ الرِّجالِ يَدفع ثَمَنَها النِّساءُ ، وانكساراتُ المجتمع يتمُّ اعتبار المرأة المسؤولة عنها ، لأنَّها الحلقةُ الأضعف ، والطائرُ ذُو الجناحَيْن المكسورَيْن .

والرَّجلُ الشريفُ لا يَبني رُجولته على لُهاث النساء وراءه . يجب أن تَكون الرُّجولةُ صِفةً شخصية وقائمة بذاتها . وصِفةُ الرُّجولةِ ذاتيةٌ ولا تأتي من العناصر الخارجة عن كيان الرَّجل . إنَّها صِفة تَنبع من الداخل ، ولا تأتي من الخارج . والشخصُ الذي يَحتاج النساءَ كَي يُثْبِت رُجولته ، لَن يَصِلَ إلى مرتبة الرُّجولة . والجديرُ بالذِّكر أنَّ الرُّجولةَ لا علاقة لها بالقُدرة الجنسية . فالرَّجُلُ رَجُلٌ سَواءٌ كان فَحْلاً أَم عاجزاً جِنسياً .

إنَّ تساقط القيم السلوكية للأفراد في المجتمع نابعٌ مِن اعتبار الزواج صَفقة تجارية . والنساء اللواتي يَفْرَحْنَ إذا صِرْنَ دُمَىً في مَسرح العرائسِ يَلعب بِهِنَّ الرجال ، هُنَّ نتيجة منطقية للمجتمع

الاستهلاكي القاتل المقتول . والمرأةُ التي لا تَثِقُ بِنَفْسِها ، تَكشف لَحْمَها ظَنّاً مِنها أنَّ إظهار مفاتنها سَوْفَ يَكون قِناعاً يُغطِّي جَسَدَها ، كما يُغطِّي المِكياجُ وَجْهَهَا .

لا يُمكِن للرَّجل أن يَتفوَّق على المرأة في الفِرَاش . الجِنسُ تاريخٌ مُكَثَّفٌ لجغرافيا وَحدة الجسدَيْن في لَيْلِ الذكريات . والعلاقةُ الجِنسية بين الرَّجل والمرأة هي علاقة بين رائحة الجسَدَيْن المتوحِّدة والرافضة للانفصال. والمرأةُ تحتاج إلى الجِنس أكثر مِن حاجة الرَّجل إلَيه ، لأنَّ المرأةَ تعتبر الرَّجلَ كُلَّ شَيء في حياتها(الكُل في الكُل)،أمَّا الرَّجل فَيَعتبر المرأةَ جُزءاً مِن حياته(الجزء مِن الكُل).

وحِينَ تُصبِح مُمارَسةُ الجِنس عِبئاً ثقيلاً على كاهل الزَّوْجَيْن فإنَّ المجتمع سينهار . والمجتمعُ لَن يَتقدَّم على صَعيد المشاعر الإنسانية إلا إذا نَجَحَ الزَّوجان بِتَعميم فَلسفة لَيلة الدُّخلة على كُلِّ ليالي حياتهما . صحيحٌ أنَّ لَيلة الدُّخلة ماركة مُسجَّلة ونُسخة أصلية ، ولكنْ يُمْكِن تَقليدها . وسَوْفَ يظل الأصلُ هو الأصل ، والتَّقليد هو التَّقليد .

المشاعرُ الحقيقية بين الزَّوجين هي المشاعر المعزولة عن مُمارَسة الجِنس ، لأنَّ الجِنسَ غريزةٌ ثائرة بعيدة عن منطق المشاعر وعقلانيةِ المعنى . فالجِنسُ مَعنى غَير مُسَيْطَر عَلَيه. والحضارةُ الإنسانيةُ سَقَطَتْ حِينَ فَشِلَتْ في سَبْرِ أغوار المرأة . عدمُ القُدرة على التعامل مع المرأة يَعني انكسارَ التاريخ، وسُقوطَ الحضارة في الفراغ. إنَّ المرأةَ كائنٌ غامضٌ ومَجهولٌ، ومعرفتها تعني قَتْلَها .

إنَّ احتقارَ المرأةِ صِفة مُميِّزة للحضارة الإنسانية في كُلِّ أطوار وُجودها . واحتقارها يَدفع باتِّجاه التَّخلص مِنها بِشَتَّى الوسائل . والجرائم ذات الطابع الجنسيِّ تَنبع مِنَ العُقَد النَّفسية تجاه النساء مُنذ الطفولة .

والمشكلةُ المركزية في الأنساق الاجتماعية تَكْمُن في انعدام حالة التوازن بين الرومانسية والجِنس. إنَّ الرومانسية هي البُنية الفَوقية التي لا تَتأسَّس إلا على الجِنس (البُنية التَّحتية). كما أنَّ الرُّومانسية عاطفة هُلامية لا تَظْهَر إلا بعد إشباع الغريزة. والشَّهوةُ لا يُمْكِن بِناؤُها على الجوع. الشَّبَعُ هُوَ الخطوةُ الأُولَى مِن أجل تحويل الشَّهوة إلى مُمارَسة واقعية .

والجديرُ بالذِّكر أنَّ ذِرْوَة الالتحام الجنسيِّ الشَّهوانِيِّ بين الزَّوجين ، تُلْغي الذكورةَ والأُنوثةَ في تلك اللحظة التي يَتَّحد فيها الجسَدان في كتلة لحمية واحدة منفصلة عن نطاق الجاذبية الأرضية ، لَيأْتِيَ إلى هذه الأرض الخرابِ مَخلوقٌ مَحكوم بالإعدام ، ويجب عَلَيْهِ إنقاذ ما يمكن إنقاذه .

ويُمْكِن تَعميم النَّظرة الفلسفية في هذا السياق على الثقافة المجتمعية باعتبارها العملية الْمُوَلِّدة للجنين الثَّوري الذي يُعبِّر عَن مَعنى الْحُلْم الثقافِيِّ الذي يَتَّحد فِيه الواقعُ والْمَجازُ ضِمْنَ جسدٍ واحدٍ ، هو نتاج حرارة التعبير الصاعق .

وتَتَّحد الذكورةُ والأُنوثةُ في عُنفوان التَّشظي الشَّهوانِيِّ . وفي حالة الاصطدام لا يمكن تمييز الأضداد. وفي حالة الالتحام بين الجيشين لا يُعْرَف الصديق من العدو ، كما يتمُّ تَحييد الغطاء الجويِّ ، وهنا تتجلى عناصرُ النواة الفلسفية للمجتمعِ والثقافة مَعَاً.

إنَّ الزواج يَفقد مَعناه تَدريجياً في المجتمع الماديِّ المتوحِّش ، والأُسرة تَخسر قيمتها الاعتبارية شَيئاً فَشَيئاً . وفي كثيرٍ من الأحيان ، يُصبِح الزواجُ خَديعةً كُبرى . فالزَّواجُ في المجتمعات المتخلِّفة القائمة على الواقعية القذرة ، يُصبِح غِطاءً اجتماعياً مِثْل الشجرة التي تُخفي خَلْفَها الغابةَ . فَكَثيرٌ مِنَ الرجال يَلجأ إلى الزَّواج كواجهة اجتماعية مُحْتَرَمَة للتَّغطية على علاقاته الغرامية . حَيْثُ تَختفي العشيقاتُ غَير الشَّرعيات وراء الزَّوجة الشَّرعية . والرِّجالُ مِن هذا الصِّنف يَتزوَّجون من أجل صناعة مكانة اجتماعية ، وتقديم أنفسهم كآباء صالحين ، يُكَوِّنون العائلاتِ الصالحة في المجتمع الصالح . وكُلُّ هذه الأمور شعارات رنَّانة خيالية وغير واقعية .

عِندَما تشتعلُ الذكرياتُ ، تَختفي المعاني ، وتَغيب الألفاظُ. تندمج الذكورةُ والأنوثةُ إلى درجة التَّوَحُّد مَعَ كَينونة المعنى ، فتختفي الذكورةُ والأنوثةُ تماماً . إنَّ حرارة الحبِّ تُذيب الفروقاتِ البيولوجية بين الذَّكَر والأنثى ، كما تُذيب حرارةُ التَّعبيرِ الفُروقاتِ بين الشِّعر والنثر .

إنَّ الرَّجل والمرأة حِينَ يَعشقان بعضهما البعض لدرجة الذَّوَبَان والانصهار الكُلِّي ، فإنَّكَ لن تستطيع التفرقة بين الرَّجل والمرأة ، لأنَّ الكَينونة الإنسانية أحالها العشقُ الملتهب إلى كَينونة أنساق ذِهنية مُتخيَّلة ، حيث لا يُوجَد ذَكَرٌ ولا أُنثى . وهذه المرحلةُ تَمتلك سُلطةً ذاتية ، ولا يُوجَد قانون يَحكمها . وهذه هي الخطوة الأُولَى على طريق الجنون . وهكذا نستطيع تفسير وجود مجانين مَحَا العشقُ عُقولَهم ، فَهَاموا على وجوههم دُون أيِّ اعتبار للسُّلطة الاجتماعية .

إنَّ حرارة التعبير الاجتماعي تتجلى في الاتصال الجنسي بين الرَّجل والمرأة . حيث إنَّ الكلام يَغيب أثناء العملية الجنسية، ويُصبِح الفِعْلُ هو الفاعلَ، ويُصْبِح الأداءُ الميكانيكي هو اللغةَ الجديدة. والفِعْلُ هو الكلام، لأنَّ الجِنسَ فِعْلٌ اجتماعي تكويني يَتحوَّل إلى لُغة مشتركة تُحَدِّد طبيعةَ النظام الشُّعوري لِوَحدة الجسَدَيْن ، كما أنَّ الجِنسَ يُحَوِّل المكانَ إلى زمان ، والزمان إلى مكان .

إنَّ سبب الانهيار الذاتي للكَينونة البشرية يَعود إلى قتل الأنثى داخل المرأة . فالانهيارُ بدأ من انهيار المرأة ، والنظرةِ إليها نظرة دونية شهوانية مجرَّدة من عواطف الاحتضان النبيلة بين الرَّجل والمرأة . ونحن نَدرس طبيعةَ الانهياراتِ الاجتماعية مِن أجل تجاوز الأخطاءِ والخطايا في المجتمع الإنساني الذي تتلاحم فيه العناصر الْمُذَكَّرَة والمؤنَّثة .

والنظرةُ الدُّونية للمرأةِ تَنبع مِنَ الفرضية التي يَعتنقها الكثيرون كَمُسَلَّمَةٍ ، ويَعتبرونها نظريةً ، وهي أنَّ الرَّجل هو الفاعل الأعلى ، والمرأة هي المفعول به الأدنى . وهذه النظرة الاحتقارية هي التي دمَّرت المجتمعَ الإنساني ، وَحَوَّلَت الإنسانَ إلى حيوان جنسي شهواني فارغ . وما زِلْتُ أتذكر قول أحدهم لي : ((المرأة مِثْل الحذاء ، تظل تستبدلها حَتَّى تَجِدَ امرأةً مُناسِبة لِقَدَمَيْكَ)) . وهذه النظرة الكارثية السَّادية منتشرة على نطاق واسع بشكل أو بآخَر . إنها منتشرة بلسان الحال أو بلسان الْمَقَال .

والمرأةُ الجسدُ هي إفراز طبيعي ومُتوقَّع للمجتمع المادي المقموع سياسياً والمكبوت جنسياً . والمرأةُ تَتحمَّل الجزءَ الأكبر مِنَ النَّظرة الدُّونية لها ، لأنها صارت سِلْعةً رخيصةً على شاشات التلفاز والسينما وفي الأسواق والمؤسسات . ففي الفيديو كليب مَثَلاً يَتِمُّ تركيز الكاميرات على مناطق حسَّاسة من جسد المرأة التي تتثنى لِتُظْهِرَ فِتنتها بشكل مُثير للاشمئزاز . وظهورُ المرأة بملابس مثيرة في التلفاز والسينما ، والإنفاق الهستيري على مستحضرات التجميل ، والذي تَتجلى مظاهرُه في الأسواق وأماكن العمل ، وانتشار العُنوسة بسبب مشاكل الشباب الاقتصادية، والفساد الأخلاقي في المجتمعات المنهارة المغطاة بِقَشَّة . كُلُّ هذه الأمور مُجْتَمِعَةً وغَيرها ، ساهمتْ في تحويل المرأة إلى دُمية في مسرح للعرائس ، يَلعب بها الذَّكَر (الذئب) ثُمَّ يَرميها لذئبٍ جديد . ولا يَخْفَى أنَّ المجتمعات المتخلِّفة تَضغط على الأنثى باعتبارها الحلقة الأضعف، وتَخترع الأعذار للذَّكَر باعتباره رَجل البيت ، والحاكم المستبد فوق المرأة ، وسَيِّد المجتمع المطْلَق .

(٣)

صَرْخَةُ الأزمنةِ

[١] لا أُحِبُّ إنشاءَ حَديقةٍ مَنْزليةٍ . أُحِبُّ مُساعدةَ الأزهارِ في اختيار مَقرِّها .

[٢]الفَيْلسوفُ هُوَ الكائنُ الوحيدُ الذي يَكونُ عُمُرُه حَيواتٍ متكررة منبثقة من انتحاراته المتكررة.

[٣] مَا يَدْفعُ الأشخاصَ إلى الكتابةِ هُوَ حُبٌّ عَنيفٌ أو حُزْنٌ عَنيفٌ .

[٤] كُنْ مِسْماراً في نَعْشِ الاحتلالِ لا قِيثارةً يَتغنَّى بها الأحرارُ .

[٥] شُرطيُّ المرورِ الناجحُ يَستضيءُ بأشعةِ الشَّمس لا ألوانِ إشارةِ المرور .

[٦] الإنسانُ العاديُّ يَنتظرُ الموتَ كَي يَأتيَه ، أمَّا الإنسانُ المميَّزُ فَيَذْهبُ إِلَيْه بِكُلِّ طَاقته .

[٧] حَياتي تحتاجُ إلى حَيَواتٍ جديدةٍ حَتَّى تُصبحَ حَياةً .

[٨] البَشرُ يَخْترعون حَواجز وهميةً ثم يُضيِّعون وَقْتهم مُفكِّرين في تجاوزها .

[٩] يُولَدُ الإنسانُ عِدَّة مَرَّاتٍ ، ويموتُ عدة مرات .

[١٠] أشتاقُ إلى الأزمنةِ التي أَنبعثُ فيها، وأَشتاقُ إلى الأمكنةِ التي أُذبَح فِيها .

[١١] الانكماشُ في الأنا العُليا أَساسُ كُلِّ جَريمةٍ .

[١٢] وَراءَ كُلِّ مُومسٍ فَيْلسوفٌ مُنْحَرِفٌ .

[١٣] اقتلْ نَفْسَكَ بِدون أن تَمَسَّها بِسُوء.

[١٤] عامل النَّظافةِ مِثْلُ الفَيْلسوفِ . كِلاهما يَمتلكُ رُؤيةً ، ويَظهرُ الاختلافُ في نَمطِ التَّعبير .

[١٥] تبدأُ هزيمةُ الجيوشِ مِن المرأةِ التي تَنشرُ الغَسيلَ وَهِيَ في قَميص النَّوم .

[١٦] لجنةُ جَائزةِ نوبل هِيَ المافيا الوحيدةُ في العالَم التي تَعْقدُ مُؤتمراتٍ صحفية .

[١٧] المرأةُ التي تَكْرَهُني تُحرِّرني .

[١٨] أُريدُ أَن أَعيشَ حَياتي مِثْلَ دُودِي الفايد ، ولكنْ بالحلال .

[١٩] يَتخلَّى الفردُ عن انتمائه الوطنيِّ حين تُشْعِرُهُ حكومتُه أنَّ وُجودَه كَعَدَمِه .

[٢٠] إِنْ لَم تَرفع سَيفكَ في وجه الشيطانِ، فأنتَ شيطانٌ.

[٢١] كُن وَردةً تَنشر عِطْرَها ، ولا يُمكن سَحْقُها تَحْتَ الأقدام .

[٢٢] الدَّمارُ أَحَدُ أركانِ الحضارةِ .

[٢٣] هُناكَ أشخاصٌ يَبْحَثُونَ عَن الكَرَاهِيَةِ لِيَتَمَسَّكُوا بالْحُبِّ .

[٢٤] عُنفواني أكبرُ مِنَ الطاقةِ الاستيعابِيَّةِ للحياةِ . وَحْدَهُ الموتُ هُوَ القادرُ على استيعابي.

[٢٥] اعْتَبِرْ كُلَّ إنجازٍ يُحَقِّقُهُ إنسانٌ إنجازاً لَكَ وللبشريةِ .

[٢٦] أكثرُ الذينَ يَتَحَدَّثُونَ عَن الْحُبِّ ، لا يَعْرِفُونَ مَعْنَى الْحُبِّ .

[٢٧] مِنَ السُّخريةِ أن ترى امرأةً لا تَعْرِفُ الأحكامَ الفقهيةَ للحَيْض ، لَكِنَّها تَنتقِدُ الفُقَهاءَ .

[٢٨] مِنَ المؤسِفِ أن نرى أَبَوَيْنِ يُلقيان نظرياتِ التَّربيةِ عَلى أبنائهما وَهُمَا بِحاجةٍ إلى تربيةٍ .

[٢٩] إذا كانَ الصَّحَفِيُّونَ قُدْوَتَكَ في الكِتابةِ ، فَلَن تُصبحَ أديباً عظيماً .

[٣٠] الْمَشْيُ لَيْلاً أفضلُ طَريقةٍ لاستجماعِ الطاقةِ الذهنيةِ واستحضارِ الأفكارِ .

[٣١] إذا لَم تَفْرِضْ رُؤْيَتَكَ عَلى التاريخِ فَرْضاً فَلَن يَعترِفَ بِكَ التاريخُ .

[٣٢] الشَّاعِرُ الوَحيدُ الذي تَأَثَّرْتُ بِهِ واعْتَبَرْتُهُ قُدْوتي في الشِّعْرِ هُوَ أنا .

[٣٣] أن أظَلَّ وَاقِفاً في مَكاني أَحَبُّ إِلَيَّ أن أتقدَّمَ بِمُساعدةِ الأوغادِ .

[٣٤] يَصْنَعُونَ حَضارةَ الْمُومِساتِ ، وَيَظُنُّونَ أنَّهم قَادةُ الإنسانيةِ .

[٣٥] كُلُّ مُلْحِدٍ يُوقِنُ في قَرارةِ نَفْسِهِ بأنَّ اللهَ مَوجودٌ .

[٣٦] عَجِبْتُ لأمْرِ الإنسانِ يَقضي عُمُرَهُ في الدِّراسةِ مِن أَجْلِ إضافةِ حَرْفِ" د " إلى بداية اسْمِه .

[٣٧] الاعترافُ بِوُجودِ الشَّيء لا يَعني بالضَّرورةِ أنَّ وُجودَه شَرْعِيٌّ .

[٣٨] وَظيفةُ الإنسانِ تُحَدِّدُ طَريقةَ التَّعاملِ مَعَهُ ولَيْسَتْ شخصيته .

[٣٩] الحضاراتُ القائمةُ على قَتْلِ البَشَرِ ، تَظهر فَلْسَفَتُها الْمُتَغَطْرِسَةُ في الآثارِ العُمرانيةِ .

[٤٠] عِندَما تُحْشَرُ الحضارةُ في الزَّاويةِ تَبدأُ بِأَكْلِ نَفْسِها .

[٤١] بِلادُنا كالطاحونةِ . إِنْ أردتَ ألا تُطْحَنَ ، عَلَيْكَ أن تَكونَ أكبرَ مِنَ الطاحونة .

[٤٢] إِنَّ الذينَ يَهْتَزُّونَ أمامَ أفخاذِ النِّساءِ لا يَقْدِرُونَ أن يُمْسِكُوا سَيفاً .

[٤٣] اسْتَعِدَّ للحَرْبِ وَاحْفِر الخنادقَ ، ثُمَّ اجْلِسْ عَلى طَاولةِ المفاوَضات .

[٤٤] المجرمون عِندَما يَتقاعدون مِن مَناصِبِهم ، يُصبحون مُدافعين عن حُقوقِ الإنسان .

[٤٥] التَّصوراتُ المسبقةُ عَن الشَّيء قَد تُضَيِّعُ حَقيقتَه .

[٤٦] في كُلِّ مَحكمةٍ عَربيةٍ ضَابِطُ مُخَابَرَاتٍ خَلْفَ السِّتارةِ يُمْلِي الأحكامَ عَلى القُضاةِ .

[٤٧] التَّطرفُ لَيْسَ فِعْلاً وإِنَّما رَدَّةُ فِعْلٍ . وَرَدَّةُ الفِعْلِ تُنْتِجُ وَهْماً لا فِعْلاً .

[٤٨] الأنظمةُ العربيةُ بِدائيةٌ وجاهلةٌ لأنَّها تَظُنُّ أنَّها تستخدمُ أمريكا .

[٤٩] لا يَنهارُ الشَّيْءُ إلا إذا انهارَ مِنَ الدَّاخلِ .

[٥٠] في الدُّوَلِ الفاشلةِ يجب أن يَكون الحاكمُ مُجْرِماً ولِصّاً حَتَّى يَفْرِضَ احترامَه على الآخرين .

[٥١] الموتُ يَجعل المكانَ والزمانَ شَيئاً واحداً .

[٥٢] التَّواضعُ هُوَ أن يَكونَ الْمُصَلِّي وَسَجَّادةُ الصَّلاةِ شَيئاً واحداً .

[٥٣] الوَحْدةُ فُرصةٌ لاقتحامِ الجوانبِ غَيْرِ الْمُكْتَشَفَةِ في ذَاتِكَ .

[٥٤] وَدِدْتُ لَوْ أَجْمَعُ أعماراً كثيرةً وأُضِيفُها إلى عُمُري كَي أُحَقِّقَ أحلامي .

[٥٥] الليلةُ الوَحيدةُ التي شَعَرْتُ فِيها بِتَوَهُّجِ الحياةِ هِيَ لَيْلَةُ اغتيالي .

[٥٦] الماركسِيَّةُ ثَورةٌ مِن أَجْلِ العَدَمِ ، والإسلامُ ثَورةٌ مِن أَجْلِ الله .

[٥٧] أَرْسَلَتْنِي لُغتي كَي أَمْسَحَ الشُّعَراءَ الْمُزَيَّفينَ في كُلِّ العُصورِ .

[٥٨] لا تُضَيِّعْ وَقْتَكَ في إصلاحِ الأعْصانِ . اذْهَبْ إلى الْجَذْرِ وأَصْلِحْهُ .

[٥٩] إعدامُ المرأةِ الشَّريفةِ يَكُونُ بِوَضْعِهَا في مَلْهَىً لَيْلِيٍّ .

[٦٠] العاقلُ لا يَحْشُرُ القِطَّ في الزَّاويةِ .

[٦١] أكثرُ النِّساءِ قَلَقاً زَوْجَةُ الشَّاعرِ .

[٦٢] يَحْرُسُونَ البَقَرَةَ ثُمَّ يَذْبَحُونَها حِينَ يَجِفُّ حَلِيبُهَا .

[٦٣] لَن يَشْعُرَ الإنسانُ بِرُجُولَتِهِ إلا مَعَ الْحُورِ العِين .

[٦٤] لا تَلْهَثْ وَراءَ الْحُبِّ . اتْرُكِ الْحُبَّ يُفَتِّشْ عَنكَ .

[٦٥] مَنْ يُؤَلِّف الكُتبَ كَي يُصبحَ مَشهوراً ، سَيَبْقَى مَغموراً .

[٦٦] جَرَّبْتُ كُلَّ الْمَنَافي الأرضيةِ فَأُصِبْتُ بالْمَلَلِ . أُرِيدُ مَنْفَىً في كَوْكَبٍ آخَر .

[٦٧] الْخُطوةُ الأُولَى في طَرِيقِ الإبداعِ أن تُؤْمِنَ أنَّكَ مُخْتَلِفٌ .

[٦٨] عَدُوِّي الموجودُ في دَاخِلي أكثرُ خُطورةً مِن عَدُوِّي الخارجيِّ .

[٦٩] عَجِبْتُ لِوَطَنٍ وَجَدْتُ حَياتي في حَيَاتِه ، وَوَجَدَ حَيَاتَهُ في مَوْتي .

[٧٠] المجتمعُ الذي لا دِينَ لَهُ ، يُصْبِحُ الرُّعْبُ دِيناً لَهُ .

[٧١] مُشكلةُ بَعْضِ الأُدَباءِ أنَّهم أكبرُ مِن بِلادِهم .

[٧٢] سَتَصِيرُ حَيَاتُكَ بَالغةَ الصُّعوبةِ عِندَما تَكُونُ ذَكِيّاً بَيْنَ الأغبياءِ .

[٧٣] شَيْءٌ مُؤْسِفٌ أن تَهْزِمَ أعداءَكَ الحقيقيين وَتَنهزمَ أمامَ عَدُوٍّ وَهْمِيٍّ اخترَعَهُ خَيَالُكَ المريضُ .

[٧٤] النِّظامُ السياسيُّ الفاشلُ يَتَكَوَّنُ مِن عُنْصُرَيْن: قَاتِلٌ يَرْتكِبُ الجريمةَ ، وكَاتِبٌ يُبَرِّرُها أخلاقياً.

[٧٥] عَدَمُ كَسْرِ الأبوابِ والنوافذِ لَيْسَ دَليلاً عَلى انعدامِ السَّرقةِ .

[٧٦] أَشْعُرُ بالخوفِ حِينَ أُفَكِّرُ بالسُّؤالِ : هَل نَحْنُ مُسْلِمُون ؟ .

[٧٧] اللغةُ هِيَ خَطُّ الدِّفاعِ الأوَّلُ عَن الْهُوِيَّةِ والحضارةِ .

[٧٨] عِندَما أكتبُ فإنَّ سُلطةَ كلماتي تَتَفَوَّقُ على كُلِّ السُّلطات السياسية .

[٧٩] ضَاعَتْ فِلِسْطِينُ يَوْمَ ضَاعَت الأندلسُ .

[٨٠] قُل لِي مَن رَئيسُ دَوْلَتِكَ أَقُلْ لَكَ مَن أنتَ .

[٨١] حَالتي النَّفسيةُ هِيَ حَالةُ الْحُسَيْنِ في اللحظةِ التي عَلِمَ فِيها أنَّ أهْلَ الكُوفةِ خَانوه .

[٨٢] الأدبُ قَادِرٌ عَلى تَفسيرِ السِّياسةِ ، لَكِنَّ السِّياسةَ عاجزةٌ عَن تَفسيرِ الأدبِ .

[٨٣] الحريةُ الأدبيةُ ألا يَفْرِضَ القارئُ عَلَيَّ شُرُوطَهُ ، وألا أَفْرِضَ عَلَيْهِ شُرُوطي .

[٨٤] الأديبُ يَحْمِلُ شَعْبَهُ عَلى ظَهْرِه وَيَسيرُ،أمَّا السياسيُّ فَيَرتمي عَلى ظَهْرِ الشَّعْبِ كي يَحْمِلُوه.

[٨٥] إنَّ الذينَ يَضَعُونَ القَوَانين ، لا يَقْبَلُونَ إلا أن يَكُونوا فَوْقَها .

[٨٦] مَنْ يُولَدْ في مُستشفى المجانين ، لَيْسَ بالضَّرورةِ أن يَكُونَ مَجنوناً .

[٨٧] يُنْفِقُونَ الملايين عَلى تَرميمِ الآثارِ ، ولا يُفكِّرون في تَرميم أجسادِ الفُقراءِ .

[٨٨] نُقِلَت الحربُ مِنَ الْجُغرافيا والتاريخ إلى أحاسيس البشر وذِكرياتهم .

[٨٩] السُّؤالُ الْمُدْهِشُ الذي أتضاءلُ أمامَه : مَن أنا ؟ .

[٩٠] العَوْلَمَةُ رَقصةُ الانتحارِ عَلى إيقاعِ أمريكا الشَّيطان .

[٩١] أنا لا أكتبُ شِعْراً . أنا أكتبُ فَلسفةَ الشِّعر .

[٩٢] يَخْتَارُونَ لَوْنَ بَشَرَةِ نِسائهم حَسَبَ دِهانِ غُرفةِ النَّوم ، وَيُسَمُّونَ أنفُسَهم رُومانسِيِّين . [٩٣] تَعَلَّمْنا كَيْفَ نُحِبُّ ، لَكِنَّنا لَم نَتَعَلَّمْ كَيْفَ نُدافِع عَن حُبِّنا .

[٩٤] الكاتبُ العظيمُ يُشْعِرُ القُرَّاءَ أنَّهم عُظَماء .

[٩٥] تُوَزَّعُ جَوائزُ نوبل كما تُوَزَّعُ البطاطا المقلية في مَطاعم الوَجَبات السريعة .

[٩٦] ثَوْرتي مِنَ النَّوعِ الْمُعْدِي .

[٩٧] إنْ لَم تُوَحِّدْ حَياتي هذا الشعبَ ، فأرجو أن يُوَحِّدَه مَوْتي .

[٩٨] قَوْلُ الحقيقةِ في بِلادي مِثْل تَهريب الأفيون .

[٩٩] كُلَّما مَشى الناسُ في الطريقِ سَقَطَتْ شَظايا قُلوبِهم على الأرصفةِ .

[١٠٠] أكثرُ كَلمةٍ أَكْرَهُها هي " الحِيَاد " .

[١٠١] كُلَّمَا تَوَغَّلْتُ في حَياتي اقتربتُ مِن مَمَاتي .

[١٠٢] السِّيرةُ الذاتيةُ الصادقةُ تُدَمِّرُ صُورةَ الأديبِ في نُفوسِ القُرَّاءِ .

[١٠٣] مَن يَعْرِفْ هَدَفَهُ لا يَلتفِتْ أثناءَ سَيْرِه .

[١٠٤] التَّاريخُ يَنْزِلُ كالمِطْرَقةِ على رُؤوسِ الذينَ لَيْسَ لَهُم تاريخ .

[١٠٥] المرأةُ العربيةُ مِثْل قِطعة الأثاث . والمرأةُ الغربيةُ مِثْل المِرْحاض العموميِّ .

[١٠٦] إِنْ لَم تَحْفِرْ قَبْري كَلِمَاتُ قَصائدي فَلَسْتُ شَاعِرَاً جَيِّداً .

[١٠٧] الروائيُّ الْمُتَمَكِّنُ قَادرٌ عَلى رَسْمِ أكبر الأحداث في الزَّوايا الضَّيقة .

[١٠٨] تِقنياتُ الحركةِ في فَلسفةِ الشِّعْرِ لها مَصْدَران : عِلْم الرِّياضيات ، ولُعبة التِّنس الأرضيِّ .

[١٠٩] أَسْمَعُ العَالِمَ فَأُعْجَبُ بِهِ ثُمَّ أَعْرِفُ أَنَّهُ يَمْدَحُ الحكامَ فَيَسقط مِن عَيْني .

[١١٠] لَيْسَ في الشِّعرِ دُبلوماسِيَّةٌ ولا مُجَامَلاتٌ .

[١١١] لا بُدَّ أن تُدَمَّرَ هَذِهِ الأرضُ لِيَعُمَّ السلامُ .

[١١٢] المرأةُ الذكيةُ لا تَتزوَّجُ فَيْلَسوفاً .

[١١٣] الْحُزْنُ الْمُوَجَّهُ يَقُودُ إلى الثورة . والْحُزْنُ العَبَثِيُّ يَقُودُ إلى الاكتئاب .

[١١٤] الجاهلُ لا يُنَاقَشُ وإنَّما يُعَلَّمُ .

[١١٥] أطمحُ أن أَكتبَ قَصيدةً يُصْبِحُ فِيها الزمانُ والمكانُ شَيئاً وَاحداً .

[١١٦] تَنتشِرُ فِكْرةٌ غَبِيَّةٌ وَهِيَ أنَّ الفَيْلَسُوفَ لا يَكُونُ فَيْلَسُوفاً إلا إذا ارْتَدَى الاكتئابَ .

[١١٧] الكتابةُ هِيَ كَومةٌ مِن مُضَادَّاتِ الاكتئابِ .

[١١٨] لا أَقْدِرُ أن أَكُونَ إلا غَرِيباً .

[١١٩] أكتبُ الشِّعْرَ كَي أتخلَّصَ مِنَ الكَبْتِ الجِنْسِيِّ .

[١٢٠] أكتبُ بِلُغةٍ تُلْغِيني وَتُغَيِّبني خَلْفَهَا لِتَظَلَّ هِيَ في الضَّوْءِ .

[١٢١] كُلَّمَا تَوَغَّلْنا في دِراسةِ النَّفْسِ البَشريةِ ابْتَعَدْنا عَنها .

[١٢٢] للأسفِ ، لا أَستطيعُ دُخولَ المطاعِمِ الْمُخَصَّصَةِ للعَائلات .

[١٢٣] سِنُّ التَّقاعدِ خُرافةٌ غَيْر مَوجودة إلا على الأوراقِ الرَّسميةِ .

[١٢٤] الفَشَلُ في الْحُبِّ هُوَ الْخُطوةُ الأُولَى في طَرِيقِ الفَلسفةِ .

[١٢٥] انتقادُ الأصلِ يَعْني انتقادَ الفُروعِ ، وانتقادُ الفُروعِ بالكُلِّيةِ يَعني انتقادَ الأصل .

[١٢٦] قَدَرُ العُظَماءِ أن يَعيشوا في مُجْتَمَعَاتٍ مُتَخَلِّفَةٍ .

[١٢٧] إنَّ كَثرةَ الْهُمومِ أَفْقَدَتْنِي الرَّغبةَ في النِّساءِ .

[١٢٨] إنَّ الملوكَ أكثرُ ثَراءً مِنِّي ، لَكِنِّي أَمْلِكُ أشياءَ لا يَقْدِرُونَ عَلى امتلاكِها .

[١٢٩] في المجتمعاتِ الْمُتخلِّفةِ يَصيرُ الفَشَلُ هُوَ النجاحَ الباهرَ .

[١٣٠] كُلُّ حَرْفٍ مِن لُغتي انقلابٌ عسكريٌّ .

[١٣١] الْمَنْطِقُ هُوَ الشَّيْءُ الذي يَعْتَبِرُهُ المهزومون غَيْرَ مَنْطِقِيٍّ .

[١٣٢] إنَّ الفلاسفةَ الذينَ يَنْسَوْنَ أنفُسَهم يَصِيرُونَ صَدَىً لِمُجْتَمَعٍ يَعيشُ في أنفُسِهم .

[١٣٣] لَقَبُ فَيْلَسُوف أَحَبُّ إِلَيَّ مِن لَقَبِ شَاعِر .

[١٣٤] قَدْ يَدْفَعُكَ حُبُّكَ لامرأةٍ إلى الابتعادِ عَنها .

[١٣٥] أَسْوَأُ شَخْصٍ تَعَرَّفْتُ عَلَيْهِ في حَياتي هُوَ أنا .

[١٣٦] الكاتبُ يُسَيْطِرُ على الشَّكلِ العَامِّ للرِّوايةِ ، لَكِنَّ التفاصيلَ تُسَيْطِرُ على الكاتب .

[١٣٧] بَعْضُ الأعراسِ في الحقيقةِ هِيَ مَآتِم .

[١٣٨] كُلَّما دَخَلْنا في الزِّنزانةِ اكْتَشَفْنَا ضَوْءاً سَيُغَيِّرُ العَالَمَ .

[١٣٩] مِن مَصلحةِ الجلادِ أن يَظَلَّ مُصْطَلَحُ " الضَّحِيَّة " عَائِماً .

[١٤٠] تَسويقُ العَمَلِ الأدبِيِّ جُزءٌ أساسيٌّ مِن عَبقريَّةِ النَّص .

[١٤١] الْمَجْدُ يَكْتُبُهُ الكَثِيرون ، لَكِنَّ وَاحِداً فَقط يَصْنَعُه .

[١٤٢] الشَّاعِرُ هُوَ الشَّخْصُ الوَحيدُ الذي يَمْلِكُ مَنْجَمَاً للذهبِ ويَعْمَلُ فِيهِ بِيَدَيْهِ .

[١٤٣] كِتابةُ الشِّعْرِ تَفكيكٌ للعُقَدِ النَّفسيةِ .

[١٤٤] كِتابةُ القَصيدةِ تُشْعِرُني أَنَّني امتدادٌ للأشجارِ دَائمةِ الْخُضْرة .

[١٤٥] اقتحامُ المعركةِ أسهلُ مِن النَّظَرِ إِلَيها عَن بُعْد .

[١٤٦] الدِّيمقراطيةُ للشُّعوبِ الْمُتَخَلِّفةِ مِثْل التَّنورةِ فَوْقَ الرُّكبةِ لِرَاعيةِ الغَنَم .

[١٤٧] يَجِبُ أن نَعترِفَ أنَّنا بِعْنا نِسَاءَنا لِمَن دَفَعَ أكثرَ .

[١٤٨] رُوتينُ الوَظيفةِ يُلْغِي رُوحَ الشَّاعِرِ .

[١٤٩] تَشْعُرُ المرأةُ بالاكتئابِ حِينَ تَفْقِدُ القُدرةَ عَلى الإغراء .

[١٥٠] إذا لَم يَفْهَمْ فَلْسَفتي غَيْري ، فهذا دَليلٌ على أنَّني عَبقريٌّ أو مَجنون .

[١٥١] لَم أنضَم إلى أيِّ حِزْبٍ ، لأنَّني حِزْبٌ سِياسِيٌّ مُعَارِضٌ قَائِمٌ بِذَاتِه .

[١٥٢] عِندَما أتَذَكَّرُ الشَّركسياتِ ، أُدْرِكُ أنَّ مُسْتَقْبَلِي العَاطِفِيَّ ضَاعَ إلى الأبَدِ .

[١٥٣] ظُهُورُ شَخْصٍ مِثْل آينشتاين دَليلٌ بَاهِرٌ عَلى وُجودِ الخالقِ .

[١٥٤] لَحظةُ تَأمُّلٍ وَاحدةٌ تَعْدِلُ حِقْبةً كَامِلةً مِنَ الإبداع .

[١٥٥] لَن يُصْبِحَ الإنسانُ مُبْدِعَاً إلا إذا حَارَبَ القَمْعَ السياسِيَّ والكَبْتَ الجِنسِيَّ .

[١٥٦] كُلَّمَا تَعَمَّقْتُ في كِتابةِ الشِّعْرِ فَهِمْتُ النِّظرياتِ الفِيزيائيةَ والكِيميائيةَ .

[١٥٧] اتَّخَذْتُ كُلَّ الوسائلِ لِحِمَايتي مِنَ العَدُوِّ ، لَكِنِّي لَم أَتَوَقَّعْ أنَّ عَدُوِّي يَسْكُنُ في دَاخِلِي .

[١٥٨] أخْشَى أَن تُصْبِحَ حِيطانُ غُرفتي وَحْدَها القادرةَ على فَهْمِ مَشَاعري .

[١٥٩] في زَمَنٍ يَتَكَلَّمُ فِيهِ المالُ ، لَيْسَ غَريباً أن يَصْمِتَ البَشَرُ .

[١٦٠] أيْنَما تُوجَد العبقريةُ تُوجَد الْمُعاناة .

[١٦١] الدَّعارةُ هِيَ القِطَاعُ الاقتصاديُّ الوَحيدُ الذي لا يُعاني مِنَ البَطالة .

[١٦٢] لا مَعْنَى لِتَفكير الشَّعب لأنَّ النظامَ القَمعيَّ يُفَكِّرُ نِيَابةً عَن الشَّعب .

[١٦٣] لا أحَدَ في هذا العالَم يَستطيعُ مَنْعَ كُتُبي إلا أنا .

[١٦٤] النِّساءُ يَنْجَذِبْنَ إلى الشاعرِ ، لَكِنَّ الشاعرَ الحقيقِيَّ يَهْرُبُ مِنْهُنَّ .

[١٦٥] كَثرةُ الصَّدَماتِ العاطفيةِ التي أَخْتَرِعُها سَاهَمَتْ في تَطويرِ أدواتي الشِّعرية والفلسفية .

[١٦٦] القَصيدةُ العاطفيةُ الفَاشِلةُ دُمْيَةٌ صُنِعَتْ مِن أجْلِ امرأةٍ لا تَسْتَحِقُّها .

[١٦٧] الرُّومانسيةُ الحقيقيةُ هِيَ الكِفاحُ الْمُسَلَّحُ .

[١٦٨] لَوْ أُتِيحَ لِي اختصار وُجودي في كلمة وَاحدة لاخترتُ " الثَّورة " .

[١٦٩] أصعبُ شَيْءٍ على الشَّاعرِ أن يُطْلَبَ مِنهُ تَفسير شِعْره .

[١٧٠] لَن يَشْعُرَ الإنسانُ بِعَناصرِ الطبيعةِ إلا إذا كَان خَاضِعاً لِخَالِقِها .

[١٧١] لَوْ يَعْلَمُ الإنسانُ خُطورةَ نَفْسِه التي بَيْنَ جَنْبَيْهِ لَجَهَّزَ جَيْشَاً لِقِتَالِهَا .

[١٧٢] في أيِّ وَضْعٍ فَاسِدٍ ، سَيَكُونُ الْمُتَفَائِلُونَ هُمُ الفاسدين .

[١٧٣] إنَّ الكَاتِبَ الذي عَاشَ مَغموراً ومَاتَ مَغموراً مَا زَالَ يَمْلِكُ فُرْصَة أن يُكْتَشَفَ بَعْدَ مَوْتِه.

[١٧٤] القصيدةُ تَقُومُ على رُكْنَيْنِ : تأسيسُ المشروعِ ، وانتزاعُ المشروعيةِ .

[١٧٥] التَّعريفُ العِلْمِيُّ للاكتئابِ هُوَ ألا تُصَلِّيَ الفَجْرَ في المسجد .

[١٧٦] العَمَلُ الأدبِيُّ يَصْنَعُ عَالَمَهُ الخاصَّ بِه ، ويَفْرِضُ شُرُوطَهُ عَلى عَناصرِ الواقعِ .

[١٧٧] الْمُعَلَّقاتُ العَشْرُ هِيَ الشِّعْرُ الأكثرُ حَدَاثةً في تاريخ الأدبِ العَرَبِيِّ .

[١٧٨] إذا كانت آراءُ النُّقادِ تُسَيْطِرُ عَلَيْكَ ، فَلَن تُنْتِجَ نَصَّاً جَيِّداً .

[١٧٩] عَلى النُّقادِ أن يَصْعَدُوا إلى أحلامِ الأُدَباء إذا أَرَادُوا أن يَكُونوا مُنْصِفِين .

[١٨٠] النَّصُّ الأدبِيُّ الذي تَفْرِضُهُ الآلةُ الإعلاميةُ سَيَذْهَبُ إلى النِّسيان .

[١٨١] لَن أَترُكَ للتاريخِ فُرصةً للحُكْمِ عَلَيَّ . أنا سَأكتبُ تاريخي بِكَلِماتي .

[١٨٢] القلبُ الذي تَستقِرُّ فِيهِ الفَلسفةُ تَهْرُبُ مِنهُ النِّساءُ .

[١٨٣] بَعْضُ الأُدَباء يَهْرُبُونَ مِنَ الاكتئاب إلى الكتابةِ ، لَكِنَّ كِتَابَاتِهِم تَصِيراً اكتئاباً جَديداً .

[١٨٤] الأُسلوبُ الأدبِيُّ هُوَ أن تَعْرِفَ اسْمَ الْمُؤلِّفِ مِن كِتَابَاتِه دُونَ أن يَكْتُبَ اسْمَهُ .

[١٨٥] إذا عَرَفَ الإنسانُ رَبَّهُ حَقَّ المعرفةِ ، لَن يَقْدِرَ عَلى عِبَادَتِهِ .

[١٨٦] لا أَقْدِرُ أن أَكُونَ إلا مُعَارِضَاً .

[١٨٧] إنَّ أعظمَ تَكْرِيمٍ يُمْكِنُ أن أحْصُلَ عَلَيهِ ، أن تَقِفَ أمامَ قَبري شَركسيةٌ وتَقْرَأ الفاتحةَ .

[١٨٨] تُشَكِّلُ العَوَانِسُ أكبرَ خَطَرٍ عَلى الفَلاسفةِ .

[١٨٩] كُلُّ النِّساءِ اللواتي أَحْبَبْتُهُنَّ وَضَعْنَ قُلُوبَهُنَّ تَحْتَ تَصَرُّفِي وقَد خَذَلْتُهُنَّ جَميعاً .

[١٩٠] اشْتَقْتُ إلى لِقَاءِ النَّاسِ فَوَجَدْتُهُم أشباحاً ، فَاشْتَقْتُ إلى لِقَاءِ خَالِقِ الناس .

[١٩١] الذي يَرَى اللهَ ، لا يَرَى نَفْسَهُ . والذي لا يَرَى نَفْسَهُ ، لا يَرَى الناسَ .

[١٩٢] الدِّيمقراطيةُ هِيَ خَلْخَال في رِجْل عَاهرةٍ مُحترِفةٍ اسْمُها أمريكا .

[١٩٣] الفَيْلَسُوفُ الذي يَكْتُبُ لِنَفْسِهِ يُؤسِّس فَلْسَفَتَهُ في الهواءِ .

[١٩٤] أنا صَفقةٌ خَاسرةٌ بِالنِّسبةِ لأيَّةِ امرأةٍ .

[١٩٥] لا أُحِبُّ أن يَحْمِلَ اسْمِي إلا مُؤَلَّفاتي .

[١٩٦] عِندَما تَتعاملُ مَعَ الذِّئابِ ، مِنَ الغباءِ أن تَفترِضَ حُسْنَ النِّية .

[١٩٧] شَخْصِيَّتي الثَّورِيَّةُ تَتطلبُ ألا أَكُونَ مُتَزَوِّجَاً .

[١٩٨] كِتابةُ القَصيدةِ مِثْل العَمليةِ الجِراحية .

[١٩٩] القَصيدةُ هِيَ الْمُعادَلةُ الأُنثويةُ التي تُعَوِّضُني عَن غِيابِ المرأة في حَيَاتي .

[٢٠٠] كُلَّمَا سَبَحْتُ في اللغةِ اكتشفتُ العناصرَ الرَّمزيةَ في السُّلوكِ البَشَرِيِّ الغامِضِ .

[٢٠١] أنا مُحَاصَرٌ مُنذُ وِلادتي بَيْنَ انحطاطِ الغَرْبِ وانحطاطِ الشَّرْقِ .

[٢٠٢] عِندَما يُصْبِحُ العَقْلُ فَارِغَاً يَنحصِرُ التفكيرُ في الفَرْجِ .

[٢٠٣] الجامعاتُ هِيَ مَقابرُ العِلْمِ والعُلَماء .

[٢٠٤] عِندَما يَسْتَقِرُّ قَلْبي في رُوحِ الجماهيرِ ، سَأتحوَّلُ إلى فكرةٍ لا تَموتُ مَعَ الأيامِ .

[٢٠٥] اعتادَ الناسُ عَلى السُّجون ، فَصَارَت الحرِّيةُ خَطَرَاً على حَياتهم .

[٢٠٦] الموْتُ هُوَ الفِعْلُ التَّحريريُّ الشَّامِلُ .

[٢٠٧] شَيْءٌ مُؤسِفٌ أنَّني لَن أتَمَكَّنَ مِن شَرْحِ نَظرياتي الفلسفيةِ لِحِيطانِ غُرفتي .

[٢٠٨] البَشَرُ صِنْفَان : صِنْفٌ يَنامُ ، وصِنْفٌ يَسْهَرُ عَلى أُولئك النَّائمين .

[٢٠٩] كُلُّ الجوائزِ الأدبيةِ في العالَمِ مُسَيَّسَةٌ .

[٢١٠] الشَّخصان الوَحيدان القادران على كَسْر رُوتين العالَم هُما العَبقريُّ والمجنون .

[٢١١] التناقضُ جُزْءٌ أساسِيٌّ مِنَ القَلَق ، والقلقُ جُزْءٌ أساسِيٌّ مِنَ الإبداع .

[٢١٢] الفَيْلَسُوفُ أعظمُ عَقْلٍ بَشَرِيٍّ بَعْدَ النَّبِيِّ .

[٢١٣] لَم أَلْمِس امرأةً في حَياتي ، لَكِنَّني دَائِماً في لَيْلةِ الدُّخلةِ .

[٢١٤] نظريةُ الاقتحامِ هِيَ القَاسِمُ الفَلسفِيُّ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَ لَيْلةِ الدُّخلةِ والانقلابِ العسكريِّ .

[٢١٥] أنا والرَّاهباتُ نَمتلِكُ نَفْسَ نَوْعِيَّةِ الاكتئابِ ، وَنَفْسَ الفَرَاغِ العاطفيِّ .

[٢١٦] الشَّرْكَسِيَّاتُ والبُوسنِيَّاتُ جَنَاحَان لِعُصفورٍ يَتيمٍ اسْمُه قَلبي الجريحُ .

[٢١٧] أكتبُ بِدَمِي الْمَحَلِّيِّ ، وَيَكتبون بالحِبْرِ الْمُسْتَوْرَدِ ، وَهَذا مَا يُمَيِّزُني عَنْهُم .

[٢١٨] الرُّومانسيةُ أن تَتَزَوَّجَ أَرْمَلَتُكَ مِن جَارِكَ بَعْدَ اغتيالِكَ .

[٢١٩] كُلُّ النِّساءِ اللواتي أَخَذْنَ قَلْبي لَم يَقُمْنَ بِإرجاعه .

[٢٢٠] الموْتُ هُوَ التَّجسيدُ الأعلى للحياةِ .

[٢٢١] صِنْفَان لا تَمْزَحْ مَعَهُمَا : تُجَّار الْمُخَدِّرات وَتُجَّار الأسلحة .

[٢٢٢] النِّساءُ الوَحيداتُ اللواتي لا يَضَعْنَ مِكْيَاجاً هُنَّ الْحُورُ العِين .

[٢٢٣] لأنَّني أُحِبُّ المرأةَ لَم أتَزَوَّجْ .

[٢٢٤] سُلطةُ المعلِّم على تِلْميذته أعْلَى مِن سُلطة أبيها عَلَيها .

[٢٢٥] التَّناقضُ والفَوْضَى رُكنان أساسِيَّان مِن أركانِ النِّظام .

[٢٢٦] عِندَما يُصْبِحُ الإنسانُ شَاعِراً يُدْرِكُ أنَّ الدنيا أصغرُ مِن ثُقْبِ الإبْرَة .

[٢٢٧] الكِتابةُ تَجْعَلُني أشْعُرُ أنَّ الملِكَاتِ سَبَايا في قَصْري .

[٢٢٨] الكاتبُ الذي يَكْتُبُ كَي تُتَرْجَمَ أعمالُه أوْ يَفُوزَ بالجوائزِ لَن يُحَقِّقَ أيَّ شَيْءٍ .

[٢٢٩] القَصيدةُ العَظيمةُ هِيَ التي لا تَقْدِرُ أن تَكْتُبَهَا .

[٢٣٠] تَخَيَّلْ مَشَاعِرَ الإمامِ الشَّافِعِيِّ لَوْ وُجِدَ في حَفْلِ الأُوسكار . هَذه مَشَاعري بالضَّبْط.

[٢٣١] المشكلةُ أنَّ ألَدَّ أعدائي يَعيشون مَعي: الاكتئاب، والوَسْواس القَهْرِيُّ ، والفراغ العاطفيُّ.

[٢٣٢] المفكِّرُ الذي يَعيشُ في مُجتمَع مُتخلِّف ، لا يَمْلِكُ وَقْتاً كَافِياً للإبداع الشخصيِّ .

[٢٣٣] اعتيادُ رُؤيةِ الأشياءِ يَمْنَعُنا مِن رُؤية الأشياء .

[٢٣٤] الشِّعْرُ والْحُبُّ يُولَدَان مَعَاً ، وَيَمُوتان مَعَاً .

[٢٣٥] الشَّاعِرُ يُسيطِرُ عَلى القَصيدةِ قَبْلَ نَشْرِها ، أمَّا بَعْدَ النَّشْرِ فَهِيَ تُسيطِرُ عَلَيه .

[٢٣٦] غَالبيةُ العَواملِ التي تَقُودُ الأديبَ إلى العالَمية ، لَيْسَ لها علاقة بالأدب .

[٢٣٧] لَيْلَةُ الدُّخلةِ الحقيقيةُ هِيَ الليلةُ الأُولَى في القَبْرِ .

[٢٣٨] لَوْلا كِتابةُ الشِّعْرِ لَمَا عَرَفْتُ أنَّ في دَاخِلِي كُلَّ هذه الأحزان .

[٢٣٩] أُخَطِّطُ لِكِتابةِ القَصيدةِ كَمَا يَتِمُّ التَّخطيطُ للانقلابِ العسكريِّ .

[٢٤٠] الشِّعْرُ خَارطةٌ لإرشادِ الإنسانِ إلى إنسَانِيَّتِه .

[٢٤١] السُّمُوُّ الأخلاقيُّ أن نُدَافِعَ عَن الضُّعَفاء ونَحْنُ نَعْرِفُ أنَّهُم لَن يُدَافِعُوا عَنَّا .

[٢٤٢] أَسْوَأ أنواعِ البَشَرِ هُم الذين يُدَارُون بِوَاسطةِ أجهزةِ التَّحكم عَن بُعْد .

[٢٤٣] ضَريبةُ العَيْشِ في مُجتمَع مُتخلِّف لا يَدْفَعُها إلا الفلاسفة .

[٢٤٤] أَعْرِفُ أنَّ الكِتابةَ في العَالَمِ العَرَبِيِّ لا تُطْعِمُ خُبزاً ، لَكِنِّي أكتبُ لِكَيْلا أتعاطَى الكُوكايين .

[٢٤٥] إذا كانَ الإنسانُ عَاقِلاً بَيْنَ مَجانين ، فَإِمَّا أن يَنتحِرَ أوْ يُصاب بالجنون .

[٢٤٦] حَياةُ الشُّعراءِ تَتَرَكَّزُ في جَعْلِ الْحُبِّ الْمُستحيلِ حُبَّاً مُمْكِنَاً .

[٢٤٧] إنَّ الإنسانَ الذي لَيْسَ لَدَيْهِ ما يَخْسَرُهُ هُوَ شَخْصٌ مَيْتٌ لَم يَجِدْ مَن يَدْفِنُهُ .

[٢٤٨] المرأةُ تُحِبُّ الرَّجُلَ الذي يَضْحَكُ عَلَيها ويَلْعَبُ بِمَشاعرها .

[٢٤٩] الآلةُ الإعلاميَّةُ الغربِيَّةُ تُحَوِّلُ الجاهِلَ إلى مُفَكِّرٍ عَالَمِيٍّ .

[٢٥٠] الشَّرْقُ كالمرأةِ الجميلةِ التي زَوْجُها أعْمَى ، والغَرْبُ كالمرأةِ القَبيحةِ التي زَوْجُها شَاعِر.

[٢٥١] الْحُبُّ مِثْل الكَهْرَباء ، لَن تَشْعُرَ بِهِ إلا إذا لَسَعَكَ .

[٢٥٢] كَوكبُ الأرضِ بالكَامِلِ لا يُنَاسِبُ الإنسانَ .

[٢٥٣] المشاكلُ مَعروفةٌ ، والْحُلُولُ مَعروفةٌ ، لكنَّ الأُمورَ تَزداد سُوءاً .

[٢٥٤] كُلَّمَا اقتربَ الإنسانُ مِنَ الفَلْسَفةِ ابتعدَ عَن المرأة .

[٢٥٥] أنا لا أَسْتَحِقُّ أن تُضَحِّيَ أيَّةُ امرأةٍ مِن أَجْلِي .

[٢٥٦] الحياةُ مِثْل لُعبة كُرَةِ القَدَمِ . هُناك لاعبون أسَاسِيُّون ، ولاعبون احْتِيَاطِيُّون .

[٢٥٧] في العَالَمِ العَرَبِيِّ لا تُسَاهِمُ جَودةُ الكتابِ في انتشارِه، وإنَّما الضَّجةُ الإعلاميةُ الْمُرَافِقة له. [٢٥٨] عَدَمُ الزَّواجِ كَارِثَةٌ ، لَكِنَّ الزَّواجَ كَارِثَةٌ أكبر .

[٢٥٩] أنا لا أَصْلُحُ أن أَكُونَ أَبَاً ، والنِّساءُ اللواتي أَحْبَبْتُهُنَّ لا يَصْلُحْنَ أن يَكُنَّ أُمَّهات .

[٢٦٠] لا يُمْكِنُ للإنسانِ أن يُصْبِحَ فَيْلَسُوفاً إلا إذا عَرَفَ كَيْفَ تُفَكِّرُ الْمُومِساتُ .

[٢٦١] الوَسَطُ الأدبِيُّ مِثْل الوَسَطِ الفَنِّيِّ ، كِلاهُمَا قَذِر .

[٢٦٢] أفضلُ طَريقةٍ للتَّخلصِ مِنَ الرُّوتين أن تُقَدِّمَ اسْتِقَالَتَكَ .

[٢٦٣] لا أحَدَ يَأخُذُ مَكَانَ أحَدٍ في هذا العَالَمِ .

[٢٦٤] السِّياسةُ فَلسفةُ التَّرقيع ، والأدبُ فَلْسفةُ الصَّعْقِ .

[٢٦٥] إذا وَضَعْتَ مَصِيرَكَ في أيْدِي الآخرين ، فَشَيْءٌ طَبيعيٌّ أن يَلْعَبُوا بِكَ .

[٢٦٦] في التناقضاتِ الاجتماعيةِ الصَّارخةِ ، تَظهرُ مَشاعرُ الناسِ الحقيقيةُ .

[٢٦٧] أنا لا أَشْعُرُ بالْحَنَان ، فَلا يُمْكِنُني أن أَمْنَحَهُ لِزَوْجَةٍ وأطفالٍ .

[٢٦٨] أشْعُرُ بالأمانِ حِينَ أكُونُ مُحَاطَاً بالكُتُبِ .

[٢٦٩] وَظيفةُ الكَاتبِ أن يَزْرَعَ . ولا أحَدَ يَعْرِفُ مَوْعِدَ الحصَادِ أوْ هُوِيَّةَ الحاصِدِ .

[٢٧٠] إذا أَرَدْتَ أن تَصِلَ إلى هَدَفِكَ ، فلا بُدَّ أن تُزِيحَ نَفْسَكَ مِن طَرِيقِك .

[٢٧١] إنَّ اللهَ ابْتَلاني بالوَسْواسِ القَهْرِيِّ كَي يَمْنَعَنِي مِنَ التَّحَوُّلِ إلى زِيرِ نِساء .

[٢٧٢] لا فَرْقَ بَيْنَ الضَّوْءِ القَوِيِّ والظلامِ .

[٢٧٣] شَيْءٌ مُؤلِمٌ أنَّني لَن أَجِدَ امرأةً تَبْكي عَلَيَّ بَعْدَ شَنْقي .

[٢٧٤] الْمُوَظَّفُ المنبوذُ في العالَمِ العربِيِّ هُوَ الذي يُؤدِّي عَمَلَهُ بإتقان .

[٢٧٥] الْمُعَلِّمُ الْمُتَمَكِّنُ مَن يَصْنَعُ تَلاميذَ يَتَفَوَّقُونَ عَلَيه .

[٢٧٦] عِندَما يَصِلُ الحِوَارُ إلى طَرِيقٍ مَسْدُودٍ ، فأسهلُ كَلِمَة لِوَصْفِ الخصم هِيَ " عَميل " .

[٢٧٧] المرأةُ التي أُحِبُّها ، لا أُحِبُّ أن أتَزَوَّجَهَا .

[٢٧٨] تَعَمَّقْتُ كَثيراً في الفَلْسَفةِ حَتَّى صِرْتُ أشْعُرُ أنَّني عَاجِزٌ جِنسِيَّاً .

[٢٧٩] الفَيْلَسُوفُ هُوَ شَخْصٌ عَادِيٌّ يَبْحَثُ عَن اللذَّةِ بَعيداً عَن المالِ والطعامِ والجِنْسِ .

[٢٨٠] عِندَما يَصِلُ الإنسانُ إلى رُتبة " فَيْلَسُوف " فإنَّهُ يَتزوَّجُ نَفْسَه .

[٢٨١] الْحُلْمُ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ إلا الْحُلْم .

[٢٨٢] إذا كانت النِّساءُ يَتَسَاقَطْنَ عَلَيْكَ كالذبابِ ، فإمَّا أن تَكُونَ عَسَلاً أَوْ مَزْبَلةً .

[٢٨٣] البُكاءُ جُزْءٌ أساسِيٌّ مِنَ الرُّجولة .

[٢٨٤] الدُّوَلُ الفاشلةُ لا تَبْحَثُ عَن النَّصْرِ أو المجدِ ، وإنَّما تَبْحَثُ عَن تَقليلِ الخسائر .

[٢٨٥] لَن يَتَصَالَحَ الإنسانُ مَعَ إنسانِيَّته إلا إذا قَتَلَ الخوفَ الكامنَ في ذَاتِه .

[٢٨٦] أعيشُ الْحُبَّ في كِتاباتي ، لأنَّني لا أَجِدُ الْحُبَّ في حَيَاتي .

[٢٨٧] مَن تَعَوَّد عَلى العَيشِ في المزابلِ سَتَقْتُلُه رَائحةُ العِطْرِ .

[٢٨٨] إنَّ المجتمعَ يَفْقِدُ شَرعيته عِندَما يُقَارِنُ بَيْنَ الْمُومِسِ والزَّوجةِ الخائنةِ .

[٢٨٩] الفَلْسَفةُ والكَبْتُ الجِنْسِيُّ ضِدَّان لا يَجتمعان .

[٢٩٠] فِعْلُ الكِتابةِ يَتناسَبُ مَعَ طَبيعتي الانطوائِيَّةِ .

[٢٩١] شَيئان يَلْمَعَان في حَياتي : وَجْهُ الشَّركسية ، وحَبْلُ مِشْنَقتي .

[٢٩٢] لا فَائِدَةَ مِنَ الذِّكرياتِ ، لأنَّ مَلَكَ الموْتِ لا يَعترِفُ بالذِّكرياتِ .

[٢٩٣] فَلْسَفتي الحياتِيَّةُ هِيَ النَّظَرُ إلى مَا وَراء لَيْلةِ الدُّخلةِ .

[٢٩٤] احتراقي في الرُّومانسيةِ الافتراضِيَّةِ أفضلُ مِن احتراقي في مَلَلِ الحياةِ الزَّوجيةِ .

[٢٩٥] عِندَما عَرَفْتُ حَقيقةَ الأُمَّةِ العربيةِ ، عَرَفْتُ لِمَاذا طَرَدَنا اللهُ مِنَ الأندلسِ وفِلِسْطِين .

[٢٩٦] عَلى الْمَرْءِ أن يَخْرُجَ مِن نَفْسِه ثُمَّ يَنْظُر إلَيها .

[٢٩٧] الكِفاحُ الْمُسَلَّحُ مِن أفضلِ الطُّرُقِ للتَّخلصِ مِنَ الصَّدَماتِ العَاطِفِيَّةِ .

[٢٩٨] أن تَكُونَ قَزَماً بَيْنَ العَمَالِقَةِ أفضلُ مِن أن تَكُونَ عِمْلاقاً بَيْنَ الأقزام .

[٢٩٩] المرأةُ الأُسطورِيَّةُ هِيَ التي إذا رَأَيْتُهَا زَالَ اكتئابي .

[٣٠٠] الثقافةُ في العَالَمِ العَرَبِيِّ مِثْل امرأةٍ جَميلةٍ لَكِنَّها عَانِس .

[٣٠١] في حَيَاتي لَم يَتَحَوَّل الْحُبُّ إلى زَواجٍ ، وَإنَّما تَحَوَّلَ إلى ذِكْرَياتٍ ، فَتَزَوَّجْتُ الذِّكرياتِ .

[٣٠٢] إنَّ سَمَاحَ الحكوماتِ بِنَشْرِ كُتُبي دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلى أنَّ العَرَبَ لا يَقْرَؤُون .

[٣٠٣] الفَيْلَسُوفُ مِثْلُ طَبيبِ الأمراضِ النِّسائيةِ والتَّوليدِ .

[٣٠٤] وَظيفةُ الشَّاعرِ هِيَ تَحويلُ الكَلِمةِ إلى رَصاصة .

[٣٠٥] أعظمُ أُسْلُوبٍ أدَبِيٍّ هُوَ اللاأُسلوب .

[٣٠٦] مَقْتَلُ عِمَاد الفَايد لَحظةٌ مَفْصَلِيَّةٌ غَيَّرَتْ مَفهومَ العلاقةِ الرُّومانسِيَّةِ بَيْنَ الشَّرْقِ والغَرْبِ .

[٣٠٧] إذا أَرَدْتَ مَعرفةَ طَريقةِ تَفكيرِ الإنسانِ ، فانظُر مِن أَيْنَ يَأخُذُ رَاتِبَه .

[٣٠٨] لا مَعْنَى للحُبِّ إذا لَم يَكُنْ قَاتِلاً .

[٣٠٩] الكِتابةُ غَريزةٌ للبَقاءِ ، وَلَيْسَتْ هِوايةً لِمَلْءِ وَقْتِ الفَراغ .

[٣١٠] فَشِلْتُ في الْحُبِّ لأنَّ أُسلوبي في القضايا العاطِفِيَّةِ كأسلوبِ هِتْلَر في القضايا العسكريةِ.

[٣١١] الفَيْلَسُوفُ بَيْنَ قَطيعِ الغَنَمِ هُوَ جُزْءٌ مِنَ الغَنَمِ .

[٣١٢] المرأةُ في حَياتي ثلاثة أنواع : أُحِبُّها ولا أحترِمُها . أحترِمُها ولا أُحِبُّها . أُحِبُّها وأحترِمُها .

[٣١٣] أُمَارِسُ الكتابةَ لأُفَكِّكَ عُقَدي النَّفسيةَ ، وَأَصْدِمُ صَدَمَاتي العاطفيةَ .

[٣١٤] لا أحَدَ يَستشيرُ الجاريةَ . النَّخاسُ _ وَحْدَه _ مَن يُحَدِّد السِّعْرَ .

[٣١٥] الإنسانُ مُنذُ وِلادته مَحكومٌ بالإعدامِ .

[٣١٦] الحمدُ للهِ أنَّني فَشَلْتُ في الْحُبِّ مُبَكِّرَاً كَي أتفرَّغَ لِطَلَبِ العِلْمِ .

[٣١٧] المشكلةُ الرُّومانسِيَّةُ في المجتمَع هِيَ أنَّ كُلَّ رَجُلٍ يَظُنُّ نَفْسَهُ دُودي الفايد .

[٣١٨] الفَيْلَسُوفُ تَاجِرٌ نَاجِحٌ لأنَّهُ يَستثمِرُ في جَسَدِ التاريخِ .

[٣١٩] المواطنُ العَرَبِيُّ لا دَاعِيَ أن يَنتحِر ، لأنَّهُ كُلَّ يَوْمٍ يَنتحِرُ .

[٣٢٠] عِندَما يَذُوبُ المِكْياجُ يَختفي الفَرْقُ بَيْنَ الملِكَةِ وَخَادِمَتِها .

[٣٢١] لَوْ لَم يَكُنْ هُناكَ مَوْتٌ لَتَمَنَّى الإنسانُ وُجُودَ الموْتِ .

[٣٢٢] الغريقُ لا يَحِقُّ لَهُ أن يُحَدِّدَ نَوْعَ طَوْقِ النَّجاة .

[٣٢٣] الحكومةُ مِثْل الْمُومِس . تَنْظُر إِلَيك كَزَبُون ، وتَنْظُر إِلَيها كَسَاقطةٍ .

[٣٢٤] يَزدادُ شُعوري بالغُربةِ كُلَّما نَظَرْتُ إلى المِرْآةِ .

[٣٢٥] اللهُ _ وَحْدَهُ _ هُوَ الْمَلِكُ الذي لا يُمْكِنُ خَلْعُه .

[٣٢٦] المشاعرُ الإنسانيةُ لا تَسْقُطُ إِلا إذا اجتمعَ غَباءُ المرأةِ مَعَ نَذالةِ الرَّجُلِ .

[٣٢٧] المريضُ أفضلُ مَن يُشَخِّصُ المرضَ .

[٣٢٨] مَن يَتَزَوَّج امرأةً خَائِنةً كالذي يَشتري سَمَكَاً في الماءِ .

[٣٢٩] السِّياسةُ في العالَم العَرَبِيِّ لا تَختلِفُ عَن رَعْيِ الغَنَم .

[٣٣٠] أعظمُ شُعورٍ أن تُصَلِّيَ الفَجْرَ في المسجدِ، وَأَسْوَأ شُعورٍ أن يُحِبَّ الشخصُ امرأةً مُتَزَوِّجَةً.

[٣٣١] الْحُبُّ كالبِطِّيخِ لا يُعرَف طَعْمُه إلا بِغَرْسِ السِّكين فِيه .

[٣٣٢] الشِّعْرُ هُوَ ثَورةُ المعنَى ، وانقلابُ الذِّكرياتِ عَلى الذِّكرياتِ .

[٣٣٣] أعظمُ مَبادئِ العُلومِ السِّياسيةِ أن تَعتبِرَ السِّياسِيِّين كاذبين .

[٣٣٤] أفضلُ مَكانٍ للاختباءِ مِنَ الشُّرطةِ هُوَ مَخْفر الشُّرطة .

[٣٣٥] الشخصُ الذي لا يَعْرِفُ الإمساكَ بالمسدَّسِ ، لَن يَعْرِفَ قِراءةَ مُعَاهَدَةِ السلام .

[٣٣٦] مَن يُحِب امرأةً مَيْتةً سَيَكُونُ وَاثِقاً أنَّها لَن تَخُونَه .

[٣٣٧] الْحُبُّ مِثْل انتظارِ القِطارِ في المحطةِ . إِنْ تَأَخَّرْتَ عَن الموْعِد سَيَفُوتُكَ القِطَار .

[٣٣٨] لا أستغرِبُ مِن الذين يَكْرَهُونني . أستغرِبُ مِنَ الذينَ يُحِبُّونني .

[٣٣٩] قُل لِي كَم قِيمةُ فَاتورةِ الهاتفِ أَقُلْ لَكَ مَنْ زَوْجَتُك .

[٣٤٠] الكتابةُ تَكْسِرُ رُوتينَ الحياةِ .

[٣٤١] في الوَطَنِ العَرَبِيِّ تَكُونُ لَيْلةُ الدُّخلةِ مِثْلَ الذهابِ إلى دَائرةِ الْمُخَابَرَاتِ .

[٣٤٢] لأنَّني فاشلٌ في الْحُبِّ عَلى أرضِ الواقعِ ، أصْنَعُ الْحُبَّ في أعمالي الأدبية .

[٣٤٣] المأزِقُ الإنسانِيُّ يَتَجَلَّى في دَوَرَانِ الفَرْدِ حَوْلَ الحياةِ دُون أن يَعِيشَها .

[٣٤٤] إِنْ تَزَوَّجْتُ صِرْتُ شَخصاً عَادِيَّاً .

[٣٤٥] الشِّعْرُ الحقيقيُّ بَحْثٌ عَن القَصيدةِ ، ولَيْسَ كِتابةً للقَصيدةِ .

[٣٤٦] عُقدةُ حَياتي شَيئان : قِيادةُ السَّياراتِ ، ولَيْلةُ الدُّخلةِ .

[٣٤٧] فَترةُ اكتئابي مِثْل فَترةِ الحيْضِ للمرأة .

[٣٤٨] أنا سَعيدٌ لأنَّ كُلَّ النِّساءِ عَجِزْنَ عَن إيقاعي في مِصْيَدةِ الزواج .

[٣٤٩] لَم أُكَوِّنْ أُسْرَةً لأنَّني أُريدُ التَّفرغَ لأُسْرتي الحقيقيةِ (اللغة) .

[٣٥٠] القُوَّةُ الذاتيةُ لَيْسَتْ مُكْتَفِيَةً بِذَاتِها .

[٣٥١] بِمَا أنَّ الإنسانَ يَذْهَبُ إلى المِرْحاضِ . إِذَن ، لا فَرْقَ بَيْنَ الْمَلِكِ وخَادِمِهِ .

[٣٥٢] في المجتَمَعَاتِ المتخلِّفةِ يَتِمُّ تحديدُ قِيمةِ الإنسانِ حَسَبَ نَوعيةِ السَّيارةِ التي يَرْكَبُها .

[٣٥٣] أفضلُ تَعريفٍ للشِّعْرِ هُوَ الشِّعْرُ .

[٣٥٤] وَظيفةُ المثقفِ أن يظلَّ شَوكةً في حَلْقِ النظامِ الحاكِمِ .

[٣٥٥] نُقطةُ ضَعْفِ اللصِّ أنَّهُ يَعْلَمُ أنَّه لِص .

[٣٥٦] الكاتبُ لا يَنتحِرُ إلا إذا فَقَدَ الشَّغَفَ بالكتابةِ .

[٣٥٧] أنا كالزِّلزالِ لا يُرَى ، لَكِنَّ آثارَهُ تُرَى .

[٣٥٨] أن أَعْمَلَ طَبَّالاً في مَلْهَىً لَيْلِيٍّ أفضلُ مِن أن أحْكُمَ شَعباً مِنَ الأغنام .

[٣٥٩] عِندَما أكتبُ أمتلِكُ سُلطةً سِحريةً .

[٣٦٠] المرأةُ العربيةُ مِثْل بِرْمِيلِ النِّفْطِ الخام .

[٣٦١] عَالَمُ الرَّاهباتِ في الأدْيِرَةِ يُمَثِّلُ لِي مَا تُمَثِّلُهُ ألف لَيْلة ولَيْلة في العقل الغربِيِّ .

[٣٦٢] أجْمَلُ شَيْءٍ في الحياةِ ألا تنتظِرَ أحَداً كَي يُحِبَّكَ أوْ يُسَاعِدَكَ .

[٣٦٣] القانونُ الذي يَحْكُمُ الشريفاتِ لَيْسَ هُوَ القانونَ الذي يَحْكُمُ الراقصاتِ .

[٣٦٤] الفَيْلَسُوفُ عَامِلُ نَظافةٍ في قَلْبِ الإنسانيةِ .

[٣٦٥] القَصيدةُ هِيَ الأُنثى التي لا تَحِيضُ ، ولا تَخُونُ ، ولا تُصاب بالشَّيخوخة .

[٣٦٦] أصعبُ شَيْءٍ عَلى الرَّجل أن يَحتاجَ إلى صَدْرِ امرأةٍ يَبكي عَلَيهِ ولا يَجِده .

[٣٦٧] إنَّ البِئْرَ التي أَبْصُقُ فِيها ، لا أَعُودُ للشُّربِ مِنها ، حَتَّى لَوْ مِتُّ عَطَشَاً .

[٣٦٨] لَن يَستطيعَ أحَدٌ اغتيالَكَ إذا كانَ قَلْبُكَ هُوَ حَارِسَكَ الشَّخصيَّ .

[٣٦٩] إذا كُنتَ إنساناً حَقيقياً سَوْفَ يَزداد ألَمُكَ وتتكاثر مصائبُك .

[٣٧٠] لَن يَشعرَ الإنسانُ بالسَّعادةِ إلا إذا تَحَرَّرَ مِنَ الخوفِ .

[٣٧١] الْمُسْتَغني عَن العَناصرِ هُوَ سَيِّدُ العَناصرِ .

[٣٧٢] النِّساءُ العَرَبِيَّاتُ يُنْفِقْنَ عَلى المِكياج أكثرَ مِمَّا تُنفِق الدُّوَلُ العربية على البحث العِلْميِّ .

[٣٧٣] الشَّاعِرُ يَسْبِقُ زَمَنَه والناسَ ، لذلكَ لا يُعْرَفُ في عَصْرِهِ .

[٣٧٤] سُلطةُ قَائدِ المعركةِ على أرضِ المعركةِ أعْلَى مِن سُلطةِ رَئيسِ الدَّولة .

[٣٧٥] أن تَكُونَ المرأةُ عَانِساً أفضلُ مِن أن تَكُونَ مِمْسَحةً لِحِذاءِ زَوْجِها أوْ صَحْناً في المطبخِ .

[٣٧٦] أكتبُ كَي أعْرِفَ لِمَاذا أنا فاشلٌ في الْحُبِّ .

[٣٧٧] عَلى الشَّاعرِ أن يَسْأَلَ نَفْسَهُ : هَل أنا أكبرُ مِن قَصيدتي أَم أَصْغَرُ مِنها ؟ .

[٣٧٨] العَبقريُّ مَن يَعْرِفُ أنَّهُ مَريضٌ نفسِيَّاً ، وَيَبدأُ رِحلةَ البَحْثِ عَن العلاج .

[٣٧٩] الشعوبُ تَرقصُ في الملهى النهاريِّ ، وَالرَّاقصاتُ يَرْقُصْنَ في الملهى الليليِّ .

[٣٨٠] لا يُمْكِنُ للفَيلسوفِ أن يَمتلِكَ شَعبيةً في أيِّ مُجتمع .

[٣٨١] أكثرُ شَخص يُثير استغرابي هُوَ العاجز جِنسياً الذي يُقْدِمُ على الزَّواج .

[٣٨٢] الرُّومانسيةُ الفاشلةُ في المجتمع المتقدِّم أفضلُ مِن الزَّواج الناجح في المجتمع المتخلِّف

.

[٣٨٣] اسْتَفَدْتُ مِن أعدائي أكثرَ مِن أصدقائي .

[٣٨٤] في أعمالِنا الأدبية نَصنعُ قَاتِلِينا بأيْدِينا .

[٣٨٥] قَد يَكُونُ الْحُبُّ شَكْلاً آخَرَ للخِيانةِ .

[٣٨٦] إذا رَأَيْتَ ذُبابةً تَطيرُ فَوْقَ العَسَلِ ، ثُمَّ تَحُومُ حَوْلَ أكوامِ القُمامةِ، فلا تَصِفْها بأنَّها حمقاء .

[٣٨٧] أكْرَهُ الشِّعْرَ الْمُعَدَّلَ وِرَاثِيّاً .

[٣٨٨] كَسْرُ الصَّنمِ أهَمُّ مِن تَحذيرِ الناسِ مِن عِبادته .

[٣٨٩] أكبرُ عِبْءٍ يَحْمِلُهُ الرَّجُلُ هُوَ أن تَضَعَ المرأةُ ثِقَتَهَا فِيه .

[٣٩٠] الرُّومانسِيَّةُ الحالمةُ سَتُدَمِّرُ الزواجَ .

[٣٩١] الكِتابةُ شَكْلٌ آخَر للدَّمِ النَّقِيِّ لأنَّنا نَكتبُ بِدَمِنا ، ولا نَكتبُ بالحِبْرِ الْمُسْتَوْرَدِ.

[٣٩٢] لا تَقْدِرُ المرأةُ أن تَستمِدَّ أُنوثَتَهَا مِن سَيَّارةِ المرسيدس .

[٣٩٣] أستمتِعُ بالكِتابةِ عَن حُفَرِ المجاري .

[٣٩٤] الفَلسفةُ هِيَ الشُّعورُ بالشَّيخوخةِ في مَرحلةِ الشباب .

[٣٩٥] أحياناً أتعاملُ مَعَ الفِكرةِ كَما يَتعاملُ الطبيبُ الشَّرْعِيُّ مَعَ جُثةِ امرأةٍ مُغْتَصَبَةٍ .

[٣٩٦] الكاتبُ العَرَبِيُّ ضَائعٌ في كُلِّ الحالاتِ .

[٣٩٧] شَخصيةُ الكاتبِ تَختلِفُ عَن هُوِيَّةِ الكِتابةِ .

[٣٩٨] الجوائزُ الأدبيةُ مِثْل مُكافأةِ نِهايةِ الخِدمة .

[٣٩٩] الرُّومانسيةُ في المجتمعَاتِ المتخلِّفةِ كالدِّيمقراطيةِ في المجتمعَاتِ المتخلِّفةِ .

[٤٠٠] الشَّريعةُ هِيَ التي تُوَفِّرُ الغِطَاءَ الشَّرْعِيَّ للأشياء والعلاقات .

[٤٠١] البُوفِيه مَفتوحٌ لَكِنِّي فَاقِدٌ للشَّهيةِ .

[٤٠٢] عِندَما يُصْبِحُ الوَطَنُ مَنْفَىً ، والمنفَى وَطَناً ، على الإنسانِ أن يُعيدَ بِناءَ إنسانِيَّتِه .

[٤٠٣] عَلِّم العَبيدَ كَيْفَ يَكْسِرُونَ قُيودَهم ، ولا تُعَلِّمْهُم أناشيدَ الحرِّيةِ .

[٤٠٤] الإنسانُ هُوَ السَّجينُ الجاهلُ الذي يَهْرُبُ مِن سِجْنٍ إلى سِجْنٍ .

[٤٠٥] إذا تَخَلَّصَ العَالَمُ الخارجيُّ مِنكَ سَتَجِدُ عَالَمَكَ الداخليَّ .

[٤٠٦] المرأةُ مِثْل الفَرَس الجامح ، لا يُمْكِن إدخالُها إلى الإسطبل .

[٤٠٧] التَّعَمُّق في الرُّومانسيةِ قَد يُسبِّب الشُّعورَ بالقَرَفِ مِن مُمارَسة الجِنس .

[٤٠٨] عَلاقتي مَعَ النِّساءِ مِثْل عَلاقةِ الإمامِ ابْنِ حَزْم مَعَ النِّساءِ .

[٤٠٩] الفَراغُ في حَياةِ المرأةِ المتزوِّجةِ سَيَقُودُها حَتماً إلى الخِيانةِ الزَّوجية .

[٤١٠] نُقطةُ قُوَّتي أنَّني لا أثِقُ بالنِّساءِ .

[٤١١] الشَّخْصُ النَّكِرَةُ هُوَ الذي يَعتبر مُمَارَسَةَ الجِنْسِ مَعَ زَوْجَته وَسيلةً للخُلودِ والتَّخليد .

[٤١٢] أُريدُ مِنَ الناسِ أن يَنْسَوْني ، ويَتَذَكَّروا كِتاباتي .

[٤١٣] حَجَرْتُ على نَفْسِي كَي أُرِيحَ العَالَمَ مِنِّي .

[٤١٤] النجاحُ يَضغطُ على الإنسانِ ، والفَشَلُ يُزيلُ الضغطَ .

[٤١٥] إذا كانت غَالِبِيَّةُ قُرَّائِكَ مِنَ النِّساءِ فأنتَ كَاتِبٌ ضَعيفٌ .

[٤١٦] في المجتمعات المتخلِّفة تَنفصل الرُّومانسيةُ عَن الزواج .

[٤١٧] الشَّخْصُ العاديُّ تُعْرَفُ قِيمَتُهُ مِن كَلامِه ، أمَّا العالِمُ فَتُعْرَفُ قِيمَتُهُ مِن كِتاباته .

[٤١٨] البَدَوِيَّةُ إذا ارْتَدَتْ تَنُّورةً فَوْقَ الرُّكبةِ ، لا تُصْبِحُ لاعِبَةَ تِنس .

[٤١٩] في أحيان كثيرة نبحثُ عن أشياء في الخارج ، ونكتشف فِيما بَعْد أنها كامنة في داخلنا .

[٤٢٠] الشَّجرةُ تُعْرَفُ بِثَمَرِها ونَوعيةِ الخشبِ .

[٤٢١] الفَيلسوف مِثْل تاجر الأسلحة .

[٤٢٢] جَميعُ العُلَماءِ في هذا العالَم هُم أطفالٌ صِغارٌ مُقَارَنةً مَعَ العُلَماء السابقين .

[٤٢٣] الفَيلسوفُ يَحْفِرُ قَبْرَه بِيَدَيْهِ إذا بَدَأَ يُفكِّر كَرَجُلِ أعمال .

[٤٢٤] السَّعادةُ هِيَ عَدَمُ البَحْثِ عَن السَّعادة .

[٤٢٥] كُلُّ صَاحِبِ نَظريةٍ إنَّما أَخَذَ فِكْرَتَها مِن شَخْصٍ لَمْ يُحْسِن التَّعبير عَنها .

[٤٢٦] أتمنَّى أن أفْتَحَ نافذةَ بَيتي فأرى البَحْرَ .

[٤٢٧] قد أستطيعُ النَّوْمَ والجيوشُ تُحَاصِرُني لَكِنَّني لا أَقْدِرُ أن أنامَ وَضِرْسي يُؤْلِمُني .

[٤٢٨] النُّبُوَّةُ والفَلْسَفةُ هُمَا المجالان اللذان لا يُسْمَحُ للمَرْأةِ بِدُخولهما .

[٤٢٩] قَتَلْتُ أعصابي وذِكرياتي وأحلامي لأُصْبِحَ فَيْلَسُوفاً .

[٤٣٠] قُوَّةُ الشَّيء لا تَكْمُنُ في ذاته ، وإنَّما تَكْمُنُ في الذِّكرياتِ المرتبطة بِه .

[٤٣١] الدُّوَلُ المستقِرَّةُ والْمُرَفَّهةُ لَيْسَتْ في أَمْنٍ وإنَّما في سُبات .

[٤٣٢] يَنتحِرُ الإنسانُ عِندَما يَفْقِدُ القُدرةَ عَلى التَّخَيُّلِ .

[٤٣٣] زَهَّدَني في النِّساءِ مَعْرِفَتِي بِهِنَّ .

[٤٣٤] أجْمَلُ قَصائدي هِيَ التي كَتَبْتُهَا في لَحَظَاتِ انهياري .

[٤٣٥] النَّسْرُ أعظمُ عَامِلِ نَظافةٍ عَلى كَوْكَبِ الأرضِ .

[٤٣٦] الزَّمَنُ يُوجَدُ في الذِّكرياتِ ولا يُوجَدُ في الواقع .

[٤٣٧] الحرِّيةُ ببساطة هِيَ أن تنام مَتَى تُريد ، وتَستيقظ متى تُريد .

[٤٣٨] لَن يُصْبِحَ الإنسانُ كاتباً عظيماً إلا إذا اعتبرَ القُرَّاءَ والنُّقادَ أمواتاً .

[٤٣٩] أقصرُ طَريقٍ للثقافةِ هُوَ قِراءةُ أسماءِ الشَّوارعِ ، وجَمْع معلومات عَن كُلِّ اسْمٍ .

[٤٤٠] على الشاعرِ أن يَكتب قَصيدةَ رِثَائِه ، ولا يَمْنَح هذا الشرفَ لأيِّ شَخْصٍ آخَر .

[٤٤١] المثقَّفُ العَرَبِيُّ مُصاب بِعُقدة الخواجة ، لأنَّهُ مَهزومٌ داخلياً .

[٤٤٢] الفلسفةُ الحقيقيةُ لا تُولَد إلا إذا تَحَقَّقَ شَرْطان : مَوْت الإنسان ، ومَوْت الفلسفة .

[٤٤٣] مِنَ السَّهْلِ أن تَتمتَّعَ بالرُّوحِ الرِّياضيةِ عِندَما تَكُونُ فَائِزاً .

[٤٤٤] غَالِبِيَّةُ النِّساءِ المتزوِّجاتِ غَيْرُ مُتزوِّجات .

[٤٤٥] مِنَ السَّهْلِ أن تَكُونَ رُومانسياً عِندَما تَكُونُ أعزبَ .

[٤٤٦] تَبدأُ الأحزانُ عِندَما يَتصادمُ العَقْلُ والعَاطفةُ في حُبِّ شَخْصٍ ما .

[٤٤٧] الشاعرُ هُوَ اللصُّ الوَحيدُ الذي يَحْتَرِمُهُ الجميعُ .

[٤٤٨] عَلى الإنسانِ أن يَتَعَلَّمَ مِنَ السُّلحفاةِ .

[٤٤٩] عِندَما أُفكِّر كشاعر أُحِبُّ النِّساءَ . وعِندَما أُفكِّر كَفَيْلسوف أَكْرَهُ النِّساءَ .

[٤٥٠] عَلى الشَّاعرِ ألا يَكْتُبَ قَصَائِدَ لأيَّةِ امرأةٍ بِخَطِّ يَدِهِ .

[٤٥١] عَلى كُلِّ إنسانٍ أن يَصْنَعَ أُسْطُورَتَهُ الشَّخصيةَ قَبْلَ أن يَمُوت .

[٤٥٢] لَيْسَ مُهِمَّاً أن تَكُونَ مُتَكَامِلاً كَي تُبْدِعَ . المهمُّ أن تَسْتَغِلَّ نِقَاطَ قُوَّتِكَ .

*

(٤)

سِفر الاعتراف

(شرح صرخة الأزمنة)

[١] لا أُحِبُّ إنشاءَ حَديقةٍ مَنْزليةٍ . أُحِبُّ مُساعدةَ الأزهارِ في اختيار مَقرِّها .

إذا أنشأتُ حديقةً فقد فَرضتُ شروطي على الأزهار . سأتركُ الأزهارَ تَكتشف مسارَها بِنَفْسها، وتحدِّد مصيرها دون إملاءات خارجية. أتركُ لها حريةَ الاختيار الذهني، والتطبيق الواقعي . وسوفَ أقوم بالمساعدة تطوُّعاً . وهكذا أُردُّ بعضَ الدَّيْنِ في عُنقي لتاريخي الشخصي ، وبيئتي الداخلية ، وبيئتي الخارجية ، وحضارتي الكَوْنية . لا أفرضُ شروطي ورؤيتي على العناصر ، وإنما أُساعد العناصر لكي تختارَ طريقها بنفسها دون ضغط خارجي. وقد عَلَّمتُ تلاميذي أن يَنقلبوا عليَّ، وألا يأخذوا كلامي كمُسلَّمات. لستُ صنماً، ولا أودُّ أن يتَّخذني الآخرون صنماً . أُحبُّ التعرضَ للنقد البنَّاء لأنه يَكشف عيوبي، وهذا يُساعدني في ردم الثغرات في حياتي ، وإزالة نقاط ضَعفي ، وتعزيز نقاط قُوَّتي ، وتصحيحِ مساري ، وتحسين أدائي الحياتي . ورَحِمَ اللهُ مَن أهدى إِلَيَّ عيوبي . الحبُّ الحقيقيُّ لا يَظهر في الامتلاك ، وإنما يَظهر في التَّخلي . لا يَظهر في الاستحواذ ، وإنما يَظهر في المشارَكة . افتحْ بابَ القفص لكي يَطير العُصفورُ . إن تحريره هو السيطرةُ الحقيقية عليه . إذا حَرَّرْتَه فقد امْتَلَكْتَه إلى الأبد . اترك الزَّهرةَ في الحديقة ولا تَقطفها . إذا قَطَفْتَها فقد خَسرتَ نَفْسكَ وخَسِرْتَ الزَّهرةَ إلى الأبد . إذا قَطعتَ العلاقةَ بين الزَّهرةِ والأرضِ ، فقد قَطعتَ العلاقةَ بَيْنكَ وبين الأرض . والأرضُ هِيَ أُمُّنا التي أَنْجبتنا ، وهِيَ التي سَتَبْلعنا . العِشْقُ هُوَ التضحيةُ ، أن تَتركَ المرأةَ التي أَحْبَبْتَها إذا كُنتَ عاجزاً عن إسعادها ، تَتْركها لشخصٍ آخر قادرٍ على إِسْعادها . لا تكنْ عَقبةً في طريق الأشخاص الذين أَحبُّوكَ بدافع الأنانية ، وحُبِّ الامتلاك والسيطرة . قُم بِالْحَجْرِ على نَفْسكَ لكي تُريح العالَمَ الخارجي مِنكَ ، لكي تُريح العالَمَ الخارجي من عالَمِكَ الداخلي الملوَّثِ . وإذا رَأيتَ نَفْسَكَ فَلَن تَرى الآخرين ، وهذا هُوَ الانتحارُ في الحياة ، فاهربْ مِن مُسْتنقعِ الانتحار إلى ضوءِ الحياة . إنَّ الحياةَ الحقيقية هي المعنى الإنساني الذي يَدور حَوْلَ التَّضحية، اتْرُك الْحُلْمَ للحالِم ، ولا تَنْسَ نَصيبكَ مِنَ الْحُلْمِ . المكانُ يَتَّسِعُ للجميع . ولا أحَدَ يَأخُذُ مكانَ أحَد .

[٢]الفَيْلسوفُ هُوَ الكائنُ الوحيدُ الذي يَكونُ عُمرُه حَياتٍ متكررة منبثقة من انتحاراته المتكررة.

إنَّ الفيلسوفَ هُوَ ضَميرُ الثورةِ الحيُّ ، إنه صَرخةُ العالَمِ الرافضِ للتدجين . مِهْنته هِيَ صَعقُ الناس لتحريرهم مِن أنفسهم ، وانتشالهم من النظام الاستهلاكي الخانق ، والأخذ بأيديهم إلى خالقهم ، وإرْشادهم إلى الضَّوْءِ في نهاية النَّفق ، وإنقاذهم من الخوف لكي يَنطلقوا إلى الأمام . وأفضلُ طريقةٍ للتخلص من الخوف هِيَ اقتحامُه . ارْمِ نَفْسَكَ في قلبِ الخوف لكي تُفجِّرَ الخوفَ مِن دَاخله، وتَشعرَ بالأمان الروحيِّ والهدوءِ الماديِّ . إنَّ وَظيفةَ الفَيلسوف هِيَ البحث عن العِطْر في أكوام القُمامة . وَلَوْ خَيَّرُوني أن أَكُونَ فَيْلَسوفاً أوْ مَلِكاً ، لاخترتُ الأوَّلَ ، لأنَّه الملِكُ الحقيقيُّ . الفَلْسَفةُ تُزيلُ اكتئابي ، وتُشعِرُني بِجَدوى الحياةِ ، وأهميةِ العقلِ الإنسانِيِّ في حَركةِ التاريخِ ومَسارِ الوُجودِ. والفلسفةُ هِيَ فَنُّ التَّنقيبِ عن الذات وتطهيرُها. والوسيلةُ الوَحيدةُ لِتَخليدِ الفلسفةِ هِيَ بِنَاؤُها على رَمزيةِ اللغةِ والمشاعرِ الإنسانيةِ . وَسِوَى ذلك سَوْفَ تَزولُ الفَلسفةُ . والفلسفةُ هِيَ ضَوْءُ الشمعة، وخارطةُ الضوءِ ، وخُطةٌ واقعية لكي يُصبح الذَّكرُ رَجلاً ، وتصبح الأنثى امرأةً ، ويُصبح الشخصُ إنساناً . والفَيْلسوفُ يَحرقُ الشوائبَ في الرُّوح الإنسانية لكي يَمنح الخلاصَ والطهارةَ للإنسان . إنَّ إزالةَ الشوائب من الرُّوح الإنسانية تَجْعل الرُّوحَ طاهرةً ومُطهَّرةً. ولا يَخفى أن إزالةَ الشوائب من الذَّهبِ تَرتقي بالذَّهبِ إلى درجةٍ أعلى . ولا مَكان للبريقِ في ظِلِّ وُجودِ الشَّوائب . وعُمرُ الفَيْلسوفِ حَيَوَاتٌ متكررة لأنه يَعيش في أماكن كثيرة دون أن يُغادِر مكانه ، ويُولَد في أزمنة كثيرة مع أنَّ تاريخَ ميلاده _ في شهادة الميلاد الرَّسمية _ واحدٌ لا يتكرر . وهذه الحيواتُ الحارقةُ المحترِقةُ تَنبعث من انتحاراته ، لأنه موجودٌ في مجتمعٍ متخلِّفٍ . كلَّ ثانيةٍ يَنتحر لأنه يَدْفع ضريبة التاريخ مِن جِلْده ، ويُسدِّد دُيونَ الحضارةِ القاتلة من أعصابه . حياةُ الفَيلسوفِ انتحاراتٌ مُتواصِلة لا انقطاع فِيها . ولا يُمكِن لإنسان أن يَتخيَّل عَذابَ الفَيلسوف الذي يَعيش في مجتمع مُتخلِّف . وسَوْفَ يَبقى الفَيلسوفُ يُكفِّر عن ذُنوبه عَبْرَ تقديمِ نَفْسه كَقُربان لخالقه . وفي العِيدِ يَذبحُ الناسُ أضاحيهم ، أمَّا هُوَ فَيَذْبحُ نَفْسَه تقرُّباً إلى الله في كُلِّ وَقتٍ وحِين .

[٣] مَا يَدْفعُ الأشخاصَ إلى الكتابةِ هُوَ حُبٌّ عَنيفٌ أو حُزْنٌ عَنيفٌ .

الكتابةُ تَعبيرٌ عن الأنا الأُخرى الكامنةِ فِينا ، وعمليةُ تطهُّرٍ مستمرةٌ . والأشخاصُ يُمارِسون فِعلَ الكتابة مُنطَلِقين مِن حُب عنيف أو حُزن عنيف . وهاتان الطاقتان (الحب / الحزن) أكبرُ من قُدرة الإنسان على التَّحمل، فيتمُّ اللجوء إلى الكتابةِ للتخلص من هذا الحِمْل الزائد ، وهذا الضغطِ الهستيري ، مِمَّا يُؤدي إلى تحقيقِ التوازن في النَّفْسِ البشريةِ . إنَّنا في سَفينةٍ مهترئةٍ في

قلب البحرِ الثائر ، ويَنبغي التخلصُ من الأحمال الزائدة لكي تَستعيدَ السفينةُ توازنَها، ويَستعيدَ البحَّارةُ ثِقتهم بأنفسهم ، ويَصلوا إلى شاطئِ الأمان . ورَغْمَ كُلِّ شيء ، سَيَظلُّ الكاتبُ الحقيقيُّ هُوَ الذي يَعتبر الكتابةَ موقفاً من الوجود بِأَسْره ، لا لحظةَ حُب زائلة ، أو شعوراً حزيناً عابراً . إنَّ الكتابةَ هِيَ فَلسفةُ الوجودِ الواقعيِّ والخيالِيِّ ، ولَيْسَتْ هِوَايةً لِمَلْءِ وَقْتِ الفَراغ ، أو وَجاهةً اجتماعية . وأبجديةُ الْحُلْمِ في الكتابةِ هِيَ العذابُ المتواصلُ الذي يَهْدِفُ إلى تَخليصِ المجتمعِ مِنَ العذابِ ، وتَحريرِ الأنساقِ الحياتية مِنَ الفَوضى ، وترسيخِ المعاني الثَّورية في أقصى المشاعرِ الإنسانية .

[٤] كُنْ مِسْماراً في نَعْشِ الاحتلالِ لا قِيثارةً يَتغنَّى بها الأحرارُ .

التَّضحيةُ بالنَّفْسِ أعلى درجات التضحية . فعلى المرءِ أن يُقدِّم نَفْسَه قُرباناً لخالقه . ولا بُدَّ مِن مواجهة الاحتلال بالحديد والنار ، فما أُخذ بالقوة لا يُستردُّ إلا بالقوة . أمَّا بناءُ نسقٍ رومانسي حالِم فهو أداءٌ متأخرٌ لا يَجوز البَدءُ به . وفرقٌ شاسعٌ بَيْنَ مَن يَكتبُ بِدمه ، وَمَن يَكتب بالحِبر . الموتُ أعلى وأقوى مِن الحُبِّ . والسَّيفُ هُوَ البُنيةُ التحتيةُ (الحاملة) ، والقلمُ هو البنيةُ الفَوْقية (المحمولة) . والأساسُ هو البنية التحتية . وجَذرُ الشَّجرةِ أهمُّ بكثير مِن الأغصان . ولا يُمكن أن يُفكِّرَ العَقلُ إلا إذا أُشبعت الغرائزُ (الحاجات البيولوجية) . وإذا أرادَ أحدُهم الوصولَ إلى الطابقِ الثاني في بنايةٍ ما ، فلا بُدَّ أن يمرَّ بالطابقِ الأول . لا بُدَّ مِنَ البناءِ الإنسانِيِّ وَفْقَ التَّفكيرِ المنطقيِّ الْمُتَسَلْسِلِ . وهذا المبدأ الثابت هو أساسُ الفَلسفةِ الحياتيةِ ، حياةِ الفردِ وحياةِ الجماعة .

[٥] شُرطيُّ المرورِ الناجحُ يَستضيءُ بأشعةِ الشَّمس لا ألوانِ إشارةِ المرور .

الأرضُ هِيَ أُمُّنا، والفضاءُ الرَّحبُ هُوَ أبونا ، والطبيعةُ هِيَ كِتابُ اللهِ المنظورُ . وَعَلَيْنا أن نعودَ إلى الطبيعة مُختارِين قَبْلَ أن نعودَ إليها مُضْطرين . وكلُّ إنسانٍ شُرطيُّ مُرورٍ . لكنَّ مَيدانَ العَمل مُختلفٌ . فشرطيُّ المرورِ يُنظِّمُ حركةَ السَّيارات في الشوارعِ ، والفَيْلسوفُ يُنظِّم حركةَ الأفكار في الذهن، والحاكمُ يُنظِّم حَركةَ السُّلطات في المجتمع، والراقصةُ تُنظِّم حركةَ أعضائها في الملهى.. إلخ.

يَنبغي النظرُ إلى القوةِ النُّورانية الكُبرى ، وعدمُ إضاعةِ الوقت في التفكير بالقوة الصغيرة . إذا ماتَ القلبُ فلن يُفكِّر أحدٌ بالعُيون أو الأصابع _ على سَبيل المثال _ . وإذا مَاتت الجذورُ فَما فائدةُ العنايةِ بالأغصانِ وتجميلِ الفُروع ؟! . وَمَن كانَ مَعَه القمرُ فَلن يُفكِّر بالنجوم . شُروقُ الشَّمس

يُغنيكَ عن ضَوءِ الشَّمعة . والعاشقُ الحقيقيُّ لا يَتناولُ العَشاءَ على ضَوءِ الشُّموع، وإنما يَتناوله على ضَوْءِ الشَّمسِ . والمُصْلِحُ الاجتماعيُّ يَتعاملُ مَعَ الرَّاعي لا الرَّعيةِ . إنَّ الأصلَ أكثرُ أهميةً مِنَ الفُروع ، والجوهرُ أكثرُ أهميةً مِنَ الأعراض .

[٦] الإنسانُ العاديُّ يَنتظرُ الموتَ كَي يَأتيَه ، أمَّا الإنسانُ المميَّزُ فَيَذْهبُ إِلَيْه بِكُلِّ طَاقته .

الموتُ قادمٌ لا محالة . المسألةُ مَسألةُ وَقْتٍ . الإنسانُ العاديُّ مُجَرَّد رَقْمٍ في سِجِلِّ التاريخ البشري . لم يُضِفْ شيئاً إلى الحياة فَصارَ عِبْئاً عَلَيْها. أمَّا الإنسانُ المميَّزُ الذي يَرفض سياسةَ القطيع، فهو كُلٌّ ، وَلَيْسَ جُزءاً مِن كُلٍّ . ولأنه مُمَيَّزٌ ، يَذهبُ إلى الموتِ بِكُلِّ طَاقته ، ويَموتُ شَهيداً لَكي يَظَلَّ حَيَّاً إلى الأبدِ . مَن يُقَدِّمْ نَفْسَهُ للهِ يَرْبَحْهَا ، وَمَن يَبْخَلْ بِنَفْسِهِ يَخْسَرْها إلى الأبَدِ . ولا فُرصة للتَّعويض . الرِّحلةُ ذَهابٌ بِلا إِيَاب . وعُودُ الكِبريت يَشتعلُ لِمَرَّةٍ وَاحدةٍ فَقط .

[٧] حَياتي تحتاجُ إلى حَيَواتٍ جديدةٍ حَتَّى تُصبحَ حَياةً .

أنا أنتحرُ باستمرارٍ . مَحْكومٌ عليَّ بالقتلِ كُلَّ يَوْمٍ . ومُذ جِئتُ إلى هذه الأرضِ ، وحياتي سِلْسلةُ انتحاراتٍ متواصلةٍ بلا تَوقُّفٍ . لا تُوجد استراحةُ مُحارِبٍ ، ولا وَقت مِن أجل التقاط الأنفاس. وهذا الموتُ اليوميُّ يُؤَثِّرُ عليَّ سَلْباً. أحتاجُ إلى حيوات جديدة كَي أُحقِّقَ أحلامي كاملةً، وأتجاوزَ دَيْمومةَ الموتِ المسيطِرةَ على حياتي بأكملها .

[٨] البَشرُ يَخْترعون حَواجز وهميةً ثم يُضيِّعون وَقْتهم مُفكِّرين في تجاوزها .

إنهم مَرْضى بالوَهْم . خَيالُهم المريضُ يَبْني لهم قُصوراً مِن الرِّمال . يَخْدَعُهم السَّرابُ فَيَخْدَعون أَنْفُسَهم وَيُصَدِّقون الأُكذوبةَ . الحياةُ كُلُّها أُكذوبة. وَبَعْدَ ذَلكَ يَمْضون في حَياتهم تَائِهين ، يُضيِّعون وَقْتَهم وَجُهْدَهم مُفكِّرين في كَيْفيةِ الانتصار على السَّرابِ ، وسَحْقِ الهواء ، وتفسيرِ الماءِ بالماء .

[٩] يُولَدُ الإنسانُ عِدَّة مَرَّاتٍ ، ويموتُ عِدَّة مرات .

الإنسانُ هُوَ الخرافةُ المركزيةُ في هذا العالَمِ . جَاءَ مِن التُّرابِ وَسَيَعودُ إلى الترابِ كأنه لم يأتِ أصلاً. له وِلاداتٌ عديدة، وَهِيَ انبعاثاتٌ وإشراقاتٌ وَقْتيةٌ ، لَيْتها كَانت دائمةً . وفي نَفْسِ الوقتِ يَموتُ أكثر مِن مَرَّة . وحالاتُ مَوْته هِيَ نِقاطُ ضَعْفه ، ولحظاتُ انكساره ، وضَياعُ أحلامه . وَسَوْفَ يَظلُّ الإنسانُ حُلْماً هُلامياً ضائعاً على هذا الكوكبِ الضَّائعِ .

[١٠] أشتاقُ إلى الأزمنةِ التي أَنبعثُ فيها، وأَشتاقُ إلى الأمكنةِ التي أُذبَح فِيها .

القاتلُ ضَحِيَّةٌ ، والضَّحيةُ قاتلٌ . هذا أنا أشتاقُ إلى حَركةِ الزَّمن التي تتفجَّرُ فِيها أحلامي ، وتتدفَّقُ على سَطْحها ذِكْرياتي . وأشتاقُ أيضاً إلى تضاريسِ التراب ، تِلْكَ الأمكنة التي أُذبَح فيها مبتسماً كالأبله . لَقد صَدَرَ الْحُكْمُ قَبْلَ المحاكَمةِ . لا أهمية لِلْحُكْمِ ولا المحكمةِ ولا المحاكَمةِ ، لأني مَقتولٌ في كُلِّ الحالاتِ . انبعاثِي مَوْتي ، إنَّهُ الصُّعودُ إلى الهاويةِ. وذَبْحي مَوْتي، إنَّه عَوْدةُ التُّرابِ إلى التراب ، وَرُجوعُ الطِّفلِ إلى حِضن أُمِّه ، وعَوْدةُ السَّكاكين إلى المطبخِ المهدومِ في البَيْتِ المهجورِ .

[١١] الانكماشُ في الأنا العُليا أَساسُ كُلِّ جَريمةٍ .

عِنْدما يَتَقَوْقَعُ الشَّخصُ في ذَاته ، ويُعْلِي قَدْرَ نَفْسِه على حَسابِ الآخرين ، سَوْفَ يَسقطُ في حُبِّ الذاتِ وازدراءِ غَيْره . وهذه الأنانيةُ المفرِطةُ هِيَ الأساسُ الفكريُّ للجريمةِ . فالجريمةُ هِيَ مُنتهى الأنانية ، والحقدُ على الآخرين ، والطمعُ الجنوني . المجرِمُ جَعلَ لَذَّته هِيَ مَركز الدائرة ، وجعلَ مُتعته فَوْقَ شُعورِ الآخرين وحياتهم ، فَسَقَطَ في الهاويةِ السَّحيقة ، وهُوَ يظنُّ أنه يَصعد إلى القمة .

[١٢] وَراءَ كُلِّ مُومسٍ فَيْلسوفٌ مُنْحَرِفٌ .

الانهيارُ الأخلاقيُّ لم يجئ بِمَحْض الصُّدفةِ . إنه نتاجٌ تراكمي ، وبناءٌ طبقي شديد التعقيد ، وجذورٌ مسمومة ضاربة في الأعماق . وما كان لهذه الجذور أن تجد أرضاً خصبة لولا وجود الفلاسفة المنحرِفين الذين يَجعلون النهارَ لَيْلاً ، والليلَ نهاراً . يَستخدمون المنطقَ لِشَرعنة الأوهام ، ويتلاعبون بالكلماتِ الرَّنانة لتزيين القُبحِ ، وتحويلِ الرائحةِ الكريهة إلى عِطر فَوَّاح .

[١٣] اقتلْ نَفْسَكَ بِدون أن تَمَسَّها بِسُوء .

نَفْسُ الإنسانِ هي العقبةُ الكؤودُ في طَريقه إلى اللهِ . وَهِيَ الحاجزُ الرهيب بَيْنه وبين إنسانيته . فلا مفر من التخلص من هذه النَّفْسِ عَبْرَ سَحْقها وإزالتها تماماً . هذه عمليةُ القتلِ الرحيمِ واللذيذِ في آنٍ معاً . فاقتلْ نَفْسَكَ لكي تَرْبَحَها إلى الأبد ، وتنالَ الخلودَ . حياةُ النَّفْسِ انتحارُها ، وَمَوْتُ النَّفْسِ حياتُها . وَمَن رَأى نَفْسَه لَم يَرَ اللهَ .

[١٤] عَامِلُ النَّظافةِ مِثْلُ الفَيْلسوفِ . كِلاهما يَمتلكُ رُؤيةً ، ويَظهرُ الاختلافُ في نَمطِ التَّعبير .

كلُّ إنسانٍ لَه دَوْرٌ في هذه الحياة. وكلُّ لبنةٍ لها وظيفةٌ أساسيةٌ في البُنيان_مَهما بَدت صغيرةً_. ولا دَاعِي للتَّكبرِ ، أو الاستعلاءِ على الآخرين . عاملُ النَّظافةِ يُنظِّفُ المكانَ مِن القُمامة التي يَرْميها الناسُ ، ويُنظِّفُ الناسَ مِن أوساخهم ، ويُنظِّفُ الوجودَ مِن التَّلوثِ البَصريِّ . إنَّه يُؤَسِّسُ

مَركزيةَ النَّظافةِ والطهارةِ في المجتمعِ. ولا فَرْقَ بَيْنه وبَيْنَ الفَيْلسوفِ إلا في نَمطِ التَّعْبيرِ. فَعامِلُ النظافةِ يُنظِّف المكانَ ، والفَيْلسوفُ يُنظِّفُ الزَّمانَ . ولا يمكن الاستغناءُ عَنْهما فِي عَالَمِ التَّطهرِ والتَّطهير . وفي حقيقةِ الأمر، إنَّ عاملَ النَّظافةِ فَيلسوفٌ عظيم ، لأنَّه يَتعامل مَعَ مُخْرَجَات النظام الإنسانِيِّ مُبَاشَرَةً، ويُدْرِك حَقيقةَ الإنسانِ صَانِعِ القَاذُوراتِ ، ويَكتشف الواقعيةَ القذرة التي صَنعها الإنسانُ ، ذلك الكائن المتكبِّر الذي يَنْسَى أنَّه مَصْدَر الأوساخ والقاذورات . الإنسانُ ذلك الكائنُ الجاهلُ والغامضُ ، يَمشي إلى الهاويةِ بِرِجْلَيْهِ ، ويَضحك بِغُرورٍ في طريقه إلى المقبرة .

[١٥] تبدأُ هزيمةُ الجيوشِ مِن المرأةِ التي تَنشرُ الغَسيلَ وَهِيَ في قَميص النَّوم .

المرأةُ التي تَكشفُ جَسَدَها تُمثِّلُ انكساراً حَادَّاً في الرُّوحِ الإنسانيةِ ، وَشَرْخاً عَميقاً في مِرآة الوُجود. وبالطبعِ، سَيَنْشأُ أبناؤُها في عوالم الانهيار بِلا رُوحٍ ولا تاريخ . فاقدُ الشَّيء لا يُعطيه . وهنا تظهرُ الهزيمةُ الاجتماعيةُ التي تُعْتَبَر القاعدةَ الأساسيةَ لكلِّ هَزيمةٍ عَسكرية . إنَّ إغراءَ المرأةِ هو الحلقةُ الاجتماعية الأضعف ، والوَهْمُ الذي يَكْسِرُ أبجديةَ المعنى الإنساني .

[١٦] لجنةُ جَائزةِ نوبل هِيَ المافيا الوحيدةُ في العالَم التي تَعْقدُ مُؤتمراتٍ صحفية .

جائزةُ نوبل مُسيَّسة ، ويتمُّ التلاعبُ بها وتوجيهها لأهدافٍ كامنة تحت الطاولة . وهذا لا يَنفي كَوْنها أهمَّ جائزة في العالَم . واللجنةُ التي تَمنحُ الجائزةَ لها اعتباراتٌ خَفِيَّةٌ وغيرُ نظيفة . إنها عِصابةٌ بِكُلِّ مَعنى الكلمة . ولكنَّ هذه العِصابةَ تتحرَّكُ في العَلَن ، وتَعْقِدُ مُؤتمراتٍ صحفية ، ويُصفِّق لها الناسُ . لجنةُ جائزة نوبل أشدُّ خُطورةً مِنَ المافيا ، لأنَّ هذه اللجنة تَقتل الرُّوحَ الإنسانية ، أمَّا المافيا فَتَقْتُلُ الجسدَ الإنساني . ودائماً ، قَتْلُ الرُّوحِ أسوأ مِن قتل الجسد .

[١٧] المرأةُ التي تَكْرَهُني تُحرِّرني .

الْحُبُّ نوعٌ من العُبودية . والمرأةُ التي تُحِبُّني تُحمِّلني فَوْقَ طَاقتي ، وتضغطُ على أعصابي ، وتفرضُ عليَّ شُروطَها بدافع الحب والتهذيبِ . وهذا يَجعلني خاضعاً لإملاءاتها ونظامِ حياتها . وبالتالي ، أخسرُ إيقاعي الشخصيَّ ، وأَخْرجُ مِن جِلدي شَيئاً فشيئاً ، وأفقدُ هُوِيَّتي المميَّزة ، ونظامَ حياتي . وبعبارة أخرى ، سَأُسَلِّمُ أسلحتي لها ، وأُضحِّي بنقاطِ قُوَّتي في سَبيل أوهامٍ عاطفية عابرة . وهذا الانهيارُ المعنويُّ سَيُرافقه انهيارٌ مادي . إنَّ المرأةَ صَفقةٌ خاسرة بالنسبة إِلَيَّ ، ومشروعٌ غير ناجح. ولا أُحِبُّ الدخولَ في الصَّفقاتِ الخاسرة. فالبقاءُ على الشاطئِ أفضلُ من الإبحار بلا بوصلة.

أمَّا المرأةُ التي تَكْرهني فهي تُسدي إِلَيَّ مَعْروفاً ، تُريحني وتُريح نَفْسَها . تُريحني مِن الضَّغطِ الهستيريِّ والتَّضحيةِ المجانية ، وتُريحُ نَفْسَها مِن قَرَفي وعُقدي النَّفسية ، فَنَصِلُ إلى حالة التعادل ، فلا أَفرضُ عليها شُروطي ، ولا تفرضُ عليَّ شُروطَها ، وهذه العمليةُ هِيَ جَوهرُ الحرية والتَّحرر والتحرير . حيث لا غالب ولا مغلوب .

[١٨] أُريدُ أَن أَعيشَ حَياتي مِثْلَ دُودِي الفايد ، ولكنْ بالحلال .

الزَّواجُ لا يُناسِبني . أخافُ مِن الالتزامِ وتحمُّلِ المسؤولية ، كما أن تربيةَ الأبناءِ بحاجة إلى جُهد مذهل . والإشكاليةُ الحقيقيةُ لَيْسَتْ في تربية الأبناء ، بَل في تربية الآباء . لا أريدُ بذلَ جُهودي في إطار الزَّواج لأنه مشروعٌ خاسر بالنسبة إِلَيَّ . أريدُ بَذْلَها في مشروعٍ ناجح. وعِندما أَرى مليارات البشر وجودُهم كعدمه، أهربُ مِن فكرة الزوجة والأولاد . فهذا المجالُ لا يمكنُ أن أتركَ فيه بَصمةً مُؤَثِّرة. سأكونُ مِثْلَ الآخرين أو أقلَّ مِنهم، وأنا تعوَّدتُ على التَّميز. وإن تزوجتُ فَقد خَرجتُ من دائرة التَّميز، ودخلتُ في فَخ الاعتيادية. إنَّ الزَّواجَ أعلى مِن طَاقة جِسمي، وأقلُّ مِن طَاقة رُوحي.

لَم تكن كَلمةُ " زواج " مَوجودةً في قاموس دودي الفايد عَشيقِ الأميرة ديانا . وأنا أيضاً، لا توجدُ هذه الكلمةُ في قاموسي . نحن متشابهان في هذا الأمر ، لكنَّ الاختلافَ الجوهري يَكمن في نوعيةِ العلاقة مع المرأة . فعلاقته مَعَ المرأة محصورةٌ في دائرة الحرام ، أمَّا أنا فأريدُ أن تكونَ علاقتي مع المرأة في دائرة الحلال . فما الحلُّ ؟ . الحل : زواج مِسيار بدون أطفال وفي السِّر . هذه هِيَ المعادلةُ الصعبة التي توفِّق بين فَلسفتي وواقعي المغايِر لواقع الناس . وكلُّ شخص يَبحث عن مصلحته الشخصية ، وما يُناسبني قَد لا يُناسبكَ ، وما يُناسبكَ قَد لا يُناسبني . الإنسانُ هو البَصمةُ المميَّزة .

[١٩] يَتخلَّى الفردُ عن انتمائه الوطنيِّ حين تُشْعِرُهُ حكومتُه أنَّ وُجودَه كَعَدَمِه .

حِينَ يَشعر الفردُ أنه رَقْمٌ تافه في أرشيف ذاكرة المجتمع ، فسوفَ يَنسحب من مجتمعه لِيَسقطَ في بِئر ذاته ، فينسلخ عن هويته، ويتخلى عن الانتماء ، لأن الانتماء _ حينئذٍ _ يُصبح عِبئاً عليه ، وحِملاً ثقيلاً . وهكذا يَفقدُ الفَردُ ظِلَّه ، ويُصبحُ عاطلاً عن الوطن ، ويَخسرُ اسْمَه ، فيكتسبُ اسماً جديداً قاتلاً هُوَ " اللامنتمي " .

[٢٠] إِنْ لَم تَرفع سَيفكَ في وجه الشيطانِ ، فأنتَ شيطان .

لا يُوجَد حِيادٌ تحتَ شمس الحقيقة. الدَّخولُ في المنطقة الرمادية لا يُجدي نفعاً في أبجدية الثورة . إذا لَم تُواجِه الشيطانَ فسوفَ يتجسَّد فيكَ، وإذا لم تَرفض الأكذوبةَ صِرتَ أكذوبةً . لا فائدة من الدُّبلوماسية في لهبِ الغِربال الذي يُمحِّص الناسَ .

[٢١] كُن وَردةً تَنشر عِطْرَها ، ولا يُمكن سَحْقُها تَحْتَ الأقدام .

التَّسامحُ لا يَعْني الضَّعفَ والخضوعَ . فالتسامحُ قوةٌ وانتصار . والقيمُ النبيلة لا تَصْدرُ من الضُّعفاء ، بل تَصْدر من الأقوياء . فالضعيفُ يتحرك رَغْمَ أنفه لأنه مُضْطر وخاضع لقوى خارجية، أمَّا القويُّ فيتحرك انطلاقاً من الوازع الداخلي بدون ضغوطات خارجية . والضعيفُ يَعتبر الخيرَ سِلاحاً دفاعياً ، أمَّا القويُّ فَيَعتبر الخيرَ سلاحاً هجومياً . والضعيفُ يَنظر إلى الخير بِوَصْفه نسقاً حياتياً ، أمَّا القويُّ فَيَنظر إلى الخير بوصفه حياةً قائمة بذاتها . القويُّ يُسامِح الآخرين ، ولا يَسْمحُ لأحدٍ بالتطاول عليه أو كَسْره . المحبةُ تُحيطه بهالةٍ واقية وسِياجٍ مُكَهْرَبٍ . وللأسف الشديد ، فقد ارتبطَ الاحترامُ بالسَّذاجة ، وارتبطَ التسامح بالضَّعف ، وارتبطَ الإجرامُ بالقوة والْحَزْم .

[٢٢] الدَّمارُ أَحدُ أركانِ الحضارةِ .

" لَوْ " لا مَعْنَى لها في سياق الانكسارِ الإنسانيِّ والانهيار الحضاريِّ . لَوْ فَعَلَ الإنسانُ كَذا لَمَا مات . لَوْ فَعَلْنا كذا لَمَا قَامَت الحربُ . لَوْ عَمِلْنا كَذا لَمَا انهارت الحضارةُ . الإنسانُ يَمشي إلى الهاويةِ بِرِجْلَيْهِ ، والحضارةُ تَسيرُ إلى الخرابِ عَلى قَدَمَيْها. تَمُرُّ الحضارةُ بِنَفْسِ الأطوارِ التي يَمُرُّ بِها الإنسانُ : الولادة ، الطفولة ، الشباب ، الكُهولة ، الشَّيخوخةِ ، الموت . والمسافةُ بَيْنَ الانبعاثِ والانطفاءِ هي الفُسحة الزَّمنية لصناعةِ الأحلامِ أوْ إضاعتها . ولا بُدَّ مِنَ الدَّمار ، لأنَّ الإنسانَ كائنٌ ناقصٌ . ومَهْما بَلَغَ مِنَ الذكاءِ والعَبقريَّةِ سيظلُّ عَقْلُه محدوداً . والبشريةُ لن تتعلم من التاريخ حتى لو حفظت التاريخَ عن ظَهْر قلب . لَم تَستفِد البشريةُ مِن أخطائها ، لأنَّ كُلَّ فَرْدٍ يعتقد أنَّه استثناء ، وَكُلَّ حضارةٍ تعتقد أنها استثناء . إنَّ الدمارَ لا يُفَرِّق بين القاعدة والاستثناء . التاريخُ يُعيد نَفْسَه بأدوات العَصْرِ الْمُعاش، والحضارةُ الإنسانيةُ مَحكومة بالفناء ، وتَتحرَّك في دائرة مُغلَقة.

سَوْفَ تُكرِّر البشريةُ نَفْسَ الأخطاء ، كما يُكرِّر السياسيون نَفْسَ الأخطاء ، وَيَقُودون بلادهم إلى الدمار، لأن الإنسان والحضارة لا يتحركان بمفردهما في هذا الوجود . هناك عوامل خارجة عن إرادة الإنسان ، وهناك ظروف مفروضة على الحضارة ، لا شأن للحضارة بها . لذلك ، تصبح رَدَّةُ الفِعل في أحيان كثيرة هي فِعلاً قائماً بذاته. ومهما كان حارسُ المرمى واثقاً مِن نفْسه ومن قدراته ،

فلا بد أن تدخل الأهداف في مرماه ، لأنه لا يملك القدرة على صد كُل الكرات. إن الدمار والحضارة وجهان لعملة واحدة ، لا يمكن فصلهما ، وكل حضارة عليها أن تعتبر الدمار أحد مُكوِّناتها الأساسية . وكل حضارة تشتمل على عوامل انهيارها في داخلها ، كما أن الذبول جزء لا يتجزأ من حياة الوردة . والعبقريةُ لا تَستطيع مَنْعَ الدمارِ ، لكنها تَستطيع إدارة الدمار ، والتقليل مِن آثاره وأضراره .

[٢٣] هُناكَ أشخاصٌ يَبْحَثُونَ عَن الكَرَاهِيَةِ لِيَتَمَسَّكُوا بالْحُبِّ .

بِضِدِّها تتبيَّن الأشياءُ . كأننا نبحث عن ضوء الحب في الليل المظلم . ندرس الأمراض كي نتجنبها . دِرهم وِقاية خَيرٌ مِن قِنطار علاج . نعرف حدود الْحُفَر لئلا نسقط فيها . لن نعرف قيمة الشمس إلا عندما نرى القمر ، ولن نعرف قيمة القمر إلا عندما نرى الشمس . لا بد من التوازن بين العناصر . لا بد من الوقوف بين الأضداد مُتَأمِّلين ، وخاشعين لِعَظَمَةِ اللهِ . ولَن تَعْرِفَ التأمُّلَ الحقيقيَّ إلا عِندَما تَمشي في الليلِ وَحيداً . وهذا سَيَقُودُكَ إلى مَعرفةِ عَظَمَةِ الخالق تعالى . مَن أرادَ أن يُصْبِحَ فَيْلَسُوفاً فَلْيَمْشِ في الليل وَحيداً . سَيَتَّحِدُ بالأشجارِ ، وَيُعيدُ اكتشافَ ذاته ، ويَرى عَناصرَ الطبيعةِ بِقَلْبه . يُعيد بناءَ العالَم . سَيَرى الكَوْنَ الذي لا يُرَى . سَيَمْشي الأمواتُ مَعَهُ . يُعيدُ رُؤيةَ حياته كَشريطٍ سينمائيٍّ . يَعيشُ مَعَ الأمواتِ ، ويُولَد مِن جَديد . والْمُبْدِعُ هُوَ الذي يَرَى ما لا يُرى .

[٢٤] عُنفواني أكبرُ مِنَ الطاقةِ الاستيعابِيَّةِ للحياةِ . وَحْدَهُ الموتُ هُوَ القادرُ على استيعابي.

الإنسانُ المغرورُ يَصُولُ ويَجُولُ . وفي نِهايةِ المطافِ يُرْمَى في حُفرةٍ عَميقةٍ مظلمةٍ . يَرحلُ وَحيداً . رِحلته ذَهابٌ بِلا إيابٍ . الملابسُ الجميلةُ تَذهبُ إلى المزبلةِ . والطعامُ اللذيذُ يَذهبُ إلى المِرْحاضِ . وقصصُ الحب تتبخَّرُ في السَّرابِ . ويُصبحُ الجسدُ الناعمُ جِيفةً قَذِرةً ، وطَعاماً للدُّودِ . كُنتُ نَسْراً كاسراً ، وأنا الآن حشرة. عُنفواني مَلأَ الأرضَ ضَجيجاً وصَخَباً . والآنَ عَمَّ الصمتُ ، وانتشرَ الفراغُ . وسَيْطَرَ العَدَمُ عَلى الوجودِ . سَحَقْتُ الترابَ تَحْتَ حِذائي . لكنَّ الدُّنيا دَوَّارةٌ . وجاءَ الوقتُ كَي يَعْلُوَ التُّرابُ عَلى جُثتي . مَن يَضحكْ أخيراً يَضحكْ كَثيراً . والإنسانُ جاءَ إلى هذه الدُّنيا خاسراً، وسَيَعُودُ خاسراً. إنَّهُ لا يَمْلِكُ شَيئاً لِيَخْسَرَهُ . والعَبيدُ لَن يَخْسَرُوا غَيْرَ قُيودهم. والإنسانُ عِبْءٌ على كَوكب الأرض ، يُقَدِّمُ نَفْسَهُ كَعَبقريٍّ وقائدٍ ، وهو جاهل ، يُقَامِرُ بِمَصيره ، ويتلاعب بِمَساره .

[٢٥] اعْتَبِرْ كُلَّ إنجازٍ يُحَقِّقُهُ إنسانٌ إنجازاً لَكَ وللبشريةِ .

كُلُّنا في سَفينةٍ واحدةٍ . لا مكانَ للصِّراعِ لأنَّ مَصيرَنا واحدٌ . وإذا غَرِقَت السفينةِ ، فَكُلُّنا غَرْقَى . ولَن يَنْجُوَ أحَدٌ . الإنسانُ إمَّا أن يَكونَ أخاكَ في الدِّينِ ، وإمَّا أن يَكونَ أخاكَ في الإنسانية. كُلُّ إنجازٍ بَشريٍّ هُوَ إنجازٌ لَكَ. اطْرُد الحِقدَ مِن قَلْبِك، وَضَعْ بَصمتك الشخصية في تاريخ الحضارةِ. لا مَعْنَى للحَسَدِ، لأنَّهُ يَحْرِقُكَ وَحيداً ، ولا أحَدَ يَشعر بِكَ . لا تَهْدَمْ مَجْدَكَ بِيَدِكَ . نافِسْ نَفْسَكَ، وحاوِلْ أن تَتفوَّقَ عَلَيها . لا أحَدَ يَأخذُ مَكانَ أحَد . كُلُّ إنسان له مكان تحت الشمس . وكلُّ إنسان يَمْلِكُ بَصمةً ، لكنَّ الاختلافَ بين البشر كامنٌ في قُوَّة تأثير البصمة .

[٢٦] أكثرُ الذينَ يَتَحَدَّثُونَ عَن الْحُبِّ ، لا يَعْرِفُونَ مَعْنَى الْحُبِّ .

الْحُبُّ نِداءٌ قديمٌ يَتفجَّرُ في أعماقِنا . نَركضُ إلى الطَّيفِ اللذيذِ الغامضِ في المدى الأُرجوانِيِّ . الْحُبُّ كَزَقزقةِ العصافيرِ . نشعر بها ، ونُحِبُّها ، ونستمتع بها . لَكِنَّنا عاجزون عن تفسيرها . إنهم يَتحدَّثونَ عَن الإعجابِ ، ويَظُنُّونه حُبّاً . يَعتقد الرِّجالُ أنَّ ابتسامة المرأة هي الحب الخالص . قَد تَكون تلك الابتسامة هي الخنجر المسموم . وتعتقد النساءُ أن نظرة الرَّجل هي الحب العميق . قَد تَكون تلك النظرة هي القبر العميق .

[٢٧] مِنَ السُّخريةِ أن ترى امرأةً لا تَعْرِفُ الأحكامَ الفقهيةَ للحَيْض ، لَكِنَّها تَنتقِدُ الْفُقَهاءَ .

العالِمُ يَعرفُ الجاهلَ ، لكنَّ الجاهلَ لا يَعرفُ العالِمَ . فالعالِمُ كَان جاهلاً ثُمَّ تَعَلَّمَ فصارَ عالِماً، أمَّا الجاهل فلم يَكُنْ عالِماً . تماماً كالغنيِّ الذي كانَ فقيراً . إنَّهُ يَعرف مرارة الفقر وقَسوة الحِرمان، لأنَّه جَرَّبَ الفقرَ بكل مَآسِيه ، بِعَكس الشخص الذي وُلِدَ وفي فَمِهِ مِلعقة من ذهب . لا يُمْكِنُهُ أن يَعرف معنى الفقر ، لأنَّه لَم يُجَرِّبْهُ . إنَّ الملوكَ حُكَّامٌ على الناسِ ، والعُلماءُ حُكَّامٌ على الملوكِ . صَحيحٌ أنَّ العُلماءَ لَيسوا مَعصومين ، ولكنَّ الرَّدَّ عليهم له قواعد وأصول ، فالجاهلُ لا يُناقِشُ العالِمَ ، وإنما يَتعلم مِنَ العالِم . أمَّا العالِمُ فهو الذي يُناقِشُ العالِمَ بالدَّليل حَسَبَ المنهج العِلْمِيِّ ، وهنا تَبدأ مُقارَعة الْحُجَّة بالْحُجَّة ، بَعيداً عن الشَّتائمِ والصُّراخِ والعِنادِ . والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَعَ . واعْرِف الحقَّ تَعْرِفْ أهْلَه . فالرِّجالُ يُعرَفون بالحق ، والحقُّ لا يُعرَف بالرجال .

[٢٨] مِنَ المؤسِفِ أن نرى أَبَوَيْنِ يُلقيان نظرياتِ التَّربيةِ عَلى أبنائهما وَهُمَا بِحاجةٍ إلى تربيةٍ .

فَاقدُ الشَّيء لا يُعطيه . والكلامُ دَائماً سَهْلٌ ، لكنَّ الفِعْلَ هُوَ الصَّعْب . سَهْلٌ جِدَّاً أن تُمارِسَ التَّنظيرَ ، وتُلقيَ النَّصائحَ على الآخِرين . ولكنْ هَل أنتَ مُؤَهَّلٌ لذلك ؟ . عِندَما تَتحدَّثُ الراقصةُ عن الأخلاق والشَّرف ، فإنَّ كلامَها جَديرٌ بالاحترام ، ولكنْ هَل الراقصة مُحترمة ؟ . عِندما يَتحدَّثُ الحاكمُ الذي يَسرق شَعْبَه عَن الوَحْدة الوطنية ، فإن كلامَه في غايةِ الرَّوعةِ ؟ . ولكنْ هَل

الحاكم شريف ؟ . إنَّ الأُمَّةَ الضَّعيفةَ التي فَقدت بُوصلتها ، لا تُتقِن إلا الكلام ، ولا تُمارِس إلا التَّنظير، وَهِيَ كالنَّجارِ الذي بابه مُخَلَّع. والقائدُ المهزوم لَيس أمامَه إلا الأغاني الوطنية . والشَّخصُ العائشُ في الفراغ لا يُتْقِنُ إلا الجعجعةَ بِلا طحن . وهكذا يَصيرُ المجتمعُ ظاهرةً صَوتيةً بلا معنى .

[٢٩] إذا كانَ الصَّحَفِيُّونَ قُدْوَتَكَ في الكِتابةِ ، فَلَن تُصبحَ أديباً عظيماً .

الكتابةُ الصَّحفيةُ هِيَ مِهنةٌ تَفتقِرُ إلى الإبداعِ الخلاقِ.إنَّها مِهنةٌ للحصول على الرَّاتبِ الشَّهريِّ، ولَيستْ مشروعاً أدبياً أو فكرياً . ويُمكِن اعتبار الكتابة الصَّحفية تمريناً على الكتابة ، أو سِباحةً في المياه الضَّحلة. ولكنَّ السِّباحة في البَحْرِ العميق تحتاجُ إلى مهاراتٍ خاصة، لأنَّنا نُريد استخراج اللؤلؤ ، والتَّنقيب عن الكنوز المدفونة تحت رمل البحر .

[٣٠] الْمَشْيُ لَيْلاً أفضلُ طَريقةٍ لاستجماعِ الطاقةِ الذهنيةِ واستحضارِ الأفكارِ .

اكتشِفْ نُورَ قَلْبِكَ في عَتَمَة الليل . كُن وَحيداً في طريقِ الليلِ ، وامْشِ وَحْدَكَ . وتَحَرَّرْ مِنَ الذِّكرياتِ . لا حُزن وَراءَك ، ولا صَوْلَجان أمامَك . عِندَما تَمشي في الليلِ ، تَكون أشجارُ الطريقِ زَوْجَتَكَ وَعَشِيقَتَكَ . سَوْفَ تَكتشِف العالَمَ السِّحريَّ الذي لا يُمْكِنك أن تراه في ضَجيجِ النهارِ . لا تَنْظُرْ إلى الجزء الظاهر مِن جَبل الجليد، بَل انظُر إلى الجزء المختفي تحت الماء . أعشقُ المشيَ لَيْلاً. أُفَرِّغُ أَحزاني في ورق الأشجار.والحزنُ هُوَ العُمق الإستراتيجيُّ للحضارة.أحْرِقُ الشوارعَ بِدُموعي. أبكي ولا أمسحُ دُموعي ، ولا تأتي أُمِّي لِتَمْسَحَها . أهربُ مِن وَجهي ، وأركضُ بَعيداً عن الناس . أُمارِسُ هِوايتي في اكتشافِ العناصرِ وتَفريغِ الكَبْتِ . المشيُ لَيلاً هُوَ التَّحَرُّرُ مِنَ الذات ، والتخلصُ مِنَ العالَم الاستهلاكي ، وكسرُ عُزلةِ الفردِ في نَفْسِه ومُجْتَمَعِه . أتأمَّلُ في جَمالِ الطبيعة التي تَدُلُّ عَلى عَظَمَةِ الخالقِ . أكتشِفُ مَملكةَ الخالقِ التي لا يُظْهِرُها لِكُلِّ الناسِ . أمشي في الليلِ وَحيداً لأصبحَ فَيْلَسُوفاً، وأكسِرَ ذِكرياتِ الحبِّ ، وأُنَقِّيَ ذاكرتي مِنَ النساء ، وألتقيَ بالأمواتِ . أسكنُ فِيهم ، ويَسْكُنون فِيَّ . أكسرُ المرايا ، وأركضُ وَراءَ وَجْهي . وأخيراً ، وَجدتُ قَلبي ، ورَأيتُ وَجْهي. والتَّأمُّلُ مُرتبطٌ بالْمَشْيِ ، فالأشخاصُ الذينَ يَمشون يَرَوْنَ أسرارَ الطبيعةِ وأحلامَ الوُجود . أمَّا الذينَ يَقُودون السَّيارات ، فلا فُرصة أمامَهم للتَّأمُّل ، لأنَّ حَوَاسَّهُم غارقةٌ في النظام الميكانيكيِّ والضَّجيجِ القاتلِ الذي يَقضي على أعصابِهم ، ويُدمِّر قُدرتهم على الخيَال . الشخصُ الذي يَقُودُ السيارة مَشغولٌ بعناصر الطريقِ، وهذا يَمنعه من رُؤية المناظر الطبيعية والتأمُّل في جَمَالها ورَوعتها ، كالفلاحِ الذي يَشْغَلُه انتظارُ موعد الحصاد عن رُؤيةِ نُمُوِّ الأشجارِ ، وَتَعَاقُبِ الفُصولِ . لا بُدَّ مِنَ الغَوص في جَوهر الشَّيء ، وعدم الاكتفاء بملاحظة السَّطح .

[٣١] إذا لَم تَفْرِضْ رُؤْيَتَكَ عَلى التاريخِ فَرْضاً فَلَن يَعترِفَ بِكَ التاريخُ .

لا مكانَ لأنصافِ الْحُلُولِ. والْمُجَامَلاتُ وَهْمٌ . والتاريخُ يَحترِمُ الأقوياء . كُنْ نَسْراً كاسراً، ولا تَكسر إلا أحزانَك . كُن وَحْشاً مُفترِساً ، ولا تَفترِسْ إلا اكتئابَك . ازرعْ بَصْمتك بكل قُوَّة ، وبكل ثقة . لا تَنتظِرْ أحَداً كَي يأخذ بِيدك ، فلا أحدَ يُفكِّر فِيك . خُذ الْمُبَادَرَة . خُذ بِيدك إلى بَر الأمان . استعِنْ باللهِ وامْضِ في طَريقك ولا تَلتفِتْ . الخائفُ هو الذي يَلتفِت أثناء سَيْره . ومَن يَعْرِفْ طَريقَه لا يَلتفِتْ أثناءَ سَيْره. سَوْفَ يَضحك عَلَيك كثيرٌ من الناس، وتُصبحُ عُرضةً للسُّخريةِ والاستهزاء . وبَعْدَ أن تصل إلى قمة الجبل ، سينظرُ الناس إِلَيك باعتبارك القُدوة العُليا . ستكون في القِمَّة، وهُم في القاع. سَيَندمون، ويَأتي دَوْرُكَ كَي تضحك. ومَن يَضحكْ أخيراً يَضحكْ كثيراً .

[٣٢] الشَّاعِرُ الوَحيدُ الذي تَأَثَّرْتُ بِهِ واعْتَبَرْتُهُ قُدْوتي في الشِّعْرِ هُوَ أنا .

لَسْتُ مَغروراً ولا نَاكراً للجَميلِ. لَكِنِّي مَشَيْتُ في طريقي وَحيداً ، وعِشْتُ وَحيداً ، وسَأموتُ وَحيداً . رِحْلتي الأخيرةُ لَن يُرَافقني فيها أَحَدٌ . لقد تَأَثَّرْتُ بكل الناس . تَأَثَّرْتُ بالشعراء والروائيين كما تَأَثَّرْتُ بعلماء الفيزياء والكِيمياء . لَكِنِّي تَخَلَّصْتُ مِن هذا التأثير ، فَلَم يَعُدْ له أثَرٌ ، وصِرْتُ صَوْتاً، ولَم يَعُدْ في صَوْتي سِوى صَوْتي، وكَسرتُ الصَّدى والصَّدَأَ . تَطَهَّرْتُ مِنَ الصَّدى . تَحَرَّرْتُ مِن أصواتِ الآخرين. صَهَرْتُ كُلَّ العناصرِ في بَوتقةٍ واحدةٍ ، وحَصَلْتُ عَلى سَبيكةٍ خاصة بِي . هِيَ ماركتي الْمُسَجَّلة بِاسْمي . وهكذا تَأَثَّرْتُ بِنَفْسِي ، وصِرْتُ أستاذاً لِنَفْسِي ، بَعْدَ أن كُنتُ تِلْميذاً لعناصرِ الطبيعةِ . حَياةُ الشاعرِ احتراقٌ في مَدَارٍ مُغْلَقٍ، وسَوْفَ يُولَدُ مِن انتحاراته . والشاعرُ هُوَ تلميذُ نَفْسِه وأُستاذُها ، يَتفوَّق على نَفْسِه ، لأنَّ التلميذَ الْمُبْدِعَ يَتفوَّق على أستاذه .

[٣٣] أن أظَلَّ وَاقِفاً في مَكاني أَحَبُّ إِلَيَّ أن أتقدَّمَ بِمُساعدةِ الأوغادِ .

الصَّيادُ لا يُحَدِّقُ في الفريسةِ إعجاباً بِها . إنَّهُ يَزرع نَظَرَاتِه في جسدها كَي يُحدِّد لحظة اصطيادها وكَيفية اصطيادها . يُحاول السيطرةَ على التَّوقيت والإيقاع . إنَّ النارَ إذا مَدَّت يَدَهَا إلى الماء سَتَنْطَفِئُ . تَلَقِّي المساعدة مِنَ الأوغاد هِيَ قَتْلٌ للرُّوحِ وتَلويثٌ للجسدِ ، لأنَّ الوَغْدَ يَدُورُ في فلك المصلحة القاتلة . إذا أعطاكَ عِطراً ، سيأخذ رائحةَ قلبك . وإذا أعطاكَ ثياباً ، سيأخذ نعومةَ جِلْدِك. ولا يُمكن للضَّحيةِ أن تَضحك على القاتلِ كما أن الشعب لا يستطيع الضَّحكَ على الحكومة . أنْ أظلَّ واقفاً في مَكاني مُحاطاً بالمجدِ والشَّرفِ أفضلُ مِنَ التَّقدم إلى الأمام نَحْوَ الهاويةِ السحيقةِ . أن أُصافِحَ ذِكرياتِ الفراشاتِ وأحلامَ الطفولةِ ، أحبُّ إِلَيَّ أن أُصافحَ ذِكرياتِ الذئابِ وأحلامَ اللصوص. مُعانَقةُ بَراءة الطفولةِ في الشوارعِ القذرةِ أفضلُ مِن مُعانَقة الجواري في

القُصورِ . والفقيرُ الشَّريفُ أفضلُ مِنَ الغنيِّ الوضيعِ . وعاملُ النَّظافةِ الْمُخْلِصُ أعظمُ مِنَ الحاكمِ الخائنِ.

[٣٤] يَصْنَعُونَ حَضارةَ الْمُومِساتِ ، وَيَظُنُّونَ أنَّهم قَادةُ الإنسانيةِ .

الخطوةُ الأُولَى للعلاجِ هِيَ أن يَعترِفَ المريضُ بأنَّهُ مَريض ، ويَبتعد عَن العِنادِ والْمُكابَرة . نَحْنُ نَعيشُ في عالَمٍ ظالمٍ. صارَ الحاكمُ اللصُّ يتحدَّث عن النهضةِ الاقتصادية، وصارت الرَّاقصةُ تتحدَّثُ عَن الأدبِ ، وصارت القِطَطُ تتحدَّثُ عَن حقوقِ الفِئران . قَد تَكون الْمَومِسُ أفضلَ مَن يَتحدَّث عَن الشَّرف. ورُبَّما يَكون المريضُ أفضلَ مَن يَتحدَّث عن الصِّحة. كُلُّ إنسان يَتحدَّث عَمَّا يَفْتَقِدُه.

انتحرَ المعنَى، وتاهت الحقائقُ في زَحمة البحث عَن رغيف الخبزِ . وحضارةُ الوَهْمِ الْمُتغطرِس دَمَّرَت الأرضَ ، وسَوْفَ تَذهب لاكتشافِ المريخ . إنَّها وقاحةُ القوةِ الماديةِ العَمياءِ .

[٣٥] كُلُّ مُلْحِدٍ يُوقِنُ في قَرارةِ نَفْسِهِ بأنَّ اللهَ مَوجودٌ .

قَد يَخدعُ الشخصُ الآخرين ، ويَعتبر ذلك قمة الذكاء . ولكنْ أن يَخدع نَفْسَه ثُمَّ يَصفها بالذكاء ، فهذا مُنتهى الغباء . الإيمانُ باللهِ فِطْرةٌ دَاخليةٌ ، والشخصُ الذي يُقَدِّمُ نَفْسَهُ كَمُلْحِدٍ يَنحصِرُ عَمَلُه في مُحاولةِ طَمْسِ هذه الفِطْرةِ ، وتغطيتها بِشَتَّى الوسائل . إنَّهُ يَخوضُ حَرْباً أهليةً داخلَ جِسْمِه كَي يَخدع قَلْبَه ، ولكنَّ الشمسَ لا تُغَطَّى بِغِرْبال . ومهما علا الترابُ على الذهبِ، فإنَّ الذهبَ يظلُّ حقيقةً ثابتةً ولَيس وَهْماً . والترابُ يَذهبُ مَعَ الرِّيحِ .

[٣٦] عَجِبْتُ لأمْرِ الإنسانِ يَقضي عُمُرَهُ في الدِّراسةِ مِن أَجْلِ إضافةِ حَرْفِ" د " إلى بداية اسْمِه .

الإنسانُ المغرورُ المحصورُ في أوهامه ، يظنُّ العِلْمَ وَرقةً في بِرواز مُعلَّق على الحائط ، ويَعتقد أن العبقريةَ هِيَ إضافةُ حَرف" د " إلى بداية اسْمِه كواجهةٍ اجتماعية. وهذا الوَهْمُ دَمَّرَ العقلَ البشريَّ. إنَّ العِلْمَ نُورٌ إلهيٌّ يَقذفه اللهُ في قَلوبِ مَن يَختارُهم مِن عباده ، ولَيس العِلْمُ سَيَّارة مرسيدس وسكرتيرة ترتدي تَنُّورةً قصيرةً ومَكتباً أنيقاً وكُرْسِيَّاً هَزَّازاً . يَنبغي التَّفريقُ بَيْنَ العِلم والثقافة ، ويَنبغي التفريقُ بين العالِم والمشتغِل بالعِلم .

[٣٧] الاعترافُ بِوُجودِ الشَّيء لا يَعني بالضَّرورةِ أنَّ وُجودَه شَرْعِيٌّ .

كُلُّ عُنصرٍ له مكان تحت الشمس. وكلُّ شخصٍ له حِصَّةٌ من الكعكة . لكنَّ الحِصَصَ مُتفاوتة، وتختلف باختلاف تأثير الشخص في تاريخ الوجود البشري . إنَّ البصمةَ الفردية في تاريخ الجماعة والمجتمع هي التي تَمنح الفردَ الشرعيةَ ، أو تَنْزِع عنه الشرعية . إنَّ الجثةَ موجودة في

حيِّز الزمان والمكان ، ولكنها لا تنتمي إلى عالَم الأحياء ، ولا تَملك شرعيةَ الحياة . والسَّوادُ الأعظمُ مِنَ الناس مَوجودون ، ويتمُّ تصنيفهم في قائمة الأحياء ، لكنهم لا يَملكون شرعيةَ الحياة ، لأنهم أمواتٌ ولا يَعرِفون أنهم أموات، ولا يَعرِف الناسُ أنهم أموات . وهؤلاء الأمواتُ (حقيقةً) الأحياءُ (مَجَازاً) عِبْءٌ على الوجود البشريِّ. أمواتٌ يَسيرون في الشوارع، ويَضحكون ، ويَتزوَّجون ، ويُنجِبون ، لكنهم لَم يَجِدوا مَن يَدْفِنُهم ، لأنهم يَعيشون في مجتمع مَذبوح . والأمواتُ لا يَحكمون على الأمواتِ ، ولا فائدة من استغاثة السَّجين بالسَّجين ، ولا مَعْنَى لاستغاثةِ الغريقِ بالغريقِ . لقد انطفأت الحياةُ ، وانتهت اللعبةُ .

[٣٨] وَظيفةُ الإنسانِ تُحَدِّدُ طَريقةَ التَّعاملِ مَعَهُ ولَيْسَتْ شخصيته .

لَوْ كُنتُ رَئيسَ دَوْلةٍ ، فإن الناسَ سَيركضون ورائي، ويَسْعَوْنَ إلى تَعظيمي ومَدْحي وتقبيلِ يَدِي . وَلَوْ كُنتُ عَامِلَ نظافةٍ ، فإن الناسَ سَيَحتقروني . وفي أحسنِ الأحوالِ سَيُشْفِقُونَ عَلَيَّ . وسواءٌ كُنتُ رَئيسَ دَولةٍ أَم عامل نظافةٍ ، فإن الناسَ غَير مَعْنِيِّينَ بمشاعري وذِكرياتي وشخصيتي . كُلُّهم يُصَنِّفوني حَسَبَ وَظيفتي . لا أحدَ يَهتمُّ بأشواقي الروحية ، أو طبيعةِ قلبي ، أو مستوى أخلاقي . كَسَروا المرايا ، ولا يُريدون رؤيةَ وَجْهي ، لأنهم يَتعاملون معَ قناعي . يَعشقون العَرَضَ ، ولا أحدَ يُفتِّش عن الجوهر . والعَرَضُ لا يَبْقَى زَمَانَيْن .

[٣٩] الحضاراتُ القائمةُ على قَتْلِ البَشَرِ ، تَظهر فَلْسَفَتُها الْمُتَغَطْرِسَةُ في الآثارِ العُمرانيةِ .

الغرورُ قَبْرُ الإنسانِ وضَريحُ الحضارةِ . يَهدمونَ الإنسانَ ، ثُمَّ يَبْنُونَ المقابرَ بكل أناقةٍ ، وَفْقَ أحدثِ نَظرياتِ الهندسةِ المعماريةِ . كانَ الفراعنةُ حَريصينَ على تشييد قُبورهم . قَضَوا حياتَهم في التفكيرِ بِمَوْتِهم . وكانت حياتُهم هي فلسفة الموتِ . وُلِدُوا في الموتِ ، وعاشوا في الموتِ ، وماتوا في الموتِ . فَهَل شَعَروا بالحياةِ ؟ . ماتَ البشرُ من أجل حَفْرِ قناةِ السويس . وماتَ البشرُ من أجلِ بناءِ الأهرام . هُدِمَ الإنسانُ ، وبُنِيَ السَّد العالي . فهل هذا نجاحٌ أَم فَشَل ؟ . لا أجِدُ أفضل مِن مِصْرَ لاعتمادها أُنموذجاً . إنها البلدُ المذكورُ في القُرآن والتَّوراة والإنجيل . إنها البلدُ التي تَمْلِكُ في رَصيدها سبعة آلاف سنة من الحضارة .

[٤٠] عِندَما تُحْشَرُ الحضارةُ في الزَّاويةِ تَبدأُ بِأَكْلِ نَفْسِها .

لا تَحْشُروا القِطَّ في الزاوية . ستأكلُ الثورةُ أبناءَها . تَنكمشُ الحضارةُ في الزَّاويةِ الضَّيقةِ ، وتبدأ بالاضمحلالِ التدريجيِّ . تَذهبُ المرأةُ إلى النِّسيان في إحدى زَوايا المطبخِ . وحِينَ تَغيبُ الرَّوافدُ ، فإنَّ البُحَيرةَ سَتَجِفُّ . الانفتاحُ هُوَ القُوَّة . سينفتحُ النَّهرُ على البحر ، ويَنفتحُ البحرُ على

البُحَيرة . قد يُوجَد في النهرِ ما لا يُوجَد في البَحْرِ . وقَد يَتفوَّقُ التلميذُ على أُستاذه . إنَّ الحركةَ المستمرةَ هي التي تَمنعُ الدَّراجةَ مِنَ السُّقوطِ .

[٤١] بِلادُنا كالطاحونةِ . إنْ أردتَ ألا تُطْحَنَ ، عَلَيْكَ أن تَكونَ أكبرَ مِنَ الطاحونة .

لا تَلْعَبْ دَوْرَ الضَّحيةِ . لَم يَخْلُقْكَ اللهُ لِتَكونَ ضَحِيَّةً . لا تَخترِعْ مَظلوميةً وتَغرق فيها . كُن نِدَّاً ، ولا تَمُتْ إلا وأنتَ نِدٌّ . اصنعْ مَجْدَك بِيَدَيْكَ . لا فائدة من البكاء على الأطلالِ . الدموعُ لَن تُعيد الموتى ، ولن تُرجِع الأشياءَ التي ماتت . وظيفةُ الصيادِ أن يصطاد السمكةَ ، لا أن يُفكِّر في مشاعر السمكة لحظة اصطيادها . وظيفةُ السمكة أن تَسْبح وتَهْرب من الصياد ، لا أن تفكر في أبناء الصيادِ الجِياع . وظيفةُ الرَّجل أن يُجامع زوجته ، لا أن يفكر في آلام الحمل والولادة . وظيفةُ الزوجة أن تَحْبَل وتَلِد ، لا أن تفكر في الضغوطات الاجتماعية التي قد تُصيب زوجَها بالضعفِ الجنسيِّ .

[٤٢] إنَّ الذينَ يَهْتَزُّونَ أمامَ أفخاذِ النِّساءِ لا يَقْدِرُونَ أن يُمْسِكُوا سَيفاً .

الانكسارُ أمامَ الغَريزةِ هُوَ انكسارٌ شاملٌ . والانهيارُ يَسحِبُ على كُلِّ العناصر . المجدُ وَحْدةٌ واحدة ، لا يتشظَّى ولا يَتجزَّأ . والشخصُ الذي يَخافُ من النظر إلى وجهه في المرآة ، سيخافُ من كل شيء . وإذا خسر الإنسانُ نَفْسَه ، فسيظل خاسراً حتَّى لَوْ رَبِحَ العالَمَ . والقائدُ المهزومُ سيظل غارقاً في الخزي والعارِ، حتى لو وضع على صدره كُلَّ الأوسمةِ العسكرية . لا يُمكن للشخص العاجزِ جنسياً أن يَنظر في عيون زوجته.وسوف تهرب الزوجةُ الخائنة من نظرات زوجها. إنَّها رِحلة البحث عن الذات ، وَهِيَ نَفْسُها رِحلة الهروب من الذات . إنَّه الهروب المستمر . وفي أحيان كثيرة ، يَهْرُبُ الإنسانُ مِن نَفْسِه كَي يَجِدَ نَفْسَه .

[٤٣] اسْتَعِدَّ للحَرْبِ وَاحْفِر الخنادقَ ، ثُمَّ اجْلِسْ عَلى طَاولةِ المفاوَضات .

العالَمُ لا يَعترِفُ إلا بالأقوياء حتى لَوْ أشفقَ على الضُّعَفاء . كلمةُ القويِّ مَسموعةٌ في هَذا العالَم الظالم ، وكلمةُ الضعيف تَذهب أدراجَ الرياح . لا تُوجد حرب من أجل الحرب . إنَّ الحربَ من أجل الحصول على شروط أفضل في اتِّفاقية السلام . والضعيفُ هو الطرف الخاسر الذي يُوقِّع على معاهدة الاستسلام ، ولا يَستطيع أن يُوقِّع على معاهدة السلام . السلام للأقوياء والأنداد ، والاستسلام للضعفاء والمهزومين . اسْعَ مِن أجلِ تَحقيق أعلى رِبْح ، واذْرُس احتمالَ الخسارة ، لِكَيْلا تُصْدَمَ إذا حَدَثَتْ . لا تَتْرُكْ شَيئاً للصُّدفة أو الاحتماليةِ القاتلة .

[٤٤] المجرمون عِندَما يَتقاعدون مِن مَناصِبِهم ، يُصبحون مُدافعين عن حُقوقِ الإنسان .

عِندَما يُشارِكُ الوزيرُ في الحكومةِ ، يُصبحُ مُحامِياً للشَّيطان . يُدافِعُ عن أخطاءِ الحكومةِ وخَطَاياها، لأنها هِيَ التي تَدفع رَاتبَه الشَّهريَّ . وحِينَ يَخرج من الحكومة ، يُصبِح مُعارِضاً سياسياً، ويبني مشروعه السياسي على فضح ألاعيب الحكومة والدفاع عن حقوق المواطنين . تماماً كالقِطِّ الذي يَلتهِم الفِئران أثناء قُوَّته ، وحِينَ يُصبح عَجوزاً يائساً ، يُدافِع عن حقوق الفئران في الحياة الكريمة . وفي كل الأحوال ، ستظلُّ الشعوب هي فئران التجاربِ .

[٤٥] التَّصوراتُ المسبقةُ عَن الشَّيء قَد تُضَيِّعُ حَقيقتَه .

دراسةُ التاريخِ تعني أن نَدْرُسَ ما حَدَثَ على أرض الواقع ، ولا نَدْرُس الأحداثَ التي تَدُورُ في خَيَالِنا ، ونتمنَّى لَوْ كانت واقعاً . التاريخُ هو كشف الحقيقة لا كشف الخيال الذي نَتَمَنَّى لَوْ كان حقيقةً. والتصوراتُ المحيطةُ بالشَّيء قد تَنسف ماهيةَ الشَّيء ، وتُحيله إلى هُوِيَّة مُخادِعة . فالشَّيْءُ هو الجوهر ، أمَّا تَصَوُّراتُنا المغلوطة عنه ، فهي أعراضٌ وهمية قاتلة للجوهر . هُناكَ فَرْقٌ بين الهديةِ والورق التي تُلَفُّ بِه الهدية . ولا يمكن المقارنة بين اللؤلؤ والصَّدف ، أو القلب والقفص الصدريِّ، أو البيت والسُّور ، أو الصورة والبرواز . والشخصُ الغنيُّ يَحْمِلُ المالَ الكثيرَ في كيس تافهٍ لا يُساوي شيئاً . الجسدُ للترابِ والدُّودِ، لأن الجسد هو الحامل . والعِبرةُ بالمحمولِ . وسَوْفَ تظلُّ رُوحُ الإنسانِ هي الحقيقةَ السَّامِيَة التي لا يَصِلُ إلَيها الترابُ ولا الدُّود .

[٤٦] في كُلِّ مَحكمةٍ عَربيةٍ ضَابِطُ مُخَابَرَاتٍ خَلْفَ السِّتارةِ يُمْلِي الأحكامَ عَلى القُضاةِ .

ماتت الدَّولةُ . فلا معنى لمحكمة أمنِ الدَّولة . أنتَ محكومٌ بالإعدامِ مُنذُ مِيلادِك ، سَواءٌ صَدَرَ الْحُكْمُ أَم لَم يَصْدُرْ . وفي الدُّوَل الفاشلة ، لا يُوجَد قضاء مُستقل ونَزيه ، لأنَّ الفسادَ هُوَ النشيدُ الوطنيُّ . والأُمَم العائشةُ في التَّنظيرِ والشِّعاراتِ ، هِيَ أُمَمٌ مَيْتَةٌ . والميْتُ لا يَعرف ماهيةَ الحياةِ . ماتَ الحاكمُ والمحكومُ ، وصَدَرَ حُكْمُ الإعدام بلا مَحكمة . انتهت المحاكَمةُ قبل أن تَبدأ . ذَهَبَ الرجالُ إلى الموتِ ، وذهبت النساءُ إلى الموتِ . كُلُّ شيء مات ، ولم يَعُدْ لَدَينا شَيء لِنَخْسَرَهُ .

[٤٧] التَّطرفُ لَيْسَ فِعْلاً وإنَّما رَدَّةُ فِعْلٍ . وَرَدَّةُ الفِعْلِ تُنْتِجُ وَهْماً لا فِعْلاً .

نَضْرِبُ على السَّطحِ ، ولا نَغوص في العُمْقِ . نَبحثُ رُدودَ الأفعال ، ونَخافُ مِن دِراسة الأفعال . نَدُورُ حَوْلَ الماءِ، ونخافُ أن نُلْقِيَ حَجَراً في الماءِ الرَّاكد. وهكذا، مِنَ الطبيعيِّ أن تزدادَ مُشكلاتُنا ، وتتكاثرَ أزماتُنا ، لأنَّنا نُخفي النارَ تحت الرماد ولا نُحاول إخمادَها . كما أنَّنا نُرَحِّلُ

الكوارثَ للأجيالِ القادمةِ ، ولا نُحاولُ إيجاد حُلولٍ لها . بِلادُنا هِيَ النَّعَامَةُ التي تُخفي رَأسَها في التراب هَرَباً مِنَ الواقع المؤلِم .

[٤٨] الأنظمةُ العربيةُ بِدائيةٌ وجاهلةٌ لأنَّها تَظُنُّ أنَّها تستخدمُ أمريكا .

أمريكا هِيَ الشَّيطان ، ولا أحَدَ يَضحك على الشَّيطان . والتعاملُ مَعَ الأفعى يَحتاجُ إلى خِبرةٍ، وإن لَم تُسيطِرْ على رَأس الأفعى ، فَسَوْفَ تَلدغك حَتْماً . والسياسةُ هِيَ فَنُّ الْمُمْكِن ، ولُعبةُ الأغنياء ، ودُبلوماسِيَّةُ الكلامِ المعسولِ ، ومتاهةُ الأكاذيبِ والشِّعاراتِ . ولا حَقَّ لَكَ في الكلامِ إلا إذا امتلكتَ رغيفَ الخبزِ . وما دُمْتَ خاضعاً للرَّاتبِ الشَّهريِّ ، وخاضعاً لِرَغيفِ الخبز ، ستظلُّ عَبْداً يَتلاعبُ بِكَ أسيادُك ، ويتَّخذون القراراتِ بِاسْمِكَ ، ويُقرِّرون مَصيرَكَ دُون الرُّجوع إلَيك . والعبيدُ لا يَمْلِكُونَ الْجُرْأةَ على النَّظَرِ في عُيون أسيادهم .

[٤٩] لا يَنهارُ الشَّيْءُ إلا إذا انهارَ مِنَ الدَّاخلِ .

إذا اقتحمَ اللصُّ بَيْتَك ، فلا تُضَيِّعْ وَقتك في لَوْمِ اللص . إنَّكَ تتحمَّلُ المسؤوليةَ لأنَّكَ لَم تُحَصِّنْ بَيْتَك . ما أساءَ إلَيَّ أحدٌ وَلُمْتُهُ ، وإنما أَلُوم نفْسي لأني مَنَحْتُهُ هذه الفُرصة . هُناكَ دُوَلٌ لَدَيها القابلية للاستعمار ، وهناك نساءٌ لَدَيهنَّ القابلية للتَّحرش الجنسيِّ أو الاغتصاب ، وتَتَمَنَّعُ الواحدةُ مِنْهُنَّ وَهِيَ راغبة . إذا كانت الجبهةُ الدَّاخليةُ مُحَصَّنةً فلا يُمكِن اختراقُها من الخارج . أمَّا إذا انهارَ التماسكُ الداخليُّ ، سيصبحُ الفردُ والجماعةُ رِيشةً في مَهَبِّ الريح . وجِسْمُ الإنسانِ يظلُّ متماسكاً ما دَامَ يَمْلِكُ جهازَ المناعة الدَّاخليَّ . وسُقوطُ جهاز المناعة هُوَ نهايةُ الإنسانِ الحتمية .

[٥٠] في الدُّوَلِ الفاشلةِ يجب أن يَكون الحاكمُ مُجْرِماً ولِصّاً حَتَّى يَفْرِضَ احترامَه على الآخرين .

يَربطُ العَبيدُ بَيْنَ قَسوةِ الحاكمِ والاستقرارِ السياسيِّ . وهذا أمرٌ مُتَوَقَّعٌ ، لأنَّ العَبدَ يُقْرَع بالعصا ، والْحُرُّ تَكفيه الإشارة . وهؤلاء العبيدُ يَعتقدون أنَّ الحاكمَ يجب أن يكون طاغيةً كَي يُسيطر على مقاليد الْحُكْم ، ولا بُدَّ مِنَ القَبضة الحديدية حتى يَتحقَّق الأمن والأمان والاستقرار . وهذا وَهْمٌ ، لأنَّ حُبَّ الشعب للحاكم هو الضمانة الأكيدة للدفاع عن الحاكم ، وهذا لا يَتَأتَّى إلا بمنح الشعب كامل حقوقه ، ورعاية مصالحه . أمَّا سَحْقُ الشعب وحُكْمُه بالحديد والنار ، فَيُحَقِّقان استقراراً نِسبياً ومُؤقَّتاً . وسَوْفَ يبقى الشعبُ في حالة تَرَبُّص وانتظار من أجل لحظة الانقضاض . ستظلُّ النارُ تحت الرماد، وقد يَثُورُ البُركان في أيَّة لحظة . وكَثرةُ الضَّغط تُولِّد الانفجار . والأنظمةُ القمعيةُ لا تُؤْمِنُ بالتَّداوُل السِّلْمِيِّ للسُّلطة ، لأنَّ سِياسةَ القَمْعِ خاضعةٌ للمنظومةِ القَبَلِيَّةِ ، حَيْث شَيخ القَبيلة هُوَ الحاكم الْمُطْلَق، وعلى الجميعِ طاعتُه. وكُلُّ رَأْيٍ مُخَالِفٍ

هُوَ خِيانةٌ ، وَكُلُّ مُعَارِضٍ لِسِيَاسةِ الفَسادِ هُوَ عَميلٌ وخائنٌ ومُنْدَس . هذا هُوَ قانونُ القبيلةِ العسكريُّ الذي يُسيطِر على مَفاصل الدَّولة ، ويَتحكَّم بالهرَمِ السياسيِّ مِنَ الرَّأس حتى القاعدة . لقد ماتت الدَّولةُ ، وحَلَّت القَبيلةُ مكانَ الدَّولة. وكُلُّ تَغيير سَيُقَابَلُ بِمُعَارَضَة شديدة مِن قِبَل الْمُرْتَزِقَةِ (حُرَّاس الوهم) الذين يهدفون إلى الحفاظ على النظام القمعيِّ ، لأنَّ مصالحهم المادية مُرتبطة بِه ، وإذا زالَ خَسِروا كُلَّ مُكتسباتهم . سَوْفَ يَتمسَّكون بالنظام القمعيِّ بأسنانهم وأظافرهم ، ولا بُدَّ مِن اسْتِنْزاف الشعب حتى الرَّمَق الأخير .

[٥١] الموتُ يَجعل المكانَ والزمانَ شَيئاً واحداً .

الموتُ يُذيب كُلَّ العناصر في بَوتقةٍ واحدةٍ . الموتُ يُوَحِّدُ الأضدادَ في سَبيكةٍ واحدةٍ ، بحيث يَختفي الزمانُ والمكانُ. إنَّ جاذبيةَ الموتِ أقوى مِن جاذبية الثقوب السَّوداء ، لأنَّ الثقوبَ السَّوداء تَبتلع الضَّوءَ ، أمَّا الموتُ فَيَبتلع الحياةَ بأكملها . لا شَيء يَنتصر على الموتِ . وعلى الإنسانِ أن يَجعل مَوْتَهُ حياةً جديدةً لَهُ . الأحمقُ يَعتبر الموتَ نُقطةَ النِّهايةِ ، أمَّا العاقلُ فَيَعْتَبِرُهُ نُقطةَ البداية .

[٥٢] التَّواضعُ هُوَ أن يَكونَ الْمُصَلِّي وَسَجَّادةُ الصَّلاةِ شَيئاً واحداً .

لماذا يَتكبَّرُ الإنسانُ ؟ . يَمشي على الترابِ بكل غُرورٍ . وفي نِهاية الْمَطَاف ، سَوْفَ يَستقِرُّ جُثةً هامدةً تَحْتَ التُّرابِ . خسر الإنسانُ معركته مع التراب ، والمهزومُ لا يَمْلِكُ الوقتَ لِيَرفعَ الرايةَ البَيضاءَ . على الإنسانِ أن يَتَّحِدَ بعناصر الطبيعة . يَتَّحِد مَعَ الأشجارِ لِيُصبح قَلْبُه أخضرَ . يَتَّحِد مَعَ الترابِ لِيُصبحَ جَسَدُه سُنبلةً . يَتَّحِد مَعَ المطرِ لِتُصبحَ رُوحُه نَقِيَّةً . يَتَّحِد مَعَ سَجَّادة الصلاةِ لِتُصبح حياتُه أجمل . وعَلَيْهِ أن يَتَّحِدَ مَعَ الموْتِ الحاكم على عناصر الطبيعة ، وحِينَ يَموتُ سَيَتَحَرَّرُ مِنَ الموتِ ، لأنَّ البابَ المفتوحَ لا يُمْكِنُ فَتْحُه .

[٥٣] الوَحْدةُ فُرصةٌ لاقتحامِ الجوانبِ غَيْرِ الْمُكْتَشَفَةِ في ذَاتِكَ .

على الإنسانِ أن يَصنع سِجْنَهُ بِيَدَيْهِ ، كَي يَنقطِعَ عن الناس ، ويَتَّصِلَ بِنَفْسِهِ بَعيداً عَن ضجيجِ الحياةِ وصَخَبِ العلاقاتِ الاجتماعيةِ. سِجْنُ الإنسانِ في دَاخِلِهِ، فلا يَنبغي أن يُفتِّش عنه في الخارج. وهذا السِّجْنُ فُرصةٌ حقيقيةٌ لاكتشافِ العناصرِ المختبئةِ في قلب الإنسانِ وزَوايا جسده . والعاقلُ هُوَ عَامِلٌ لا يَكُفُّ عن التَّنقيب في مَنْجَمِ جِسْمِه ، من أجلِ استخراجِ الجواهرِ والكُنوزِ . وحتَّى لَوْ كانَ الإنسانُ فَقيراً وضَعيفاً ، فَسَوْفَ يَعْثُرُ على كنوز ثمينة في جِسْمِه . فالذهبُ مُختبِئٌ

في التُّرابِ . والسِّجْنُ مَرحلةٌ مُؤقَّتةٌ لا بُدَّ مِنها لمعرفةِ قِيمة الحرية ، والانطلاقِ إلى وَهجِ التَّحرر وضَوءِ الانبعاث.

[٥٤] وَدِدْتُ لَوْ أَجْمَعُ أعماراً كثيرةً وأُضِيفُها إلى عُمُري كَي أُحَقِّقَ أحلامي .

الإنسانُ مَحصورٌ في الزمانِ والمكانِ. يَتحرَّكُ ضِمْنَ حَيِّز ضَيِّق . عَقْلُه مَحدودٌ ، وخَيَالُه واسعٌ. أحلامُه لا تَنتهي إلا بِمَوْتِه ، وقَد يَأتي آخرونَ بَعْدَ مَوْتِه ، ويُكْمِلُون أحلامَه . وكُلُّ إنسان سَيَموت، وتَموتُ مَعَهُ أحلامٌ كثيرةٌ ، ومشاريع هائلة ، وأفكار خلاقة . والعُمُرُ لا يَكفي كَي يَقول الإنسانُ كَلِمَتَهُ كاملةً . العُمُرُ قصيرٌ ، فلا بُدَّ مِن تقديم الأَهَمِّ على الْمُهِمِّ . وينبغي على العاقلِ أن يَعْرِفَ الفَرْقَ بَيْنَ دَرَجاتِ اللونِ الأبيضِ . ولَيْسَ العاقلُ هُوَ الذي يُميِّز بين الأبيض والأَسْوَد . إنَّ العاقلَ هُوَ الذي يُميِّز بين الأَسْوَد والأَسْوَد . وعَلَيْهِ أن يَرتكب أخفَّ الضَّرَرَيْن ، ويَعْرِف فِقْهَ الأولويات .

[٥٥] الليلةُ الوَحيدةُ التي شَعَرْتُ فِيها بِتَوَهُّجِ الحياةِ هِيَ لَيْلَةُ اغتيالي .

الحياةُ أُكذوبةٌ ، والموتُ هُوَ الحقيقةُ . وكُلُّ كَاتبٍ يَكتبُ بالحِبْرِ والدَّمِ مَعَاً . والكلامُ شَجرةٌ لا تَنْمُو إلا إذا سَقَاها الكاتبُ بِدَمِه . فالدَّمُ هُوَ الذي يَمنح قَارورةَ الحِبْرِ شَرْعِيَّتَها . يَذهبُ جَسَدُ الكاتبِ إلى التُّرابِ، وتظلُّ كلماتُه في فَضاءِ الأرواح والقُلوبِ. الرَّصاصةُ تَقتلُ الجسدَ ، لَكِنَّها لا تَقتلُ الكلمةَ . والكلمةُ لا تُوَاجَهُ إلا بالكلمةِ . واغتيالُ الكاتبِ مَكْسَبٌ لَهُ ، وخَسارةٌ للبشريةِ . واغتيالُه حَياةٌ جديدةٌ لَهُ ، وإحياءٌ لأفكاره .

[٥٦] الماركسِيَّةُ ثَورةٌ مِن أَجْلِ العَدَمِ ، والإسلامُ ثَورةٌ مِن أَجْلِ الله .

الماركسيةُ هِيَ أفكارٌ مَنسوبةٌ إلى شخصٍ غَريبٌ عَن ثقافتنا وحضارتنا.ولكنَّ الأعرابَ الْمُصابينَ بِعُقدةِ الخواجةِ يُقَلِّدُونَ أبناء الحضارة الغربية ، لأنَّهم مَهزومون حضارياً ، والمغلوبُ مُولَع بتقليد الغالبِ. وصِبيانُ فلاسفةِ الغربِ مِن أبناءِ جِلْدَتِنا هُم ناسخون ومُقَلِّدُون. وَلَوْ كانَ ماركس مَوجوداً لَرَفَضَ هؤلاء الأعراب، ولَم يَقْبَلْهم كتلاميذ، بسبب عَجْزِهم ، وانهيارِ مُستواهم العِلْمِيِّ . وكُلُّ عَرَبِيٍّ يُدير ظَهْرَه للحضارة العربية الإسلامية ، سيظلُّ مَنبوذاً مِنَ الشَّرق والغرب مَعَاً . والماركسيةُ تَلَقَّفَها بعضُ الكُتَّاب العرب تَقْليداً لأسيادهم فلاسفة الغرب ، وهذه الفلسفةُ مِثْل التَّنورة فوق الرُّكبة ، حيث تَرْتديها امرأةٌ بَدويةٌ راعيةُ غنم تَقليداً لنجمات هُوليود .

[٥٧] أَرْسَلَتْنِي لُغتي كَي أَمْسَحَ الشُّعَراءَ الْمُزَيَّفينَ في كُلِّ العُصورِ .

أنا رَسولُ اللغةِ وخادمُ الأبجديةِ . لُغتي انفجاراتٌ لا حَصْرَ لها ، أنا الحارسُ الشَّخصيُّ لذاكرةِ المعنى ، أُطْلِقُ الكلماتِ على جَسدِ الوَهْمِ ، وأَمْسَحُ أنصافَ الشُّعراءِ مِن ذِكرياتِ المطرِ ، وأُنَقِّي جَسَدَ التاريخِ مِن صُوَرِ سَماسرة الكلمةِ .

[٥٨] لا تُضَيِّعْ وَقْتَكَ في إصلاحِ الأغصانِ . اذْهَبْ إلى الْجَذْرِ وأَصْلِحْهُ .

الْمَنْبَعُ لا الْمَصَبُّ. القلبُ لا الأظافرُ. الرَّأس لا الأطراف . حَدِّدْ رَأْسَ كُلِّ أمرٍ ، وركِّزْ عَلَيهِ . اعْرِف الطريقَ الرئيسِيَّ ، ودَعْكَ مِنَ الطرقات الجانبية . لا تُضَيِّعْ وَقْتَكَ في إصلاحِ الأعراضِ . أَصْلِح الجوهرَ . اعْرِف العقلَ المفكِّرَ في كُلِّ قضيةٍ، ودَعْكَ مِنَ الأدوات . إصلاحُ المجتمعِ يَقوم على رُكْنَيْن : إصلاح الأساس ، وضَرْب رأس الأفعى .

[٥٩] إعدامُ المرأةِ الشَّريفةِ يَكُونُ بِوَضْعِهَا في مَلْهَىً لَيْلِيٍّ .

البشرُ مُختلِفون ومُتفاوِتون . الدُّنيا والآخِرةُ قائمتان على التَّفَاوُتِ في المنازِلِ والدَّرجاتِ . كُلُّ شَخصٍ له خصائص مُتفرِّدة. شَخْصٌ تَقتلُه الرصاصةُ ، وشَخصٌ تَقتلُه الكلمةُ ، وشخصٌ تَقتلُه النَّظرةُ. الثَّوْبُ الأبيضُ تَظهرُ فِيه أصغرُ نُقطةٍ سَوداء، أمَّا الثَّوْبُ الأسْوَدُ فَكُلُّ الأوساخِ فِيهِ مَخْفِيَّةٌ . والقانونُ الذي يَحْكُمُ الشُّرَفاءَ يَختلِف عَن القانون الذي يَحْكُمُ الأوغادَ .

[٦٠] العاقلُ لا يَحْشُرُ القِطَّ في الزَّاويةِ .

عِندَما يُحشَر القِطُّ في الزاوية ، سَيُصبحُ وَحْشاً كاسراً . اتْرُكْ لَهُ فُرصةً للهربِ . عِندَما تُحاصِرُ عَدُوَّكَ مِن كُل الجهاتِ ، اتْرُكْ لَهُ فُرصةً للاستسلام أو الهروب . إذا حَاصَرْتَهُ في إطارِ القتل، فَسَوْفَ يُقاتِلُ حتَّى النهاية مِثْلَ الأسد. لَيْسَ لَدَيْهِ ما يَخْسَرُه . وإذا حَوَّلْتَ الخاسرَ إلى أسَدٍ ، فأنتَ الخاسر . إنَّ أقوى الأعداء هُوَ الذي لَيْسَ لَدَيه ما يَخْسَرُه . وأذْكَى الأعداء هُوَ الذي يُقاتِلُك بِنَفْس سِلاحك . وعُموماً ، إنَّ أسهلَ وَسيلةٍ لمقاومة العَدُوِّ أن تُقَاتِلَه بِنَفْسِ سِلاحه وَنَفْسِ أُسلوبه . وبذلك تَكون قَد قَتَلْتَ عُنصرَ المفاجأة ، وقُمْتَ بِتَحييد عناصر قُوَّة العَدُوِّ . المعنوياتُ هِيَ التي تُقَاتِلُ ، والعقلُ هُوَ الذي يُسيطِر على العَضَلات . اليابان الصغيرة كانت تحتلُّ الصين (أكبر دولة في العالَم مِنَ حَيث عدد السُّكان ، وهولندا الصغيرة كانت تحتل أندونيسيا (أكبر دَولة مُسلِمة في العالَم) ، والبُرتغال الصغيرة كانت تحتل البرازيل (أكبر دولة كاثوليكية في العالَم) .

[٦١] أكثرُ النِّساءِ قَلَقاً زَوْجَةُ الشَّاعرِ .

ماذا تُريدُ المرأةُ المتزوِّجةُ ؟ . تُريدُ زَوْجاً يُشبِعها عاطفياً وجِنسياً . والشاعرُ قد لا يَستطيع أداءَ هذه المهمة . ليس لأنه فاشل أو عاجز . ولكن بسبب حجم التَّشويش المرعِب في ذِهنه ،

والضغط الرهيب على أعصابه ، والعِبء الثقيل على كَتِفَيْهِ . فالشاعرُ يَحمل هَمَّاً وُجودياً ثقيلاً ، والأحزانُ تَتفجَّرُ في كيانه بشكل هِستيريٍّ . وَزَوجةُ الشاعرِ حِينَ تَعيش مَعَ هذا الشخص الْمُبْدِع الحامل للهُموم المصيرية ، والأزماتِ العالمية سَواءٌ كانت رُوحيةً أم مادية ، قد تَندم لأنها تَزوَّجتْ شاعراً ، ورُبَّما تَدخل في صراع رهيب مَعَ نَفْسِها ، وقد تَحترق لأنَّها دَخلتْ في مَداراتِ الشاعر الرهيبة . والشاعرُ هُوَ مُلْكٌ للبشرية جَمْعاء ، يَتحدَّثُ بِاسْمِ الوجودِ البشريِّ . إنَّهُ مَسؤولٌ عَن أحلامِ الإنسانية لا أحلامِ أُسرته فَحَسْب .

[٦٢] يَحْرُسُونَ البَقَرَةَ ثُمَّ يَذْبَحُونَها حِينَ يَجِفُّ حَلِيبُهَا .

المصلحةُ هي الفلسفةُ الحاكمةُ . لا قيمةَ للأخلاق في العلاقات بين الدُّوَل . صَديقُ اليوم عَدُوُّ الأمسِ، وعَدُوُّ اليومِ صَديقُ الأمسِ . وَحْدَها المصالِحُ المشترَكةُ هي التي تَحكم العلاقاتِ السياسية. والسياسِيُّ تاجرٌ، لكنَّ مشاريعَه التجارية شديدة الخطورة، لأنه يُتاجر بالشَّرف والأخلاق ومصائر الشعوب ومستقبل الدُّوَل . والدَّولةُ الناجحةُ هي التي تعتمد على نَفْسِها ، ولا تَترك مصيرَها للآخرين يَتلاعبونَ بِه . وإن حُوصِرَت الدَّولةُ تحت الضغوطات ، فَعَلَيْها ألا تَضع كُلَّ بَيْضِها في سَلَّة واحدة ، ولا تَبصق في البِئر بعد أن تَشرب مِنها ، فقد تَضْطَرُّ إلى الشُّرب مِنها مَرَّةً أُخرى . وهكذا تَبْرُز ضرورة حِفظ خَط الرَّجعة .

[٦٣] لَن يَشْعُرَ الإنسانُ بِرُجُولَتِهِ إلا مَعَ الْحُورِ العِين .

المرأةُ على كَوكبِ الأرضِ هِيَ كَيَانٌ طِينيٌّ ، مَحصورٌ في دَمِ الْحَيْضِ ، والأوساخِ ، والمِكياج ، وآلامِ الْمَخَاض ، ومُشكلاتِ الْحَمْلِ والولادة . إنَّ أُنوثتها وهميةٌ ومُؤقَّتة . مِنَ التُّرابِ إلى التُّرابِ.

[٦٤] لا تَلْهَثْ وَراءَ الْحُبِّ . اتْرُكِ الْحُبَّ يُفَتِّشْ عَنكَ .

كُن طَبيعياً وتِلقائياً . لا تَحْصُرْ تفكيرَك في الحبِّ ، ولا تُفكِّر في كَيفية العُثور عَلَيه . عِشْ حياتَك بشكل طبيعيٍّ . سَيَظهر لَكَ الحبُّ بشكل غَير مُتوقَّع في المكان والزمان الغَرِيبَيْن ، كما يَظهر الضَّوءُ في غابةٍ كثيفة الأشجار . كما يَظهر لَكَ صَديقٌ قديمٌ انقطعتْ أخبارُه مُنذُ مُدَّةٍ بَعيدة. فَتِّشْ عَن الحبِّ في داخلك ، ولا تُفَتِّشْ عَن الحب في الخارج . الحبُّ في دَاخلك يحتاج إلى تَنقيب مستمر وبحث دائم ، أمَّا الحبُّ الخارجيُّ فَسَوْفَ تَحْمِلُه لَكَ الأيامُ عَاجِلاً أو آجِلاً . اشتغِلْ بالعَمَلِ، ولا تُفكِّر بالنتيجة .

[٦٥] مَنْ يُؤلِّف الكُتبَ كَي يُصبحَ مَشهوراً ، سَيَبْقَى مَغموراً .

لا مَعْنَى للشُّهرةِ. العِبرةُ بالإخلاصِ للهِ . وهذا الإخلاصُ يُحَتِّمُ على الإنسان مُساعدةَ الآخرين، والأخذ بأيديهم إلى بَر الأمان. الشُّهرةُ مَجْدٌ زَائلٌ . اهْرُبْ مِنَ المجدِ يَتْبَعْكَ المجدُ . لَوْ خَطَّطَ الإنسانُ للشُّهرةِ بالوَرقةِ والقَلَمِ ، فَلَن يَحْصُلَ عَلَيها ، لأنَّها أمرٌ خارجٌ عَن إرادته . وظيفةُ الإنسانِ أن يَمشيَ في الطريقِ، ولَيْسَتْ وظيفته أن يَصِلَ. مُطَالَبٌ أنتَ بالعملِ الدَّؤوبِ،ولَسْتَ مُطَالَباً بالنتيجة.

[٦٦] جَرَّبْتُ كُلَّ الْمَنَافي الأرضيةِ فَأُصِبْتُ بالْمَلَلِ . أُرِيدُ مَنْفَىً في كَوْكَبٍ آخَر .

كَيْفَ يَهربُ المحكومُ بالإعدامِ وَهُوَ مُحاصَرٌ بِقُضبان الزِّنزانة ؟. كَيْفَ يَهربُ الإنسانُ مِنَ الموتِ والموتُ يَطْلُبُهُ ؟ . الأنا هُوَ الآخَر ، والآخَرُ هُوَ الأنا . الوطنُ هُوَ المنفَى ، والمنفَى هُوَ الوَطنُ . والإنسانُ وُلد غريباً ، وسيظلُّ غريباً . يَنظرُ في المرايا، ولا يَعرفُ وَجْهَهُ. يَختبئُ الطِّفلُ في حِضْنِ أُمِّهِ، وأُمُّهُ أنجَبَتْهُ للمَوْتِ ، وَهِيَ تنتظرُ الموتَ . يَحمل الإنسانُ في داخله بِذرةَ انهياره . وَلَوْ تَحرَّر من جاذبيةِ الأرض ، فلن يَتحرَّر من جاذبية الموت .

[٦٧] الْخُطوةُ الأُولَى في طَرِيقِ الإبداعِ أن تُؤْمِنَ أنَّكَ مُخْتَلِفٌ .

أنتَ مُمَيَّزٌ . لَيْسَ بِمَعنى أنَّكَ أفضلُ مِنَ الآخرين ، ولكنْ بِمَعنى أنَّ لَدَيْكَ شيئاً لا يَمْلِكُه الآخرون، وهو بَصمتك الشخصية . كُن نَفْسَكَ ، ولا تُقَلِّد الآخرين . ارْفُض الذَّوَبان في الآخرين. أقصرُ طَرِيق للعبقرية أن تَكون نَفْسَكَ ، ولا شَيْءَ آخَر . لَن يَحترمَك الناسُ إذا كُنتَ الصَّدى . كُنْ أنتَ الصَّوْتَ لِتَفْرِضَ احترامَكَ على الناسِ. حَتَّى لَوْ كُنتَ صَوتاً مَبحوحاً. إنَّ الصَّوت المبحوح أفضلُ مِنَ الصَّدى النقيِّ . لا مُقَارَنة بين الأصل والنُّسخة المزوَّرة . لا تَتْرُك الآخرين يُفكِّرون نِيابةً عَنْكَ، اصْنَعْ حَيَاتَكَ بِنَفْسِكَ، وضَعْ بَصْمَتَكَ الشخصيةَ. إنْ بَقِيتَ ساكتاً، فإنَّ الآخرين سَيَتَحَدَّثون باسْمِكَ ، ويَسرقون حَياتكَ مِنْكَ .

[٦٨] عَدُوِّي الموجودُ في دَاخِلي أكثرُ خُطورةً مِن عَدُوِّي الخارجيِّ .

مَن الذي سَيَأكلُ الغَنَمَ : الرَّاعي أَم الذِّئبُ ؟ . عَدُوِّي الكامنُ في دَمي أكثرُ خُطورةً لأنَّهُ يَعيشُ في شَراييني ، ويَرى أحلامي ، ويُشاهِدُ ذِكرياتي ، ويَطَّلِعُ عَلى مشاعري . إنَّهُ مُطَّلِعٌ على نقاط قُوَّتي ونقاط ضَعْفي . سَأُغْلِقُ بابَ بَيتي أمامَ عَدُوِّي الخارجي ، أمَّا عَدُوِّي الداخلي فيعيشُ مَعي .

[٦٩] عَجِبْتُ لِوَطَنٍ وَجَدْتُ حَياتي في حَيَاتِه ، وَوَجَدَ حَيَاتَهُ في مَوْتي .

الأغبياءُ يُحَوِّلُونَ الوَطَنَ إلى صَنَمٍ ، واللصوصُ يُحَوِّلُونَ الوَطَنَ إلى بَقرةٍ حَلُوب . لا قِيمةَ للوَطَنِ إذا لَم يَمْنَح الحياةَ الكريمةَ لأبنائه . وإذا تَحَوَّلَ الوَطَنُ إلى مَنْفَىً أو سِجْنٍ كبير ، فإنَّ رُوحَ الانتماءِ

سَوْفَ تنهار ، وتُصبحُ الْمُوَاطَنَةُ صَفقةً تجاريةً ، وتُصبحُ الوَحْدةُ الوَطنيةُ أُغْنِيَةً رُومانسيةً مَمسوخةً . لقد سَقَطَت الرومانسيةُ ، وسَقَطَت الوَحدةُ الوطنية ، لأنَّ الحاكمَ هُوَ الصَّنَمُ الأكبرُ واللصُّ المعظَّمُ .

[٧٠] المجتمعُ الذي لا دِينَ لَهُ ، يُصْبِحُ الرُّعْبُ دِيناً لَهُ .

الإنسانُ أمامَ خِيَارَيْن لا ثالث لهما : إمَّا أن يَمشيَ في طريقِ اللهِ ، أوْ يَمشيَ في طَريقِ الشَّيطان. لا يُوجَد حَلٌّ وَسَط . وطريقُ اللهِ هُوَ مَصْدرُ السلامِ الرُّوحيِّ ، ومَنبع السَّكِينة . حيث يَتصالَحُ الإنسانُ مَعَ ذاته،ويُعيد اكتشافَ عناصر الطبيعة مِن مَنظورٍ إيمانيٍّ لا مكانَ فِيهِ للقلق والاضطرابِ. والإنسانُ عَبْدٌ في كُلِّ حالاته. إذا لَم يَكُنْ عَبْداً للهِ، فهو عَبْدٌ لِغَيْرِه. إذا لَم يَكُنْ عَبْداً للخالقِ ، فهو عَبْدٌ للمَخلوقِ.فَلْيَكُنْ عَبْداً للهِ لِيُرِيحَ نَفْسَه.والعُبوديةُ للهِ هِيَ الحريةُ في أسْمَى مَعانيها،والقُوَّةُ المعنويةُ والماديةُ التي تَنتشل الإنسانَ مِن مَأزقه الوجوديِّ الْحَرِج. والشخصُ الذي لا يَمتلك العقيدةَ يَخافُ مِنَ الشخص الذي يَمتلكها.ولا بُدَّ للعقيدةِ مِن قُوَّةٍ تَحميها، ولا بُدَّ للقُوَّةِ مِن عَقيدةٍ تُوَجِّهُها.

[٧١] مُشكلةُ بَعْضِ الأُدَباءِ أنَّهم أكبرُ مِن بِلادِهم .

يَصِلُ بعضُ الأدباء إلى رُتبةٍ سَامِيَةٍ مِنَ الفِكْر والإبداع والتأثير العالميِّ . والْمُفارَقةُ تَبْرُز إذا كانوا يَنتمون إلى دُوَلٍ فاشلةٍ لا تأثير لها على الساحة الدَّولية . وعندئذٍ ، يُصبح هذا الأديبُ أكبرَ مِن وَطنه . وهذا أمرٌ غَريبٌ يُشَكِّلُ أزمةً رُوحيةً عميقةً في النَّفْسِ البشرية .

[٧٢] سَتَصِيرُ حَيَاتُكَ بَالغةَ الصُّعوبةِ عِندَما تَكُونُ ذَكِيّاً بَيْنَ الأغبياءِ .

عِندَما تَكونُ بَصيراً بَيْنَ العُميانِ ، مِنَ الطبيعيِّ ألا يُصَدِّقُوا أنَّكَ بَصيرٌ . البَصيرُ بَيْنَ العُميانِ كالأعمى بَيْنَ الْمُبْصِرِين . والعَالِمُ بَيْنَ الْجُهَّالِ كالجاهلِ بَيْنَ العُلَماء . لا يَعْرِفُون قَدْرَهُ ، وسَوْفَ يَقْضُون على مُستقبله . ومَهْمَا كانَ الإنسانُ عَبقرياً، ويَمتلك قُدراتٍ خارقة ، فهو مَحصورٌ في الزمان والمكانِ ، ومُحَاطٌ بالناسِ ، سَوَاءٌ أحَبَّهم أَم كَرِهَهُم . لَن يَتحرَّرَ مِنَ الناسِ ، حتَّى لَوْ عَاشَ في مَغارةٍ مُنعزِلة عَن العالَم. والذكاءُ الحقيقيُّ هُوَ التَّكَيُّفُ مَعَ المحيطِ الاجتماعيِّ تَأثُّراً وتأثيراً . والذكاءُ الاجتماعيُّ لَيْسَ نِفاقاً أو مُجَامَلةً ، وإنما هُوَ تَحويلُ الشَّخصِ الفاشلِ إلى ناجحٍ ، وتَحويلُ الناجحِ إلى أُسطورة .

[٧٣] شَيْءٌ مُؤْسِفٌ أن تَهْزِمَ أعداءَكَ الحقيقيين وَتَنهزمَ أمامَ عَدُوٍّ وَهْمِيٍّ اخترَعَهُ خَيَالُكَ المريضُ .

الوَهْمُ هُوَ العَدُوُّ الأكثرُ شَراسةً ، إنَّهُ نِهايةُ الإنسانِ ، وانتهاءُ الحضارةِ . نَحْنُ مَرْضَى بالوَهْمِ . حَياتُنا تَنظيرٌ وصُراخٌ وبَحْثٌ مستمر عن المجدِ الضَّائع . لأنَّنا فاشلونَ في الحاضر ، نَهربُ إلى أمجادِ الماضي التي صَنَعَها أجدادُنا . نَحْنُ عِظَامِيُّونَ لا عِصَامِيُّون . نَبني أمجادَنا الشَّخصيةَ الوهميةَ على عِظام آبائنا . نُحَوِّلُ هَزائمَنا في المعاركِ إلى انتصاراتٍ في الأغاني الوَطنية على شَاشةِ التلفاز . وإذا هَزَمْنا أعداءَنا على أرضِ الواقع، فإنَّنا نَجْلِدُ ذَواتنا، ونُشكِّك في قُدراتنا، ونَخترع أوهاماً تَغتالُ أحلامَنا ، وتَكسر أقواسَ النَّصرِ . إنَّ حياتَنا هي الوَهْمُ الْمُعَلَّبُ في عُروقنا . ولَن نستطيع الهربَ مِن دِمائنا . نَفتخِرُ بأنَّنا سَادةٌ نَنتمي إلى أعظم القبائلِ ، ثُمَّ نَتصرَّفُ كالسَّبايا في سُوق النِّخاسة .

[٧٤] النِّظامُ السياسيُّ الفاشلُ يَتَكَوَّنُ مِن عُنْصُرَيْن: قَاتِلٌ يَرْتكِبُ الجريمةَ ، وكَاتِبٌ يُبَرِّرُها أخلاقياً.

الدَّمُ والحِبْرُ وَجْهان لِعُملةٍ واحدةٍ . يُوجَدان معاً ، ويَغيبان معاً . أحياناً أشعرُ أنَّ هُناكَ علاقةً بَيْنَ الرصاصِ وقلمِ الرصاص ، أوْ بَيْنَ قارورة السُّم وقارورة الحِبر . التاريخُ يُكْتَبُ بالدَّمِ والحِبْرِ معاً . هُناكَ صِراعٌ بين القاتلِ والضَّحية على كتابة التاريخ . وهُنا يَتَفَوَّقُ القلمُ على السَّيف ، لأنَّ السَّيف جَعَلَ الموْتَ في قلب الحياة ، أمَّا القلمُ فَجَعَلَ الحياةَ في قلب الموتِ . والنِّهايةُ بِدايةٌ جَديدةٌ.

[٧٥] عَدَمُ كَسْرِ الأبوابِ والنوافذِ لَيْسَ دَليلاً عَلى انعدامِ السَّرقةِ .

هُناك لُصوصٌ شَعْبِيُّون أصحاب ثِيابٍ رَثَّة، مُوَزَّعُون في الحافلات والأسواق الْمُزْدَحِمَة. وَهُناك لُصوصٌ يَرْتَدُون رَبطاتِ العُنُقِ ، يَظهرون على التِّلفاز ، ويُنَظِّرُون في العدالةِ الاجتماعية والوَحْدةِ الوطنية ومُحارَبةِ الفساد . نَبْحَثُ عَن اللصِّ ذِي الثِّيابِ الرَّثةِ . ولا نَبحثُ عَن اللصِّ صاحب رَبطة العُنُقِ الأنيقة . اللصوصُ يَسْرِقُون الملايين ، وهُم جالسون وَراءَ مكاتبهم التي تُزَيِّنُها الأعلامُ الوَطنيةُ وصُوَرُ القادةِ والزُّعَماء . الوطنُ صَفقةٌ تجارية . والشُّعوبُ فِئران تجارب . يُلقي لُصوصُ الوَحدةِ الوطنيةِ أحاديثَ الشرفِ والمجد عَلى الجماهير الْمُخَدَّرَةِ اللاهثةِ وراء رغيف الخبز ، ثُمَّ يَسْرِقُونها بِاسْمِ الوطن والمستقبَل الْمُزدهِر .

[٧٦] أَشْعُرُ بالخوفِ حِينَ أُفَكِّرُ بالسُّؤالِ : هَل نَحْنُ مُسْلِمُون ؟ .

نَحْنُ مُسْلِمُون مَعَ وَقْفِ التَّنفيذ . نَحْمِلُ الإسلامَ في قُلوبِنا ، لَكِنَّنا عاجزون عَن تَحويله إلى واقعٍ مَلموسٍ . الإسلامُ دِينُ العِلْم والعُلَماء ، والمسلمون أُمَّةٌ مُتخلِّفةٌ حضارياً ، يَغْرَقُون في الجهل

والمرض . أُمَّةُ (اقْرَأْ) لا تَقْرَأْ ، وكَيْفَ تَقرأ وفيها عشراتُ الملايين مِنَ الأُمِّيين ؟ . والذينَ يَعْرِفُون القراءة لا يَقْرَؤون . الإسلامُ دِينُ العَدْلِ والْمُساواة ، والأنظمةُ التي تَحكم المسلمين يُضْرَب بِها الْمَثَل في الاستبداد والحِقْد والظلم . إنَّنا نَغْرِقُ في مُستنقع عميق ، وعلى المسلمين إنقاذُ ما يُمْكِن إنقاذُه ، حتَّى يَأتِيَ الْمُخَلِّصُ . وأدعو المسلمين إلى إعادة اكتشاف الإسلام ، وكَشْفِ العناصر الثَّورية فِيه ، من أجل صناعة تَقَدُّم حقيقيٍّ على صعيد الإنسان والمجتمع ، وعدم تقديس أقوال الفقهاء . لأنَّ النَّصَّ هُوَ المقدَّس ، أمَّا تفسير النَّص فعمل بشريٌّ يَحتمل الصواب والخطأ . وأكبرُ خطر على الإسلام هي عملية بَدْوَنة الإسلام وإلصاقه بالصحراء وتَغليفه بالطابع البدويِّ . وهذه العملية يَقوم بها بعض المسلمين الْجُهَّال الذين يَنْسِبُون أنفسَهم إلى أهل العِلْم .

[٧٧] اللغةُ هِيَ خَطُّ الدِّفاعِ الأوَّلُ عَن الْهُوِيَّةِ والحضارةِ .

سِرُّ اللغةِ كامنٌ في طاقتها الرَّمزية . وهذه الطاقةُ هي الحاملةُ لشرعيةِ الإنسانِ ، ومشروعيةِ الجماعةِ ، ومَشروعِ الحياة بِكُلِّ تفاصيلها . والرَّمْزُ هُوَ العُنصرُ القادرُ على مُواجَهة الخرافاتِ المتوحِّشةِ والأساطيرِ الْمُوحِشة . اللغةُ هِيَ الجسدُ ، والأبجديةُ هِيَ شَمْسُ الرُّوحِ . اللغةُ وَمضةٌ ضَوئيةٌ أوْ شَرارةٌ ناريةٌ في غاباتِ الْحُلْمِ . تُصْبِحُ الأبجديةُ مَعشوقةً تُداوي جُروحَ القلب . ونحفر خنادق أحزاننا في رياح اللغة لننتزع الفرحَ من عيون الفقراء والأيتام والنِّساءِ الْمُغْتَصَبَاتِ . كُلُّ وَمْضٍ جَسَدٌ . والْحُلْمُ يُولَد مِن احتضار الزَّمَكَان . والزَّمانُ والمكانُ شَبَحَان يُخيِّمان على تفاعلات الأنساق البشرية . الزَّمَكَان وَهْمُ الاختبارِ الإنسانِيِّ ، ونطاقُ تطبيقاتِ نظرية الشَّبَح . نحن ــ على وجه التحقيق ــ نعيش في عالَم وَهْمِيٍّ لأنَّنا أشباح ، وكُلُّ ما يُحيط بنا هُوَ الوَهْم الْمُقَنَّع والخرافة الباطلة . الزمان والمكان هُمَا شَبَحَان زائلان لا يَمْلِكَان وُجوداً حقيقياً ، لذلك بإمكاننا أن نَصنع ذاكرةً شعورية للكلمة خارج نفوذ الزمكان بكل سهولة ، إذا أسَّسْنا وُجُودَنا الشَّبَحِيَّ على فكرة الانتقال من دار الفناء إلى دار البقاء . الحياةُ أُكذوبةٌ ، والموتُ حَقيقةٌ . والفردُ في هذا العالَم الشَّبَحِيِّ لَيْسَ سِوى شَبَحٍ انعكاسيٍّ لأشباحِ مَن سَبَقُوه .

[٧٨] عِندَما أكتبُ فإنَّ سُلطةَ كلماتي تَتَفَوَّقُ على كُلِّ السُّلطات السياسية .

الكتابةُ هي امتدادُ النُّفوذ عَبْرَ الأزمنة والأمكنة . جسدُ الكاتبِ تَحْتَ التراب ، وتظلُّ الكلمةُ إلى الأبد . والمشكلةُ الحقيقيةُ إذا كانَ قَلْبُ الكاتبِ أعْمَى ، فعندئذٍ يَكون مِثْلَ القَنَّاصِ الأعمى الذي يُطْلِقُ الرصاص بشكلٍ عَشوائِيٍّ . الكلمةُ رَصاصةٌ إذا خَرجتْ لا يُمْكِن إرجاعُها ، ولا بُدَّ أن تُصيبَ شَيئاً ما . إنَّ الأساسَ الفلسفيَّ لِفِعل الكتابة مَنقوعٌ في ماء الرفض والتحدي والانتصار ،

فنحن لا نُمارِس طَقْساً خُرافياً أوْ تاريخاً مِنَ الشَّعوذة والطلاسم وإضاعة الوقت ، بل نُمارِس تَحَدِّياً مِن نوع جديد، لَم يَتعوَّد عليه المجتمعُ الغارق في أوهام سُلطة مَوروث القمع الدائر في فلك الأنظمة الحاكمة التي تسرق الشعبَ بِاسْمِ الشعب ، وتُقَسِّم البيتَ الواحد في مجتمع الكراهية والحقد . نَحْنُ نَجِدُ كَيْفَ أنَّ ٥ % من سُكان العالَم يَملكون ما يَملكه ٩٥% ، وهذا شَطَط طبقي يُكَرِّس الظلمَ والحقد . فالإشكالية العظمى في مسار الوعي الاجتماعي هي تجذير مجتمع الكراهية ، والخلاصِ الفردي ، بحيث يسعى كُلُّ فرد إلى النجاة بنفْسه في بيئة خانقة ، تحمي الذين لا يحتاجون للحماية ، وتسحق المحتاجين للحماية . والكتابةُ لا تَهْدِف إلى نَسْخِ المجتمع الإنسانِيِّ على الورق واختزالِ المشاعر البشرية في جزيئات الحِبر . الكتابةُ انقلابٌ على الواقع المظلم ، والعقلُ الكتابِيُّ لا يَتكرَّس كَوَعْيٍ منطقيٍّ إلا في المجتمع النَّظيف لا الملوَّث . وللأسف ، نحن نعيش في مجتمعات مُتخلِّفة تُغَرِّب الأفرادَ رَغْماً عنهم ، وتَدفعهم إلى هاوية التطرف الفكري والتَّشظِّي الروحيِّ واللانتماء . وَكُلُّ مَشاريع الكِتابة تَهْدِف إلى تَرتيب موعد دائم بين الإنسان وإنسانيته ، بين الْحُلْم والواقع ، بين الحِبر والدم ، بين العَرَق والبارود . والإشكالية المجتمعية التي نتعرَّض لها وتُداهمنا هِيَ أن الطغاة المنتشرين على مساحات الجماجم الإنسانية يأخذون مجتمعاتهم رهينةً ، ويَضْرِبُون حول ذاتية المجتمع حصاراً عنيفاً ليستمر وجودُهم ، ويَضْمَنوا استمراريةَ أجهزتهم القمعية ، ودَيمومةَ دُوَلِهِم المخابراتية . وهذا كُلُّه يُؤدِّي إلى مُضاعَفة المسؤولية الْمُلقاة على كاهل الكتابة . ولا بُدَّ مِن تَحَوُّل الكتابة مِن نسقٍ فكريٍّ إلى انقلابٍ اجتماعيٍّ . وهذا هو الحل السِّحري الذي يَشتمل على تَخليصِ المجتمعِ وخَلاصِه .

[٧٩] ضَاعَتْ فِلِسْطِينُ يَوْمَ ضَاعَت الأندلسُ .

الضَّياعُ لا يَتجزَّأ . والتاريخُ صَفحةٌ واحدةٌ . ومَن تَنَازَلَ مَرَّةً سَوْفَ يتنازل كُلَّ مَرَّة . وَمَن عَوَّدْتَهُ على أكْلِكَ، كُلَّما نَظَرَ إلَيكَ جاعَ . والأُمَّةُ العربيةُ عَديمةُ الشَّرفِ ، باعتْ شَرَفَها مُنذ قُرون، وصارت كالمومس التي تَنتقل مِن زَبون إلى آخَر . والأُمَّةُ الإسلاميةُ جاهلةٌ وبِدائيةٌ ، لأنَّها ابتعدتْ عَن الإسلام ، فصارتْ مَحصورةً في دائرة الانحطاط ، وسجينةً في متاهةِ التَّخلف .

[٨٠] قُل لِي مَن رَئيسُ دَوْلَتِكَ أَقُلْ لَكَ مَن أنتَ .

الخضوعُ ذُو صِفةٍ انسحابيةٍ . والانكسارُ السياسيُّ يَتغلغل في المشاعر والسلوك الاجتماعيِّ . يُفكِّر الناسُ في الخبز والجِنس ، ولا أحدَ يُفكِّر في الجِياع والمكبوتين جِنسياً . السياسةُ لُعبةُ الأغنياءِ، والسَّيدُ يَفْرِضُ فلسفته الحياتية على العَبْدِ.والعبدُ يَنحني ويُقبِّل الأيادي لأنَّ الذل هو

طريقُه الوَحيدُ لتحقيق أحلامِه ، وإشباع شَهَواته . والخفافيشُ تَتحرَّكُ في الظلامِ ، لأنَّ نُورَ الشمسِ خَطَرٌ عَلَيها. والإنسانُ صارَ خائفاً مِنَ الحرِّية بِفِعْلِ عمليات التَّدجين وغسيلِ الدماغ ، ولا يَتخيَّل يَدَيه بِدُون قُيود . والإنسانُ الذي قَضَى حَيَاتَه داخل قَبْوٍ مُظْلِم ، لَن يَجْرُؤ على الخروج ورؤية الشمس ، لأنَّ الشمسَ سَتَقْضي عَلَيه ، وتُسبِّب له العَمَى . الشعبُ عَدُوُّ حُرِّيته ، لأنَّ حُرِّيته قَد تَحْرِمُه مِنَ الخبز. الشعبُ يَخاف مِن شمس الحقيقة ، لأنَّه تَعَوَّدَ على تقديس الوهم ، وعِبادةِ الطواغيت ، والتفتيشِ عن كِسْرة الخبز في سِلال القُمامة . إنَّ الذل هو الطريقُ الوحيدُ للحصول على الخبزِ في المجتمعات القائمة على جماجم البشر .

[٨١] حَالتي النَّفسيةُ هِيَ حَالةُ الْحُسَيْنِ في اللحظةِ التي عَلِمَ فِيها أنَّ أهْلَ الكُوفةِ خَانوه .

لا بُدَّ مِنَ الخِيانةِ ، ما دَامَ الحاكمُ يَلعبُ بالعصا والجزَرةِ . لا بُدَّ مِنَ الْخِزْيِ والعارِ ما دامَ النظامُ السياسيُّ قائمٌ على الصَّوْلجان والمالِ . كُلُّ خائنٍ له سِعْرٌ . والإنسانُ الْمُعادي لإنسانيته يَعتبرُ إنسانيته صَفقةً تجاريةً ، وبعد أن تَسْقُط إنسانيته ، يَشعر أنَّهُ حُرٌّ طَليق ، وهذا هُوَ الوَهْمُ الْمُخادِع . تماماً كالمرأةِ المنحرِفةِ أخلاقياً ، تَعتبِرُ غِشاءَ البَكارةِ عَقبةً في طريقِ أحلامها . فَيُرْمَى الشرفُ في الطريقِ كما يُرْمَى الشيءُ الثقيلُ مِنَ القاربِ لمنعِ غَرَقِه .

[٨٢] الأدبُ قَادِرٌ عَلى تَفسيرِ السِّياسةِ ، لَكِنَّ السِّياسةَ عاجزةٌ عَن تَفسيرِ الأدبِ .

الأدبُ هُوَ خُلاصةُ التجاربِ الإنسانية (الروحية والمادية) . إنَّهُ القوةُ الوجوديةُ التي تَمنح الأشياءَ معناها وشرعيتها . أمَّا السياسةُ فهي لُعبةُ الأغنياء ، ومُقامَرة بأحلام الشعوب . والسَّوادُ الأعظمُ مِنَ السَّاسةِ يُفكِّرون في استخدام الجماهير ولَيْس خِدمتها، لأنهم يَعتبرون الجماهيرَ كالرَّجل السَّفيه الذي يُحْجَرُ عَلَيه ، لأنَّهُ عاجزٌ عَن رِعاية مصالحه بنفْسه . والشعوبُ في الدُّوَل الفاشلة هي فِئرانُ تجارب تَسْعَى جاهدةً لِتَحسين ظُروف الْمُخْتَبَر الذي تَخْضَع فِيه للتجارب . والعَبيدُ الذينَ يُفكِّرون في تَنظيف قُيودهم ، ولا يُفكِّرون في خَلْعِها ، لا مكانَ لهم تحت الشمس .

[٨٣] الحريةُ الأدبيةُ ألا يَفْرِضَ القارئُ عَلَيَّ شُرُوطَهُ ، وألا أَفْرِضَ عَلَيْهِ شُرُوطي .

لا فَضْلَ للكاتبِ على القارئِ ، ولا فَضْلَ للقارئِ على الكاتبِ . كُلُّ إنسانٍ يَمشي في طَريقه ، وكُلُّ عُنصرٍ يَسْبَحُ في مَدَارِه. لا مَعْنَى لاختراعِ سُلُطات وهمية. لقد تَحَرَّرْنا مِن سُلطةِ المجدِ الزَّائلِ .

[٨٤] الأديبُ يَحْمِلُ شَعْبَهُ عَلى ظَهْرِه وَيَسيرُ،أمَّا السياسيُّ فَيَرتمي عَلى ظَهْرِ الشَّعْبِ كي يَحْمِلُوه.

الأديبُ هُوَ رَسولُ اللغةِ إلى المعنى الاجتماعيِّ ، يَحْمِلُ رِسالةَ الحق والإبداع إلى الوجود البشريِّ . بنى مَملكته على الوَعْيِ والوَعْي الْمُضاد ، من أجل إنقاذ الإنسان من أزماته الروحية ، وتخليصِ المجتمع مِنَ الحقد والكراهية . أمَّا رسالةُ السياسيِّ فهي التلاعبُ بمشاعر الناس ، ودَغْدغة عواطفهم ، واستغلال أحاسيسهم من أجل تثبيت سُلطته ، وتَرسيخ نفوذه .

[٨٥] إنَّ الذينَ يَضَعُونَ القَوَانين ، لا يَقْبَلُونَ إلا أن يَكُونوا فَوْقَها .

يَضعون القوانين على الفقراء والعبيد كَي يُثبِّتوا وُجودَهم كَسَادةٍ وزُعَماء . واضعُ القانونِ هو أوَّل مَن يَكْسِرُه . والقانونُ مِثْل شِباك العنكبوت ، لا تَقَع فِيه إلا الكائنات الصغيرة ، أمَّا الكائنات الكبيرة فَتُمَزِّقه. والذينَ يَكْتُبون الدُّستورَ إنَّما يَكتبونه للعَبيد، أمَّا هُم فَيُحَطِّمُونه ، ولا يَعترِفون بِه .

[٨٦] مَنْ يُولَدْ في مُستشفى المجانين ، لَيْسَ بالضَّرورةِ أن يَكُونَ مَجنوناً .

البيئةُ عُنصرٌ أساسيٌّ في التكوين النَّفْسي والاجتماعي ، لكنها لَيْسَتْ كُلَّ شيء . لا بُدَّ مِن تجاوز البيئة (السِّجن) . سَنعثرُ على قارورة العِطْر في المزبلة . ستخرجُ امرأةٌ شريفة من الملهى الليليِّ . والأضدادُ تُوَلِّدُ الأضدادَ . وحركةُ التاريخِ مُتَمَاهِيَةٌ معَ التَّناقضات . ومُتعةُ الحياةِ تَكْمُن في اللامُتَوَقَّع ، وعُنصرُ المفاجأة يَكسر رُوتينَ الحياة ، ويُحِيل الْمَلَلَ إلى فُسحةٍ للتأمل والإبداع .

[٨٧] يُنْفِقُونَ الملايين عَلى تَرميمِ الآثارِ ، ولا يُفكِّرون في تَرميم أجسادِ الفُقراءِ .

نَعيشُ في عالَمٍ مَلِيء بالأكاذيب والنفاق والأقنعة والمكياج. يَتشدَّق بشعارات الحضارة والمدنية وحقوق الإنسان. يُنفِقون الأموالَ على تَرميم الحجارة الخرساء والتماثيل العارية والمعابد الْمُوحِشة، ولا يُفكِّرون في إنقاذ حياة الفقراء وإيجاد مساكن كريمة لهم ، وإطعام الجائعين ، وإيواء المشرَّدين . لَم أجِئْ إلى الأرضِ لأبنيَ القُصورَ.جِئتُ لأبنيَ العُقولَ.لَم أجِئْ لأُرَمِّمَ الآثارَ.جِئتُ لأعتنيَ بالأجسادِ. ماذا استفادت البشريةُ مِن غَزْوِ الفضاء ؟. لا شيء على الإطلاق . إنَّ الأموالَ التي أُنفقت على برامج الفضاء وصناعة الأسلحة النووية ، كانت كافيةً لتحويل كوكب الأرض إلى جَنَّةٍ بلا مُشكِلات. ولكنَّ الذِّئبَ الساكنَ في الإنسانِ أَبَى إلا أن يُدَمِّر هذا الكوكب ويقضيَ على الإنسان.

[٨٨] نُقِلَت الحربُ مِنَ الْجُغرافيا والتاريخ إلى أحاسيس البشر وذِكرياتهم .

الإنسانُ هو الذِّئبُ الذي يُراقب أخاه الإنسان، مُنتظِراً لحظة الانقضاض . الصَّيادُ هو الفريسةُ، والفريسةُ هي الصَّياد . الناسُ يَدْرُسون التاريخَ ، ولا أحدَ يَأخذ العِبَرَ من التاريخ . سُقوطُ الحضاراتِ مستمر . والإنسانُ يُلْدَغ مِن نَفْسِ الْجُحْرِ آلاف المرات . السلامُ لا يُطْعِمُ خُبزاً .

وَحْدَها الحربُ هي التي تُطْعِمُ الخبزَ . حيث يَستثمر السَّادةُ في دماء العَبيد . يَموت العبيدُ ، ويَذهبون إلى النسيان ، والانتصارُ يُسَجَّل بِاسْمِ السَّادة . والتاريخُ يَكتبه المنتصِرون . وجُغرافيا البحر يَصنعها القراصنة . ورَاياتُ القبائل يَخيطها مُلوكُ الطوائف وأُمَراء الحروب . وذكريات الناس يَصنعها الطغاةُ . والملابسُ الدَّاخليةُ للسَّبايا يُفَصِّلُها النَّخَّاسون . والأغاني الوَطنيةُ يَكتبها لصوص الوَحدة الوطنية .

[٨٩] السُّؤالُ الْمُدْهِشُ الذي أتضاءلُ أمامَه : مَن أنا ؟ .

أنظرُ في المِرْآةِ ، ولا أعرفُ مَن صاحب هذه الصورة . كُلَّما نَظرتُ في المرآةِ رَأيتُ تاريخَ الجثثِ وسُقوطَ الحضاراتِ وانكسارَ البشر . أينَ وَجهي في صُراخِ الأقنعةِ ؟ . مَن أنا يا أنا ؟ . لَوْ عَرَفْتُ مَن أنا لَرَأَيْتُ وَجْهي وَكَسَرْتُ قِناعي . غريبٌ أنا في ذاتي ، فكيفَ أتحرَّرُ مِن غُربة المعنَى ؟ . مَنفيٌّ أنا في انكساراتي . غَريبٌ عَن نَفْسي ، وتائهٌ في أحاسيسِ الآخرين . لَيْتَني أعْرِفُ مَن أنا ؟.

[٩٠] العَوْلَمَةُ رَقصةُ الانتحارِ عَلى إيقاعِ أمريكا الشَّيطان .

القويُّ يَفْرِضُ شُروطَه على الضَّعيف . حُقوقُ الإنسانِ كالأكفان يُفَصِّلُها حَفَّارُ القُبور عَلى مَقاسِ الأمواتِ . لا يمكن للعبد أن يُحَدِّق في عيون سَيِّده . وَظيفةُ الجاريةِ أن ترقص لسَيِّدها قبل أن يُضاجعها . الأخلاقُ كلامٌ في الكتب . ونحن نعيش في عالَم بلا أخلاق . السَّيفُ يَكسرُ القلمَ ، ويَكتب تاريخَ الدَّم. وحُدودُ الدُّوَل ترسمها الدَّبَّابات . والإخوةُ الإنسانيةُ شِعاراتٌ في الأمم المتَّحدة التي يُسيطر عليها الأقوياء . ولا تاريخَ للعبيد سوى صناعة مجد أسيادهم .

[٩١] أنا لا أكتبُ شِعْراً . أنا أكتبُ فَلسفةَ الشِّعر .

فَلسفةُ الشَّيء هِيَ الغَوص في أعماقِ الشَّيء . التَّنقيبُ في أعماقِ الذاتِ الإنسانية هُوَ الذي يَكشف المعنى الحقيقيَّ للإنسان . والشِّعرُ مَنْجَمُ ذَهَبٍ ، وفلسفةُ الشِّعر هي حَركةُ العُمَّال في هذا الْمَنْجَمِ وعذابُهم المستمر في استخراج الذهب . والشِّعْرُ يَحفظ طَهارةَ اللفظِ وَبَكارةَ المعنَى ، لذلك فالشِّعْرُ هُوَ خَطُّ الدفاعِ الأوَّلُ عَن اللغةِ والحضارةِ . والشاعر أقوى من الفيلسوف في مجال التَّكثيف ، والفيلسوفُ أقوى من الشاعر في مجال التَّنظير . ولا بُدَّ أن تُحْقَنَ القصيدةُ بِجُرعات مُحدَّدة مِنَ الفَلسفة . وإذا زَادَ مَنسوبُ الفَلسفة في القصيدة ، فإنَّ القصيدةَ سَتَموت مَسمومةً .

[٩٢] يَخْتَارُونَ لَوْنَ بَشَرَةِ نِسائهم حَسَبَ دِهانِ غُرفةِ النَّوم ، وَيُسَمُّونَ أنفُسَهم رُومانسِيِّين .

يَتحدَّثون عن الرُّومانسيةِ ، والكَبْتُ الجنسيُّ يُسيطِر عَلَيهم . يَتحدَّثون عن العلاقات الغرامية في مجتمع تَحْتَلُّه العوانس . يُفكِّرون في العَشَاء على ضَوء الشموع ، وهُم لا يَجِدُون رَغيف الخبز

. يَدْعَمُون حقوق المرأة في وَطَنٍ تَحَوَّلَ إلى سُوق نِخاسة . مَهزومون في المعاركِ والحروبِ ، لَكِنَّهم يُشَيِّدُون أقواسَ النَّصر بين أفخاذ نِسائهم . يَكتبون الأغاني الوَطنيةَ ، ويَحتفلون بأعيادِ الاستقلالِ ، ويَفتخرون بالسِّيادة الوَطنية ، وهُم يَمسحون أحذيةَ الغُزاة ، وبلادُهم واقعة تحت الاحتلال الأجنبيِّ وغَير الأجنبيِّ . وَطَنُ الأكاذيبِ ماتَ ، والدُّوَلُ تتساقطُ كحجارة الدُّومينو ، وسَوْفَ يُولَدُ وطنٌ جديد مِن عظام الضحايا .

[٩٣] تَعَلَّمْنا كَيْفَ نُحِبُّ ، لَكِنَّنا لَم نَتَعَلَّمْ كَيْفَ نُدافِع عَن حُبِّنا .

الكلامُ سَهْلٌ . لَكِنَّ العِبْرةَ بالأفعال . نَتحدَّثُ عَن الْحُبِّ ، ونَخترع النظرياتِ الفلسفية في العِشْق والغرام . لَكِنَّ المرأةَ بالنِّسبة إلَيْنا وِعاء لِتَفريغ شَهوتنا الجنسية . وَجَدْنا المرأةَ ، لَكِنَّنا قَتَلْنا الأُنوثةَ . وَجَدْنا الذكورةَ ، لَكِنَّنا قَتَلْنا الرُّجولةَ . وللأسف ، إنَّ الناسَ يُمارِسُون الجِنسَ ، لَكِنَّهم لا يَعْرِفُون فَلسفةَ الطاقةِ الجنسية . يَتخندقون في اللذة ، ولا يَنْظُرون إلى حقيقة الأشياء وما بَعْدها . لقد صَارت المتاجَرةُ بِجَسد المرأةِ فلسفةً اقتصاديةً ، وصارَ الحبُّ وَسيلةً للاستعراضِ . والرُّومانسيةُ الوهميةُ تُبْنَى على جُثة المرأة .

[٩٤] الكاتبُ العظيمُ يُشْعِرُ القُرَّاءَ أنَّهم عُظَماء .

الكاتبُ العظيمُ يُفَجِّرُ طاقاتِ القُرَّاء الإبداعية . يَأخذ بأيديهم نَحْوَ اكتشاف مواهبهم ، ونِقاط قُوَّتهم . لا يَضحك عَلَيهم ، ولا يَرسم الأوهامَ في طَريقهم ، ولا يُخدِّرهم بالكلمات الرَّنانة . بَل يَصعقهم لِيَعرفوا أنهم أقوياء يَقْدِرُون على التَّغيير ، ولَيسوا حجارة على رُقعة الشِّطْرَنج ، يَلعب بِهم الطغاةُ والغزاةُ .

[٩٥] تُوَزَّعُ جَوائزُ نوبل كما تُوَزَّعُ البطاطا المقلية في مَطاعم الوَجَبات السريعة .

لجنةُ جائزة نوبل هي مُنظَّمة إرهابية . تُمارِس إرهابَها الْمُنَظَّمَ ضِد العقول والتاريخ الإنسانِيِّ والنَّسَق الحضاريِّ . والدُّوَل العُظمى تُسيطِر على هذه الجائزة ، وتُخْضِعُها لمعايير سياسية غَير أخلاقية . والأوهامُ يتمُّ تَغليفها بشعارات العبقرية والنُّبوغ والحرية وحقوق الإنسان .

[٩٦] ثَوْرتي مِنَ النَّوعِ الْمُعْدِي .

الثورةُ هي وسيلةٌ لتحويل العَبيد إلى سادة ، وإحاطة السادة بالنُّظُم الأخلاقية والإنسانية . والثورةُ الحقيقيةُ هي مشروع أخلاقي مُضاد للفوضى والعَبث . لكنَّ أصحاب المصالح لَن يتركوا الثورةَ وشأنها . سَوْفَ يُحَوِّلُون الثورة إلى كابوس ، كَي تَأكل الثورةُ أبناءَها ، ويَتسلَّق اللصوصُ على الثورة كَي يَصلوا إلى المناصب الحسَّاسة .

[٩٧] إنْ لَم تُوَحِّدْ حَياتي هذا الشعبَ ، فأرجو أن يُوَحِّدَه مَوْتي .

نَحْنُ نَزرعُ ، ولا نَعرف هُوِيَّةَ الحاصدين ولا مَوعد الحصاد . قد يَبدأ الإنسانُ مِن النهاية ، كما يُولَد الصباحُ مِن نِهاية الليل . قَد يَكون الغيابُ أكثرَ حُضوراً مِنَ الْحُضورِ . وقد يَكون الغيابُ هُوَ الحضورَ في أبْهَى صُوَرِه . وربَّما يَزداد تأثير الشخص أثناء غِيابه . لَسْتُ قَمَرَاً ، لكنَّ غِيابَ القمرِ يَجعل الإنسانَ أكثرَ عِشْقاً للنُّور في الليلة المظلمة .

[٩٨] قَوْلُ الحقيقةِ في بِلادي مِثْل تَهريب الأفيون .

إذا غَطَّيْتَ وَجْهَك بالأقنعة فأنتَ مُخادِع. وإذا كَشَفْتَ وَجْهَك في عالَم الأقنعة فأنتَ خائن . ما الحل ؟. شُعوبٌ تأكلُ الأكاذيبَ، وتَعيشُ في الأوهام. عِندَما تُصارِحُها بالحقائق تُصْبِحُ ضَحِيَّةً لها. وعِندَما تَصدم الناسَ بالحقيقة الْمُرَّة ، تُصبح عَميلاً ومُنْدَسَّاً ومُنْشَقَّاً . والناسُ يَعْشَقُونَ الشخص الذي يَضحك عَلَيهم ، والشعبُ يُحِبُّ الحاكمَ الذي يَكذب عَلَيه . ما الفرقُ بَيْنَ شخصٍ يَتعاطى الأفيون وشخصٍ يَتعاطى الْمُخَدِّرات السياسية ؟ . ما الفرق بين شخص يَسرق جَسَدَك وشخص يَسرق قَلْبَك ؟ . ما الفرق بين لص بدون ربطة عُنُق ولص بِرَبطة عُنُق ؟ . لا فرق بين أُكذوبةٍ وأُكذوبة . الحاكمُ أُكذوبةٌ ، والشعبُ أُكذوبة ، والدَّولةُ أُكذوبة .

[٩٩] كُلَّما مَشى الناسُ في الطريقِ سَقَطَتْ شَظايا قُلوبِهم على الأرصفةِ .

الناسُ يَتساقطون كأوراقِ الخريفِ . الشوارعُ مقابرُ حقيقية تَحتضن وُجوهَ الناسِ الميْتةَ . نَحْسِبُ عَدَدَ الأمواتِ في المقابرِ ، لَكِنَّنا لا نَحْسِبُ عدد الأموات الذين يمشون على أقدامهم ، لأنَّنا مِنهم ، والشخصُ لا يَقْدِرُ أن يَرى وَجْهَه بدون مِرْآة . وهذا سببُ خَوفنا مِنَ المرايا . لَقد كَسَرْنا المرايا لِنَرتاح من عذاب الضَّمير . وَضَعْنا الأقنعةَ لِنَعيش في الأحلامِ الوَردية بَعيداً عن الحقيقة الجارحة . كُلُّنا نَتعاطى الْمُخَدِّراتِ الاجتماعية . وَنَحْنُ مُدْمِنُونَ على الوَهْمِ ، ولا فرق بين الوهم الروحيِّ والوهم الجسديِّ . بِعْنا أرواحَنا مِن أجل رغيف الخبز ، لَكِنَّنا نَموتُ في المجاعات . الجسدُ جائعٌ ، والقلبُ عَطشان ، والرُّوح مُنهارة .

[١٠٠] أكثرُ كَلمةٍ أَكْرَهُها هي " الحِيَاد " .

الدَّمُ في الشوارع . فلماذا تَمشي مَعصوبَ العَيْنَيْن ؟ . جُثتك على الرَّصيفِ . فلماذا تَمُرُّ مِن جانبها وتخاف أن تَنظر إلَيها ؟. الحِيَادُ هو الموتُ في الحياةِ . أنتَ تَغرق في المستنقع ، فلا بُدَّ مِن مُقاوَمة الغرق . أصابعُك تحترق ، فينبغي أن يَتدخَّل قَلْبُك لإطفاء الحريقِ . الحِيَادُ يَعني تَحَوُّل الإنسان إلى رَجُلٍ آليٍّ بلا مَشاعر ولا ذِكريات . الْمُفَكِّرُ والفِكْرةُ كَيَانٌ وَاحدٌ ، وكُلٌّ لا يَتجزَّأ . وكُلُّ

إنسان هُوَ مُفكِّر مَعَ اختلافِ نِسْبَة التَّفكير مِن إنسان إلى آخَر . وهذا يَستلزم بالضرورة أن يُدْلِيَ الإنسانُ بِرَأيه في القضايا المختلفة حَسَبَ قُدراته . والفِكْرُ هُوَ شَرَفُ الإنسانية . والإنسانُ إذا أعْطَى عَقْلَه إجازةً ، فَإنَّهُ لا يَستحق شَرَفَ أن يَكون إنساناً . والإنسانُ أمامَ خِيَارَيْن لا ثالث لهما : إمَّا أن يَكون إنساناً أو يَكون كَلْبَ حِرَاسةٍ للآخرين. لا يُوجَد حَل وَسَط بين الإنسانية والوَحشية. لا تُوجَد منطقة وُسطى بين المعنَى وانتحارِ المعنَى .

[١٠١] كُلَّمَا تَوَغَّلْتُ في حَياتي اقتربتُ مِن مَمَاتي .

الإنسانُ يَسير إلى الهاوية بِرِجْلَيْهِ . حياتُه دائرة مُغلَقة ، لا يَستطيع الهروبَ مِنها . إنَّهُ مُحَاصَرٌ ، ولا يُمْكِنُه مُغادَرة الْمَدَار . يَمضي في حياته سعيداً ، ولا يَعرف أنه يمضي إلى النهاية . يَحتفِل بِعِيد ميلاده ، ولا يُدْرِك أنَّهُ يَحتفِل بذهاب عُمُرِه . يَسعى جاهداً للنَّجاةِ ، ولا يَعرف أنَّ الهلاك قد يَظهر في مَظَنَّةِ النجاةِ . ومِن مَأمنه يُؤتَى الْحَذِرُ . يَتحدَّث الإنسانُ عَن أهمية البَصيرةِ في الحياة ، وَهُوَ مُجَرَّد أعمى يُكرِّر أخطاءَهُ وخَطاياه . يَحفظ التاريخَ جَيِّداً ، لَكِنَّه لا يَستفيد شَيئاً مِنَ التاريخ . الإنسانُ هُوَ الضَّحيةُ والقاتلُ في آنٍ مَعَاً ، لأنَّ الغرورَ أعْمَاه ، والجاهل عَدُوُّ نَفْسِه .

[١٠٢] السِّيرةُ الذاتيةُ الصادقةُ تُدَمِّرُ صُورةَ الأديبِ في نُفوسِ القُرَّاءِ .

حياةُ الأديبِ تَنطوي على أسرار ونقاط ضعف كأيِّ إنسان آخَر . وعِندَما يَكشفها الأديبُ للقارئِ ، ستنهار صورة الأديب ، وتتحطم صورته البَرَّاقة ، لأنَّ القارئَ يَعتبره أُسطورةً عاليةً ، وأيقونةً لا تُكْسَر . وعلى الأديبِ ألا يَهْدِمَ نَفْسَه بِنَفْسِه ، ويَشطبَ تاريخَه بِجَرَّة قلم . يَجب أن تَموت الأسرارُ مَعَ صاحبها. والمقابرُ هِيَ أرشيفُ الأسرارِ ومُسْتَوْدَعُ الذكرياتِ . وَلَوْ كَتبتُ سِيرتي الذاتية بِصِدْق فَسَوْفَ يَتمُّ اغتيالي . والشخصُ الوَحيدُ الذي لا يُعاني مِن هذه الأزمة هو الرِّوائيُّ ، لأنَّ رواياته كُلَّها هِيَ سِيرته الذاتية ، ولا داعي أن يَكتب سِيرته الذاتية . إنَّ الروائيَّ يَنْثُرُ حَيَاتَه وأسرارَه في شخصيات الرواية ، ويَخرج مِنَ الموضوع كالشَّعرة مِنَ العجين .

[١٠٣] مَن يَعْرِفْ هَدَفَهُ لا يَلتفِتْ أثناءَ سَيْرِه .

حَدِّدْ هَدَفَكَ وامْشِ في طَريقِك بلا تَرَدُّد ولا خَوف . أفضلُ طريقةٍ لكسر الخوفِ أن تَقتحمه . دَعْكَ مِن كلام الناس ، سَوْفَ يَسخرون مِنكَ أثناء سَيْرِك ، وعِندَما تصل إلى القمة ، سيمدحونك ويَلهثون وَراءَك . الناسُ أموات ، يَبيعون الكلامَ ، ويَغرَقون في الجعجعة بِلا طَحْن . لا تُعَوِّلْ على الأمواتِ . واتْرُك الموتى كَي يَدْفِنُوا مَوْتاهُم .

[١٠٤] التَّاريخُ يَنْزِلُ كالمِطْرَقةِ على رُؤوسِ الذينَ لَيْسَ لَهُم تاريخ .

التـاريخُ هـو المجـدُ والشَّـرفُ . والـذينَ لَـيْسَ لهـم تـاريخٌ مُصـابون بِعُقـدة الشـعور بـالنَّقص . انكسارُهم لا يَزول، لأنَّه انكسار مُتجذِّر في قلوبهم ومشاعرهم . وهـذا الانكسارُ الداخليُّ يَقُودُهم إلى اختـراع تـاريخ وهميٍّ، كمـا يَختـرع القـادةُ المهزومـون تـاريخَ انتصـاراتهم الوهميـة فـي المعـارك. وأيضاً، يَقُودُهم إلى السُّخرية من تاريخ الآخرين في محاولةٍ يائسة لتحطيمه . واللصُّ يتمنَّى لو كان الناسُ لُصوصاً ، لِكَيْلا يَشعر أنَّهُ شاذ أو مَنبوذ .

[١٠٥] المرأةُ العربيةُ مِثْل قِطعة الأثاث . والمرأةُ الغربيةُ مِثْل المِرْحاض العموميِّ .

المـرأةُ العربيـةُ يُـدْفَعُ ثَمَنُهـا ثُـمَّ تُحْمَـلُ كالبِضـاعة أو الأثـاث . والمـرأةُ الغربيـةُ أُنثـى رَخيصـة كالمِرْحاض الـذي يَستخدمه كُـلُّ النـاسِ . لا يُوجَـد احترامٌ للمرأةِ فـي هـذا العالَمِ . والمـرأةُ العربيـةُ تُجسِّـد الإخـلاصَ بِـدُون رُومانسـية ، والمـرأةُ الغربيـةُ تُجسِّـد الرومانسـيةَ بِـدُون إخـلاص . لقـد ماتـت المـرأةُ ، وانهـارت الأُنوثـةُ ، ونَحْـنُ نَعيش في عصـر المِكيـاج والأوهـام. انتحـرَ المعنَـى ، والحضـارةُ تَركضُ إلى الهاوية السَّحيقة . لقد قَتَلْنَا المرأةَ بِاسْمِ المرأةِ . نُنادي بحرية المرأةِ ، ونَحْنُ نُريد حُريةَ الوصول إلى المرأة . وَمِنَ السَّهْلِ على الرَّجل أن يُنادي بِحُرِّية المرأةِ ما دامتْ لا تَنتمي إلى عائلته .

[١٠٦] إنْ لَم تَحْفِرْ قَبْري كَلِمَاتُ قَصائدي فَلَسْتُ شَاعِرَاً جَيِّداً .

الشِّعرُ طَريقُ الثورةِ والموتِ والخلودِ . ولا مَفَرَّ مِن اختلاطِ الحِبْرِ والدَّمِ . الكلماتُ رَصاصاتٌ، والقصائدُ انقلاباتٌ عَسكريةٌ . والمعنَى انقلابُ الذاكرة على الذكرياتِ . لُغتي الشِّعريةُ تَحْفِرُ قَبري لأنَّني رَفَضْتُ أن أرفعَ الرايةَ البَيضاءَ .

[١٠٧] الروائيُّ الْمُتَمَكِّنُ قَادرٌ عَلى رَسْمِ أكبر الأحداث في الزَّوايا الضَّيقة .

الروائيُّ يَصنعُ الزمانَ والمكانَ ، ويَتحرَّكُ في عُلبة الكِبْريت بِكُلِّ سُهولة . يَعْثُرُ على زُجاجة العِطْرِ في المزبلة . يَعْثُرُ على الإبرةِ في كَومة القَش . خيالُه الجبَّارُ يُوَسِّعُ الزوايا الضَّيقةَ بالدَّمِ والحِبْرِ والعِطْرِ والرَّصاص ، فَتَحتضن هـذه الزوايا أكبرَ الأحداث الإنسانية ، وأعظمَ المشاعر البشرية . والخيالُ قَادرٌ على تَوسيع الواقع ، والانقلابِ على الواقع ، وصناعةِ واقعٍ جديد .

[١٠٨] تِقنياتُ الحركةِ في فَلسفةِ الشِّعْرِ لها مَصْدَران : عِلْم الرِّياضيات ، ولُعبة التِّنس الأرضيِّ .

لَقَـد عَلَّمَتْنِـي الرياضـياتُ التفكيـرَ المنطقـيَّ المتسلسِـل الممـزوج بالخيـال . وهـذا هُـوَ أسـاس فَلسـفة الشِّعر . وعِلْـمُ الرِّياضـيات هـو القاعـدة التي تُبْنَـى عَلَيهـا الفلسـفةُ بِكُـلِّ أشـكالها . وأعظـمُ

الفلاسفة هُم الذين دَرَسوا عِلْمَ الرِّياضيات . ولُعبةُ التِّنسِ الأرضيِّ عَلَّمَتْنِي كَيْفَ أنتقلُ مِن خُطوة إلى خُطوة بسلاسة ، بَعيداً عَن فَلسفة القفز في الفراغ .

[١٠٩] أَسْمَعُ العَالِمَ فَأُعْجَبُ بِهِ ثُمَّ أَعْرِفُ أَنَّهُ يَمْدَحُ الحكامَ فَيَسقط مِن عَيْني .

مَديحُ الحكامِ مَقبرةُ العالِمِ . الملوكُ حُكَّامٌ على الناسِ . والعُلَماءُ حُكَّامٌ على الملوكِ . العالِمُ شَخصيةٌ مُتفرِّدة لا يَسكب ماءَ وَجْهه على أقدامِ الحاكمِ. فالحاكمُ لا يَمْلِكُ مِن أمْرِه شَيئاً. بِيَدِه المال والصَّولجان ، لكنَّه أعْمَى . وسِلاحُ الأعمى يَنقلبُ ضِدَّهُ . والعالِمُ سِلاحُه قارورة الحِبْرِ ، وهذا يَجعله يَمتلِك البَصَرَ والبَصيرةَ .

[١١٠] لَيْسَ في الشِّعرِ دُبلوماسِيَّةٌ ولا مُجَامَلاتٌ .

الشِّعرُ عِلاجٌ بالصَّدَماتِ الكهربائية . والشاعرُ لا يَنتظِرُ سَجَّادةً حَمْراء ، ولا يَبحث عَن مُعْجَبَات . الشاعرُ رَسولُ الأبجديةِ ، يَبتكِرُ المعاني الْمُدْهِشَة . ولا يَرْتَدي الأقنعةَ ، ولا يُسَاوِمُ ، لأنَّ الْمُسَاوَمَةَ فَقْرٌ، والشاعرُ غَنِيٌّ بِنَفْسِه عَن نَفْسِه ، وغنيٌّ بِلُغته عَن الآخرين . والغنيُّ هُوَ الْمُستغني .

إنَّ الشِّعْرَ مَنْجَمُ ذَهَبٍ، والشاعر هو مَالِكُ الْمَنْجَمِ . والشاعرُ لا يَكُون شاعراً إلا إذا سَمِعَ صَوْتَ حِيطانِ غُرفته ، وصُراخَ قَارورةِ الحِبر ، وضَحِكَاتِ القلم والورقة . وهذا الأمر يَجعل الشاعرَ هُوَ المتحدِّث الرسمي بِاسْمِ عناصر الطبيعة .

[١١١] لا بُدَّ أن تُدَمَّرَ هَذِهِ الأرضُ لِيَعُمَّ السلامُ .

أقواسُ النَّصرِ لا تُبْنَى إلا على الجماجمِ والجثث . يُولَدُ الضَّوْءُ مِن قَلْبِ الظلامِ . والضِّدُّ يُوَلِّدُ الضِّدَّ . الطريقُ المسدودُ لَيْسَ نهايةَ الرِّحلة . إنَّ الإنسانَ يَمْلِكُ القُدرةَ على القفزِ على الحواجزِ ، وإيجاد ثغرة في الطريق المسدود .

[١١٢] المرأةُ الذكيةُ لا تَتزوَّجُ فَيْلَسوفاً .

عِندَما قَرَّرْتُ أن أُصْبِحَ فَيْلَسوفاً ، قَرَّرْتُ أن لا مَكان للمَرأةِ في حياتي . الفلسفةُ والمرأةُ ضِدَّان لا يَجتمعان ، وأنا اخترتُ الفلسفةَ . إذا صَارَ الإنسانُ فَيْلَسوفاً ، مِنَ الصعب أن يتزوَّج ، لأنَّ الفلسفةَ لا تَقْبَل بِوُجود ضَرَّة. والفلسفةُ هي التَّجريدُ العقليُّ ، والمرأةُ هي التَّجريدُ الجسديُّ . الفَيلسوفُ يُفكِّر بأزماتِ الإنسان ، ومصيرِ الحضارة . أمَّا المرأةُ فَتُفَكِّر بالمِكياج والحمْل والولادة . وحياةُ الفَيلسوف عذابٌ متواصل ، لأنَّه يَخوض معارك ذِهنية داخل عَقْله ، ويَخوض حَرْباً أهليةً داخل جِسْمه . جِسْمُه كتابٌ مِنَ الأفكار والتناقضات والذكريات والأحلام الضائعة . والمرأةُ تَدُور

في نظامٍ استهلاكيٍّ مُغلَق . تحتاج إلى رَجل أعمالٍ يُوفِّر لها كُلَّ احتياجاتها ، ولَيْسَتْ بِحاجةٍ إلى فَيلسوف يَتعامل مَعَ عَقْلِها . المرأةُ تُريدُ رَجلاً يَتعامل مَعَ جَسَدِها لا عَقْلِها . وبشكلٍ عام ، إنَّ الزَّواجَ مَقبرةُ الفلاسفة . والفَيلسوفُ يُصَنَّفُ كَعَدُوٍّ للمرأة ، لأنَّه يَكسِر قِناعَها ، ويَكشِف وَجْهَهَا على حقيقته ، وهذا هُوَ الدَّواء الْمُر الذي تَهْرَبُ المرأةُ مِنهُ .

[١١٣] الْحُزْنُ الْمُوَجَّهُ يَقُودُ إلى الثورة . والْحُزْنُ العَبَثِيُّ يَقُودُ إلى الاكتئاب .

الحزنُ ذاكرةُ المعنى . لَكِنَّ الذكاءَ يتجلى في تَحويل الحزن إلى مَعْنَى قائم بذاته ، وجَعْلِه وسيلةً لِتَحسين الظروف الاجتماعية. الحزنُ طَهارةُ الثورة ، وصَفاءُ الانقلاباتِ الرُّوحيةِ . والحزنُ الحقيقيُّ هُوَ كَسر الحزن . إنَّ الحزنَ وسيلةٌ لا غايةٌ .

[١١٤] الجاهلُ لا يُنَاقَشُ وإنَّما يُعَلَّمُ .

النِّقاشُ والحوار يَكون بَيْنَ عُلَماء أنداد . أمَّا الْجُهَّالُ فلا يَملكون الأهليةَ للنِّقاشِ والحوار ، لأنَّهم لا يَمْلِكُون المعرفةَ، وهؤلاء يَنبغي تَعليمهم وتَزويدهم بالمعرفة ، والحوارُ مَعَهم مَضيعة للوقت.

[١١٥] أطمحُ أن أَكتبَ قَصيدةً يُصْبِحُ فِيها الزمانُ والمكانُ شَيئاً وَاحداً .

الزمانُ والمكانُ خُرافتان . والخرافاتُ تَتَّحِدُ لِتُنْجِبَ الإنسانَ . هذا الكائنُ السَّائرُ في المتاهة ضَاحكاً. سَيُوَحِّدُ البُكاءُ حُروفَ أبجديةِ الشِّعر . سَيُوَحِّدُ الموتُ الزمانَ والمكانَ . يَلِدُ الإنسانُ نَفْسَه بنفْسه ، وتَرجع عقاربُ الساعةِ إلى الوراء . حيث وُجوه الأمواتِ وأحزان الطفولة وذِكريات الفراغ أو العَدَم. سَتُصْبِحُ القَصيدةُ هِيَ الوَطَنَ والمنفَى مَعَاً. اللغةُ هِيَ الزَّمانُ ، والرُّموزُ هِيَ المكان .

[١١٦] تَنتشِرُ فِكْرةٌ غَبِيَّةٌ وَهِيَ أنَّ الفَيْلَسُوفَ لا يَكُونُ فَيْلَسُوفاً إلا إذا ارْتَدَى الاكتئابَ .

الاكتئابُ لَيْسَ مِكياجَ الفَيْلسوف . يَنكسِرُ الفَيلسوفُ لأنَّهُ يَعيشُ في مُجتمع مُتخلِّف ، ولَيْسَ لأنَّهُ يُحِبُّ الانكسارَ أو يَتَزَيَّن بالاكتئاب. الاكتئابُ حالةٌ عَرَضِيَّةٌ ولَيْسَتْ جَوْهراً ثابتاً في الفَلسفة . وآلامُ الفَيلسوف ناتجة عن قُدرته على رُؤية العاصفة التي يَسبقها الهدوء . والشخصُ العاديُّ يَعتبرُ الهدوءَ بِدايةَ الحياةِ ، لأنَّهُ لا يَرى أبعدَ مِنهُ . أمَّا الفَيلسوفُ فَيَعتبر الهدوءَ بِدايةَ الموتِ ، لأنَّهُ يَرى العاصفةَ وَرَاءَهُ .

[١١٧] الكتابةُ هِيَ كَومةٌ مِن مُضَادَّاتِ الاكتئابِ .

الكتابةُ هي الفِعْلُ الأكثرُ قُدرةً على الْمُقاوَمة ، لأنَّ الاستثمار في اللغةِ لا يَضيع . فاللغةُ هي الطاقةُ الرمزية الحاملة لتراثنا الروحيِّ ومِيراثِنا الحضاريِّ . والكتابةُ هِيَ عملية تَنقيب عن كُنوز اللغة

. وهذا التَّنقيبُ المستمر يُحرِّر الطاقةَ الكامنةَ في اللغة ، ويَكشف أسرارَ الأبجدية ، فتبدأ رحلةُ الدَّهشة والْمُتعة ، ويتكاثر عُنصر المفاجأة . وهذه الْمُكَوِّناتُ مُجْتَمِعَةً تَقتل الاكتئابَ والْمَلَلَ .

[١١٨] لا أَقْدِرُ أن أَكُونَ إلا غَرِيباً .

الغُربةُ لَيْسَتْ رِحلةً عَبْرَ الزمانِ والمكان . الغُربةُ رِحلة عَبْرَ شَظايا القلب . الإنسانُ كائنٌ غريبٌ في هذه الأرضِ ، وسَوْفَ يَرحل عَاجِلاً أوْ آجِلاً . الغُربةُ مُتَأصِّلة في النَّفْسِ الإنسانية . والإنسانُ في كُلِّ مَراحله العُمرية يُعاني مِن غُربةٍ قاسيةٍ . فالطِّفلُ في حِضْنِ أُمِّه يَشعر بالغُربةِ ، لأنَّ أُمَّهُ أنْجَبَتْهُ للمَوْتِ . والإنسانُ حِينَ يَنظر إلى المِرْآة يَشعر بالغُربةِ ، لأنَّه يَرتدي القِناعَ ، بَعْدَما أضاعَ وَجْهَه في زَحمة الأقنعة والذكرياتِ . الإنسانُ هُوَ غُربةُ الشُّعورِ ، والْحُلْمُ البَشريُّ هُوَ ذاكرةُ الغريبِ . ولا بُدَّ مِن بِناء فلسفة الغُربةِ على اللغةِ ، كَي يَتخلَّصَ الغريبُ مِنَ الشُّعورِ بالغُربة .

[١١٩] أكتبُ الشِّعْرَ كَي أتخلَّصَ مِنَ الكَبْتِ الجِنْسِيِّ .

الشِّعْرُ جِنْسٌ خاصٌّ ، وجِنسيةٌ مُتفرِّدةٌ . أُفَرِّغُ كُلَّ طاقتي في الشِّعر ، والشِّعرُ يَصْدُمني بِكَهْرباءِ الكلمةِ ، فأشعرُ أنِّي وُلِدْتُ مِن جَديدٍ ، بلا ذِكرياتٍ ولا غَرائز . تُحَرِّرُني لُغةُ الشِّعر من جاذبية الأحلامِ الضائعة ، فأصنعُ حُلْمي مِن جَديد . الشِّعرُ هُو الشَّبابُ الدائمُ . والكلمةُ تَجعلني طِفْلاً مُتمرِّداً على أحزانِ الطفولةِ .

[١٢٠] أكتبُ بِلُغةٍ تُلْغِيني وَتُغيِّبني خَلْفَهَا لِتَظَلَّ هِيَ في الضَّوْءِ .

أنا ضَحِيَّةُ لُغتي الشِّعريةِ . الصُّوَرُ الفنيةُ هِيَ أُمِّي ، والشِّعْرُ هُوَ أبي . لَكِنِّي أشعرُ أنَّني يَتيمٌ . أصطادُ المعاني ، لَكِنِّي فَريسةُ المعنَى . والمجدُ كُلُّه للصَّيادِ ، ولا مكانَ للفَريسةِ تَحْتَ الشمس . والتاريخُ يَكتبه القَنَّاصُ ، والضَّحِيَّةُ لَيْسَ لها حِصَّة مِنَ الكعكة . أنا لُغتي . أنا الصَّيادُ والفَريسةُ .

[١٢١] كُلَّمَا تَوَغَّلْنا في دِراسةِ النَّفْسِ البَشريةِ ابْتَعَدْنا عَنها .

الإنسانُ هو المتاهةُ اللانهائيةُ . كائنٌ شديد التَّعقيد . كُلَّما اقْتَرَبْنا مِنهُ ابْتَعَدْنا عَنهُ ، لأنَّنا نَقتربُ مِنَ الصَّدى العميقِ، والصَّدى يَهربُ مِن أصواتِنا . وحِينَ نَدرسُ الإنسانَ إنَّما نَدرسُ رَجْعَ الصَّدى، لأنَّ الصوتَ بَعيدٌ لا نَستطيع الوصولَ إلَيه . وعِندَما نُحلِّل تركيبَ النَّفْسِ البشرية ، فَنحنُ في حقيقة الأمرِ نُحلِّل القُشور لا الجوهرِ ، لأنَّ جوهر الإنسان عَميق . إنَّنا نُحلِّل حركةَ الأمواجِ السطحية ، لأنَّ قاعَ البحر لا يَصِلُ إلَيه أحَدٌ .

[١٢٢] للأسفِ ، لا أَستطيعُ دُخولَ المطاعمِ الْمُخَصَّصَةِ للعَائلات .

عِشْتُ وَحيداً ، لأنَّ قَلبي كانَ وَحيداً . يَتحرَّكُ الناسُ في الشوارعِ ، وأتحرَّكُ في الذِّكرياتِ . أمشي مَعَ الناسِ ، لَكِنِّي لا أرى الناسَ ، ولا أرى نَفْسِي ، لأنِّي أعيشُ في عالَمي الخاص . يَذهبُ الرجالُ معَ زَوْجاتهم إلى مطاعم العائلاتِ، وأظلُّ في شوارعِ الصَّقيعِ وَحيداً . أُرافِقُ القِطَطَ الضَّالة، وأُراقب الكلابَ البُوليسية عِندَ الحواجزِ العسكرية .

[١٢٣] سِنُّ التَّقاعدِ خُرافةٌ غَيْر مَوجودة إلا على الأوراقِ الرَّسميةِ .

الدُّوَلُ الفاشلةُ تستمدُّ شرعيتها الوهميةَ مِن قَتل الإنسان داخل الإنسان ، وتَحطيمِ عناصر الطبيعة . الأحلامُ تنكسرُ كَقِطَعِ الشُّوكولاتة ، والذِّكرياتُ تتساقطُ كحجارة الدُّومينو . الإنسانُ يَمْلِكُ مَواهب خارقةً ، لَكِنَّنا نَدْفِنُها قبل أن ترى الشمسَ . حياتُنا سرابٌ لأنَّنا لَم نَستفِدْ من الطاقة الإبداعية للبشر والطبيعةِ . كُلُّ إنجازاتنا الوهمية تَنظير في الهواء ، وكُلُّ انتصاراتنا في المعارك عبارة عن أُغنياتٍ وَطنيةٍ للراقصاتِ .

[١٢٤] الفَشَلُ في الْحُبِّ هُوَ الْخُطوةُ الأُولَى في طَريقِ الفَلسفةِ .

الفلسفةُ هِيَ الماءُ الْمُقَطَّرُ . إنها نَسَقٌ فكريٌّ يَعتمد على أخذ الدُّروس والعِبَر من مشاعر الإنسان وحركةِ التاريخ . وصدمةُ الأحزانِ هِيَ وَقُود الفلسفة ، والفشلُ الاجتماعيُّ هو الْمُحرِّك للمنظومة الفلسفية . والحاجةُ أُمُّ الاختراع . والإنسانُ يُولَدُ في الصراع بين الأضداد ، وتَبْرُز قُدراته الذهنية في الصِّدام بين التناقضات .

[١٢٥] انتقادُ الأصلِ يَعْني انتقادَ الفُروعِ ، وانتقادُ الفُروعِ بالكُلِّيةِ يَعني انتقادَ الأصل .

إذا ماتَ القلبُ ، مَاتتْ أعضاءُ الإنسانِ ، لأنَّ القلبَ هو الْمَصْدَر . وإذا سَقَطَ الملِكُ انتهتْ لُعبةُ الشِّطْرَنج ، ولا فائدة مِن بَقاءِ الجنود. وإذا تَلَوَّثَ مَنبع النهرِ ، فإنَّ النهرَ سَيُصْبِحُ مُلَوَّثاً بشكل كامل . وإذا كانَ الْمُعَلِّمُ ضَعيفاً ، فإنَّ تلاميذه ضُعَفاء .

[١٢٦] قَدَرُ العُظَماءِ أن يَعيشوا في مُجْتَمَعَاتٍ مُتَخَلِّفَةٍ .

المريضُ هُوَ الذي يَحتاجُ إلى علاجٍ ، ولَيْسَ السَّليم . والأطباءُ سَيُصْبِحُون عاطلين عن العمل إذا لَم يَجِدُوا مَرْضَى . إذن ، وُجودُ المرضِ حتميٌّ ، وانتشارُ المرضى حقيقةٌ واقعة . والمجتمعاتُ المريضةُ بالوَهْم والجهل قادرة على إنجاب السَّاسة العباقرة ، والمفكِّرين الأساطين ، تماماً كما نستخلص الدَّواءَ مِنَ السُّم. وفي هذه الحالةِ ، فاقدُ الشَّيء يُعطيه ، لأنَّ عُنصر المفاجأة والحاجَة الضرورية قادران على كَسْر القوانين الاجتماعية، ولأنَّ الطَّفرات قادرة على تجاوز قوانين الجِينات. وحَيْثُ يَكُونُ الداءُ يَظهر الدواءُ . وحَيْثُ تَكُون الجِيَفُ تَظهر النُّسورُ .

[١٢٧] إنَّ كَثرةَ الْهُمومِ أَفْقَدَتْنِي الرَّغبةَ في النِّساءِ .

الْهُمُومُ على كاهل الإنسانِ عِبْءٌ ثقيل ، تَشُلُّ تفكيرَه ، وتُفْقِدُه الرغبةَ في عناصر الحياة ، لأنَّ العقلَ مُسَيْطَرٌ عَلَيه مِن قِبَل التفاصيل الحياتية الصادمة . ولا يُمْكِنُ أن تَتحقَّق الْمُتعة إلا إذا كان العقلُ خالياً من الأضداد . والشَّغَفُ بالأشياء يُولَدُ مِن صفاء الذهن . فإذا كانَ الذهنُ مُشَوَّشاً ، لَن يَشعر الإنسانُ بالْجَمَالِ مِن حَوْلِه . سيرى الجمالَ نَوعاً من القُبح . وإذا كانَ الجسدُ مُلَوَّثاً فلا فائدة من نظافة الثياب .

[١٢٨] إنَّ الملوكَ أكثرُ ثَراءً مِنِّي ، لَكِنِّي أَمْلِكُ أشياءَ لا يَقْدِرُونَ عَلى امتلاكِها .

يَلْهَثُ الناسُ وَراءَ المالِ. يَبيعون بَناتِهم للقادرين على الدَّفْع . لا أحدَ يُفكِّر بالأشواقِ الرُّوحية. الْهَوَسُ الاستهلاكيُّ يَطْحَنُ أحلامَ الناسِ بِلا رَحمة . المهمُّ تَغذيةُ الجسدِ الذي سَيَأكله الدُّودُ ، ولا أحدَ يَهْتَمُّ بِتَغذية الرُّوحِ . يَنشغِلُ الناسُ بأشعة الشمسِ ، لكنهم لا يُفكِّرون في حركة الشمس . يَحْرِصُ الناسُ على الزواج والتَّكاثُر ، لَكِنَّهم لا يُفَكِّرون بالإعجازِ الإلهيِّ الذي يتجلى في التقاء الحيَوانِ الْمَنَويِّ بالبُوَيضة ، وكأنَّهُ تَحصيل حاصل . الاعتياديةُ قاتلةٌ للتأمُّل الرُّوحيِّ ، لأنَّها تَجعل الشيء العظيمَ شَيئاً عادياً .

[١٢٩] في المجتمعاتِ الْمُتخلِّفةِ يَصيرُ الفَشَلُ هُوَ النجاحَ الباهرَ .

لا يَقْدِرُ العَبيدُ أن يَفتخِروا بالحرِّية، لأنَّهم لَم يَحْصُلوا عَلَيها. لذلكَ يَفتخِرون بِلَمَعَانِ قُيودِهم. ولا يَقْدِرُ القادةُ أن يَفتخِروا بالنَّصر في المعارك ، لأنهم مَهزومون . لذلكَ يَفتخِرون بِلَمَعَانِ أوسمتهم العَسكرية . إنَّ المجتمعات التي سَقطت في هاوية التَّخلف تَصنع تاريخَها " المشرق " من الأكاذيبِ ، لِئَلا تَظَلَّ بِدُون تاريخ . ضَاعَ الوَطَنُ ، لكنَّ الخاسرينَ قاموا باسترجاعه في الأغاني الوَطنية . والأُمَمُ المهزومةُ تُحاوِل اختراعَ انتصارٍ وهميٍّ يَحفظ مَاءَ وَجْهِها ، فإن لَم تَقْدِرْ على ذلك ، سَوْفَ تَعتبِرُ هَزائِمَها هِيَ أقواسَ النَّصْرِ . وفي المجتَمَعَاتِ الْمُنهارة ، يُصْبِح البَقاءُ على قَيْدِ الحياةِ أكبرَ إنجازٍ في التاريخ .

[١٣٠] كُلُّ حَرْفٍ مِن لُغتي انقلابٌ عسكريٌّ .

اللغةُ هِيَ انقلابُ المعنَى على الوَهْمِ.وهذا الفكرُ الانقلابِيُّ الذي تُقَدِّمُه اللغةُ ، يَنبغي أن يَتحوَّل إلى مَنظومة عَسكرية . فالعَسْكرةُ في الكيان اللغويِّ هِيَ الضَّمانة لامتزاج الحِبْرِ بالدَّم . والكلماتُ تَظَلُّ مَيْتَةً حتَّى يَسْقِيَها الكاتبُ بِدَمِه . واللغةُ هي الوُجودُ الرَّمزيُّ للحضارة الإنسانية ، ولا بُدَّ مِن إحاطة اللغة بالوجود الدَّمويِّ (التَّضحية بالنَّفْسِ في سَبيلِ كَلمة الحق). والجسدُ مِنَ

التراب ، وإلى التراب . والكلمةُ خالدةٌ خُلود الرُّوح الإنسانية . ومَا يَصدر عَن الرُّوح مُحَرَّمٌ على التراب. ومعَ هذا، لا بُدَّ مِن التَّوازن بين أشواق الرُّوح وأشواق التراب ، لأنَّ الجسدَ التُّرَابِيَّ هُوَ الحاملُ للرُّوح.

[١٣١] الْمَنْطِقُ هُوَ الشَّيْءُ الذي يَعْتَبِرُهُ المهزومون غَيْرَ مَنْطِقِيٍّ .

الهزيمةُ نَوعان : هزيمة داخلية وهزيمة خارجية . الهزيمةُ الداخليةُ هي انكسار المعنَى في قلب الإنسان ، وانهيارُ مشاعره وذِكرياته ، وعِندئذٍ يَتحوَّلُ الإنسانُ إلى عَدُوٍّ لِنَفْسِه . والهزيمةُ الخارجيةُ هي انكسار الإنسان أمامَ عَدُوٍّ خارجيٍّ يَمتلك الوسائل المادية الْمُتفوِّقة . ومَنْطِقُ المهزومين هُوَ الخضوع للأمر الواقع ، والإيمانُ باستحالة التغيير ، لأنَّ العَين لا تَعلو على الحاجب . إنَّهم يَمشون في النَّفَقِ يائسين لأنَّهم لَم يَرَوا ضَوءاً. ولا يَعْرِفُونَ أنَّ الضَّوء خلف الجدار ، وما عَلَيهم إلا إحداث ثَغرة في الجدار . الضَّوءُ قريبٌ من الإرادة الإنسانية ، وبَعيدٌ عَن سياسة الأمر الواقع . إنَّ الواقعَ الحقيقيَّ هُوَ التَّخَيُّلُ . والواقع هُوَ تَجَاوُز الواقع .

[١٣٢] إنَّ الفلاسفةَ الذينَ يَنْسَوْنَ أنفُسَهم يَصِيرُونَ صَدَىً لِمُجْتَمَعٍ يَعيشُ في أنفُسِهم .

إنْ لَم تَكُنْ صَوْتاً ، سَتَكُونُ صَدَىً . لا مكانَ لأنصافِ الْحُلُولِ . إنْ لَم تَكُنْ قَائداً ، سَوْفَ يَقُودُكَ الآخرون . إنْ لَم تَتَحَدَّثْ ، سَوْفَ يَتَحَدَّث الآخرون نِيَابةً عَنك . لا مَفَرَّ مِن أخذ رُوح الْمُبَادَرَة . البَعْضُ يَخافُ مِنَ التقاليد السائدة ، والجماهيرُ تَعشقُ الشخصَ الذي يَكذب عَلَيها ، لأنَّهُ يُقَدِّم لها الْمُخَدِّرَ الذي يَجعلها تعيش في الأحلام الوردية الخادعة . أمَّا الشخصُ الذي يَصدم المجتمعَ بالحقيقةِ الْمُرَّة، فَيُصَنَّف كخائنٍ ومُنْدَس . والحاكمُ الذي يَسرق الشعبَ ، يَعرِف أنَّهُ لِصٌّ ، والشعبُ الذليلُ يَعرِف خيانته ، وخِيانةَ الحاكم . ومعَ هذا يَنتظِرُ الطرفان عباراتِ المديحِ والأملِ ، ويَسيران معاً إلى المستقبَل المشرِق ! . والْمُضْحِكُ الْمُبْكِي أنَّ الأنظمة القَمعية تَأمُرُ المحكومَ ألا يَسْرِقَ ، في حِينَ أنَّ الحاكمَ يَسْرِقُ عَلى مَرْأى ومَسْمَعٍ مِنَ الناسِ . والمرأةُ القبيحةُ تَعرف في قَرارة نفْسها أنَّها قبيحة، لكنها تَنتظِرُ عباراتِ الإعجابِ بِجَمَالِها الافتراضِيِّ . إنَّ الوَهْمَ يُريحها مُؤقَّتاً ، وَيَحْقِنُها بالأمل الكاذب كالسراب الذي يَعشقه السائرُ في الصَّحراء ، لأنَّه يُشْعِرُه بالنَّجاة . لقد ماتَ الصَّوْتُ ، وصارَ الصَّدى الْمُوحِشُ هُوَ الصَّوْتَ . كُلُّنا نَعيشُ في الأوهام ، ونَعشق الذين يَكْذِبُون عَلَينا، لأنَّنا نَجِدُ أنفُسَنا في أنقاضِ الوهم ، ولا دَاعي للتَّنقيب أو رِحلة البحث عن الذات.

[١٣٣] لَقَبُ فَيْلَسُوف أَحَبُّ إِلَيَّ مِن لَقَبِ شَاعِر .

الفَيْلَسُوفُ هو الذي يَكتشف المصيرَ في الْمَسارِ ، ويَعْثُرُ على العلاقاتِ الفكرية في جسد اللغة ورُوحِ المجتمع وذِهنِ الإنسان . أمَّا الشاعرُ فَيَكتشف عَناصرَ الْجَمَالِ في مَواطنِ القُبح ، ويَعْثُرُ على الماءِ الْمُقَطَّرِ في مِياهِ المجاري، ويُبْرِزُ ذاكرةَ الأملِ في أنقاض الْمُدُنِ المنسِيَّة . الفَيْلَسُوفُ هُوَ الطبيبُ الجرَّاح ، والشاعرُ هُوَ الأملُ بالشِّفاء . وعلى الفَيلسوف أن يُفكِّر بِعَقليةِ ضَابِطِ المخابرات . يَشُكُّ في كُلِّ شَيْءٍ ، وَيُسَجِّل كُلَّ الملاحَظات ، وَيَطرح الأسئلةَ ، ويَربط الأحداثَ بالأحداث ، وَيُحاوِل البَحْثَ عَن إجاباتٍ منطقية .

[١٣٤] قَدْ يَدْفَعُكَ حُبُّكَ لامرأةٍ إلى الابتعادِ عَنها .

الْحُبُّ الحقيقيُّ هو التَّضحيةُ بالحبيبة من أجلها . أنتَ تُضَحِّي بالْحُبِّ مِن أجلِ الْحُبِّ . لا تَقْطِف الزهرةَ. أنتَ عَاجزٌ عَن سَقْيِها.اتْرُك الزهرةَ في الحديقةِ لأنَّ المطرَ سَيَسْقِيها. سَيَهْرُبُ الغريبُ مِنَ المرأة التي أحَبَّها لِيُحافظ على ماء وَجْهه . ستظلُّ المرأةُ في ذِهنه أيقونةً لا تُخْدَش ، ويظلُّ الرَّجل في ذِهنها أُسطورةً لا تُكْسَر . سَيكُونُ الابتعادُ عن الْحُبِّ الوَسيلةَ الوَحيدةَ للحفاظِ عَلَيه. وسيظلُّ الحبُّ هُوَ التَّضحية لا الشَّهوة .

[١٣٥] أَسْوَأُ شَخْصٍ تَعَرَّفْتُ عَلَيْهِ في حَياتي هُوَ أنا .

إنَّ اشتغالي بِعُيوبي الكثيرة يَمْنعني مِن رُؤية عُيوب الآخرين . جَسدُ الْمُومِسِ مُلَوَّثٌ ، وقَلْبي مُلَوَّثٌ . هَل يُوجَد فَرْقٌ بَيْنَ تَلَوُّثٍ وتَلَوُّثٍ ؟ . نَحْنُ الاثنان نَحتاجُ إلى تَوبةٍ . شاربُ الخمرِ غارقٌ في السُّكْرِ الناتجِ عَن الكُحولِ ، وأنا غارقٌ في السُّكْرِ الناتج عَن حُبِّ الدُّنيا . كِلانا سَكْران ، وعَلَينا أن نَتوب . لا دَاعي أن أُقَدِّمَ نَفْسي كَشَخْصٍ طَاهِرٍ ومُناضِلٍ شَريفٍ يُنَظِّرُ على الآخرين .

[١٣٦] الكاتبُ يُسَيْطِرُ على الشَّكلِ العَامِّ للرِّواية ، لَكِنَّ التفاصيلَ تُسَيْطِرُ على الكاتب .

الكتابةُ مِثْل الدُّخول في غَابةٍ مَجهولةٍ . أنتَ تَمْلِكُ تَصَوُّراً ذِهنياً عن الغابة ، لَكِنَّكَ لا تَقْدِرُ على تَوَقُّع المفاجآت التي ستظهر أمامَك . قَد تُهاجمك حيواناتٌ مُفترسة ، وتَهْرب مِنها ، فَتَرى كَهْفاً فَتَختبِئ فِيه ، ثُمَّ تَكتشِف أنَّ هذا الكَهْف يَحتوي على مَمَرٍّ سِرِّيٍّ ، وتَبدأ رِحلتك مِن جَديد. إنَّ هذه الأحداث غَير الْمُتَوَقَّعة هي التي تَكْسِرُ رُوتين الرِّحلةِ ، وتُحَوِّل الْمَلَلَ إلى مُغامَرة تَشتمِل على قَدْرٍ مِن الْخُطُورة والتَّعَب . ولَذَّةُ الحياةِ كامنةٌ في الخطورةِ والتَّعَبِ . والْمُغَامَرَةُ لا الْمُقَامَرَةُ ، هي التي تَمنح الحياةَ مَعناها . وَقد أخْفَى اللهُ عَن الإنسانِ عِلْمَ الغَيْبِ كَي يَستمتع بِحياته . وَلَوْ كانَ الإنسانُ يَعْلَمُ الغَيْبَ لَصَارَتْ حَياتُه عَذاباً لا يُطَاق. إنَّ البابَ الْمُغْلَقَ يُغْرِي الإنسانَ باكتشافِ الأسرارِ ، فيظلُّ عَائِشاً على الأملِ . والبابُ الْمُغْلَقُ هُوَ الذي يَدُقُّ عَلَيه الإنسانُ . أمَّا البابُ

المفتوحُ ، فلا يُمْكِنُ فَتْحُه ، ولا يُدَقُّ عَلَيه ، ولا يُثير الرغبةَ في الاكتشافِ . ولَذَّةُ الكِتابةِ تتجلَّى في مَعرفةِ نُقطةِ البِدايةِ ، وَعَدَمِ مَعرفةِ نُقطةِ النِّهايةِ . وهذه هِيَ مُتعةُ الْمُغامَرة في عوالم اللغةِ وفَلسفةِ الرموزِ . ومُغامَرةُ الكتابةِ هِيَ البَكارةُ الدَّائمةُ بِلا انقطاعٍ .

[١٣٧] بَعْضُ الأعراسِ في الحقيقةِ هِيَ مَآتِم .

كُلُّ عُرْسٍ هُوَ مَأتَمٌ في مكانٍ آخَر . وقَد يَكون العُرْسُ مَأتَماً بِحَدِّ ذاته . سَيَرْقُصُ العريسُ والعروسُ معاً . ولكنْ هَل هُما سَعيدان ؟ . هَل تُوجِد نساءٌ في حياة العريسِ قبل هذه المرأةِ ؟ . هَل يُوجَد رِجالٌ في حَياةِ العَرُوسِ قبل هذا الرَّجل ؟ . هَل الْحُبُّ بِدايةُ المرحلة أَم نِهاية المرحلةِ أَم سِياسة الأمرِ الواقع ؟ . قَد يَكُونُ الحبُّ صَفحةً بَيضاء خاليةً مِنَ الماضي . وقَد تَظهر أنيابُ الماضي وتَفترِسُ القلوبَ المكسورةَ . في بعض الأحيان ، تَكُون الضَّحِكاتُ أرشيفاً للأحزانِ المغروسةِ في القلبِ ، وتَكون الممرَّاتُ الباردةُ في البَيت مِثْل سَراديب محاكم التَّفتيش ، وتَكون لَيْلةُ الدُّخلة سِفْرَ الخروجِ مِنَ الذِّكرياتِ ، ويَكون الزواجُ مَقبرةَ الحبِّ . ومَهْما يَكُنْ مِن أمْرٍ، فإنَّ الحياةَ سَوْفَ تستمر. لا أحَدَ يَتعذَّبُ نِيابةً عَن أحَدٍ ، ولا أحَدَ يَستفيدُ مِن دُروس التاريخ.

[١٣٨] كُلَّما دَخَلْنا في الزِّنزانةِ اكْتَشَفْنَا ضَوْءاً سَيُغَيِّرُ العَالَمَ .

سَنَعْثُرُ على قارورة العِطْر في أكوامِ القُمامة . سَنَعْثُرُ على مَزهرياتِ الورودِ تَحْتَ أنقاضِ البُيوتِ . سَيُولَدُ طِفْلُ الانتقامِ مِن جُثث آبائه . سَنَجِدُ عناصرَ الحياةِ الجديدةِ في المقابر . التاريخُ لا يَتوقَّف ، والدُّنيا دَوَّارة . نَحْنُ في سِباقِ المسافاتِ الطويلةِ ، القويُّ مَن يُوَزِّعُ جُهْدَه حتَّى يَصِلَ إلى خَطِّ النِّهاية قبل الآخرين . ومَن يَضْحَكْ أخيراً يَضْحَكْ كَثيراً .

[١٣٩] مِن مَصلحةِ الجلادِ أن يَظَلَّ مُصْطَلَحُ " الضَّحِيَّة " عَائِماً .

القانونُ يَضَعُه الأقوياءُ. والتاريخُ يَكْتُبُه الْمُنْتَصِرُون. والنَّخاسُ هُوَ الذي يُحَدِّدُ أسعارَ الجواري. الضَّعيفُ غائبٌ حتَّى لَوْ كانَ مَوجوداً . ذُنوبُ القويِّ مَغفورةٌ ، وحَسَنَاتُ الضَّحِيَّةِ مَطْمُوسةٌ . والضَّحِيَّةُ هِيَ أُلعوبةٌ بِيَدِ الجلادِ ، يُغيِّر اسْمَها لِيُحَقِّقَ مَزيداً مِنَ الأرباح والنُّفوذ . يتمُّ تَفصيلُ القوانين حَسَبَ الصفقات التجارية ، ويتمُّ اختراعُ المشاعرِ وَفْقَ قانون الرِّبح والخسارة .

[١٤٠] تَسويقُ العَمَلِ الأدبِيِّ جُزءٌ أساسيٌّ مِن عَبقريَّةِ النَّص .

مُحْتَوَى الكتابِ فِكْرٌ لا يُباعُ ولا يُشْتَرَى . لكنَّ الكِتابَ سِلْعةٌ تُباعُ وتُشْتَرَى . وكَم مِن كِتابٍ عَظيمٍ ضاعَ على الأرصفة بَيْنَ أكوام الكُتُب بسبب انعدامِ التَّسويق . ما فائدةُ الكتابِ العَظيمِ إذا

لَم يَصِلْ إلى الناس ؟ . عَبقريةُ النَّص لَيْسَتْ فِكرةً هُلاميةً ، إنَّها عَبقريةٌ مُنْدَمِجَةٌ بالكاملِ مَعَ عبقريةِ نَشْرِ النَّص وتَسويقه .

[١٤١] الْمَجْدُ يَكْتُبُهُ الكَثِيرون ، لَكِنَّ وَاحِداً فَقط يَصْنَعُه .

الرَّأسُ هو الرَّأس . القلبُ واحدٌ ، وكُلُّ الأعضاءِ خاضعةٌ له . لاعبٌ واحدٌ يُسجِّل الهدفَ في المرمى ، والملايين يَحْتَفِلُون بالهدفِ كما لَوْ كانوا هُم الذين سَجَّلُوه . مَنْبَعُ النَّهرِ هُوَ الأساس ، والرَّوافدُ مُجَرَّد فُروع تابعة . حَيَوَانٌ مَنَوِيٌّ وَاحِدٌ يُلَقِّحُ البُوَيضةَ ، والناسُ يَفْرَحُون بِقُدُوم المولود. الجنودُ يَموتون في المعركة ، لكنَّ النَّصْرَ يُسَجَّل بِاسْمِ قائد المعركة ، ويَأتي الكُتَّابُ كَي يُحَوِّلُوا الدَّمَ إلى حِبْر .

[١٤٢] الشَّاعِرُ هُوَ الشَّخْصُ الوَحيدُ الذي يَمْلِكُ مَنْجَماً للذهبِ ويَعْمَلُ فِيهِ بِيَدَيْهِ .

الشاعرُ مِن أذكى الناس ، لأنَّه يَعْرِف حجمَ ثَروته ، ويُدْرِك نِقاطَ قُوَّته ونِقاطَ ضَعْفه . إنَّهُ يُنقِّب في مَنْجِم اللغةِ وَحيداً، ويَستخرِجُ الكنوزَ . إنَّهُ المالِكُ الذي يَحتكِرُ المعْنَى ، والفاتحُ الذي يَستعمِرُ الْخَيَالَ . لا أحَدَ يُشارِكُه في ثَروته ، لكنَّ الناسَ يُشَارِكُونه في الاستمتاع بِلَمَعَان الذهب . إنَّ البحثَ عن الذاتِ هُوَ التَّنقيبُ المتواصلُ في جَسدِ الإنسانِ ومَنْجَمِ اللغةِ .

[١٤٣] كِتابةُ الشِّعْرِ تَفكيكٌ للعُقَدِ النَّفسيةِ .

كِتابةُ الشِّعر لَيْسَتْ رَفاهيةً أوْ هِوايةً لِمَلْءِ وَقت الفراغ. إنَّها عَذابٌ مُتواصلٌ لِتَنقيةِ القلبِ والجسَدِ. إنَّها حَرْقٌ مُستمر للأعصاب لِفَصْلِ الذهب عن التُّرابِ . إنَّها تَطهيرٌ عِرْقِيٌّ في أنهارِ الرُّوحِ للحصول على الماء الْمُقَطَّرِ . الشِّعرُ يَهْدِمُ الإنسانَ ثُمَّ يُعيدُ بِناءَهُ بِلا عُقَد نَفسية . وكُلَّما كَتَبَ الشاعرُ بَيْتَاً مِن الشِّعر ، حُلَّتْ عُقْدَةٌ مِن عُقَدِهِ النَّفسيةِ. ومَعَ أنَّ الشاعرَ يُعتبَر كَهْفاً للعُقَدِ النَّفسيةِ، إلا أنَّه قادرٌ على إنقاذ نَفْسِه والآخرين، لأنَّ حياته رِحلةُ علاج مستمرة . الْخُطوةُ الأُولَى في طريق العلاج الفَعَّال هِيَ الاعترافُ بالمرضِ . وفي رحلة العلاج ، ستظهر أسرارٌ كثيرةٌ قادرة على تغييرِ طبيعة التفكير الإنسانيِّ ، وتفسيرِ حركة الحضارات .

[١٤٤] كِتابةُ القَصيدةِ تُشْعِرُني أَنَّني امتدادٌ للأشجارِ دَائمةِ الْخُضْرة .

الشاعرُ لا يَمُوتُ ولا يَشيخُ . سَيَظَلُّ حَيَّاً إلى الأبدِ ، لأنَّهُ يَستمِدُّ حياتَه من خُلودِ اللغةِ . سَيَظَلُّ شَابَّاً للأبَدِ ، لأنَّه يَستمِدُّ نَشَاطَه من الطاقة الرمزية للأبجديةِ . والشاعرُ يَتَّحِدُ مَعَ عناصر الطبيعة . جَسَدُه من الترابِ وإلى التراب . لكنَّ كَلِمَاتِه خالدةٌ . الكلمةُ جَسَدٌ قائمٌ بذاته .

[١٤٥] اقتحامُ المعركةِ أسهلُ مِن النَّظَرِ إِلَيها عَن بُعْد .

أفضلُ وَسيلةٍ للتَّخلصِ مِنَ الخوفِ أن تَقتحمه . اقتحامُ الشَّيء يَعني أنَّ الإنسانَ مَوجود في قلب الحدَث وفي وسط الْمَعْمَعَة ، وعَلَيه أن يُقاتِل حتَّى النِّهاية ، ولا مجال للهربِ ، فإمَّا أن يَكون قَاتلاً أو مَقتولاً . وهذه اللحظة المصيرية تَجعل الإرادةَ الإنسانيةَ مُوَجَّهة بالكامل إلى التشبث بالحياة وحُب البقاء . أمَّا الخوفُ مِن اقتحام الشيء ، فَيَجعل الإنسانَ غارقاً في التَّردد والوساوس واحتمالات الرِّبْح والخسارة. وهذه الهواجسُ العَنيفةُ تتلاعب بأعصاب الإنسان، وتُحَوِّله إلى وَهْم.

[١٤٦] الدِّيمقراطيةُ للشُّعوبِ الْمُتَخَلِّفةِ مِثْل التَّنورةِ فَوْقَ الرُّكبةِ لِرَاعيةِ الغَنَم .

الدِّيمقراطيةُ لا تُناسِبُ رُعيانَ الغنم. ولا مَعْنَى للدِّيمقراطيةِ البَدويةِ. الشعوبُ الغارقةُ في التَّقليدِ الأعمى، سَتَظَلُّ تَلْهَثُ وَراءَ الخبزِ والجِنسِ . فالعقلُ إذا كانَ فارغاً، سَتَمتلِئُ الشَّهواتُ بالهوَسِ الاستهلاكيِّ . والدُّوَلُ الضَّعيفةُ لَيْسَ لها علاقة بالسياسة، لأنَّ السياسة لُعبة الأغنياء والأقوياء، والقويُّ يُحَدِّدُ مَصيرَ الضَّعيف، كما يُحَدِّدُ النَّخاسُ مَصيرَ الجاريةِ. والشخصُ الذي لا يَمْلِكُ رغيفَ الخبز ، سيظلُّ خاضعاً لِمَن يَمْلِكُه . والموظَّفُ سيظلُّ عَبْداً ذَليلاً لِمَن يُقَدِّمُ له الراتبَ الشهريَّ . إنَّ الشعوبَ الحيَّةَ لا تَستمِدُّ حُرِّيتها مِن مَوادِّ الدُّستور، والمرأة الْحُرَّة لا تَستمِدُّ أُنوثتها مِنَ التَّنورة فوق الرُّكبة .

[١٤٧] يَجِبُ أن نَعترِفَ أنَّنا بِعْنا نِسَاءَنا لِمَن دَفَعَ أكثرَ .

في أحيانٍ كثيرةٍ ، يكون الزواجُ صَفقةً تجاريةً أوْ تَجسيداً لسياسة الأمر الواقع. وبَيْعُ النِّساءِ مُنتشرٌ في كُلِّ الطبقات الاجتماعية، ولَيْسَ حِكْراً على الطبقات الْمُتَدَنِّيةِ في المجتمع . وثقافةُ بَيع النساء لا تحتاج إلى سُوق نِخاسة لِتَطبيقها على أرض الواقع . إنها ثقافةٌ مَغروسةٌ في العقل الجمعيِّ للمجتمع الذي يَعتبِر المرأةَ مَفعولاً بِه خاضعاً للفاعلِ ، ورَدَّةَ فِعْلٍ تابعةً للفِعْل . وَكَم امرأةٍ تَظَنُّ نَفْسَها سَيِّدةً في المجتمع المخمليِّ ، وَهِيَ مُجَرَّد دُمية غارقة في المِكياج ، تُباع وتُشْتَرَى . وَكَم امرأةٍ أرستقراطيةٍ تُصَنَّف ضِمْن عِلْية القَوم ، وَهِيَ مُجَرَّد جارية تُباع وتُشْتَرَى في سُوق نِخاسةٍ على شكل قَصْرٍ فَخْمٍ . وَكَم امرأةٍ تَقُودُ جَمعياتِ حُقوق المرأة ، وَهِيَ مِمْسحةٌ لِحِذاء زَوجها ، ذاهبةٌ إلى النسيان في إحدى زوايا المطبخ .

[١٤٨] رُوتينُ الوَظيفةِ يُلْغِي رُوحَ الشَّاعِرِ .

المكانُ سِجْنٌ ، والزمانُ حَالةُ حِصارٍ. والرُّوحُ التي تُفْلِتُ مِنَ المكانِ والزَّمانِ هِي رُوحُ الشاعرِ، الذي لا يُمْكِنُ حَصْرُه في الأضدادِ والأنظمةِ الضَّيقة . الاعتياديةُ تَقتل قَلْبَ الشاعر ، والرُّوتينُ الحياتيُّ يُحَوِّلُ الشاعرَ إلى رَجُلٍ آلِيٍّ خالٍ من المشاعر . وحياةُ الشاعرِ قائمةٌ على عُنصرِ المفاجأة

، وثقافةِ الدَّهشةِ، ولذةِ اللامُتَوَقَّعِ . وهذه المكوِّنات الثلاثة تُشَكِّلُ شخصيةَ الشاعرِ وشَرعيةَ وُجوده.

[١٤٩] تَشْعُرُ المرأةُ بالاكتئابِ حِينَ تَفْقِدُ القُدرةَ عَلى الإغراء .

الإغراءُ سِلاحُ المرأةِ الفَتَّاكُ ، والامتحانُ الحقيقيُّ لأُنوثتها . إنَّهُ بِمَثابةِ إبرةِ النَّحلة. والإغراءُ هو الرصاصةُ الأخيرةُ. وحِينَ تَفْقِدُ المرأةُ القُدرةَ على الإغراء ، تنهار معنوياتها ، وتُصبح ورقةً مَحروقةً. إنَّ شرعية الأنوثة قائمة على الإغراء والجذب والسيطرة . وهذه العناصرُ مُوَجَّهَةٌ ضِد الرَّجل ، حيث تُحاصِره ، وتَعمل جاهدةً على إيقاعه في المِصْيدة. وإغراءُ المرأةِ سِلاحٌ وُجِدَ لِيَبقى . لكنَّ هذا البَقاءَ يَنبغي أن يُقَيَّدَ ضمن الأُطُر الشرعية ، لِكَيلا تَتحوَّل المرأةُ إلى سِلعةٍ أو جَسَدٍ .

[١٥٠] إذا لَم يَفْهَمْ فَلْسَفتي غَيْري ، فهذا دَليلٌ على أنَّني عَبقريٌّ أو مَجنون .

يَجِبُ أن تَصِلَ الكتابةُ إلى الناسِ لَفْظاً ومَعْنَىً. والكاتبُ إمَّا أن يَكون نُخْبوياً أو شَعبياً، وفي كلا الحالتَين، سَوْفَ يَقرأ الناسُ كلماتِه بغضِّ النظر عن عددهم. فلا معنى للتَّنظير على الجماهير ، والاستعلاء عليهم ، وتَصنيفهم كحَفَنةٍ مِنَ العوام والرَّعاع . إنَّ الفَيلسوفَ الذي يظن نَفْسَه أعظم من عامل النظافة يَفقد رُتبته كَفَيلسوف ولا معنى لفلسفته . فالفلسفةُ قيمةٌ وجوديةٌ خياليةٌ وواقعيةٌ، مَن امتلكها فهو الفيلسوف الحقيقيُّ ، سواءٌ كان أُمِّياً أَم يحمل شهادة الدكتوراة .

[١٥١] لَم أنضَم إلى أيِّ حِزْبٍ ، لأنَّني حِزْبٌ سِياسِيٌّ مُعَارِضٌ قَائِمٌ بِذَاتِه .

لا أُحِبُّ سِياسةَ القَطيع . لا أُحِبُّ أن أتلقَّى الأوامرَ مِن أحَدٍ . أنا سَيِّدُ نفْسي، ورئيسُ جمهورية نفْسي . بُنيةُ الحِزْبِ هَرَمِيَّةٌ ، وطَبيعةُ الأحزابِ عَسكريةٌ صارمةٌ . يَتِمُّ إصدارُ الأوامرِ وتَصديرُها . وعلى الجميعِ اعتناقُ رَأْيِ الزَّعيم ، وكُلُّ مَن يَمتلِكُ رَأياً آخَر يُعْتَبَر خائناً أو عَميلاً أو مُنْدَسَّاً أو مُنْشَقَّاً أو عُضْواً في الطابورِ الخامسِ . إنَّ الأحزابَ في العالَم العربية أُكذوبةٌ تُرَوِّجُها الأنظمةُ الحاكمةُ لِتَحسين صُورتها أمامَ الرَّأي العالمي ، حيث تُقَدِّم نَفْسَها كأنظمة دِيمقراطية تَحترم حقوقَ الإنسان ، مَعَ أنَّها أنظمةٌ بَدَوِيَّةٌ بِدائية لُصوصية لا تَعترِفُ بِوُجود شُعوبها . وهذه الشُّعوبُ تَلْهَثُ وَراءَ الخبزِ والجِنس ، ولَيْسَ لَدَيها وَقْتٌ للسِّياسة وألاعيبها . كما أنَّ السياسة في العالَم العربيِّ أُكذوبةٌ، لأنَّ الدُّوَل العربية الفاشلة هي مَحْمِيَّاتٌ أجنبيةٌ ، والحاكم العَرَبي لا يَمْلِكُ مِن أمْرِه شَيئاً. الحاكمُ العَرَبيُّ دُميةٌ بِيَد أسياده الغُزاةِ ، يُوزِّع المناصبَ الوزارية حَسَبَ العشائر التي باعتْ شَرَفَها مقابل رغيف الخبز والوظائف الحكومية . لقد اشترى الحاكمُ العَرَبيُّ ولاءَ هذه العشائر بالمال ، ويُوزِّع عَلَيهم المناصب الحكومية مِثْلَما تُوَزَّعُ البَطاطا في مطاعم الوجبات السريعة . والمناصبُ

الحكومية يتمُّ تَوريثها لأبناء العشائر المتنفِّذة مُقابِل ولائهم وصَمتهم ، وسَوْفَ يَزول صَمْتُهم حِينَ يَجوعون ، وعندئذٍ سَوْفَ يَثُورُون .

[١٥٢] عِندَما أتَذَكَّرُ الشَّركسياتِ ، أُدْرِكُ أنَّ مُسْتَقْبَلِي العَاطِفِيَّ ضَاعَ إلى الأبَدِ .

حِينَ أعْقِدُ مُقارَنةً بَيْنَ المرأةِ الشَّركسيةِ والمرأةِ العربية ، أُدْرِكُ أنَّ مُستقبلي العاطفيَّ قَد ضَاعَ . وعَلَيَّ وَحْدي أن أبكيَ على الأطلال ، وعَلَيَّ وَحْدي أنا أمشي على شاطئ الضباب . إنَّ أكبرَ خطأ إستراتيجيٍّ ارْتَكَبْتُهُ في حَياتي أنَّني لَم أتزَوَّجْ شَركسيةً . إنها المرأةُ الأُسطوريةُ القادرة على تفكيك عُقَدي النَّفسية . كُنتُ أتمنَّى لَوْ أتزوَّجُ شَركسيةً . وما يُؤْلِمُني أنَّ الطريقَ كانَ مفتوحاً أمامي للزواجِ مِنها ، وَمَعَ هذا خِفْتُ أن أمشيَ في الطريق. أخافُ مِنَ الالتزام ، وأهربُ مِن فكرة الارتباط. مُسْتَقْبَلِي العاطفيُّ ضَاعَ مُنذُ وِلادتي . كانت أُمِّي تقول لِي دائماً : ((لا تُوجَد امرأةٌ تَقْدِرُ أن تعيش مَعَك)). هذا صحيحٌ. وأيضاً، لا أستطيعُ أن أعيشَ مَعَ المرأة ، خُصوصاً إذا كانت شركسيةً، لأنَّني لا أُريدُها أن تَكْرَهَني. لا أُريدُ أن يَنطفِئ لَمعانُ وَجْهِها في صَحراء أحزاني . أُحافِظُ على ماء وَجْهي ، وأُحافظُ عَلَيها كأيقونةٍ عَصِيَّةٍ عَلى الكَسْرِ . المرأةُ التي أُحِبُّها أَهْرُبُ مِنها . قَضَيْتُ حَياتي هارباً مِن نَفْسي، وهارباً مِنَ الْحُبِّ ، لأنَّ الْحُبَّ يَكْشِفُ عُقَدي النَّفسية ، يُسْقِط قِناعي ، ويَكْشِف أوراقي ونِقَاطَ ضَعفي . الحبُّ عِبْءٌ ثَقيلٌ ، والرُّومانسيةُ كِفاحٌ مُسلَّح . تَكوينُ أُسرةٍ في هذا المجتمع المتخلِّف عمليةٌ انتحاريةٌ . الحياةُ شَديدةُ الخطورةِ . رُبَّما أَكُون قَد نَجَوْتُ مِنَ فَخ الزَّواج . ورُبَّما أَكُون قَد نَجَوْتُ مِن مِصْيَدة النظام الاستهلاكِيِّ الْمُغْلَق . لَكِنَّ قَلْبي في عَذابٍ دائمٍ ، لأنَّني لَم أتزوَّجْ شَركسيةً . إنَّ وَجْهَ الشَّركسيةِ هُوَ الشَّيْءُ الوَحيدُ الذي يَلْمَعُ في ظُلُماتِ أحزاني. أنا مَيْتٌ عَاطِفِيّاً لأنَّ النِّساءَ القَادراتِ عَلى إحْيَائي هَاجَرْنَ مِن حَيَاتي بِلا عَودة . غابتْ شمسُ حَياتي عِندَما غابَ وَجْهُكِ عَن عَالَمي . وبَعْدَكِ لَم يَعُدْ لِي قَلْبٌ . قَضَيْتُ حَياتي بَاحِثاً عَن الْحُبِّ ، وحِينَ وَجَدْتُهُ دَفَنْتُهُ بِمِلْءِ إرادتي ، لأنَّه لَم يَكُن له مُسْتَقْبَل . وهذه هِيَ إرادةُ المقتولِ . إنَّ الشخصَ الخائفَ يَهْدِمُ مَجْدَه بِيَدَيْهِ ، ويَمشي إلى هاويةِ الذِّكرياتِ وَحيداً .

[١٥٣] ظُهُورُ شَخْصٍ مِثْل آينشتاين دَليلٌ بَاهِرٌ عَلى وُجودِ الخالقِ .

إنَّ اللهَ إذا أرادَ أن يَكشف أسرارَ الكَوْنِ للناسِ ، خَلَقَ عَالِمَاً عَبقرياً يَكشف عَظَمَةَ المخلوقاتِ الدَّالةَ على عَظَمَةِ الخالقِ . فالمصنوعُ يَدُلُّ على الصانع . والعَالِمُ هو الباحث في أسرارِ الكَوْن، يَقُودُ الناسَ إلى خالقهم العظيم ، حتَّى لَوْ كانَ العَالِمُ كافراً . فَمِنَ السُّمِّ يُسْتَخْلَصُ الدواء . والنَّقيضُ يَدُلُّ على النقيض .

[١٥٤] لَحظةُ تَأمُّلٍ وَاحدةٌ تَعْدِلُ حِقْبةً كَامِلةً مِنَ الإبداعِ .

الإبداعُ هُوَ وَصْفُ الوجودِ الْمُدْهِشِ ، أمَّا التأمُّل فهو الاندماج مَعَ هذا الوجود الْمُدْهِشِ . والاندماجُ أعلى من الوَصْف ، لأنَّ الاندماجَ إحساسٌ مِنَ الدَّاخل ، أمَّا الإبداعُ فهو إحساسٌ مِنَ الخارج . والتَّأمُّلُ هُوَ مَركزُ الوجودِ الخيالِيِّ والواقعيِّ في عالَم الإبداع .

[١٥٥] لَن يُصْبِحَ الإنسانُ مُبْدِعَاً إلا إذا حَارَبَ القَمْعَ السياسِيَّ والكَبْتَ الجِنسِيَّ .

الإبداعُ حَرْبٌ مستمرةٌ في داخل الإنسان وخارجه . الإبداعُ عَذابٌ مُتواصِل لِتَطهير قلب الإنسان وجسده من العناصر السَّامة للحضارة المادية ، التي حَوَّلت الإنسانَ إلى رَجل آلِيٍّ . والْمُبْدِعُ صَوْتُ مَن لا صَوْتَ لَهُ ، يُوَاجِهُ سُلطةَ القمعِ السياسيِّ ، لأنَّهُ هُو المتحدِّث باسم الجماهير والْمُدَافِع عن أحلامها . وهذه الجماهيرُ الخرساءُ مَحصورةٌ بين الخبز والجنس ، تنتظر الراتبَ الشَّهريَّ بكل ذُل . وَهِيَ تَحتاجُ إلى قائدٍ يَقُودُها ، لأنَّها عاجزة عن قيادة نفْسها . كما أنَّ الْمُبْدِعَ يُوَاجِهُ الكَبْتَ الجنسيَّ لتنقية عقول الناس من ضغوطات الجسد . ويَنبغي مَنع الطِّين من تَهديد الرُّوح ، ويَجب حماية القلب من ضُغوطات التراب . وإذا تَحَرَّرَ القلبُ مِنَ الخوف والقلق والضغط ، فإنَّ العقل سَيُفَكِّرُ . وهكذا ، يُصْبِحُ الإنسانُ قادراً على التَّحَرُّرِ وتَحريرِ العناصرِ مِنَ العناصرِ .

[١٥٦] كُلَّمَا تَعَمَّقْتُ في كِتابةِ الشِّعْرِ فَهِمْتُ النِّظرياتِ الفِيزيائيةَ والكِيميائيةَ .

الشِّعرُ والعُلومُ الطبيعيةُ شَكْلان للوُجود الإنسانِيِّ ، وهذا الوجودُ وَحدةٌ واحدةٌ في تاريخِ الحضارة ، والمعنَى واحدٌ لا يَتجزَّأ ، لكنَّ وسائلَ التعبير عَنهُ تختلف باختلاف الزمانِ والمكانِ . وعُموماً ، إنَّ العلومَ الإنسانية والعلوم الطبيعية هي أشكالٌ مُتماهِية معَ مركزية الإنسان وهُوِيَّة الحضارة . واللغةُ قادرةٌ على صَهْرِ الأضدادِ ، وصناعةِ سَبيكة مُتجانِسة مِنَ الخيال والواقع والتاريخ والجغرافيا والرُّوح الإنسانية والرُّوح الطبيعية .

[١٥٧] اتَّخَذْتُ كُلَّ الوسائلِ لِحِمَايتي مِنَ العَدُوِّ ، لَكِنِّي لَم أَتَوَقَّعْ أنَّ عَدُوِّي يَسْكُنُ في دَاخِلِي .

مِنْ مَأْمَنِهِ يُؤتَى الْحَذِرُ . أنا أتلاشَى وأضمحلُّ . بَنَيْتُ سُوراً حَوْلَ بَيْتي ضِدَّ اللصوصِ ، لكنَّ اللصَّ يَسْكُنُ في بَيتي. هَزَمْتُ كُلَّ أعدائي . لكنَّ عَدُوِّي كَامِنٌ في ذَاتي . فَكَيْفَ أتحرَّرُ مِن نَفْسي ؟.

لا يَنطلِقُ الإنسانُ إلا إذا تَحَرَّرَ مِن نَفْسِه. التَّحَرُّرُ مِنَ الذاتِ هُوَ تَحريرُ الذاتِ. إنها لحظة الانعتاق. كَيْفَ أحْصُدُ ذَاتي لأُعيدَ زراعةَ ذَاتي ؟ . أحْمِلُ جُرثومة الحضارة في قَلبي . أحْمِلُ فَيروس التَّلاشي في أعصابي . وعِندَما أموتُ سينكسرُ عَدُوِّي الدَّاخلي ، لكنَّ التاريخَ سَيُعْلِنُ هَزيمتي أمامَ الموْتِ .

لَقد رَكَّزْتُ على الجبهة الخارجية ، وقُمتُ بِتَحصينها ، ولَم أُدْرِكْ أنَّ تَدميري سَيَنْبُعُ مِن دَاخِلي (الجبهة الداخلية) . قَلبي يَتآكلُ ، ونَفْسي تُدَمِّرُ نَفْسي .

[١٥٨] أخْشَى أَن تُصْبِحَ حِيطانُ غُرفتي وَحْدَها القادرةَ على فَهْمِ مَشَاعري .

أنظُرُ إلى المرايا ، ولا أعْرِفُ مَن أنا . أَهْرُبُ إلى غُرفتي، وأُغْلِقُ البابَ على ذِكرياتي . مَشَاعري مُخْتَلِطَةٌ . لا أقْدِرُ أن أفْصِلَ الأُكسجين عن الهيدروجين في الماءِ . حِيطانُ غُرفتي هِيَ الشَّاهِدَةُ على انكساراتي . وربَّما تَفْهَمُ مَشَاعري ، لأنَّها تَعيشُ مَعي ، وتَعيش فِيَّ . وأشعرُ أنَّها تَنظرُ إِلَيَّ ، كما تَنْظُرُ الأمُّ إلى ابنها . الحِيطانُ تَمْسَحُ دُموعي . أنا والحِيطانُ نَشْرَبُ الشايَ مَعَ أطيافِ الموتى على زُجاجِ نافذتي . هذه الحِيطانُ هِيَ عَشيقتي الرُّومانسيةُ وزَوْجتي الْمُخْلِصَةُ .

[١٥٩] في زَمَنٍ يَتَكَلَّمُ فِيهِ المالُ ، لَيْسَ غَريباً أن يَصْمِتَ البَشَرُ .

الإنسانُ كَائِنٌ جَاهِلٌ، يَفتخِرُ بِجَهْلِه . إنَّهُ الصانعُ الذي يَنهزِمُ أمامَ إبداعاته . صَنَعَ الحاسوبَ ، وهُزِمَ أمامَه . وصَنَعَ السيارةَ ، لَكِنَّه لا يَقْدِرُ أن يَسْبِقَها . صَنَعَ الإنسانُ الرَّجُلَ الآلِيَّ ، فَخَسِرَ البشرُ وظائفهم ، وصارَ الصانعُ خادماً للمَصنوع . الإنسانُ خادمٌ للآلةِ التي صَنَعَها بِيَدَيْهِ . صَارَ العقلُ البشريُّ مُسْتَسْلِمَاً للعقل الإلكترونِيِّ . والبَشَرُ الذينَ وَضَعُوا قوانين المال والاقتصادِ ، واخترَعوا البنوكَ ، صاروا عَبيداً للمالِ . المالُ هُوَ السَّيد ، والإنسانُ عَبْدٌ وتَحصيلُ حاصلٍ . غُرورُ الإنسانِ سَيَقتله . يَخضع الإنسانُ رَغْمَ أنفِه لِسَطْوة الآلة مَعَ أنَّه هُوَ الذي صَنَعَها . الإنسانُ يَصنع قاتلَه بِيَدَيْهِ . كَم مِن شَخْصٍ صَنَعَ ثروةً ماليةً ثُمَّ صَارَ عَبْداً لهذا المال ، وحارساً له . رُبَّ امرئٍ حَتْفُه فِيما تَمَنَّاه . الإنسانُ في واقع الأمر يَركضُ إلى الموتِ دون أن يَلتفِت إلى العناصر المحيطة بِه . حتَّى الكاتب ، قَد يَتحوَّل إلى عَبْدٍ لِكِتاباته .

[١٦٠] أيْنَما تُوجَد العبقريةُ تُوجَد الْمُعاناة .

الْمُعاناةُ هِيَ أساسُ الإبداعِ وأُمُّ العبقريةِ ، كما أنَّ الحاجةَ أُمُّ الاختراعِ . والْمُعاناةُ لا تَعني أنَّ يَكون الشخصُ فقيراً بائساً . الْمُعاناةُ الحقيقيةُ مُتعلِّقة بالقلب لا الجسدِ . والْمُعاناةُ هِيَ حربٌ أهليةٌ داخل عقل الإنسان، حيث تتصارع الأفراح والأحزان، وتَبْرُز حقيقةُ الموتِ في وَجْه أُكذوبة الحياةِ، وتَظهر معاني الوجود والأحلام والذِّكريات والانكسار. هذا المفاهيمُ تُسيطِرُ على كيان الإنسان، فَيَبدأ رِحلة البحث عن مَعْنى حياته ، وَجَدْوى حياة الآخرين ، وصُعود الحضاراتِ وسُقوطها . وتكاثرُ الأسئلةِ في ذهن الإنسان ، يَدفعه إلى البحث عن إجابات . ومُتعةُ البحثِ تَنْقُلُ الإنسانَ مِن الاستهلاكية إلى الإبداع ، ومِن اللامُبالاة إلى قلب الوجود الحضاريِّ ، فَتَنتقل مَشاعرُ

الإنسانِ مِنَ الآلِيَّة الميكانيكية إلى التفكير الإبداعيِّ الخلاق . وإذا تَحَرَّرَ الإنسانُ مِن دائرةِ الاعتياديةِ ، واستطاعَ أن يَكْسِرَ الحِصارَ المفروض على أشواقه الروحية . عندئذٍ ، سَيَصير مُبْدِعَاً حقيقياً ، يَرى ما لا يَراه الآخرون ، ويَكتشِف طَريقاً جَديداً لا يَمشي فِيه الناسُ .

[١٦١] الدَّعارةُ هِيَ القِطَاعُ الاقتصاديُّ الوَحيدُ الذي لا يُعاني مِنَ البَطالة .

إنَّ الإنسانَ الذي دَمَّرَ الاقتصادَ العالميَّ لإشباع نَزواته ، وتحقيقِ أطماعه الدنيئة ، صارَ يَستثمِر في جسد المرأة ، باعتباره مَفعولاً بِه ، وتجارةً مَضمونة ، وصَفقةً تُدِرُّ أرباحاً طائلةً . وانتقلتْ قيمةُ الاستثمار من عناصر الطبيعة إلى عناصر الجسد الإنسانيِّ ، لأنَّ الرَّجلَ يَعتبِرُ نَفْسَهُ صَيَّاداً ، ويَنظُر إلى المرأة باعتبارها فَريسةً . ومِن حَقِّ الصَّيادِ أن يَستغلَّ الفريسةَ حتى الرَّمق الأخير . الإنسانُ هُوَ البضاعةُ الرخيصة في هذا العالَم. يُحْتَرَمُ الرَّجلُ الآلِيُّ ، ويُقتَل الإنسانُ . يُخطِّطون للدفاع عن حقوق المرأة مَعَ أنَّ المرأةَ ماتت . كَيْفَ نُدافِع عَن حُقوقِ جُثةٍ هامدة ؟. يَنبغي إعادةُ الحياة إلى الجثة ثُمَّ البحث في حقوقها وواجباتها . نهتمُّ بالتفاصيل المتعلِّقة بمحكمة أمن الدَّولة ، ولا نَسأل أنفُسَنا : هَل تُوجَد دَولة أَم لا ؟ . يَنبغي إيجادُ الدَّولة أولاً ثُمَّ الدفاع عَن أمْنِها . وكما يُقال: ((أثْبِت العَرْشَ ثُمَّ انقُشْ)) . إنَّ الإنسانَ كائنٌ رَخيصٌ وجاهلٌ ، لا يَنظر إلى جوهر الشَّيء ، ولا يُفكِّر في الماوراء . إنَّه غارق في اللحظة الآنِيَّة القاتلة ، ولا يُفكِّر في الأجيال القادمة ، لأنَّ أنانيته عمياء .

[١٦٢] لا مَعْنَى لِتَفكير الشَّعب لأنَّ النظامَ القَمعيَّ يُفَكِّرُ نِيَابةً عَن الشَّعب .

النظامُ القَمعيُّ لا يَعترِفُ بِوُجود الشعب . إنَّهُ يَعتبرُ الشعبَ حَفنةً مِنَ الْمُطَبِّلين والْمُزَمِّرين ، الذين يَسْكُبون ماءَ وُجوههم على أقدامِ أزلام النظام الحاكم من أجلِ الرَّاتبِ الشَّهريِّ . والشعبُ يَعتبِرُ نَفْسَهُ سَفيهاً وغَير مُؤهَّل لِمُمارسة السياسة . فالشَّعبُ يَرى نَفْسَه قَطيعاً مِنَ العَبيد والرَّعاع ، ويَنظر إلى أركان النظام السياسيِّ باعتبارهم سادةً يَمْلِكُون القُدرة على مُمارَسة السياسة وقيادة البلاد والعِباد إلى بَر الأمان . وَمِنَ الطبيعيِّ أن يَقوم النظامُ السياسيُّ بالْحَجْرِ على الشَّعب ، ومَنْعِه مِن حق التَّصرف في مُمتلكاته ، لأنَّ الشعبَ قَطيعٌ مِنَ الأغنامِ . وَلَوْ رَأى النظامُ السياسيُّ أمامَه رِجالاً لَمَا تَجَرَّأ عَلَيهم. ولكنَّ النَّخاسَ لا يَشْعُرُ بِرُجولته إلا أمامَ السَّبايا. وَمَن عَوَّدْتَهُ على أكْلِكَ ، كُلَّما نَظَرَ إلَيْكَ جاعَ . ومشكلةُ الشعبِ أنَّه باعَ شَرَفَه مِن أجل رغيف الخبز ، وهذا الذُّل صارَ النشيدَ الوطنيَّ للبلاد الضائعة .

[١٦٣] لا أحَدَ في هذا العالَم يَستطيعُ مَنْعَ كُتُبي إلا أنا .

مَنْعُ الكتابِ يَزيد مِن انتشارِ الكِتاب . والنظامُ السياسيُّ يَلْعَبُ لُعبةً مُزْدَوَجَةً ، فَهُوَ يُقَدِّم نَفْسَه كَمُدَافِع عَن الإسلام والمسلمين ، مَعَ أنَّهُ نِظام عَلمانِيٌّ لُصوصِيٌّ قائم على الْمُتاجَرة بالشِّعاراتِ الإسلامية وسَرقةِ المسلمين !. والنظامُ السياسيُّ يُحاوِلُ جَاهداً أن يُمْسِكَ العصا مِن الْمُنْتَصَف ، فهو يَمنع الكُتبَ التي تُشكِّل خطراً عَلَيه ، وتَفضحه أمام الرَّأيِ العام ، ثُمَّ يُقدِّم نَفْسَه حارساً للإسلام ، ومُدَافِعاً عَنهُ في وَجْهِ الخوَنة والعُمَلاء والْمُنْشَقِّين والْمُنْدَسِّين . والنظامُ السياسيُّ القائمُ على الاستبداد واللصوصية يَضْرِبُ الإسلاميين بالعَلمانيين ، ثُمَّ يُقَدِّم نَفْسَه كوسيطٍ نَزيهٍ للحفاظ على الوَحْدة الوطنية ، وتَماسُك قُوى الشعب . وفَرِّقْ تَسُدْ . أمَّا بالنِّسبة لِمُؤلفاتي ، فلا يَقْدِرُ حَاكِمٌ ولا مَحكومٌ عَلى مَنْعِها من التَّداوُل والانتشار . أنا الناقدُ الأكبرُ لِمُؤلفاتي . أنا الناقدُ الحاقدُ على نَفْسي . ومَهْما حاولَ النُّقادُ أن يَتصيَّدوا أخطائي ، فَلَن يَكُونوا أكثرَ قَسوةً مِنِّي . أنا دِكتاتور على قَلبي وقَلَمي. أُعيدُ بِناءَ مُؤلفاتي مِن جَديدٍ كشخصٍ يَبدأ مِنَ الصِّفر . حياتي الفكريةُ قائمةٌ على الهدم والبناء، والحذفِ والإضافة . وكتاباتي هِيَ تَنقيحٌ مُستمر ، لأنَّني أسعى إلى الوصول إلى أبعد نُقطة مُمكنة . أركضُ دائماً وَراءَ الكمال . لَن أصِلَ إلى الكَمَال بسبب النَّقْصِ البشريِّ ، لكنَّ الكمالَ بالنِّسبة إلَيَّ أن أظلَّ ساعياً وراء ضَوء الكمال . إنَّ الركض وراء الكمال هو الكمال ، كما أنَّ العالِم هو الشخصُ الذي يظلُّ يَتعلَّم . يَمشي ويَعرِف أنَّهُ لَن يَصِل . لكنَّ شَرَفَ المحاوَلةِ يَكفيه . وعلى الإنسانِ أن يُوَاصِلَ المشيَ إلى الأمام ، ولا يَرجع إلى الوراء مَهْما حَصَلَ .

[١٦٤] النِّساءُ يَنْجَذِبْنَ إلى الشاعرِ ، لَكِنَّ الشاعرَ الحقيقِيَّ يَهْرُبُ مِنْهُنَّ .

لا فائدة من حِرْص الشاعر على الْمُعْجَبَات . ولا مَعْنَى لانتظار السَّجاد الأحمر في أيِّ مكان . والشاعرُ الذي يَعيشُ في عالَم النِّساء ، هو شاعرٌ وَهميٌّ يَتلاعبُ بالكلماتِ ، ولا يَحْمِلُ قضيةً . الشاعرُ لَيْسَ نَجْماً سينمائياً يَنتقِلُ مِن امرأةٍ إلى أُخرى. الشاعرُ هو المتحدِّثُ بِاسْمِ عناصر الطبيعة، يُدافِعُ عَن الإنسان ضِدَّ الوَحْش الساكن في الإنسان . يُحارِبُ النظامَ الاستهلاكيَّ المتوحِّش الذي حوَّل الإنسانَ إلى كيان مُوحِش . الكلماتُ لَيْسَتْ وسيلةً للتلاعبِ بِعَواطفِ النساء ، أو السيطرةِ على مَشاعرهنَّ ، أو الاستحواذ على قُلوبهنَّ بالقُوَّة الناعمة. الكلماتُ هِيَ العالَمُ المثالي ، والشرعيةُ المعرفية للإنسان والحضارةِ . والشاعرُ الذي يُحوِّل المرأةَ مِن سُلطةٍ مَعرفيةٍ إلى سِلْعةٍ غَريزِيَّة ، سَوْفَ تَموت كلماتُه معَ الأيام ، لأنَّها لَم تَنْبُعْ مِنَ القلبِ . وإنَّما نَبَعَتْ مِنَ الشهواتِ التُّرابية ، والشَّيْءُ إذا كان من الترابِ ، سَيَعُود إلى التراب .

[١٦٥] كَثرةُ الصَّدَماتِ العاطفيةِ التي أَخْتَرِعُها سَاهَمَتْ في تَطويرِ أدواتي الشِّعرية والفلسفية .

لَم تُفْرَض عَلَيَّ الصدماتُ العاطفيةُ . أنا فَرَضْتُها على نَفْسي ، لأنَّني أخافُ مِن الْحُبِّ ، وأهْرُبُ مِنهُ . أخافُ مِنَ الأشخاص الذينَ يُسَيْطِرُونَ عَلَيَّ بالابتسامة والأحاسيس والذكرياتِ . الذكرياتُ اختراقٌ أمنيٌّ . أخافُ مِنَ الأشخاصِ الذين يَحْتَلُّون قَلبي بلا بَنادق ولا دَبَّابات . هؤلاء هُم الغُزاةُ الْمُحْتَرِفُون . أَمْشي إلى الهاويةِ بكامل قُوَايَ العقلية ، ودُونَ ضَغطٍ مِن أحَدٍ ، لأنَّ قلبي يَسْكُنُ في قاع الوادي . أخترعُ الصَّدماتِ العاطفيةَ هَرَباً مِن الْحُبِّ ، مِثل القائد المهزوم الذي هرب من المعركة ، ورَاحَ يَخترِعُ الأعذارَ لهزيمته . لَكِنَّ الفَرْقَ بَيْني وبَيْنَ القائد المهزوم ، هُوَ أنَّني أتعلمُ مِن هَزيمتي لِكَيلا أُكَرِّرها ، وأدْرُس أسبابَ السُّقوط كَي أتجاوزها . إنَّني أُحَوِّلُ الصَّدَماتِ إلى نِقَاطِ قُوَّة . والضَّربةُ التي لا تَقتلكَ تُحْيِيكَ ، وتَزيدكَ قُوَّةً .

[١٦٦] القَصيدةُ العاطفيةُ الفَاشِلةُ دُمْيَةٌ صُنِعَتْ مِن أجْلِ امرأةٍ لا تَسْتَحِقُّها .

الشاعرُ الذي يَتصرَّفُ كَمُرَاهِقٍ ، هُوَ صَدَىً للكلماتِ ولَيْسَ صَوْتاً . الشاعرُ مَلِكٌ على القلوب. ولَيْسَ صَيَّاداً يَصطاد قُلوب النساءِ كالفَرَائسِ ، ولَيْسَ فَريسةً يُسَلِّمُ مِفتاحَ حَياته للصَّياد. والشاعرُ الحقيقيُّ لا يَترك مَصيرَه للآخرين كَي يَتلاعَبُوا بِهِ ، ولا يَكشِف أوراقَه للناس، لأنَّهُ عِندئذٍ سَيُصْبِحُ واقعاً تحت احتلالهم . والإلهامُ الذي تُقَدِّمُه المرأةُ للشاعرِ وَهْمٌ وخَديعةٌ . والشاعرُ الذي يَجعل المرأةَ هي حَجر الزاوية في مشروع الشِّعريِّ ، لا يَعرِف شَيئاً عن فلسفة الحياة ، ولا يُدْرِك ماهية الإنسان وهُوِيَّة الحضارة . إنَّ المشروعَ الشِّعريَّ قائمٌ على فَلسفة الوجود لا فَلسفة المِكياج.

[١٦٧] الرُّومانسيةُ الحقيقيةُ هِيَ الكِفاحُ الْمُسَلَّحُ .

عِندَما يُحِبُّ الرَّجلُ امرأةً ما ، هُوَ في الحقيقةِ يُحِبُّ بَريقَ الألوانِ في المِكياج . يَعشقُ القِناعَ ، ولا يَرى الوَجْهَ . المرأةُ ماتت في المِكياج ومُسْتَحْضَرَاتِ التَّجميل والْجَمَالِ الاصطناعيِّ . المرأةُ تَحْرِقُ جِسْمَها بهذه المواد الكيميائيةِ، وتَقضي على عُذوبة رُوحها ، مِن أجْلِ إغراء الرِّجال ، ونَيْل إعجابهم ومَديحهم . إنها كالرِّياضيِّ الذي يَتعاطَى الْمُنشِّطات ، يُدَمِّرُ حَيَاتَهُ لِيَنال إعجاب الجماهير ، ويَحصد البُطولات . وهذا هو المجد الزَّائل . أمَّا المجدُ الباقي فهو اعتناق القضايا الإنسانية الكُبرى . ولا بُدَّ مِن انتقالِ مَعْنَى الرُّومانسية من الْخَيَالات العاطفية إلى القوة الْمُسلَّحة لإرجاع الحق .

[١٦٨] لَوْ أُتِيحَ لِي اختصار وُجودي في كلمة وَاحدة لاخترتُ " الثَّورة " .

" الثَّورةُ " كلمةٌ مَظلومةٌ لأنَّها مرتبطة بالفَوضى ، وحَركة الجماهير الهائجة . الثورةُ إنَّما تَكُونُ في العَقْلِ . حيث يَثُورُ العقلُ على الخرافة ، ويَخوض الإنسانُ حَرباً ضِدَّ نَفْسِه لِيُطَهِّرَها مِنَ الوَهْمِ .

هذه هِيَ الثورة . ثَورةُ الإنسانِ على ذَاته مِن أجْلِ إعادة اكتشاف ذَاته . إذا تَحقَّقتْ هذه المعاني ، فإنَّ التَّغيير على أرض الواقع سَيَتِمُّ بِسُهولة وسَلاسة . فالإنسانُ هُوَ الصانع ، والواقعُ هُوَ المصنوع. وإذا تَغَيَّرَ الصانعُ سَيَتَغَيَّرُ المصنوع، ولَيْسَ العَكْسِ . وتَغييرُ الذات هُو الْخُطوة الأُولَى لتغيير العالَم.

[١٦٩] أصعبُ شَيْءٍ على الشَّاعرِ أن يُطْلَبَ مِنهُ تَفسير شِعْره .

الشاعرُ يَصنع قَصيدته، لكنَّ هُناكَ أماكن في القَصيدة خاضعة لمنطقة اللاوَعْيِ في عَقْلِ الشاعر. وهذه الأماكنُ المجهولةُ لا يَستطيع أحَدٌ أن يُفَسِّرَها بِدِقَّة ، حتى الشاعر نَفْسه . سَيَتِمُّ الاقترابُ مِن هذه الأماكن الغامضة دون الوصول إلَيها ، كالثُّقوبِ السَّوداء عِندَ حافَّة الكَون ، يَقتربُ الضَّوءُ مِنها فَتَمْتَصُّه لِتَظَلَّ غامضةً وعَصِيَّةً على التَّفسيرِ . هَل يَستطيع الشاعرُ أن يُفَسِّرَ مَعْنَى زَقزقة العصافير ؟ . هَل يَستطيع النَّهرُ أن يُتَرْجِمَ صَوت جَرَيان الماء ؟ . إنَّ اللغةَ الشِّعريةَ تَشتمل على أماكن غامضة ومَجهولة ، لأنَّها لُغة رمزية مُحمَّلة بِطَاقَةِ الشُّعور ، ولَيْسَتْ وَسيلةً للتَّخاطُب . سَتَظَلُّ القصيدةُ مَفتوحةً على كُلِّ الاحتمالاتِ ، ولا يُمْكِنُ إغلاقُها . وإذا حَاوَلَ الشاعرُ تَفسيرَ قَصيدته ، ففي أحسنِ الأحوالِ ، سَوْفَ يَغُوصُ في أعماقها دُون الوصول القاعِ . ومَهْمَا كانَ السَّباحُ بَارِعاً ، فَلَن يَصِلَ إلى قاع الْمُحيطِ . ومُتعةُ الشِّعر في الغُموضِ اللذيذ . وهُنا ، لا بُدَّ أن نَشكر القصيدةَ لأنَّها كَشَفَتْ للناسِ رُموزَ اللغة ، وأظْهَرَت الطاقةَ الشُّعورية للأبجدية التي تَختلِط بالألفاظ والمعاني ، كما يَختلِطُ الذهبُ بالتراب . وفَصْلُ الذهبِ عَن التُّرابِ يَحتاجُ إلى خَبير . وفَصْلُ الرَّمْزِ عَن المعنَى يَحتاج إلى شاعر . واللغةُ هِيَ الإيقاعُ الرمزيُّ المتدفِّقُ في أبجديةِ الأنا وذاكرةِ المعنَى . وفَلسفةُ اللغةِ مَبْنِيَّةٌ على التوازن بين المِخيال الوظيفيِّ والبُنى الاجتماعية. والمجتمعُ البشريُّ عِبارة عن جنين شَرعيٍّ وحتميٍّ للرُّموزِ اللغوية . وهذا الجنينُ يتمُّ تَوليده رَغْماً عنه ، لأنَّ الجنين لا يَمْلِكُ حُرِّيةَ الاختيار . والشاعرُ شَاعرٌ سَواءٌ كَتَبَ القصائدَ أَمْ لَم يَكْتُبْها . واللغة كائنٌ حَيٌّ يتحرَّك بين أشباح العناصر الميتة. نحن نكتب كَي نُعْطِيَ ذواتنا الميتة فُرصةً للحياة من جديد. وفي بعض الأحيان، لا يستطيع الفردُ أن يُعبِّر عن الأحداث التي يَعيشها رَغْمَ أنَّهُ يَفهمها شُعورياً ويَحُسُّ بِها . حيث تَدخل الأفكارُ في دائرة الإحساس الكامن في اختفاء الكلام ، ويُصْبِح الصمتُ هُوَ الصَّرخةَ ، والسُّكوتُ هُوَ لُغةَ الحِوار . سَوْفَ تَصيرُ الكلمةُ مُسَدَّساً والْحُلْمُ رَصاصاً . الإنسان ثَوريٌّ بِطَبْعِه وُلِدَ حُرَّاً ، لَكِنَّ الضغوطاتِ المادية تُدَجِّنُه ، والقمعَ السياسيَّ يَنتزع مِنهُ صِفةَ الثَّورية لِيُحِيلَه نَمَطاً استهلاكياً ذا تَفكير محصور في البَطْنِ والفَرْجِ . ومع استمرار عملية التَّدجين

اليوميِّ يَتِمُّ قَتْلُ الإنسانِ رُوحِيَّاً ، مِمَّا يَجعله شكلاً للوَهْم ، لا أكثر ولا أقل . والفردُ لَن يَجِدَ نَفْسَه إلا إذا انقلبَ على نَفْسِه .

[١٧٠] لَن يَشْعُرَ الإنسانُ بِعَناصرِ الطبيعةِ إلا إذا كَان خَاضِعاً لِخَالِقِها .

الإيمانُ باللهِ الخالقِ ، يَفتح عُيونَ الإنسانِ كَي يَرى إبْداعَ الخالقِ ، وآثارَ الصُّنع . والشخصُ الأعْمَى الذي لا يَرَى الخالقَ ، لَن يَرَى المخلوقاتِ ، ولَن يَشْعُرَ بِقيمتها . إذا رَأى الإنسانُ كُرْسِيَّاً مُتْقَنَ الصُّنع ، سَيُدْرِكُ أنَّ النَّجارَ ماهرٌ . وإذا قَرَأ قَصيدةً جَميلةً ، سَيَعْرِفُ أنَّ الشاعرَ مُتَمَكِّنٌ . وكُلُّ العُقَلاء يَرَوْنَ اللهَ بِقُلوبهم ، لأنَّهم يَرَوْنَ مَصنوعاتِه . وإتقانُ المصنوعِ يَدُلُّ على عَظَمَةِ الصانع.

[١٧١] لَوْ يَعْلَمُ الإنسانُ خُطورةَ نَفْسِه التي بَيْنَ جَنْبَيْهِ لَجَهَّزَ جَيْشَاً لِقِتَالِهَا .

الإنسانُ يَذهبُ إلى المعركة لقتالِ العَدُوِّ ، ونَفْسُهُ هي العَدُوُّ الأوَّلُ الذي يَأكلُ ويَشربُ مَعَهُ . يُهاجِمُ الإنسانُ الاستعمارَ ، ويَتجهَّزُ لِقِتالِ العَدُوِّ الخارجيِّ ، ويَنْسَى العَدُوَّ الدَّاخليَّ (الحاكم الطاغية) الذي يُدَمِّرُ البلادَ ويَسْرِقُ العِباد . يُخَطِّطُ الإنسانُ لِمُوَاجَهَةِ العَدُوِّ الثالث بكل شَجاعةٍ ورُجولةٍ، وَهُوَ عَبْدٌ ذَليلٌ للعَدُوِّ الأوَّلِ، وخَادمٌ مُسْتَسْلِمٌ للعَدُوِّ الثاني. ثُمَّ يَتَعَجَّبُ مِن غياب النَّصر.

[١٧٢] في أيِّ وَضْعٍ فَاسِدٍ ، سَيَكُونُ الْمُتَفَائِلُونَ هُمُ الفاسدين .

التفاؤُلُ سِلاحُ الأقوياءِ الذينَ يَقُولون ويَعملون . إنَّهم يُحَوِّلُون كلامَهم إلى عَمَلٍ دَؤوبٍ لِتَغيير الواقع إلى الأفضل . أمَّا الأشخاصُ الغارقون في الفساد ، والذينَ يَبيعون الكلامَ البَرَّاق والشِّعاراتِ الرَّنانة ، فهؤلاء يَتَّخذون التفاؤُل سِلاحاً لِخَداعِ الناسِ وتَخديرهم لأطْوَل وقت مُمْكِن ، مِن أجل استغلالهم حتى آخر قَطرة . وهُناكَ صِنفان يَلعبان هذه اللعبة القاتلة : الأُمَراء والعُلَماء . فالحاكمُ يَسْرِقُ الشعبَ ويَقُود البلاد إلى الهاويةِ السَّحيقة ، ثُمَّ يُقَدِّمُ وَجبةً مِنَ التَّفاؤُل لِشَعبه ، تَشتمل على الأمل بِغَدٍ مُشرِق ، وضَرورة تَطهير المجتمع من العناصر الْمُنْدَسَّة التي تَدعو إلى التَّشاؤُم ، وتُشكِّك بالْمُنجَزات الوَطنية . ثُمَّ يَأمُرُ الحاكمُ عُلَماءَ البَلاطِ وَوُعَّاظَ السَّلاطين وفُقَهاءَ الْحَيْضِ أن يُخَاطِبُوا الشَّعبَ بِنَبْرةٍ مُتفائِلةٍ. وهذا التَّفاؤُل الْمُخَادِع يَتِمُّ تَغليفه بالنصوص الدِّينية لإيجادِ شَرعية له ، فَيَبدأ الحديثُ عن التفاؤُلِ في الإسلام ، وضَرورةِ طاعة وَلِيِّ الأمر الذي يَسهر على راحة الرَّعِيَّة ، وأهميةِ التَّقَشُّف وتَرشيد النَّفقات ، ودَفع الضرائب الحكومية في مَوْعِدها لأنَّها تُحقِّق مصالِحَ المسلمين ، وتُقَوِّي دَولةَ الإسلام في مُوَاجَهَة الأعداء . والْمُضْحِكُ الْمُبكي أنَّ عِلْيةَ القَوم يَعيشون في قُصورٍ أُسطوريةٍ ، ويَركبون سَيَّاراتٍ فارهة ، وهُم مُسْلِمُون بالاسْمِ فَقط . وَكُلُّ أموالِهم آتيةٌ مِن سَرقة الناس . ومَعَ هذا يُطْلَب من الشَّعب الفقير أن يُضَحِّيَ مِن أجل حُكَّامِه اللصوص الْمُتْرَفِين .

[١٧٣] إنَّ الكَاتِبَ الذي عَاشَ مَغموراً ومَاتَ مَغموراً مَا زَالَ يَمْلِكُ فُرْصَة أن يُكْتَشَفَ بَعْدَ مَوْتِه.

الأملُ نِظامٌ مُتكامِل ، ولَيْسَ مُخَدِّراً . وبِدُون الأمل ، سَتَصيرُ حياةُ الإنسانِ جَحيماً لا يُطاق . والْمُؤسِف في عالَم الكتابةِ أنَّ عَوَامِلَ الشُّهرةِ في كَثيرٍ مِنَ الأحيان لا تَتعلق بِجَودة النَّص . وإنَّما تتعلق بالفَضائح ، أو التَّسليط الإعلاميّ ، أو حُدوث ضَجَّة مَا . وهذه العناصرُ مُتماهِية مَعَ نِظام الشِّلَلِ والعلاقاتِ الشخصية . والكاتبُ المغمورُ لَيْسَ بالضَّرورة أنَّهُ كاتبٌ ضَعيف ، أوْ أنَّ نُصوصَه لا تَستحق النَّشْر والظهور . فهناك تَفاهات على شَكل كُتُب تُسيطِر على قائمة الأعلى مَبيعاً ، التي يَحكمها الفسادُ والعلاقاتُ الشَّخصية المصلحية . إنَّ الكاتبَ المغمورَ فَشِلَ في تَسويق كتاباته ونَشرها بين الناس . ولَم يَفْشَلْ كَكَاتِبٍ . وفي واقع الأمرِ ، لا يُوجَد كاتبٌ فاشلٌ ، لأنَّ كُلَّ مَن كَتَبَ نُصوصاً أو أَلَّفَ كُتُباً هُوَ مُبْدِعٌ . بِمَعنى أنَّه قَدَّمَ فِكْراً للناسِ . لكنَّ المستوى الفَنِّيَّ هُوَ الذي يُمَيِّزُ الكاتبَ القويَّ عَن الكاتب الضعيف . وفي السِّياق اللغويِّ ، تُسْتَخْدَمُ عبارة " كاتب فاشل " للإشارة إلى السطحية ، أو ضَعف الأسلوب ، أو تَفَكُّك الروابط بين الكلام ، أو غياب الفِكر الرَّاقي . وكُلُّ كاتبٍ مَهْما بَلَغَتْ درجةُ ضَعفه وانهيار كتاباته ، لا يُمْكِن أن يَصِلَ إلى دَرجة الصِّفر. سَوْفَ نَعْثُرُ _ حَتْماً _ عَلى فِكرة جميلة هُنا أو هُناك ، أو كلمة رائعة ، أو فائدة لغوية ، أو مَعْنى راقٍ . إنَّ النُّصوصَ اللغويةَ _ مَهْما كان مُستواها الفَنِّي _ هِيَ مُسْتَوْدَع للخبرات والعواطف والأفكار والأحلام. كما أن الْحُكْمَ على مُسْتَوى الكتابة أمرٌ نِسْبِيٌّ يَختلِفُ باختلاف طَبيعة النُّقاد، وأذواق لِجَان تَحكيم الجوائز ، والظروف السياسية والاجتماعية ، والعادات والتقاليد ، ودَرجة وَعْيِ المجتمع . فلا دَاعي أن يَقْلَق الكاتبُ على مَصير كتاباته ، حتَّى لَوْ انتقلَ مِن فَشَلٍ إلى فَشَلٍ _ إنْ جازَ التَّعبير _ . ولكنَّ المسؤوليةَ الْمُلقاة على عاتقه تُحَتِّمُ عَلَيه أن يَعمل جاهداً لِتَطوير مستوى كتاباته لَفْظاً ومَعْنَىً . وَلْيَكُنْ بَعْدَ ذلك ما يَكُون . والشُّهرةُ هِيَ أمرٌ خارجٌ عَن إرادةِ الإنسانِ ، تَمَاماً مِثْل الرِّزْق . هُناك عباقرة فُقَراء ، وأغبياء أصحاب مَلايين . وعلى الإنسانِ أن يَعْمَلَ بِجِدٍّ بلا كَسَلٍ أو مَلَلٍ . وسَوْفَ يَأخذ نصيبَه كاملاً غَير مَنقوص ، سَواءٌ في حياته أَمْ بَعْد مَماته . والزمنُ هُوَ الغِرْبالُ الحقيقيُّ . وسَيَأتي القُرَّاءُ والنُّقادُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً ، بِغَضِّ النَّظَر عَن المستوى الفَنِّيِّ للكتابة. إنَّ الكِتابةَ الإبداعيةَ هِيَ مُتواليات فِكرية ، تَسْكُبُ الماءَ الْمُقَطَّرَ في بِئْرِ العَدَمِ ، مِمَّا يَجعل العَدَمَ كياناً إنتاجياً يَحتوي على الأجزاء اللغوية الحيوية. والصَّحراءُ القاحلةُ رَغْمَ جَفافها إلا أنَّنا بحاجة إليها ، وكثير من الكائنات بحاجة إليها . وَلَوْ كان كوكبُ الأرض جَنَّةً خضراء لكانت هذه كارثة بيئية ، لأنَّ كُلَّ عُنصر في الطبيعة له دَور يُؤدِّيه بِدِقَّة، والمسألةُ الهامَّة هي كيفية صناعة تَوليفة

إنسانية قادرة على ضَمِّ العناصر ضِمْن منظومة تُراعي التفاوتَ المعرفِيَّ في هذا الوجود . ولا مَعنَى لإلغاء الوجود الإنسانِيِّ تَحْتَ ذَريعة وُجود عناصر ضَعيفة . فَمَثَلاً لَوْ كان لَدَيْنا شخص عاجز جِنسياً ، هَل يعني هذا أن تقوم زوجته بقتله والتخلص مِنه والبحث عن رَجل آخَر؟!.لَوْ كَان لَدَيْنا شخص مشلول هل يعني أن نقتله لنجعل المجتمع نقياً مِنَ أصحاب العاهات؟!. هذه القضية الفكرية دقيقة للغاية، وينبغي تطوير الكيانات الإنسانية والبيئية لتخدم منظومة المجتمع الكُلِّي مَعَ مُراعَاة الفُروق ، لا أن نسعى لتطهير المجتمع مِنَ الكَينونة الإنسانية والعوالم البيئية . نحن نُقاتِل المرضَ لا المريضَ ، ونُقاتِل الغباءَ لا الغَبِيَّ . وفلسفةُ الكتابةِ تَقوم بهذا الدور لإعادةِ بناء الإنسان ، واكتشافِ إنسانيته مِن جَديد ، وأيضاً أنسنة عناصر الطبيعة ، ضِمْن خُطة التَّلاحُم المعرفِيِّ لا الانفصام . الكِتابةُ كالطائرةِ : إقلاع وهُبوط . ذَهاب وإياب . الرِّحلةُ جُزآن . الذهابُ نِصْفُ الرِّحلةِ ، والرُّجوعُ هُوَ النِّصْفُ الآخَر . يُولَدُ قانونُ الكتابةِ بَعْدَ شَرارة الكتابةِ . قانونُ الجاذبية جَاءَ بَعْدَ التُّفاحة. وقانونُ القَصيدةِ يُولَدُ بَعْدَ التَّجربةِ الشِّعرية . أرفضُ الكِتابةَ حِينَ تَكُون حُلْماً يَنهار في مجتمع قائم على النِّفاق والخِداع. مُجتمعُ الذِّئبِ الذي يَرْتدي ثَوْبَ الْحَمَلِ الوَديعِ . أرفضُ المجتمعَ حِينَ يُصبِح خَديعةً بَصريةً وظاهرةً صَوتيةً . أرفضُ الشَّعْبَ حِينَ يَهْرِفُ بما لا يَعْرِفُ . أرفضُ الحاكمَ حِينَ يَكُونُ لِصّاً يَسْرِق الشعبَ الذليل ، ويُؤسِّس في الفراغِ مَملكةَ العَدَمِ .

[١٧٤] القصيدةُ تَقُومُ على رُكْنَيْنِ : تأسيسُ المشروعِ ، وانتزاعُ المشروعيةِ .

إنَّني أكتبُ القصيدةَ ، وتَكْتُبُني القصيدةُ . والجماهيرُ تَكتبُ قَصيدتي مَعي . إنَّها حياةٌ جماعيةٌ . نَحْنُ نَذهب إلى الترابِ، وتظلُّ كلماتُنا وذِكرياتُنا. نَحْنُ نَختفي في الظِّل السَّحيق ، وتَبْقَى القصيدةُ في بُؤرة الضَّوء . والقصيدةُ تستمدُّ شرعيةَ وُجودها مِن وُجوه الناسِ وأحلامِهم . وجَناحا القصيدة هُما : تأسيس المشروع الفكريِّ للخَلاصِ الوجوديِّ ، وانتزاع مَشروعية المعنَى في عَالَمٍ يَنتحِرُ .

[١٧٥] التَّعريفُ العِلْمِيُّ للاكتئابِ هُوَ ألا تُصَلِّيَ الفَجْرَ في المسجد .

صَلاةُ الفَجْرِ في المسجدِ هِيَ أساسُ اليَوْمِ . عِندَما يَمشي الإنسانُ في العَتَمةِ ، يَسْبَحُ في الرِّياحِ الخفيفةِ، ويَشعر بِمَذَاقِ الأشياء بَعيداً عَن صَخَبِ الحياةِ وَضَجيجِ الناس . الناسُ نائمون في الأحلامِ. وَهُوَ يَمشي إلى اللهِ بِكُلِّ هُدوءٍ وسَكِينةٍ . إنَّ الضَّوضاءَ في النهار تَمنع الإنسانَ مِنَ التأمُّل والتَّفَكُّر . أمَّا الْمَشْيُ في العَتَمَة والناسُ أمواتٌ في بُيوتهم (مَقابرهم) ، فهو مَنبَعُ التَّأمُّلِ في هذا الوجود ، وأساسُ الوصولِ إلى حقيقة العالَم بِدُون شعارات رنَّانة .

[١٧٦] العَمَلُ الأدبِيُّ يَصْنَعُ عَالَمَهُ الخاصَّ بِه ، ويَفْرِضُ شُرُوطَهُ عَلى عَناصرِ الواقعِ .

العملُ الأدبِيُّ لا يَخضع لِشُروطِ الواقع وقانونِ الحياة المادية ، لأنَّ العملَ الأدبِيَّ فَوْقَ القانون الماديِّ ، وهو الذي يَفْرِضُ الشُّروط على العناصر المادية ، لإخراجها مِن دَوَّامة الاستهلاكيةِ . والعملُ الأدبِيُّ هو الحاكم على مَشاعر الناس ، لأنَّهُ بِمَثابة الأب الذي يَعرِف مَصلحةَ أطفاله أكثر مِنهم . ومِن هُنا تَنبُع قُوَّةُ العمل الأدبِيِّ الذي يَمتاز بالقُدرة على الرُّؤية ، وجَعْل الإنسان رَائِيَاً .

[١٧٧] الْمُعَلَّقاتُ العَشْرُ هِيَ الشِّعْرُ الأكثرُ حَدَاثةً في تاريخ الأدبِ العَرَبِيِّ .

العربُ صَنَعوا التاريخَ ثُمَّ خَرَجوا مِنَ التاريخِ . والمسلمون بَنَوا الحضارةَ في الأندلسِ ثُمَّ طُرِدُوا مِنَ الأندلسِ. والحضارةُ العربيةُ الإسلاميةُ قَادَت العالَمَ ألف سنة، وَلَم يَعُدْ لها وُجود في هذا العالَم. وفي زَحمة الانهيارات المتتابِعة ، تَكَرَّسَتْ عُقدة الشُّعور بالنَّقْصِ في الشخصية العربية ، وأُصيبَ العرب بِعُقدة الخواجة . ولا يَخْفَى أنَّ المغلوب مُولَع بِتَقليد الغالبِ . وَوَفْقَ هذه المعطيات المؤلمة ، رَاحَ الأُدَباءُ العربُ يَبحثون عَن الحداثة في الغرب ، باعتباره القُوَّة المهيمِنة على العالَم . وأخذوا يُقَلِّدون شُعراءَ الحضارةِ الغربية ، ويَسْرِقُون أفكار الفلاسفة الغربيين بشكل أعمى . وقد أساؤُوا إلى أنفسهم وأُمَّتهم بشكل واضح . فالعالَمُ صارَ يُصَنِّفُ الأدبَ العربِيَّ كأدبٍ هامشيٍّ لا وَزْنَ لَهُ . وُجودهُ كَعَدَمِه ، وبالتالي ، لا فائدة من تَرجمته ، فلا أحدَ يَحْرِصُ على قراءته . وهذا يُفَسِّرُ غياب مشاريع ترجمة الأدب العربِيِّ . إنَّ العربَ يَتفرَّجون على الحضارة ، ولا يُشارِكُون في صُنعها . يَنْسَخُون النظرياتِ الغربية كالوجوديةَ والتَّفكيكية والبُنيوية . وَلَوْ كانوا يَمْلِكُون نظريةً خاصَّةً بِهم لاستطاعوا أن يُقَدِّموا للعالَم شَيئاً جَديداً وإبداعاً مُتَفَرِّداً ، ويَقُودوا حركةَ الفِكْر العالميِّ الذي يَعتمد على الإبداع لا السَّرقة . والحلُّ الوَحيدُ لِخُروج العرب من مَأزقهم أن يُعِيدوا قراءةَ تُراثِهم بِعُيون الْمُنتصِر لا عُيون المهزوم، ويَستنبطوا مِنهُ أفكاراً جَديدةً، وفَلسفاتٍ عِلْميةً وأدبيةً، ويُقَدِّموها للعالَم . فَمَثَلاً ، لَوْ عادَ العربُ إلى الْمُعَلَّقاتِ العَشْرِ لأدْرَكُوا أنَّهم يَمْلِكُون حَداثةً شِعريةً عالميةً ، وهذه الحداثة تستحق أن تُنْقَل إلى العالَم ، وَيُسَلَّطُ عَلَيها الضَّوء . فَفِيها الكثير من النظريات الفلسفية والأدبية . ولكنَّ المشكلة أنَّ الأُمَّة العربية مَهزومة ، ودائماً يُنظَر للمهزوم باعتباره شَخصاً غَبِيَّاً وفاشلاً وَوَصْمة عار في التاريخ . وفي حقيقة الأمر ، إنَّ المهزومَ قادرٌ على تَحسين أوضاعه، لَيْسَ بالضَّرورة أن يَحتلَّ العالَمَ حتى يُقْنِع الناسَ بِقُوَّته وذكائه واستحقاقه للحياة الكريمة. ولَكِنْ بإمكانه أن يَتقدَّم إلى الأمام ، ويُحاوِل إنقاذ ما يُمْكِن إنقاذُه ، والنَّصْرُ لَيْسَ حِكْراً على شخصٍ دُون آخَر . والمجدُ لَيْسَ حِكْراً على أُمَّة دُون أُخرى .

[١٧٨] إذا كانت آراءُ النُّقادِ تُسَيْطِرُ عَلَيْكَ ، فَلَن تُنْتِجَ نَصَّاً جَيِّداً .

إذا أرَدْتَ أن تُصْبِحَ كاتباً عَظيماً، انْسَ النُّقادَ. انْسَ النَّاسَ. أنتَ تَعيشُ في هذا العالَم وَحْدَكَ معَ الأشجارِ والشوارع والذِّكريات ، وعَلَيْكَ أن تُعيدَ تَرتيب عناصر الطبيعة التي دَمَّرَها الإنسان . هذه هي نُقطة البِداية . لَن يُقَدِّمَ الناسُ لَكَ أيَّ شَيْءٍ ، ولا تَنتظِرْ مِنهُم أيَّ شَيء . كُن وَحيداً لِتُصْبِحَ وَحْدَتُكَ مَناخاً إبداعياً. إرضاءُ الناسِ غايةٌ لا تُدْرَكُ . الشخصُ الذي يُريدُكَ سَيَبْحَثُ عَنكَ، ويَقْبَل بِكَ كما أنتَ بِلا مِكياج ولا أقنعة . لا تَنتظِرْ مَديحاً مِن أحَدٍ . لا تَضَعْ في رَأْسِكَ صُورةَ النُّقادِ. لا تَبْحَثْ عَن الْمُعْجَبِين والْمُعْجَبَات. عِشْ مَعَ نَفْسِكَ. اعرِفْ نِقاطَ قُوَّتِك، وَقُمْ باستغلالها . اعرِفْ نقاطَ ضَعْفك ، واعْمَلْ جَاهداً لإزالتها . كَوِّنْ مَشروعَك الفكريَّ أو الأدبِيَّ ، وحَاوِلْ أن تُطَوِّرَ لُغَتَكَ وأُسلوبَكَ وأفكارَكَ . وعِندئذٍ ، سَتَفْرِضُ شُروطَك على النُّقادِ ، ويَلْهَث وَراءَك الأتباعُ والْمُعْجَبُون . رُبَّما لا تَستطيع أن تُجْبِرَهُم أن يُحِبُّوكَ ، ولكنْ تَستطيع أن تُجْبِرَهُم أن يَحترِمُوك ، لأنَّ أعمالَك الأدبية تُحفةٌ فَنِّية . ولا تَنْسَ أنَّ أجسادَنا طعامٌ للدُّودِ ، لكنَّ كلماتِنا حَيَّةٌ لا تَمُوت .

[١٧٩] عَلى النُّقادِ أن يَصْعَدُوا إلى أحلامِ الأُدَباء إذا أَرَادُوا أن يَكُونوا مُنْصِفِين .

الناقدُ مَهْمَا كانَ عَبقرياً ، فَهُوَ تابعٌ وَرَدَّةُ فِعْلٍ . الأديبُ هُوَ القائدُ والفِعْلُ . وعلى الناقدِ أن يَركض وَراءَ أفكارِ الأديب ، ولا يُحاوِل أن يَسبقه . لا يَنبغي للنَّاقدِ أن يَتَذَاكَى على الأديبِ أوْ يُنَظِّرَ عَلَيهِ ، فالأديبُ هُوَ الذي يُقَاتِلُ على أرضِ المعركة ، أمَّا الناقدُ فَيُرَاقِبُ المعركةَ عَن بُعْدٍ . ومهمةُ الناقد تَنحصِرُ في بَيان نِقاطِ القوة ونِقاط الضَّعف، مَعَ عملية التَّحليل المنطقيِّ لا الاستعلاء على النَّص وصَانِعِه. فالأديبُ أرْفَعُ قَدْراً مِنَ الناقد ، والعَيْنُ لا تَعْلُو على الحاجبِ . وَلَوْ كانَ الناقدُ يَمْلِكُ القُدرةَ الأدبيةَ لَكَتَبَ نَصَّاً إبداعياً مِثْل الأديبِ . ولَكِنَّهُ عاجِزٌ عَن فِعْل ذلك . إذن ، فَلْيَقِفْ عِندَ حُدودِه ، ويَعترِف بِعَجْزه ، ويَعترِف كذلك بِقُدرة الأديب مَعَ بَيان مُستواها . ومَهْمَا يَكُنْ مِن أمْرٍ ، لا يُوجَد عاقلٌ يُقارِنُ بَيْنَ لاعبِ كُرة القدم والْمُعَلِّق الرياضِيِّ .

[١٨٠] النَّصُّ الأدبِيُّ الذي تَفْرِضُهُ الآلةُ الإعلاميةُ سَيَذْهَبُ إلى النِّسيان .

النَّصُّ الأدبِيُّ قادرٌ على إثبات نَفْسِه بِنَفْسِه ، عَاجِلاً أو آجِلاً . لَكِنَّ هُناكَ عَوامل تَعْمَلُ على تَسليط الضَّوء على النَّص أو التَّعتيم عَلَيه . وَعُموماً ، الشمسُ لا تُغَطَّى بِغِرْبال . وهُناك نصوص أدبيةٌ تافهةٌ ، لكنَّ الآلةَ الإعلاميةَ المأجورةَ تَفْرِضُها فَرْضاً ، وتُلَمِّعُها ، وتُحيطها بهالةِ العَبقرية. وهذه النُّصوصُ سَتَأخذ حَظَّها من الشُّهرة والانتشارِ ، لكنَّ بِذْرة هَلاكِها كامنة فِيها ، ومُدَّة صَلاحيتها مَحدودة ، ولَن تستمر مَعَ الوَقْتِ ، لأنَّها لا تَتمتَّعُ بالاكتفاء الذاتِيِّ ، إذ إن طاقتها

مُستمدة مِنَ الخارج ، وليس مِن داخل الكلمات . وهذه النُّصوصُ مِثْل الْحُكَّام الذين فَرَضَهم الاستعمارُ على شُعوبهم . سَوْفَ يَحْكُمُون لمدةٍ زَمنيةٍ مَحدودة ، ولَن يَستمروا ، لأنَّهم بَنَوا عُروشَهم على جماجم شُعوبهم ، ولَم يَبنوا عُروشَهم في قُلوب شُعوبهم .

[١٨١] لَن أَترُكَ للتاريخِ فُرصةً للحُكْمِ عَلَيَّ . أنا سَأكتبُ تاريخي بِكَلِماتي .

التاريخُ سَيَحْكُمُ عَلَينا بِمَا لَنا وما عَلَينا. عِبارةٌ صحيحةٌ . ولكنْ ، لكلِّ قاعدةٍ شَواذ . إنْ لَم تَكتب تاريخَك سَيَكْتُبه الآخرون. إنْ لَم تتكلم، سَيَتكلم عَنكَ الآخرون. إنْ لَم تَعترِضْ ، سَيَعتبرون صَمْتَك مُوَافَقَةً . وفي ظِلِّ هذه المعطيات ، يَنبغي على كُلِّ شَخص أن يَروِيَ قِصَّتَهُ بِنَفْسِه ، ويَكتبَ تاريخَه قبل أن يَكتبه الآخرون . إذا كانَ التاريخُ صَنَمَاً ، فاكْسِرْ هذا الصَّنَمَ . إذا كانَ التاريخُ ضَبعاً سَيَتَعَشَّى بِك ، فَكُنْ أنتَ الأسدَ الذي سَيَتَغَدَّى بِه . لا تَتْرُكْ للآخرين أن يُقرِّروا مَصيرَك ، لأنَّهم سَيتلاعبون بهذا المصير لمصلحتهم . كُن أنتَ الْمُبَادِرَ ، واكتبْ تاريخَك بِنَفْسِك ، واحْكُمْ على التاريخ ، ولا تَتْرُك التاريخَ يَحْكُم عَلَيك . الكُرْسِيُّ لا يَحْكُمُ على النَّجارِ الذي صَنَعَهُ .

[١٨٢] القلبُ الذي تَستقِرُّ فِيهِ الفَلسفةُ تَهْرُبُ مِنهُ النِّساءُ .

الفلسفةُ والمرأةُ ضِدَّان لا يَجتمعان . وهذه لَيْسَتْ إهانةً للمرأة ، ولا عَيباً فِيها . إنَّ الفلسفةَ إذا سَيْطَرَتْ على القلبِ، أدْخَلَت الإنسانَ في مَدار الحضارة البشرية ، فلا يَعُود يَرى إلا مُشكلات الإنسان وأزمات الحضارة . وهذا العالَمُ الْمُغْلَقُ لا يُناسِب المرأةَ ، فهي فَراشةٌ تُريد الانطلاقَ والاستمتاع بِحَياتها ، ولا علاقة لها بِنَشأة الحضارات وسُقوطها . والفَلسفةُ إذا اسْتَحْوَذَت على القلب ، طَردتْ كُلَّ العناصرِ مِنهُ ، لأنَّ الفلسفة (التَّعبير الإنساني عَن الوجود) لا تَقْبَل بِوُجود شَريك ، خُصوصاً إذا كان هذا الشَّريك مِن الجِنس اللطيف . فالفلسفةُ هِيَ الجِنسُ الْخَشِنُ ، والتَّنظيرُ المتماسكُ ، والخلاصُ الذِّهنيُّ لأزماتِ الإنسان الحياتية ، وانهياراتِ الحضارة الإنسانية . والفَلسفةُ هِيَ القاتلُ والضَّحِيَّةُ في آنٍ مَعَاً ، وَهِيَ تَستحقُّ الشَّفقةَ سَواءٌ أحْبَبْناها أَم كَرِهْناها .

[١٨٣] بَعْضُ الأُدَباء يَهْرُبُونَ مِنَ الاكتئاب إلى الكتابةِ ، لَكِنَّ كِتَابَاتِهِم تَصِيراً اكتئاباً جَديداً .

الكتابةُ مِثْل مُمارَسة الجِنس. الْمُتْعَةُ كامنةٌ أثناءَ الْمُمارَسة . تَتفجَّر اللذةُ أثناءَ فِعْلِ الكتابةِ . وحِينَ يَنتهي هذا الفِعْل، تَبدأ رِحْلةُ الْمُعاناة، وتَحَمُّلُ المسؤولية، وتَفَجُّرُ المشاعر الْمُتضارِبة . ولا بُدَّ مِن دَفْعِ ضَريبةِ الاستمتاع . يجب دَفعُ ثمن اللذة ، ولا تُوجَد لَذَّةٌ بِدُون ضَريبة ، ولا تُوجَد مُتعة بِدُون ثمن . والكتابةُ عَذابٌ مُتواصِلٌ يَرْمي إلى تَطهير الأنساق الإنسانية مِنَ العذاب . إنَّ الضِّدَّ

يُولِّدُ الضِّدَّ . واكتئابُ الأُدَباءِ دَاخليٌّ مُتعلِّق بتفاصيل الوجود الإنسانِيِّ ، وغَير مُتعلِّق بِلَحظات الفرح أو الْحُزْن . الأفراحُ والأحزانُ أعراضٌ زائلةٌ ، تَجيءُ وتَذهبُ . أمَّا الوجودُ الإنسانِيُّ بِكُلِّ ما يَحْمِلُه مِن أضداد وتناقضات ، فيظلُّ مَوجوداً في أعماق الإنسانِ ، ويظلُّ رَاسخاً في تفاصيل الحياةِ . ولا مَهْرَبَ مِنهُ ، فالإنسانُ لا يَهْرُبُ مِنْ جِلْدِه . والناسُ يُعْجَبُون بِصُورة المثقف ، لكنهم لا يَشعرون بالنار التي تتأجَّج في صَدْرِه. إنَّهُ يَحترِق مِنَ الداخل.واللمعانُ ناتجٌ عَن الاحتراق لا اللذة.

[١٨٤] الأُسلوبُ الأدبِيُّ هُوَ أن تَعْرِفَ اسْمَ الْمُؤلِّفِ مِن كِتَابَاتِه دُونَ أن يَكْتُبَ اسْمَهُ .

الأُسلوبُ هُوَ اسْمُ الكاتبِ الحقيقيُّ . لقد سَكَبَ الكاتبُ شَظايا قَلْبِه في حُروفِ الأبجديةِ ، وعَلَينا أن نَعرِف اسْمَ الكاتبِ مِن خِلال شَظايا قَلْبه التي تَقَمَّصَت الكلماتِ . عِندَما يَبدأُ الكاتبُ رِحلةَ البَحث عن الألفاظ والمعاني ، يَنْسَى نَفْسَه ، ولا يَرى وَجْهَهُ ولا أقْنِعَتَهُ ، لأنَّ نُورَ اللغةِ الساطعَ يُغَطِّي على عَقْلِه وقَلْبِه ، ثُمَّ يَكشِف له الطريق . السَّائرُ في الطريقِ هُوَ الطريقُ . والكاتبُ هُوَ الكِتَابةُ. الكتابةُ هِيَ اسْمٌ جَديدٌ للكاتبِ يَختلِف عَن الاسمِ في البِطاقة الشَّخصية . اسْمُ الكاتبِ في الوثائق الرَّسمية هو جُزء مِن سِلْسلة النَّسَب وحَلَقات التَّواصل عَبر الآباء والأجداد . أمَّا الاسمُ الجديدُ الذي تَمْنَحُهُ الكتابةُ للكاتبِ ، فَهُوَ حَرْفٌ مِن حُروف الأبجديةِ ، ورَمْزٌ مِن رُموز اللغة ، ومِفْتاحٌ لِبَابِ الوُجود .

[١٨٥] إذا عَرَفَ الإنسانُ رَبَّهُ حَقَّ المعرفةِ ، لَن يَقْدِرَ عَلى عِبَادَتِهِ .

لا يَعْرِفُ اللهَ إلا اللهُ . والطريقُ إلى مَعرفةِ اللهِ هُوَ العَجْزُ عَن مَعرِفته . فالإنسانُ كائنٌ ناقصٌ . عَقْلُه مَحدود ، وقُدراته نِسْبيةٌ لا مُطْلَقة. وَهُوَ عاجزٌ عَن مَعرفة حقيقةِ الرُّوحِ الموجودة في جِسْمِه ، فَكَيْفَ سَيَعْرِفُ حَقيقةَ خالق الرُّوح ؟! . إنَّهُ عاجزٌ عَن مَعرِفة المخلوق (الرُّوح) ، فَكَيْفَ سَيَعْرِفُ الخالقَ العظيمَ ؟! . إذا كانَ الإنسانُ عاجزاً عن التَّحديق في الشَّمْسِ ، ولا يَستطيع أن يَتَحَمَّلَ نُورَها السَّاطعَ ، فَكَيْفَ يَتَحَمَّلُ النُّورَ الإلهيَّ ؟! . وهكذا تَبْرُز أهميةُ التَّفكر في مَخلوقات اللهِ ، والابتعادِ عَن التَّفكر في ذَاتِ الله . وَلَوْ عَرَفَ الإنسانُ اللهَ حَقَّ المعرفةِ ، فَسَوْفَ يَمُوتُ أوْ يُصاب بالجنون ، لأنَّ مَعرفةَ اللهِ فَوْقَ الطاقة البشرية .

[١٨٦] لا أَقْدِرُ أن أَكُونَ إلا مُعَارِضَاً .

الْمُعارَضةُ وَسيلةٌ لا هدفٌ . ولكنَّ الوَضْعَ السياسيَّ البائسَ يَجعل الإنسانَ مُعَارِضَاً عَلى الدَّوام ، ويَجعل الْمُعَارَضَةَ هَدَفاً وغايةً بِحَدِّ ذاتها. وفي الظروفِ السَّيئة، يَكُونُ الأشخاصُ الْمُوَالُون هُم حَفنة مِنَ الْمُرْتَزِقَةِ الْمُنْتَفِعِين . فلا مَفَرَّ مِنَ الْمُعَارَضَة . مُكْرَهٌ أخاكَ لا بَطَل .

[١٨٧] إنَّ أعظمَ تَكْريمٍ يُمْكِنُ أن أحْصُلَ عَلَيهِ ، أن تَقِفَ أمامَ قَبري شَركسيةٌ وتَقْرَأ الفاتحةَ .

لَوْ مَرَّتْ أمامَ قَبري شَركسيةٌ في يَوْمٍ مَا ، وأوْقَفَتْ سَيَّارتها المرسيدس ، وقَرَأتْ على رُوحي الفاتحةَ . فهذه جائزةٌ عالميةٌ أحْصُلُ عَلَيها ، وتَتويج لمسيرني الفلسفية ، واعتراف بإنجازاتي الأدبية . ولا أُريد أكثرَ مِن هذا . لقد زَرعتُ كلماتي في قلوب الآخرين . لَم أكُنْ شخصاً جَيِّداً بِما فِيه الكِفاية، ولكنْ ما يُريحني أنَّ شخصية كلماتي كانت أقوى مِن شخصيتي ، وأنَّ لُغتي هي التي انْتَشَلَتْنِي مِن مُستنقع الواقع . أنا قِناعٌ زَائلٌ ، لَكِنَّ لُغتي هي وَجْهي الحقيقيُّ وذاكرةُ أحلامي . والوَجهُ الحقيقيُّ هُوَ المجدُ ، وذاكرةُ الأحلامِ هِيَ الخلود .

[١٨٨] تُشَكِّلُ العَوَانِسُ أكبرَ خَطَرٍ عَلى الفَلاسفةِ .

خُطةُ العَوانسِ تَتَمَحْوَرُ حَوْلَ اصطيادِ الرِّجالِ ، بغضِّ النَّظَر عَن مُستواهم . فالعانسُ وَصَلَتْ إلى مرحلة لَم تَعُدْ تَمْلِكُ قَرارَها. إنَّها خاضعة لنظرة المجتمع وسياسةِ الأمر الواقع ، ومُسْتَسْلِمَة للعقلِ الاجتماعيِّ الجمعيِّ . وظِل رَجل أفضل مِن ظِل حائط . والعانسُ تُبْرِز مفاتنها ، وتَستخدم سلاحَ الإغراء لِتَجذب الآخرين (تَصطادهم). أمَّا الخطرُ الذي تُشَكِّلُه العوانسُ على الفلاسفة ، فَيَتَحَدَّد وَفْقَ مَنْظُورَيْن : المنظور الأول ــ إن العوانسَ غارقاتٌ في النظام العاطفيِّ الاستهلاكيِّ . وعقلُ العانسِ مَحصورٌ في زَوجٍ وأُسرة ، وهذه النظرةُ المحدودةُ تتعارض ــ جُملةً وتَفصيلاً ــ مَعَ مَنهجية الفلاسفة في إخراج المرأة من الاستهلاك الضَّيق إلى الإبداع الكَوْنيِّ . وهذا هو الخطر الماديُّ . والمنظور الثاني ــ إنَّ اقتحامَ العوانسِ لحياة الفلاسفة يُؤثِّر سَلباً على القُدرات العقلية للفلاسفة ، ويُبعِد الفلاسفة عن معاني الوجود الإنسانيِّ ، فَيَنتقل العقلُ الفلسفيُّ مِنَ الوَعْيِ الكَوْنيِّ إلى الانكسار العاطفيِّ ، وتَتحوَّل الأنساقُ المعرفية إلى نظام استهلاكيٍّ مَصبوغ بالمكياج والأقنعة . وهذا هو الخطر المعنويُّ .

[١٨٩] كُلُّ النِّساءِ اللواتي أَحْبَبْتُهُنَّ وَضَعْنَ قُلُوبَهُنَّ تَحْتَ تَصَرُّفِي وقَد خَذَلْتُهُنَّ جَميعاً .

لَسْتُ وَغْداً ، لَكِنِّي أخافُ مِنَ النِّساءِ ، وأخافُ مِنَ الالتزام . أخافُ مِن مُمارَسة الجِنس . ولا أعرفُ حَتَّى الآن كَيْفَ يَجْرُؤُ الزَّوْجان على مُمارَسةِ الجِنس . عِندَما أرى المرأةَ ، أرى تاريخاً مِنَ الذكرياتِ والأسرارِ . المرأةُ هِيَ الصَّخرة على شَاطئ القلبِ . كُلَّما اقتربتُ مِنها ابتعدتُ عَنها . أنا

شخصٌ مَكسورٌ ، والْحُبُّ فَوْقَ ما يَتَحَمَّلُهُ جَسَدي ، ودُون ما تَشتهيه رُوحي . أُعاني مِن مُشكلاتٍ ذِهنيةٍ، والمرأةُ تُريد رَجُلاً يُسَخِّرُ حَيَاتَهُ مِن أجْلِها. لا أقْدِرُ أن ألعبَ هذا الدَّور الصَّعب . قَد يَكُونُ الهروبُ مِنَ الْحُبِّ هُوَ الْحُبَّ الحقيقيَّ . النِّساءُ اللواتي يَضَعْنَ ثِقَتَهُنَّ في الرِّجالِ ، إنَّما يُحَمِّلْنَ الرِّجالَ مسؤوليةً ضَخمةً . ومَن أحَبَّكَ فقد قَيَّدَكَ بِمَشاعره ، ومَن كَرِهَكَ فقد حَرَّرَكَ مِن كُلِّ القُيود .

[١٩٠] اشْتَقْتُ إلى لِقَاءِ النَّاسِ فَوَجَدْتُهُم أشباحاً ، فَاشْتَقْتُ إلى لِقَاءِ خَالِقِ الناس .

الناسُ أمواتٌ لا يُقَدِّمُونَ ولا يُؤخِّرون . وأنا مَيْتٌ مَعَهُم . فما هو الطريقُ إلى الحياةِ ؟ . إنَّهُ التَّقَرُّبُ إلى اللهِ الْحَيِّ الذي لا يَمُوتُ . الناسُ كائناتٌ وَهميةٌ ، يَأكلون ويَشربون ويَتزوَّجون ويُخْرِجُون الأوساخَ . عُقولُهم نِسبيةٌ وقاصرةٌ ، جَمالُهم زائل ، أموالُهم يَجمعونها للوَرَثة ، إن استطاعوا الحفاظَ عَلَيها، وبُيوتُهم مَبنيةٌ للخرابِ . الدُّنيا بِكُلِّ ما فِيها وَهْمٌ كَبيرٌ ، ونَحْنُ نَغرَق فِيه. وطَوْقُ النَّجاةِ هُوَ الهروبُ مِنَ المخلوق الفاني إلى الخالقِ الباقي .

[١٩١] الذي يَرَى اللهَ ، لا يَرَى نَفْسَهُ . والذي لا يَرَى نَفْسَهُ ، لا يَرَى الناسَ .

لا يَقْدِرُ الإنسانُ أن يَرى اللهَ بِعَيْنَيْهِ، ولَكِنَّهُ إذا تَأمَّلَ في آثارِ قُدرةِ اللهِ في هذا الوُجود ، فَسَوْفَ يَرى اللهَ بِقَلْبِه . وإذا رَأى اللهَ ، فإنَّ الإنسانَ يَختفي لأنَّهُ شَبَحٌ . وإذا اختفَى الإنسانُ مِن هذا الوُجود فَلَن يَرى الناسَ. فَكُنْ مَعَ اللهِ الْحَيِّ الذي لا يَمُوتُ. ودَعْكَ مِنَ الناسِ، فَهُم أمواتٌ وعَدَمٌ. والأمواتُ لا يَستطيعون إنقاذَ الأموات .

[١٩٢] الدِّيمقراطيةُ هِيَ خَلْخَال في رِجْل عَاهرةٍ مُحترِفةٍ اسْمُها أمريكا .

الدِّيمقراطيةُ أُكذوبةٌ تُصَدِّرُها أمريكا للدُّوَل المتخلِّفة للتَّدخُّل في شُؤونها الخاصة ، فهي دُوَل مُتَسَوِّلةٌ وفاقدة للشرعية والسيادة معاً ، خاضعة للإملاءات الخارجية ، مِن أجل الحصول على رغيف الخبز . والدِّيمقراطيةُ سِلعةٌ مُنتهِيةُ الصَّلاحِيَةُ لا تُناسِبُ المجتمعاتِ البِدائية ، فهذه المجتمعاتُ البدائيةُ قائمةُ على الزَّعيم الأوْحَد ، والقائدِ الرَّمْز . إنَّها مُجتمعات وهمية استقالتْ مِن مِهنة التفكير، لأنَّ الحاكمَ يُفكِّر نِيابةً عَنها، ويَتَّخذ القراراتِ بِاسْمِها، وَهِيَ آخِر مَن يَعْلَم . ولا مَعْنَى للتَّبشير بالدِّيمقراطية في هذه المجتمعات ، لأنها كافرةٌ بالتَّداوُل السِّلْمِيِّ للسُّلطة . يَأتي الحاكمُ بالدَّمِ، ويَذهب بالدَّم . والسياسةُ هِيَ بَحْرٌ مِنَ الدِّماء ، والكُلُّ يَتحدَّث عن الوَحدة الوطنية .

[١٩٣] الفَيْلَسُوفُ الذي يَكْتُبُ لِنَفْسِهِ يُؤسِّس فَلْسَفَتَهُ في الهواءِ .

الفلسفةُ هِيَ الشِّيفرةُ السِّريةُ للوُجودِ الإنسانِيِّ ، والمِفتاحُ السِّحريُّ لأبوابِ التاريخِ الحضاريِّ. وهذه الرُّتبةُ السَّامِيَةُ التي وَصلت إلَيها الفلسفةُ ، جَعَلَتْ مِنَ اللغةِ الفلسفيةِ لُغةً شَديدة التَّعقيد ، لأنَّ الأفكارَ العظيمةَ لا تُحْمَلُ إلا على الكلمات القوية ، كناطحات السَّحاب لا تَقوم إلا على أقسى أنواع الفولاذ . ومعَ هذا ، لا بُدَّ مِنَ الوُصول إلى نُقطة ما في مُنتصَف الطريق ، وذلك كَحَلٍّ وَسَط . فالفَلسفةُ هِيَ عِلْمٌ إنسانِيٌّ ، والإنسانُ هو الرَّكيزة الأساسية في الفلسفة ، فلا بُدَّ أن تَصِلَ إلَيه الكلمات، كَي تَتِمَّ عَمليةُ الاستيعاب ثُمَّ التطبيق على أرض الواقع. وهُنا تَبْرُز مَهارة الفَيلسوف في صناعة كلمات واضحة وقوية في آنٍ مَعَاً ، وتَوليد أفكارٍ عَظيمة ومَفهومة في الوَقْتِ نَفْسِه .

[١٩٤] أنا صَفقةٌ خَاسرةٌ بِالنِّسبةِ لأيَّةِ امرأةٍ .

إنَّ المرأةَ التي تَقْبَلُ بِي زَوجاً ، إنَّما تَقْبَلُ بِجُثةٍ هامدةٍ. ماذا لَدَيَّ حَتَّى أُقَدِّمَه للمرأةِ ؟ . ذِكرياتي وعُقَدي النَّفسية واكتئابي وأحزاني والوَسْواس القَهري ؟ . لَوْ تَزَوَّجْتُ امرأةً ، سَتَكتشف أنَّها تَعيش مَعَ شَبَحِ رُجَلٍ أو ذِكْرى رَجُلٍ . ولَسْتُ أدْري هَل أنا رَجُلٌ أَم لا . أنا مُتأكِّدٌ أنَّني ذَكَرٌ ، لكنَّ الرُّجولةَ مَنْزلة رَفيعة. لَقد عِشْتُ في أُمَّةٍ مَهزومةٍ، ورَأيتُ البَشَرَ يُدْفَنُونَ في المقابرِ الجماعيةِ ، فَعَرَفْتُ أنَّ كُلَّ رَجُلٍ ذَكَرٌ ، ولَيْسَ كُلُّ ذَكَرٍ رَجُلاً . وفي كُلِّ الأحوالِ ، أنا لا أصْلُح للزواج .

[١٩٥] لا أُحِبُّ أن يَحْمِلَ اسْمِي إلا مُؤَلَّفاتي .

مَنْ خَلَّفَ ما مَات . وأنا خَلَّفْتُ مَعَ أنَّني لَم أتزوَّجْ . خَلَّفْتُ تَرِكَةً فِكريةً ، وتَركتُ كلماتي في هذا العالَم تَسْبَحُ بلا تَعَبٍ . الشخصُ العاديُّ يَسْعَى إلى الخلودِ عَن طَريقِ مُمارَسة الجِنس (التكاثر البيولوجي). أمَّا الشخصُ الْمُبْدِعُ فَيَسْعَى إلى الخلودِ عَن طريق مُمارَسة الكِتابة (التكاثر الرُّوحي). فالكلمةُ تظلُّ إلى الأبد ، لا تَتحلَّل حُروفُها في التراب ، ولا يَأكلها الدُّود .

[١٩٦] عِندَما تَتعاملُ مَعَ الذِّئابِ ، مِنَ الغباءِ أن تَفترِضَ حُسْنَ النِّية .

لماذا تتعاملُ مَعَ الذِّئاب ؟ ، لأنَّكَ خاضعٌ لسياسة الأمر الواقع . ولَم تَجِد المصلحةَ في التعامل مَعَ الحِمْلان ، فصارَ التعاملُ مَعَ الذئاب هُوَ المصلحة . الأمرُ مَفروضٌ عَلَيك ، ولَيْسَ اختياراً حُرَّاً . لا تَتحوَّل إلى ذِئب أثناءَ التعامل مَعَ الذئاب . احتفِظْ بالْهُوِيَّة الإنسانية ، والشخصيةِ الحضارية ، ولكنْ، تَفَقَّدْ مُسَدَّسَكَ في كُلِّ وَقْتٍ ، واحفَظْ خَطَّ الرَّجعة . الذِّئبُ سَيَظَلُّ ذِئباً ، وهذا لَيْسَ ذَنْبَهُ ولا مُشْكِلَتَهُ . هذه مُشكلتك أنتَ . لا تَلُمْ الثَّوْرَ إذا قَتَلَ الْمُصَارِعَ . الْمُصَارِعُ دَفَعَ ثَمَنَ حَماقته . لَم يَكُن الثَّوْرُ وَحشياً، ولَم يَكُن الْمُصَارِعُ رُومانسياً . الصَّيادُ هُوَ الصَّيادُ . والفَريسةُ هِيَ الفريسةُ.

[١٩٧] شَخْصِيَّتي الثَّوريَّةُ تَتطلبُ ألا أَكُونَ مُتَزَوِّجَاً .

لا مَعْنَى للاستقرارِ في حياةِ الثائرِ . الثائرُ مَشروعُ شَهيدٍ في أيِّ وَقْتٍ . يَعيشُ مَعَ هاجسِ التَّصفيةِ الجسديةِ في كُلِّ حِين . قَد يَخْرُجُ مِن بَيْتِه ولا يَعُودُ . هذا أمرٌ مُتَوَقَّعٌ . قَد يُصْبِحُ مَقتولاً أوْ مَفقوداً أو سَجيناً. ستأتي زَوجته وأبناؤُه لزيارته في السِّجْنِ. إنَّهُ أسَدٌ في قَفَص ، يَنتظِرُ حارسَه كَي يُطْعِمَهُ . زَوْجٌ مَعَ وَقْفِ التَّنفيذ . أبٌ مَعَ وَقْفِ التَّنفيذ . لا أُريدُ أن يُضَحِّيَ أحَدٌ مِن أجْلي . لَن أَكُونَ أنانياً . لا ذَنْبَ للآخرين كَي يَدْفَعوا ضَريبةَ الطريقِ الذي اخْتَرْتُهُ أنا ، ومَشَيْتُ فِيه . سَأمشي فِيهِ وَحيداً ، وأُبْعِدُ الآخرين عَن حافةِ الهاوية . لا أُريدُ زَوجةً أُوَرِّطُها مَعي . لا أُريدُ أطفالاً يَدْفَعون ثَمَنَ اختياراتِ أبيهم . أتَمَنَّى أن تَجِدَ المرأةُ زَوجاً يَأخذها إلى المطعم ، لا زَوجاً تَلْهَث وَرَاءَهُ مِن زِنزانة إلى زِنزانة . أتَمَنَّى أن يَجِدَ الأطفالُ أبَاً يَأخذهم إلى الملاهي ، لا أبَاً يُلَوِّحُونَ لَهُ بأيديهم خَلْفَ قُضبان السُّجون . الْحُبُّ الحقيقيُّ هُوَ التَّضحية مِن أجل الآخرين ، ولَيْسَ التَّضحية بِهِم .

[١٩٨] كِتابةُ القَصيدةِ مِثْل العَمليةِ الجِراحية .

القصيدةُ مُخْتَبَرُ الوجودِ . والشاعرُ هُوَ مُخْتَبِرُ الأنساق المعرفية . يَكتبُ الشاعرُ قَصِيدَتَهُ كما يَقومُ الطبيبُ بالعملية الجراحية. لا فَرْقَ بين طبيب وطبيب إلا بالمهارة والمشاعر والذكريات . وحجمُ الألَمِ هو الذي يُميِّز المريضَ عن المريض . أغسلُ يَدَيَّ بالماء والصابون قَبْلَ كتابةِ القصيدةِ وبَعْدَها ، لِئَلا تَنتقل جَراثيمُ الأحزان إلى جسد الذاكرة . أُطَهِّرُ قَصيدتي مِنَ أصواتِ الضَّحايا ، وأُطَهِّرُ قَلبي مِن الأضداد والأندادِ . قَد يَخرجُ المريضُ مِن غُرفة العمليات إلى المقبرةِ ، وقَد يَخرجُ إلى أحضان زوجته . لا شَيْءَ مَضْمُوناً في الأنساقِ الإنسانية والأنساقِ الفكرية .

[١٩٩] القَصيدةُ هِيَ الْمُعادَلةُ الأُنثويةُ التي تُعَوِّضُني عَن غِيابِ المرأة في حَيَاتي .

اخْتَفَت المرأةُ مِن حياتي ، لأنَّني اخْتَفَيْتُ مِنَ الحياةِ . أنا جُثةٌ هامدةٌ . أنا مَغْرَمٌ لا مَغْنَمٌ . لَوْ أحَبَّتْنِي امرأةٌ فأنا خاسرٌ وَهِيَ خاسرةٌ . هل سَتَكون الكراهيةُ هي وسيلةَ النَّجاة ؟ . إنَّ النَّوْمَ على مقاعد محطة القِطارات أفضلُ من الركوب في القطار الخطأ . التَّوقيتُ مُهِمٌّ ، والوُجهة مُهِمَّةٌ . ولكنَّ الحياةَ لا تَتوقَّف . إذا خَلا عَالَمِي مِنَ المرأة لأنَّني جُثةٌ وصَفقةٌ خاسرةٌ ، فَسَوْفَ أعْتَبِرُ الجثةَ هِيَ الأُنثى والأُنوثة . سَتَكون المقبرةُ هي الأنثى الوَحيدةَ في عَالَم الأمواتِ . سأبحثُ عَن أُنوثةِ عناصر الطبيعة لأظلَّ حَيَّاً في قلبِ الأبجدية. القصيدةُ هِيَ اختزالٌ لعناصرِ الطبيعة ، والأُنثى المتكرِّرة في الوجوه لا الأقنعة ، والقصيدةُ الأُنثى تَحميني من الجنون ، وتَمنحني التَّوازنَ العاطفيَّ كَي أسيرَ بِهُدوء وعَقلانية في ظِل القَمْع السياسيِّ والكَبْت الجِنسيِّ .

[٢٠٠] كُلَّمَا سَبَحْتُ في اللغةِ اكتشفتُ العناصرَ الرَّمزيةَ في السُّلوكِ البَشَرِيِّ الغامِضِ .

اللغةُ لَيْسَتْ وَسيلةً للتخاطبِ فَحَسْب . اللغةُ هي الطاقةُ الرمزيةُ للإنسانِ والحضارةِ . وكُلَّما سَبَحْنا في اللغة ، وَصَلْنا إلى أعماق الإنسانِ ، وأمْسَكْنا بِمَنْبَع القيم الحضارية . وإذا عَرَفْنا مَنْبَع النهر سَنعرف مَجْرَاه. إنَّ رمزيةَ اللغة تَكشِف لنا كُلَّ العناصر الرمزية في السلوك البشري الغامض، لأنَّ الرَّمْزَ وَحدةٌ واحدةٌ مُتَّصلة عَبْر الزمان والمكان . واللغةُ هي الفلسفة العميقةُ التي تَكسِر قناعَ الإنسان، وتُبْرِز وَجْهَهُ الحقيقيَّ بِدُون مُسْتَحْضَرَات التَّجميل . والفرقُ الجذريُّ بين اللغة والإنسان، هو أن اللغة كائن حيٌّ خالدٌ ، أمَّا الإنسان فكائنٌ حيٌّ مَيْت . وإذا وَظَّفْنا رمزيةَ اللغةِ في السلوك الإنسانِيِّ ، فَسَوْفَ يَتحوَّل الإنسانُ إلى رَمْزٍ لُغويٍّ خَالدٍ ، ويَصير الْحُلْمُ الإنسانِيُّ كلمةً أبديةً .

[٢٠١] أنا مُحَاصَرٌ مُنذُ وِلادتي بَيْنَ انحطاطِ الغَرْبِ وانحطاطِ الشَّرْقِ .

نظريةُ الحِصَارِ أفْهَمُهَا بشكلٍ غريبٍ ، وأُفَسِّرُها بِصُورةٍ صاعقةٍ . بريتني سبيرز وُلِدَتْ عام ١٩٨١م، وأنا وُلِدْتُ عام ١٩٨٢م، ونانسي عجرم وُلِدَتْ عام ١٩٨٣م. أشْعُرُ أنَّني مُحَاصَرٌ بَيْنَ هَاتَيْن المرأتَيْن العاريتَيْن اللتَيْن تُمَثِّلان الانحطاطَ الأخلاقيَّ وهِستيريا الجِنس في الغرب والشرق . هذا هو الحصارُ القاتلُ في زمن الانحطاط .

[٢٠٢] عِندَما يُصْبِحُ العَقْلُ فَارِغَاً يَنحصِرُ التفكيرُ في الفَرْجِ .

عِندَما تَنكسِرُ البُنيةُ الفَوقيةُ (المنظومة العقلانية الأخلاقية) ، تُصْبِحُ البُنيةُ التَّحتيةُ المتجسِّدة في الشَّهوة الجِنسية هي المنظومةَ الحاكمةَ على النَّسَق الحياتِيِّ كُلِّه . والشَّهوةُ لا تُسيطِرُ على العَقْلِ إلا في لحظات الفراغ ، لأنَّ الفراغَ تَفريغٌ للأنظمة العَقلانية ، والجسمُ يَرفض الفراغَ ، فلا بُدَّ أن تَحْدُث عَملية إحلال ، فَتَحِل الشَّهوةُ الجنسيةُ في البُنية الفَوقية ، ويُصبِحُ الجِنسُ هو العقلَ المسيطِر على تفاصيلِ المشاعر ، وأنساقِ الجسد ، وتقاطعاتِ الألفاظ مَعَ المعاني . وكُلَّما اضمحلَّ صَوْتُ العقلِ ، ارتفعَ صَوْتُ الرصاص ، وَكُلَّما غَابَ العقلُ أو غُيِّبَ ، صَارَت الكلمةُ الفَصْلُ للشَّهوة الغريزية . وهذا أدى إلى نشر هستيريا الجِنس في هذا العالَم الذي دمَّره الإنسان ، لأن الكثيرين يعتقدون أن بنادقَهم هِيَ صَوْتُهم الصادق الذي لا يَخُونهم ، وكُلَّما ابتعدَ الإنسانُ عن قُواه العقلية اقتربَ من قواه البدنية . فالذي يَضرب ويَقتل قَد مَنَحَ عَقْلَه إجازةً مفتوحة . وهذا الفِكْرُ المنحرِفُ يَرْفُضُه المنطقُ العقلانِيُّ ، فلا بُدَّ أن يَكُونَ صَوْتُ الإنسانِ أعْلَى مِن صَوْتِ الغريزة .

[٢٠٣] الجامعاتُ هِيَ مَقابرُ العِلْمِ والعُلَماء .

الجامعاتُ هِيَ أفضلُ مكان لِوَأْدِ العِلْمِ ، وتَحويلِ العُلَماء إلى مُوظَّفين . تُعطيكَ الجامعةُ شهادةً لِتَكسب قُوت يَوْمِك ، لكنها لا تَجعلك عالِماً . ومَن أرادَ أن يُصْبِحَ عَالِماً ، عَلَيهِ أن يَكتشف العِلْمَ والعُلَماء خارج أسوار الجامعة (قُضبان السِّجن) . ولَم تَكْتَفِ الجامعةُ بِتَدمير الطلاب ، بَل أيضاً دَمَّرَت الأساتذةَ الذينَ يُفْتَرَض بِهم أنهم عُلماء ، حيث حَوَّلَتْهُم إلى مُوظَّفين ضِمْن رُوتين قاتل للإبداع ، يَتصارَعون على زيادة الرواتب ، والتَّرقيات الوَرقية ، ويَعتمدون على الوشاية والنِّفاق للحصول على المناصب . وقد صَارَ العِلْمُ شَهاداتٍ كرتونية ، وأوراقاً في مِلَفَّات الجهل والتَّخلف . وفي أحسنِ الأحوالِ ، سَتَمْنَحُكَ الجامعةُ الثقافةَ ، لَكِنَّها لَن تَمْنَحَكَ العِلْمَ .

[٢٠٤] عِندَما يَسْتَقِرُّ قَلْبي في رُوحِ الجماهيرِ ، سَأتحوَّلُ إلى فكرةٍ لا تَموتُ مَعَ الأيامِ .

الجماهيرُ هي الحاضنةُ للمشروعِ الإنسانيِّ . إنَّها الثَّورة ووقودُها . وعِندَما تَحتضِنُ الجماهيرُ أحلامَ الفردِ ، فإنَّ هذا الفَرد سَيُصبحُ أيقونةً خالدةً ونظريةً معرفيةً، ويَنتقل من الإطار الفرديِّ إلى الكَينونة الجماعية ، فَيُصبح عقلُ الفردِ عقلاً جَمْعِيَّاً ، ويُصْبِحُ كَيانُ الفردِ فِكرةً عابرةً للتَّجنيسِ والزمان والمكان، لأنَّ الإنسانَ حِينَ يَتحوَّل إلى فِكْرةٍ ، يُصبح حُلْمَاً للجماهير في كُل زمان ومكان. والفِكرةُ لا تَمُوتُ ، ولا يُمْكِنُ مُوَاجَهَةُ الفِكرة إلا بالفِكرة . الفِكْرةُ أقوى مِنَ الرَّصاصة .

[٢٠٥] اعتادَ الناسُ عَلى السُّجون ، فَصَارَت الحرِّيةُ خَطَرَاً على حَياتهم .

الاعتياديةُ قَاتلةٌ ، تَجعل الموجودَ غَيْرَ مَوجودٍ . فالعَينُ التي تَتَعَوَّدُ على رُؤية شَيء ، لا تَعُودُ تَرَاه . الاعتياديةُ هِيَ العَمَى الشاملُ . والناسُ غَرِقُوا في فِكرة السُّجون ، وعاشوا في سُجون الرُّوحِ والجسدِ ، فصارت العُبوديةُ هِيَ الحرِّيةَ بالنسبة إلَيهم ، وصارَ السِّجْنُ هُوَ أرضَ الأحلام ، وصارَ الوَطَنُ هُوَ المنفَى . والغريقُ في قاع البحر لا يُمْكِنُ أن يَرى بَرَّ الأمان . وَلَوْ لَم يَكُنْ هُناك سُجون ، لقامَ الناسُ باختراعها ، لِيَعيشوا فِيها . وسَوْفَ يُلَمِّعُون قُيودَهم لأنَّ جُلودَهم اعتادتْ على مَلْمَسِ القُيود ، ولَن يُفكِّروا في فَكِّ القُيود ، لأنَّ الحريةَ خَطَرٌ على العبيد ،كما أنَّ نُورَ الشمس خَطَرٌ على الخفافيش .

[٢٠٦] الموْتُ هُوَ الفِعْلُ التَّحريريُّ الشَّامِلُ .

الإنسانُ مَحصورٌ في الزمانِ والمكانِ . ولَن يَخرج مِنَ الْمَدار إلا بالموت . سَيَكون الموتُ هو الحريةَ والتَّحرُّرَ. وَحْدَه الموتُ هو القادر على إخراج الإنسان مِن النظام الاستهلاكيِّ ، مَرَّةً واحدة وإلى الأبد . والميْتُ لا يَموت . والبابُ المفتوح لا يُفتَح .

[٢٠٧] شَيْءٌ مُؤسِفٌ أنَّني لَن أتَمَكَّنَ مِن شَرْحِ نَظرياتي الفلسفيةِ لِحيطانِ غُرفتي .

حِيطانُ غُرفتي عَاشَتْ مَعِي ، وعِشْتُ مَعَها . رَأَتْ دُموعي في ليالي الشتاء الطويلة ، ورَأيتُ أحلامَها المقتولة تحت الأرض . كَم كُنتُ أتمنَّى أن تستمع إلى كلماتي . أُريدُ أن أشرحَ لها فَلْسفتي. قَد لا تَكُون فَلسفةً عظيمةً ، ولكنها نابعةٌ مِن قَلبي وأحزاني وذِكرياتي .

[٢٠٨] البَشَرُ صِنْفَان : صِنْفٌ يَنامُ ، وصِنْفٌ يَسْهَرُ عَلى أُولئك النَّائمين .

لا عَدالةَ في هذا العالَم. السَّادةُ يَنامون في الأحلام والعسلِ ، والعبيدُ يُضَحُّون بِرَاحتهم مِن أجل رَاحة السادة . يَسْهَرُ العَبيدُ وهُم في أمَسِّ الحاجة إلى النَّوْم . ولكنَّه قانون السُّوق . مَن يَمْلِكْ يَفْرِضْ شُرُوطَهُ عَلى مَن لا يَمْلِك . والعَبيدُ لا يَمْلِكُون حَقَّ الاختيارِ .

[٢٠٩] كُلُّ الجوائزِ الأدبيةِ في العالَمِ مُسَيَّسَةٌ .

لا عَدالةَ في الجوائز الأدبية . تُوَزَّعُ مِثْل الْمُخَدِّرات لِتَحقيق أهداف خَفِيَّة . تَفتقِرُ لِجَانُ الجوائز إلى النَّزاهة. السِّياسةُ تُسيطِرُ على كُلِّ شَيء . وهذه الجوائزُ هي مكافأة وعَقوبة في آنٍ معاً . مكافأة للذينَ يَخْضَعُون لِشُروط السُّلطة السياسية ، ويُمارِسون اللعبةَ وَفْقَ قَواعد الجهات العُليا . وعُقوبة للذين يَرْفُضون إملاءات السُّلطة السياسية ، ولا يُريدون الدُّخولَ إلى الحظيرةِ ، لأنَّهم لَيْسُوا قَطيعاً. لا يُوجَد مَوْقِفٌ بِلا ثَمن ، والتَّحدي لَهُ ضَريبة يَجب دَفْعُها ، والأنظمةُ السِّياسيةُ حَاقِدَةٌ ولا تَنْسَى.

[٢١٠] الشَّخصان الوَحيدان القادران على كَسْر رُوتين العالَم هُما العَبقريُّ والمجنون .

العَبقريُّ يُغيِّر العالَمَ بذكائه الخارق. يُعيدُ تَرتيبَ الفَوضى في هذا الوجود الذي دَمَّرَه الإنسانُ. يَنقل حياةَ الإنسانِ مِنَ الصُّعوبات المادية إلى السُّهولة المعرفية . والمجنونُ يُغيِّر العالَم بِهَلْوَساته وعُقَدِه النَّفسية وأمراضه العقلية، فَيَبدأ رِحلةَ الهدم ، وتَعُمُّ الفَوضى ، فَتُصبِح حياةُ الناسِ جَحيماً لا يُطاق . وأيُّ فَرْقٍ يَشْعُرُ بِه الناسُ ، سواءٌ كان إيجابياً أَم سلبياً ، فإنَّهُ صِناعةُ عبقريٍّ أو مَجنون .

[٢١١] التناقضُ جُزْءٌ أساسِيٌّ مِنَ القَلَق ، والقلقُ جُزْءٌ أساسِيٌّ مِنَ الإبداعِ .

لا مَفَرَّ مِنَ التناقض ، لأنَّ عَقْلَ الإنسانِ مَحدودٌ ، وصِفَاتِه نِسْبية لا مُطْلَقة . والْمُبْدِعُ عَلَيهِ أن يَتطهَّر مِنَ التناقض إلى أقصى حَدٍّ مُمْكِن ، ويُعيد تَدوير تناقضاته لِيَحصل على أفكارٍ جَديدةٍ منطقية ومتسلسلة . والتناقضُ جُزء مِن مَنظومة القَلَق . فالقلقُ هو العنصر الضاغط على ذِهن الْمُبْدِع ، ولا يَسْمَح له بالتحرك بحرية . والقلقُ هو الْحَجَرُ الذي يُرْمَى في الماء الراكد لِكَسْرِ الملَل الفكريِّ ، وتَحطيمِ الروتين الوظيفيِّ، وإعادةِ إنتاج الاعتيادية الحياتية. وهذه العناصر

الأساسية تَجعل القلقَ جُزءاً أساسياً مِنَ الإبداع.ولا نُبَالِغ إذا قُلنا إنَّ القَلَقَ_بما فِيه مِن حركة مستمرة_هُوَ الإبداعُ نَفْسُه.

[٢١٢] الفَيْلَسُوفُ أعظمُ عَقْلٍ بَشَرِيٍّ بَعْدَ النَّبِيِّ .

الفلسفةُ هي خُلاصةُ العِلْمِ. وهي تتجلى في أشكال كثيرة . والفَرْقُ بين الفَيلسوف والنبيِّ هو أنَّ الفَيلسوف يَتحدَّث بِاسْمِه، ويَتحرَّك في ظِلِّ الوَحْيِ الأرضيِّ . أمَّا النبيُّ فَيتحدَّثُ بِاسْمِ اللهِ ، ويَتحرَّك في ظِلِّ الوَحْيِ السماويِّ. والنظرياتُ الفَلسفيةُ تَنْبُع مِن أحلام المخلوقات وطبيعةِ حياتهم المنتهية بالموت ، أمَّا التعاليمُ النبوية فَهِيَ وَحْيٌ مِنَ الخالقِ الذي لا يَمُوت .

[٢١٣] لَم أَلْمِس امرأةً في حَياتي ، لَكِنَّني دَائِماً في لَيْلةِ الدُّخلةِ .

في كثيرٍ مِنَ الأحيان ، تَكون المشاعرُ مُنفصِلةً عَن الواقع المحسوس . وعِندئذٍ ، تَصنعُ المشاعرُ واقعاً جَديداً غَير مَحسوس . والإنسانُ قَد يُوجَد في المكانِ ذِهنياً لا وَاقعياً ، وهكذا يَنفصِلُ اللفظُ عَن المعنى ، ويَنفصِلُ القلبُ عَن الذاكرة. والفَلسفةُ تُتيح للإنسان أن يَعيش في لَيْلة الدُّخلة دُون أن يَلْمِسَ أيَّةَ امرأةٍ . أعيشُ في لَيْلة الدُّخلةِ بلا امرأةٍ ، لأنَّ لَيْلة الدُّخلة انتقلتْ مِنَ الجسد إلى الرُّوح . لَيْلةُ الدُّخلةِ لا أُمارِسُ فِيها الجِنسَ ، بَل أُمارِسُ الذِّكرياتِ ، وأنامُ في أحضانِ الأحزانِ. أنا نَائِمٌ ، وعِندَما أَمُوتُ سأستيقظ . أنا سَكْران بِلا خَمْرٍ ، والموتُ هُوَ الصَّحوة .

[٢١٤] نظريةُ الاقتحامِ هِيَ القَاسِمُ الفَلسفِيُّ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَ لَيْلةِ الدُّخلةِ والانقلابِ العسكريِّ .

اقتحامُ الجسدِ ضَروريٌّ ضمن المنظومة الإنتاجية الميكانيكية ، لكنَّ الأهَمَّ هو اقتحامُ القَلْبِ بالقُوَّة الناعمة . إنَّ السيطرةَ على الجسد تَكون بالوسائلِ الماديةِ الآلِيَّةِ ، أمَّا السيطرة على القلب فَتَكُون بالوسائل الروحية الكاسرة للقوالب المادية . بإمكانِكَ أن تُجْبِرَ الحصانَ على الذهابِ إلى النَّبْعِ ، ولكنْ لا يُمْكِنُكَ أن تُجْبِرَه على الشُّرْبِ . بإمكانك أن تَمتلِك جَسَدَ المرأة رَغْماً عنها ، ولكنْ لا يُمْكِنُكَ أن تَمتلِك قَلْبَها إلا بإرادتها .

[٢١٥] أنا والرَّاهباتُ نَمتلِكُ نَفْسَ نَوْعِيَّةِ الاكتئابِ ، وَنَفْسَ الفَرَاغِ العاطفيِّ .

الرَّاهباتُ أخَوَاتي . لا أَشْعُرُ أنهنَّ غَرِيباتٌ عَنِّي . نَحْنُ شُرَكاء في الاكتئابِ والفراغِ العاطفيِّ . الحِيطانُ تُحاصِرُنا . نَعيشُ دَاخِلَ سُجونٍ بِلا سُقوفٍ . السِّجْنُ الداخليُّ في قَلْبِ الإنسانِ، والسِّجْنُ الخارجيُّ في المكانِ والزمانِ . لا تُوجَد رَاهبةٌ بِلا مَاضٍ . إنَّها تَهْرُبُ مِن أنيابِ الماضي ، لكنَّ الماضي سيظلُّ يُطارِدُها حتى يَقتنِصَ قَلْبَها . كُلُّ رَاهبةٍ تَهْرُبُ إلى المستقبَل ، لأنَّها ضَحِيَّةُ الماضي . كُلُّ رَاهبةٍ تَرْمي أحاسيسَها في الفِعْلِ الْمُضارِع ، لأنَّ لُغَتَهَا خَليطٌ مِنَ الأحزانِ والذِّكرياتِ

والماضي الذي لا يَعُودُ . وَسَوْفَ تظلُّ الأديرةُ بُيُوتاً للذِّكرياتِ والحشَراتِ والقلوبِ المكسورةِ . ولا أحَدَ يَشْعُرُ مَعَ أحَدٍ،كُلُّ شَخْصٍ يَبحث عن مصلحته الشخصية،ولا وَقْتَ لَدَيْهِ كَي يَبْكِيَ على الآخرين.

[٢١٦] الشَّرْكَسِيَّاتُ والبُوسنِيَّاتُ جَنَاحَان لِعُصفورٍ يَتيمٍ اسْمُه قَلبي الجريحُ .

الشركسياتُ هُنَّ المعسكَرُ الشرقيُّ ، والبُوسنياتُ هُنَّ المعسكَر الغربِيُّ . ولا أجْرُؤ على تَخَيُّل العالَم بِدُونهنَّ . وأنا المحاربُ الخاسر في كل المعارك . قلبي شَظايا مُتفرِّقة في سهول القوقاز . ونزيفي نهر يجري تحت جسور سراييفو . جئتُ وحيداً ، وسأعود وحيداً . لا فرق بين حُزن وحُزن ، لأنني جثة لا تاريخ لها إلا الذكريات . عِندَما يَضيعُ الوَطَنُ يُصْبِحُ جَسَدُ المرأةِ هُوَ الوطنَ . عِندَما يَتكرَّسُ المنفَى (الروحيُّ أو الماديُّ) يَتجذَّرُ جَسَدُ المرأةِ في قَلْبِ المعنَى الحضاريِّ ، فَتُصْبِحُ رُوحُ المرأةِ هِيَ رُوحَ الحضارةِ القادرةِ على الاحتضانِ ، وتَتجذَّر الرُّومانسيةُ كَتَعويضٍ عَن الخسائر والْخَيْبَات . وهكذا تُولَدُ الحياةُ الجديدةُ مِن ذَاكرةِ الموتِ ، وتُولَد البِدايةُ مِن لَحظةِ النِّهاية .

[٢١٧] أكتبُ بِدَمِي الْمَحَلِّيِّ ، وَيَكتبون بالحِبْرِ الْمُسْتَوْرَدِ ، وَهَذا مَا يُمَيِّزُني عَنْهُم .

أكتبُ مُعاناتي بِدَمي حقيقةً لا مَجازاً . أحزاني نابعةٌ مِن قلبي الْمُحَطَّم . لَوْ كانت حياتي سَعيدةً لَعِشْتُهَا ، لكنَّ حياتي حَزينةٌ فأكتبُها . لا أدَّعِي أنَّني أفضلُ مِنَ الآخرين ، لكنَّ أقوالَ الضَّحِيَّةِ مُقَدَّمَةٌ على أقوالِ شَاهِدِ العِيَان . وأفضلُ شَخْص يَستطيع وَصْف مشاعر السَّجين هو السجين نَفْسُه . وأجملُ وَصْفٍ للبَحْرِ هُوَ وَصْفُ السجين حِينَ يَنظر إلى البحر من نافذة سِجْنِه .

[٢١٨] الرُّومانسيةُ أن تَتَزَوَّجَ أَرْمَلَتُكَ مِن جَارِكَ بَعْدَ اغتيالِكَ .

الحياةُ لا تَتَوَقَّفُ . عِندَما يَموتُ الرَّجُلُ ، ويُصْبِحُ جِيفةً قَذِرَةً تَحْتَ التُّرابِ يَحتكِرُها الدُّودُ ، فإنَّ أرْمَلَتَهُ سَيُرَاوِدُها حُلْمُ الزَّواجِ ، وهذا حَقُّها . لا نَستطيعُ أن نَدْفِنَ امرأةً في الحياةِ لأنَّ زَوْجَها ماتَ . سَوْفَ تَستمِرُّ الحياةُ . وكُلُّ شَخص في هذا العالَم يَبحثُ عَن مَصلحته ، وهذا لَيْسَ عَيباً . تَتبدَّل الأدوارُ ، ويَتبدَّل الْمُمَثِّلُون ، ويأتي الآخرون كَي يَعيشوا في ذِكرياتنا ، ويَعيشوا أحلامَنا .

[٢١٩] كُلُّ النِّساءِ اللواتي أَخَذْنَ قَلْبي لَم يَقُمْنَ بِإرجاعه .

جَسَدي مَكتبةٌ عَامَّةٌ . تَستعيرُ النِّساءُ قَلبي كالكتابِ النادرِ ، ولا يَقُمْنَ بإرجاعه . جُثتي مُلْكٌ للجَماهيرِ . وأحزاني مُلْكٌ لِقِطَطِ الشوارعِ . أَخَذَت النساءُ قَلبي ، وتَقَاسَمْنَهُ بِلا رَحمةٍ ولا شَفَقة . وأنا لَم أَعُدْ أُشْفِقُ على نَفْسي . أتحرَّكُ في هذا العالَمِ بلا قَلْبٍ ، لَكِنِّي حَيٌّ ، لأنَّ قلبي لُغةٌ للجميعِ .

[٢٢٠] الموْتُ هُوَ التَّجسيدُ الأعلى للحياةِ .

الإنسانُ قَد يَشُكُّ في الحياةِ ، فَهِيَ كُتلةٌ مِنَ الأوهامِ والألاعيب والأقنعة . لَكِنَّهُ لَن يَشُكَّ في الموتِ ، لأنَّ الموتَ هو الحقيقة الواضحة . الموتُ هُوَ الحياةُ الحقيقيةُ والفِعْلُ الحقيقيُّ . والإنسانُ رِيشةٌ في مَهَبِّ الريحِ ، والحضارةُ لُعبةُ السرابِ .

[٢٢١] صِنْفَان لا تَمْزَحْ مَعَهُمَا : تُجَّار الْمُخَدِّرات وَتُجَّار الأسلحة .

نَحْنُ رِجَالٌ عَلى بَعْضِنا البَعْضِ ، والحضارةُ تَنهارُ . الإنسانُ هُوَ الذِّئبُ الذي يَفترِسُ أخاهُ الإنسان . الذِّئبُ لا يَفترِسُ ذِئباً، والإنسانُ يَفترِسُ الإنسانَ . البَحَّارةُ يَتقاتلونَ على احتكارِ جُثمانِ الرُّبَّانِ ، والسَّفينةُ تَغْرَقُ . إنَّ غَباءَ الإنسانِ كامنٌ في ذَكائه . والإنسانُ يَمشي إلى الهاويةِ بِرِجْلَيهِ .

[٢٢٢] النِّساءُ الوَحيداتُ اللواتي لا يَضَعْنَ مِكْيَاجاً هُنَّ الْحُورُ العِين .

المِكْياجُ أسوأ اختراع في هذا العالَم . إنَّهُ الخديعةُ الكُبرى . حَيْثُ تَصيرُ البَعوضةُ فَراشةً ، وتَصيرُ الذكرياتُ مَتاهةً للخَوْفِ . المرأةُ تخافُ مِن عُمُرِها فِتُخْفِيه لتظلَّ شَابَّةً في عُيونِ الآخرين . إنها تَخافُ مِن استبداد المجتمع الذكوريِّ ، وتَخشى سُلطةَ الزمن ، وتَهربُ مِنَ سَيْفِ الوَقْت ، وتَركضُ بِعَكْسِ عقارب الساعة ، وتَتحرَّك ضِدَّ تاريخها الشخصيِّ . إنَّها ضِد التاريخ . والمرأةُ تَخافُ مِن وَجْهها فَتُخْفِيه وَراءَ قِناع المِكياج . إنَّها تخافُ مِن سُلطة المكان ، وتَهربُ مِن قَسوة التضاريس ، وتُحاول تَحطيمَ الجغرافيا . إنَّها ضِد الجغرافيا . المرأةُ هِيَ العَدُوُّ الأوَّلُ للتاريخ والجغرافيا ، لأنَّ المرأةَ هِيَ فَريسةُ الخوْفِ .

[٢٢٣] لأنَّني أُحِبُّ المرأةَ لَم أتَزَوَّجْ .

هَل أنا سَجَّانُ المرأةِ أَم سَجينُ المرأةِ ؟ . هَل أنا القاتلُ أَم الضَّحِيَّةُ ؟ . المرأةُ التي أُحِبُّها أهْرُبُ مِنها ، والمرأةُ التي تُحِبُّني أهْرُبُ مِنها . أنا الهاربُ الأبديُّ مِنَ الْحُبِّ والكَرَاهِيَةِ . أنظرُ في المِرْآةِ ، فلا أُصَدِّقُ أنَّ هذا الشخصَ سَيَكُونُ أباً ناجحاً وزَوْجاً رَائعاً . على الأرجح ، سَأكُون أباً فاشلاً ، وزَوْجاً غارقاً في العُقَد النَّفسيةِ . مَن سَيَدفع الثمنَ ؟ . أنا وزَوجتي والأبناء ، سَنَكُونُ الأُسرةَ الفاشلةَ في هذا المجتمع الهاربِ مِن نُور الشمس . لقد كَسَرْتُ قِناعي لأرى وَجْهي. المرأةُ التي أُحِبُّها أبتعدُ عَنْها كَي أحتفِظَ بِمَاءِ وَجْهي، وتَعْرِف المرأةُ أنَّني رَجُلٌ مُحترَم ، وأيقونةٌ نَبيلةٌ . حَياتي الزَّوجيةُ الافتراضيةُ لَخَّصَتْهَا أُمِّي بثلاث عِبارات ، وكانت تُردِّدها على مَسامعي كَثيراً . العِبارةُ الأُولَى ــ لا تَقْدِرُ امرأةٌ أن تَعيشَ مَعَك . وقد سَألتُ أُمِّي عَن السَّبب ، فقالت لي إنَّكَ مَجنون ، وسَوْفَ تُجَنِّنُ ابنةَ الناس مَعَك . وهذه حقيقةٌ لا مَهْرَبَ مِنها . لَوْ تَزَوَّجْتُ فَسَوْفَ تَكتشف زَوجتي أنَّها تَعيشُ مَعَ

رَجُلٍ مَجنون ، حياته رُومانسيةٌ مِنَ الخارج ، لَكِنَّ الداخلَ نظامٌ عسكريٌّ مَفتوحٌ على المؤامراتِ والانقلاباتِ والشُّكوك . وهذه الزَّوجةُ الافتراضيةُ سَتَطْلُب الطلاقَ أو سَتَرْفَع ضِدِّي دَعوى خُلْع أو سَتَلجأ إلى خِيانتي. العِبارةُ الثانيةُ _ أنتَ مَعمولٌ لَكَ عَمَل (سِحْر) لِكَيْلا تَتزوَّج . وللأسف ، فقد عَانتْ أُسْرَتي مِنَ السِّحْرِ كَثيراً ، لأنَّ بَعْضَ أقاربِنا كانوا أَلَدَّ أعدائنا ، وحاولوا تَدميرَنا بِكُلِّ الوسائل. والحمدُ للهِ على كُلِّ حالٍ. العِبارةُ الثالثةُ _ مَن سَيَرِثُكَ ؟ . لَيْسَ لِي زَوجة ولا أبناء. ولا أعْلَمُ مَن سَيَتَقَاتَلُ عَلى مِيراثي وتُراثي . إن امتدَّ بِيَ العُمُرُ فَسَوْفَ أعيشُ في بَيْت العَجَزَة والْمُسِنِّين . الممثِّل العالميُّ عُمر الشريف قضى حياته معَ أجمل نساء العالَم ، وكان يَلتقي بالأميرة ديانا ومارغريت تاتشر، ثُمَّ أنهى حياته في بيت المسنِّين مُصاباً بالزَّهايمر. لَن أكُونَ رُومانسياً أكثرَ مِنهُ ، ولَن أكُونَ زِير نِساء مِثْله . الغُرَباءُ إِخْوَةٌ في هذا العالَم ، نُؤْنِسُ وَحشةَ الفراغِ ، قَبْلَ أن يَأكُلَنا الموْت . ولَن نَجِدَ أحَدَاً يَبكي عَلَينا . سَامِحْني يا أبي ، لَم أَكُن ابناً رائعاً تفتخِرُ بِه بَيْنَ رِجال القَبيلة ، بَل كُنتُ كَومةَ اكتئابٍ وأنقاضَ إنسان . الاكتئابُ والوَسْوَاسُ القَهريُّ دَمَّرَا عَقْلي وجَسَدي . سَامِحِيني يا أُمِّي ، لَم أُحَقِّقْ رَغبتك أن أتزوَّج . لَم أُكَوِّنْ أُسرةً ، لأنَّني مَريضٌ أبديٌّ . لا أُريدُ أُسرةً أقْضِي عَلَيها . مَن يَدْخُلْ مَدَاري يَحترِقْ . سَامِحْني يا أبي ، وسَامِحِيني يا أُمِّي ، كُنتُ ابْنَاً مُقْرِفَاً مَليئاً بالعُقَد النَّفسية والهواجسِ المرَضِيَّةِ والاكتئابِ والوَساوس . كُلُّ حَياتي عَذابٌ ذِهْنِيٌّ. أتفجَّرُ مِنَ الداخل . أحترِقُ مِنَ الداخل . أنتحِرُ تَدريجياً وَحيداً بِشَكْلٍ صامت ، بَعيداً عَن أَعْيُن الناس. سَامِحُوني يَا إِخْوتي . حَاولتُ أن أكُونَ شَخصاً طَبيعياً ، لكنَّ المكتوبَ ظاهرٌ مِن عُنوانه .

[٢٢٤] سُلطةُ المعلِّم على تِلْميذته أعْلَى مِن سُلطة أبيها عَلَيها .

إنَّ المجتمعَ اللاهثَ وَراءَ تَعقيداتِ الحياةِ الماديةِ ، لا يَستطيع فَهْم الرُّوح الرمزية في الزَّواج . يُصْبِحُ الزَّواجُ نِظاماً ميكانيكياً جنسياً مُغلَقاً ، يَشتمل على وظائف التكاثر البيولوجي، وتفاصيلِ الحياة الاجتماعية الرُّوتينية . وهذا يَعني أنَّ الأبَ في الأُسرة يُصْبِحُ مَصْدَراً للدَّخْل فقط لا غَير . إنَّهُ مَوجود باعتبار سُلطته المالية. أمَّا سُلطته الرمزية فغائبة. وفي هذه الحالة، تَبحث الفتاةُ عَن قُدوة ومَثَلٍ أعلى في مُحيطها المحسوس . تَبحث عن رَجل يَهتمُّ بِها غَير والدها . وفي الغالبِ سَيَكُونُ مُعَلِّمَهَا الذي سَتَرى فِيهِ فارسَ السَّيف والقَلَم .

[٢٢٥] التَّناقضُ والفَوْضَى رُكنان أساسِيَّان مِن أركانِ النِّظام .

الإنسانُ لا يَستطيع أن يَشْرَبَ الماءَ الْمُقَطَّرَ . لا بُدَّ مِن نِسبةٍ مُعيَّنة مِنَ الشَّوائبِ . النظامُ القويُّ هُوَ الذي يُدِيرُ التناقضَ ، ويُحَوِّل الفَوضى إلى نَسَقٍ فِكريٍّ مُسَيْطَرٍ عَلَيه . قُوَّةُ النظامِ تتجلى

في احتضانه للتناقض والفَوضى لا إلغائهما ، لأنَّه _ ببساطة _ لا يَقْدِر أيُّ نظامٍ على إلغائهما . وهُنا تَبْرُز ضرورة التعامل مع النظام باعتباره اختزالاً للتناقضِ وتَرشيداً للفَوضى ، كَي تَستمِرَّ الحياةُ. ومَن أرادَ نِظاماً خَالِصَاً مِنَ الشَّوائبِ ، فَعَليهِ أن يَبحث عَن إنسان خالٍ مِنَ العُيوب والآثام. وسَوْفَ تظلُّ الفَوضى نظاماً مُتكامِلاً قائماً بِذَاته ، ويَظَلُّ التناقضُ مَنظومةً مُترابِطةً ومُتَسَلْسِلَةً .

[٢٢٦] عِندَما يُصْبِحُ الإِنسانُ شَاعِراً يُدْرِكُ أنَّ الدنيا أصغرُ مِن ثُقْبِ الإِبْرَة .

الشِّعْرُ فَنٌّ للرِّجالِ فَقَط ، لأنَّهُ رُوحُ الاختزالِ والتَّكثيف . وعَقْلُ المرأةِ لا يُؤهِّلُها للاختزالِ المنطقيِّ والتَّكثيف الشُّعوريِّ . إنَّ المرأةَ كائنٌ يَستمدُّ شَرعيةَ وُجودِه مِنَ الثَّرثرةِ والسَّرْدِ . قَد تُبْدِعُ المرأةُ في الرِّوايةِ ، لَكِنَّها لَن تُبْدِعَ في الشِّعْرِ . والحالاتُ النَّادرةُ لا حُكْمَ لها ، ولا يُقاسُ عَلَيها . تُوجَد رِوائياتٌ عَظيماتٌ ، ولكنْ لا تُوجَد شَاعراتٌ عَظيماتٌ . الشِّعْرُ فَنٌّ تكثيفيٌّ اختزالِيٌّ فَوْقَ قُدراتِ عَقْلِ المرأةِ الضعيفِ لأسبابٍ بُيولوجِيَّة . وحِينَ يُصْبِحُ الإنسانُ شاعراً ، يَتحوَّلُ إلى سُلطةٍ اختزاليةٍ تَكثيفيةٍ قائمةٍ على وَضْعِ اللفظِ في أقصَى مَدَاه ، وحَقْنِ المعنَى الواحدِ بالمعاني الكثيرة . وهذا الاختزالُ الكَوْنِيُّ العارمُ ، يَجعل الشاعرَ أكبرَ مِنَ الأنساق الحياتية ، ويَصيرُ العقلُ المفكِّرُ أكبرَ مِنَ الفِكْرة ، ويَتَفَوَّق التِّلميذُ على أُستاذه .

[٢٢٧] الكِتابةُ تَجْعَلُني أشْعُرُ أنَّ الملِكَاتِ سَبَايا في قَصْري .

القَلَمُ هُوَ السَّيفُ القاطعُ . اللغةُ هي السُّلطة العُليا ، والأبجديةُ هِيَ المحكمةُ التي لا تُرْفَضُ قراراتها . عِندَما يُمْسِكُ الكاتبُ القَلَمَ يَشعرُ أنَّهُ يُسيطِر على العالَم . إنَّها سُلطة الكلمة التي تَعلو ولا يُعْلَى عَلَيها . وهذه النَّشوةُ يَنبغي أن تظلَّ في حُدود العَقلانية ، ولا تُخْرِج الكاتبَ عَن طَوْره ، فالسُّلطةُ العَمياءُ هِيَ دمارٌ شاملٌ.والسُّلطةُ المطْلقةُ انتحارٌ، واللاعبُ لا يَرْمي الجوكر في أوَّل اللعبة.

[٢٢٨] الكاتبُ الذي يَكْتُبُ كَي تُتَرْجَمَ أعمالُه أوْ يَفُوزَ بالجوائزِ لَن يُحَقِّقَ أيَّ شَيْءٍ .

نِسيانُ العالَمِ شَرْطٌ أساسيٌّ يَسْبِقُ فِعْلَ الكتابةِ . أنتَ وَحْدَكَ في هذا العالَم فاكْتُبْ . وبَعْدَ أن تنتهيَ مِنَ الكتابةِ ، اعْرِفْ أنَّكَ لَسْتَ وَحْدَكَ في هذا العالَم . لا فائدة من البحث عن الشُّهرة ، لأنَّ الشُّهرة تَأتي إلى الإنسانِ رَغْمَ أنْفِه ، وَهِيَ خارجة عَن إرادته وإمكانياته . ومَن يَبحث عن الشُّهرة سيظل مَغموراً . الكتابةُ وَسيلةٌ وغايةٌ في آنٍ مَعَاً ، وَهِيَ عالَم قائم بذاته ، ولا يَحتاج إلى إسناد خارجيٍّ . وَظيفةُ الكاتبِ أن يُطارِدَ الألفاظَ والمعاني ، ويُحاوِل اصطيادَها ، ولَيْسَتْ وَظيفته أن يَلهث وراء الشُّهرة ، أو يَبحث عن السَّجَّاد الأحمر ، أو يُفكِّر في تَجميع الْمُعْجَبَات .

[٢٢٩] القَصيدةُ العَظيمةُ هِيَ التي لا تَقْدِرُ أن تَكْتُبَهَا .

العَظَمَةُ قضيةٌ نِسبيةٌ . وأعظمُ قَصيدةٍ على الإطلاقِ ستظلُّ تَحيا في مَشاعِرِنا ، وستموت مَعَنا ، ولَن نَقْدِرَ عَلى كتابتها ، لأنَّ المشاعرَ أكثرُ اتِّساعاً مِنَ اللغة . واللغةُ ضَيِّقةٌ بالْمُقَارَنة مَعَ الذِّكرياتِ والأحاسيس. فَمَثَلاً، كُلُّ شُعراء العالَم يَسْمَعُون زَقْزَقةَ العصافير . لَوْ طَلَبْنا مِنهُم أن يَكْتُبوا القصائدَ عَن هذه الزَّقزقة ، فإنَّ كُلَّ واحدٍ سَيُرَكِّزُ عَلى جَانبٍ مُعيَّن . ومَجموع القصائد يُشكِّل صُورةً تكامليةً عَامَّةً عَن الزَّقزقة ، لكنَّها ستظل صُورة ناقصة لا تَصِفُ الزَّقزقة كاملةً ، لأنَّ الإحساسَ بالشَّيء يَستحيل التَّعبير عَنهُ بالكلماتِ بشكلٍ كامل ، لأنَّ طاقةَ الأحاسيسِ أكبرُ مِن طاقة اللغة . واللغةُ هِيَ وَصْفٌ خارجيٌ للأحاسيسِ لا تَجسيدٌ لها .

[٢٣٠] تَخَيَّلْ مَشَاعِرَ الإمامِ الشَّافِعيِّ لَوْ وُجِدَ في حَفْلِ الأُوسكار . هَذه مَشَاعري بالضَّبْط.

الغُربةُ إحساسٌ مُتأصِّلٌ في ذَاتي . أنظرُ إلى المِرآة ، فَتَزداد غُربتي ، لأنَّني لا أعرِفُ صَاحبَ هذه الصُّورةِ . أنا غَريبٌ في ذَاتي ، ومَنْفِيٌّ عَن ذاتي . أنا الطِّفْلُ الذي يَشعرُ بِغُربةٍ في حِضْنِ أُمِّه ، كُلُّنا غُرَباء في هذا العالَم ، ولا بُدَّ للغريبِ أن يَرحل يَوماً ما . أشعرُ أنَّني خارجَ الزمان وخارج المكان. لا وَطَنٌ يَعترِفُ بِي، ولا مَنْفَى يَقْبَلُ بِي. أنجَبَتْني أُمِّي للمَوْتِ، لَكِنَّ أهْلِي فَرِحُوا بِقُدومي. إنَّهُ العُرْسُ الذي يَسْبِقُ المأتَمَ . أنظرُ في وُجوه الناسِ ، ولا أرى إلا الغُربةِ . أنظرُ إلى أفرادِ عائلتي ، ولا أرى إلا قُبورهم. كأنَّني حفَّار القبور المسؤول عَن حَفْرِ القُبورِ، وتَحديد مواقعها على خارطة الذِّكرياتِ. أنا قَبْرٌ يَسيرُ على قَدَمَيْن. كُلُّنا نَنتظِرُ الموْتَ ، وانتظارُ الموْتِ مَوْتٌ . ودائماً ، يَكون الانتظارُ صَعباً. وساعاتُ العذابِ تَمُرُّ بَطيئةً،ولحظاتُ السعادةِ تَمُرُّ سَريعةً،لأنَّ الزمنَ يَتحرَّك في مشاعرنا وأحلامنا.

[٢٣١] المشكلةُ أنَّ ألَدَّ أعدائي يَعيشون مَعي: الاكتئاب، والوَسْواس القَهْرِيُّ ، والفراغ العاطفيُّ.

نَبْحَثُ عَن أعدائنا في الخارجِ كَي نُوَاجِهَهُم ، ولكنَّ أعداءَنا الحقيقيين يَعيشون فِينا ومَعَنَا . والعَدُوُّ الداخليُّ هو الأخطر . والإنسانُ كائنٌ جاهلٌ عاجزٌ عَن مَعرفةِ حقيقةِ نَفْسِه ، وهذا يَعني أنَّهُ لَن يَعرِف حقيقةَ الآخرين. لذلك، لا يَستطيع الإنسانُ أن يَتوقَّعَ مَوْعِدَ خِيانة الآخرين، ولا يَقْدِر أن يُحَدِّدَ الجهةَ التي سَيَنْطَلِقُ مِنها خَنجر الغَدْرِ . لا يَستطيع أن يُسيطِر على عُنصر المفاجأة . لذلك ، تأتيه الضَّربةُ القاتلةُ مِن حَيْث لا يَحتسِب ، وتأتيه الطعنةُ المسمومةُ مِنَ المكان الذي يَرتاح فِيه ، ويَطمئِنُّ إلَيه ، وَمِن مَأمَنِهِ يُؤتَى الْحَذِرُ . وعُموماً ، إنَّ الإنسانَ يُدمِّر نَفْسَهُ بِنفْسه .

[٢٣٢] المفكِّرُ الذي يَعيشُ في مُجتمَع مُتخلِّف ، لا يَمْلِكُ وَقْتاً كَافِياً للإبداع الشخصيِّ .

إنَّ الذي يَعيشُ تَحْتَ الأنقاضِ، يَكُون هَدَفُه الخروجَ مِن تَحْت الأنقاض ، ولَيْسَ بناء البَيت . والمفكِّرُ العائشُ في البيئة الموبوءة ، يَذهب وَقْتُه لِتَصحيحِ أخطاء الآخرين ، وتَطهيرِ المجتمع الْمُلَوَّث

الذي يَلهث وراء رغيف الخبز. إنَّ وَقْتَ المفكِّرِ مُخَصَّصٌ لإنقاذ الآخرين، وهذا يُؤثِّر على مشروعه الفكريِّ الشَّخصيِّ . وكما أنَّ مُدرِّب السِّباحة لا يَستمتع بالسِّباحة الشخصية ، لأنَّ وَقْتَه مُخَصَّصٌ لإنقاذ الآخرين أو تَعليمهم، فكذلك المفكِّر، وَظيفته إلقاء طَوْق النَّجاة للآخرين، وليس الاستمتاع بالسباحة .

[٢٣٣] اعتيادُ رُؤيةِ الأشياءِ يَمْنَعُنا مِن رُؤية الأشياء .

الاعتياديةُ هِيَ رُؤيةُ الأشياءِ بِعُيون مَيْتة . الأشياءُ لَيْسَتْ تَحصيل حاصل ، ولا يُوجَد شَيْءٌ عاديٌّ . كُلُّ الأشياءِ عَظيمةٌ لأنَّ اللهَ العظيمَ هُوَ خالقُها . فَمَثَلاً ، لا تَنْظُرْ إلى حَجْمِ الذبابة ، بَل انْظُرْ إلى الإعجازِ الإلهيِّ في خَلْقِها وحَرَكتها ، واذْرُس الحِكمةَ مِن خَلْقِها . ابْحَثْ عَن الحِكَم وَراءَ الأشياء ، ولا تَحْصُرْ نَفْسَكَ في الأشياءِ الضَّيقة . التَّأمُّلُ طَريقُ العِلْم ، والعِلْمُ طَريقُ الإيمان .

[٢٣٤] الشِّعْرُ والْحُبُّ يُولَدَان مَعَاً ، وَيَمُوتان مَعَاً .

عِندَما اختفَى الحبُّ مِن حَياتي ، لَم يَعُدْ للشِّعْرِ مَعنَى . لذلك اعتزلتُ كتابةَ الشِّعْرِ . حِينَ يَموت الحبُّ ، يَموت القلبُ ، وتُصبِح الكلماتُ مَنظومةً ميكانيكيةً آلِيَّةً . ولا دَاعي للكذبِ على النَّفْسِ والآخرين . ما فائدةُ أن يَربحَ الإنسانُ الناسَ ويَخسرَ نَفْسَه ؟ . ما فائدةُ أن يَحصل الإنسانُ على مَحَبَّةِ الآخرين إذا كانَ يَكرَه نَفْسَه التي بَيْنَ جَنْبَيْه ؟ .

[٢٣٥] الشَّاعِرُ يُسيطِرُ عَلى القَصيدةِ قَبْلَ نَشْرِها ، أمَّا بَعْدَ النَّشْرِ فَهِيَ تُسيطِرُ عَلَيه .

الشاعرُ هُوَ صَانعُ المعنَى في القصيدةِ . لا يَنتظِرُ الإلهامَ ولا الوَحْيَ . رُوحُ الشَّاعرِ هِيَ الإلهامُ . والأبجديةُ هِيَ الوَحْيُ . الشاعرُ طَائرٌ لَهُ جناحان : التَّوقيت والإيقاع . وإذا فَقَدَ الشاعرُ السَّيطرةَ على التَّوقيتِ والإيقاعِ، فَإنَّ قَصيدته سَوْفَ تَسْقُطُ. والشاعرُ هُوَ القَصيدةُ ، عاشا مَعَاً واتَّحَدا مَعَاً . وبَعْدَ خُروج القصيدة إلى العَلَن ، تُصبِح مُلْكاً للجماهير ، ويَفقِد الشاعرُ السَّيطرةَ عَلَيها . وكُلُّ شَخْصٍ يُحلِّلها حَسَبَ إمكانياته اللغوية والفكرية. ولا بُدَّ أن يَكُونَ صَوْتُ القصيدةِ أعْلَى مِن صَوْتِ الشاعرِ. إنَّ القصيدةَ رَصاصةٌ ، إذا خَرَجَتْ لا يُمكِن إرجاعُها ، ولا بُدَّ أن تُصيب شَيئاً ما . وحَتَّى لَوْ لَم تُصِبْ أيَّ شَيء ، سَتُحْدِث ضَجَّةً فِكريةً وحراكاً ذِهنياً واجتماعياً وفَلسفياً ، كالحجَر الذي

يُلْقَى في الماء الرَّاكِدِ . صَحيحٌ أنَّ الحجَر لَن يُغيِّر طَبيعةَ الماء ، ولكنَّه بالتأكيد سَيُغَيِّرُ حركةَ الماء .

[٢٣٦] غَالبيةُ العَواملِ التي تَقُودُ الأديبَ إلى العالَمية ، لَيْسَ لها علاقة بالأدب .

العالَميةُ هِيَ صَفقةٌ تجاريةٌ . والأديبُ لا يَصِلُ إلى العالَمية إلا بعد تقديم التَّنازلات . تماماً كنجمة السِّينما ، لا يُمْكِنُها أن تَصِلَ إلى البُطولة إلا بَعْدَ التَّعري والخضوعِ لِشُروط المخرِجين ، وتقديم التنازلات الكثيرة . وَعَالَمُ الأدبِ ظَالِمٌ ، تُمنَح الجوائز لأصحاب المواقف السياسية ، الذين يَخضَعون للمالِ والصَّولجان . صَحيحٌ أنَّ الجوائز الأدبية تُمنَح للأدباء الذين يَمْلِكُون المواهب ، ولكنَّ الموهبةَ سَبَبٌ واحدٌ مِن عَشَرَات الأسباب التي لَيْسَ لها علاقة بالأدب والثقافة .

[٢٣٧] لَيْلَةُ الدُّخلةِ الحقيقيةُ هِيَ الليلةُ الأُولَى في القَبْرِ .

المرأةُ ماتتْ ، والرَّجل ماتَ . مُمارَسةُ الجِنسِ هِيَ الوَهْمُ ، ولَيْلةُ الدُّخلةِ هِيَ زِنزانةٌ تتكاثرُ فِيها الحِيطان . الناسُ في مَوْسِمِ التَّزَاوُجِ والتَّكاثرِ ، يَفْرَحُون بِمُمارَسة الجِنس والإنجاب . إنَّهم يُنْجِبُون أبناءَهُم للمَوْتِ . يَدُورُون في هذه الحياةِ ، ثُمَّ يَعُودُون إلى الموتِ ، ولا أحدَ يَهْرُبُ مِنَ الْمَدَارِ . والمفكِّرُ يَنظر إلى ما وراء الأشياء ، ويَبدأ مِنَ النِّهايةِ . يَبدأ مِن حَيْث انتهى التاريخُ والجغرافيا . والموتُ هُوَ نقطةُ البِدايةِ لا نقطةُ النهاية .

[٢٣٨] لَوْلا كِتابةُ الشِّعْرِ لَمَا عَرَفْتُ أنَّ في دَاخِلِي كُلَّ هذه الأحزان .

الشِّعْرُ تَنقيبٌ مُتواصِلٌ في مَنْجَمِ اللغةِ ، واكتشافٌ لأحزانِ الإنسانِ المختبئة في زَوايا ذاته . الشِّعْرُ هُوَ المِغناطيس الذي يَلتقِطُ الأحزانَ والأحلامَ والمشاعرَ والذِّكريات . إنَّ الذي يَكتب الشِّعْرَ يَكْسِرُ أقْنِعَتَهُ ، ويَرى وَجْهَه الحقيقيَّ ، ويُعيد قراءةَ تاريخه الشخصيِّ ، ويَكتشف جُغرافيا الأحزانِ في أعماقه ، وأعماقِ الناسِ العاجزين عَن التَّعبير مِن كَثْرة الأحزان .

[٢٣٩] أُخَطِّطُ لِكِتابةِ القَصيدةِ كَمَا يَتِمُّ التَّخطيطُ للانقلابِ العسكريِّ .

الشِّعْرُ هُوَ الانقلابُ الرَّمزيُّ في قَلْبِ اللغةِ . وكُلُّ الانقلابات الرُّوحية والمادية لها فَلْسفة واحدة ، ولكنَّها تَختلِف في الأشكال . وكُلُّ نَهْرٍ له مَنْبعٌ واحدٌ وروافدُ كثيرة . إنَّ الانقلابَ العَسكريَّ إذا نَجَحَ ، فإنَّ القائدَ سَيَمْتَلِكُ السُّلطةَ ، وإنْ فَشِلَ سَيَذهبُ إلى حَبْلِ المِشْنقةِ . والقَصيدةُ هِيَ الانقلابُ اللغويُّ الكَوْنِيُّ . إذا نَجَحَ فإنَّ الشاعرَ سَيَمْتَلِكُ سُلطةَ المعنَى الرَّمزيِّ ، وإذا فَشِلَ ، فإنَّ الشاعرَ سَيَحْفِرُ قَبْرَه بِيَدَيْه .

[٢٤٠] الشِّعْرُ خَارطةٌ لإرشادِ الإنسانِ إلى إنسَانِيَّتِه .

الإنسانُ يَعيشُ في مَتاهةِ الذِّكرياتِ ، ويَغْرَقُ في دَوَّامةِ الاستهلاكِ . إنَّهُ يَستهلِكُ قَلْبَهُ في بَحْثِه عَن غذاء الجسدِ ، ولا يُفكِّر أن يَبحث عَن غِذاء الرُّوح . والإنسانُ لا يَقْدِرُ أن يَخرجَ مِن مَأزقه الوجوديِّ إلا بالتَّعلق بِطَوْق النجاة . والفكرُ الإنسانِيُّ لَن يَخرُج مِن المستنقَع إلا بالفَلسفة الرَّاقيةِ المعتمِدة على اللغةِ والمشاعرِ . ولَن يَحيا الوجودُ الإنسانِيُّ إلا بِفَلْسفة اللغةِ . وكُلُّ فَلسفةٍ لا تَقوم على اللغةِ هِيَ فُقاعة صابون لا يُعَوَّل عَلَيها . الفَلسفةُ هِيَ غَوْصٌ في جسد اللغةِ ، وتَنقيبٌ في مَنْجَم اللغة . إنَّ اللغةَ طريقُ الفكرِ الإنسانِيِّ ، وهذا الطريقُ يَحتاجُ إلى الشِّعْرِ . فالشِّعرُ هو القُوَّةُ الرُّوحيةِ القادرة على تَفجير الطاقة الرَّمزية في اللغةِ ، وإخراجِ اللغة مِن حَيِّز الكلام إلى فَضاء الأحاسيس .

[٢٤١] السُّمُوُّ الأخلاقِيُّ أن نُدَافِعَ عَن الضُّعَفاء ونَحْنُ نَعْرِفُ أنَّهُم لَن يُدَافِعُوا عَنَّا .

عِندَما تُساعِدُ الآخرين مُنتظِراً المكافأةَ أو الْمُقَابِل ، فأنتَ سِمْسَار لا إنسان . لا تَضَع المشاعرَ في زَاوية الرِّبْحِ أو الخسَارة.المشاعرُ لَيْسَتْ سِلْعةً. ازْرَع السَّنابلَ في كُلِّ القلوبِ، ولا تَنتظِرْ مَوْعِدَ الحصَادِ . لا تُضَيِّعْ وَقْتَكَ في الانتظارِ ، لأنَّكَ لا تَعرِف هُوِيَّةَ الحاصِدِ ، ولا مَوْعِدَ الحصَادِ . اتْرُكْ بَصْمَتَكَ ، ولا تُفكِّر في الرِّياحِ إنْ كانت سَتَمحوها أَم لا . وارْحَلْ ، ولا تُفكِّر في الأغرابِ إنْ كانوا سَيَأخذون مكانَك أَم لا . لا أحَدَ يَأخذ مكانَ أحد . كُلُّ إنسان له مكان تحت الشمس ، وكلُّ إنسان له حِصَّة مِنَ الكَعْكة . والشَّيْءُ المكتوبُ لَكَ هُوَ لَك ، ولَن يَأخذه غَيْرُك .

[٢٤٢] أَسْوَأ أنواعِ البَشَرِ هُم الذين يُدَارُون بِوَاسطةِ أجهزةِ التَّحكم عَن بُعْد .

النظامُ الماديُّ الْمُتَوَحِّشُ حَوَّلَ الإنسانَ إلى رَجُلٍ آلِيٍّ. الأحاسيسُ الصِّناعيةُ حَوَّلَت الإنسانَ إلى كَيان مُوحِش.والحياةُ الإنسانيةُ الوَهْميةُ تَتكسَّرُ بَيْنَ الوَحْشَةِ والتَّوَحُّشِ. المشاعرُ مَنظومةٌ ميكانيكيةٌ، والذِّكرياتُ بِضاعةٌ مَحكومة بقانون العَرْضِ والطَّلَبِ . الإنسانُ اخترعَ الرَّجلَ الآلِيَّ ، لَكِنَّهُ نَسِيَ عَوَاطِفَهُ في دَوَّامةِ الاختراعاتِ الماديةِ ، فَصَارَ الإنسانُ الصَّانعُ رَجُلاً آلِيّاً مَصنوعاً ، وانقلبَ السِّحْرُ على السَّاحرِ ، وقُتِلَ السَّاحرُ بِسِحْرِهِ .

[٢٤٣] ضَريبةُ العَيْشِ في مُجتمَع مُتخلِّف لا يَدْفَعُها إلا الفلاسفة .

الشخصُ الذي يَعيشُ في مَزْبَلةٍ لا يَعرِف أنَّهُ يَعيشُ في مَزْبَلة ، لأنَّ التَّأَقْلُم يَجعل الشخصَ جُزءاً مِنَ المكان ، ويَجعل الذاكرةَ جُزءاً مِنَ الذِّكريات . والسَّجينُ الذي يَعيشُ تَحْتَ الأرضِ ، سَيُصْبِحُ نورُ الشمس أكبرَ خطر على حياته . والفلاسفةُ هُمُ الْمُبْصِرُون الذين يَعيشون بين العُميان ، يُشاهِدون الطوفانَ الآتي لا مَحَالة ، في حِين أنَّ العُميان لا يُفكِّرون إلا بِمَن سَيَقُودُهم في حياتهم .

[٢٤٤] أَعْرِفُ أنَّ الكِتابةَ في العَالَمِ العَرَبِيِّ لا تُطْعِمُ خُبزاً ، لَكِنِّي أكتبُ لِكَيْلا أتعاطَى الكُوكايين .

لَيْسَ بالْخُبزِ وَحْدَه يَحيا الإنسانُ . والإنسانُ في سِباقٍ مَعَ الزَّمَنِ . عَلَيه أن يَرحلَ بَحثاً عَن أشواقه الرُّوحيةِ قَبْلَ أن يَرحلَ عَن هذا العالَم . الكتابةُ في العالَم العربِيِّ لَن تَجعلك غَنِيَّاً مادِيَّاً ، لَكِنَّها سَتَجعلك غَنِيَّاً رُوحياً . الكاتبُ سُلطته اعتبارية فَوْقَ السُّلُطات السياسية والمجتمعية ، لأنَّ سُلطة القَلَم أعلى مِن سُلطة المال . الكِتابةُ لَن تَمنحك المالَ ، لَكِنَّها سَتَمنحك أشياء لا يَقْدِرُ المالُ على شِرائها . يَكفي الكتابةُ مَجْداً وشَرَفاً أنَّها تُحوِّل العَبيدَ إلى سَادةٍ ، والصَّعاليك إلى مُلوك . والكتابةُ لَيْسَتْ رَفاهيةً . إنها عَذابٌ مُستمر يُطهِّر الإنسانَ ، ويَمنحه الخلاصَ . فالكاتبُ كانَ أمامَه خِيارات مُحدَّدة : الانتحار ، الجنون ، تعاطي المخدِّرات . فاختارَ الكتابةَ لِيُصْبِحَ إنساناً لا شَيئاً . الكتابةُ لَيْسَتْ رفاهيةً أوْ وسيلةً لِمَلْءِ وقت الفراغ . الكتابةُ حَركةٌ تَصحيحيةٌ ، وَهِيَ الخلاصُ الوجداني. أنا أكتبُ لِكَيْلا أنتِحرَ ، ولا أكتبُ كَي آكُلَ الْخُبْزَ . أنا مَدين للكتابة ، لأنَّها أنقَذَتْني مِنَ الاكتئابِ والانتحارِ . الكِتابةُ هِيَ الحياةُ الخالدةُ . ومَعَ هذا ، فإنَّ أيَّ مجتمع لا يستطيع فيه الكاتبُ أن يَعيشَ مِن كِتاباته ، هُوَ مُجتمع مُتخلِّف وبِدائِيٌّ .

[٢٤٥] إذا كانَ الإنسانُ عَاقِلاً بَيْنَ مَجانين ، فَإمَّا أن يَنتحِرَ أوْ يُصاب بالجنون .

العَقْلُ الجمعيُّ هُوَ المسيطِرُ على الأنساقِ الاجتماعية . ومَهْما كانَ الإنسانُ قَوِيَّاً ، لَن يَقْدِرَ على مُواجَهة الثقافة الاجتماعية السَّائدة . والسَّباحُ القويُّ لا يَستطيع السِّباحة ضِدَّ التيار . والصَّخرةُ الصَّلبةُ لَن تُوقِف مَجْرَى النَّهْرِ . كَثِيرٌ مِنَ الأفكارِ تَتَرَسَّخُ في المجتمع بِحُكْمِ التراكمية الاعتيادية لا المنطِق العقلانِيِّ . وإذا أَرادَ الإنسانُ مُقاوَمةَ الأوهامِ في المجتمع ، فلا بُدَّ أن يَصطدِم بِحُرَّاسِ القُصور الرملية. وإذا هَدَمَ الموْجُ القُصورَ الرَّمليةَ ، فالكثيرون سَيَكْرَهُون الموْجَ ، ويَعتبرونه مُتوحِّشاً . يُحِبُّ الناسُ المشروباتِ اللذيذة ، حتَّى لَوْ أضَرَّتْ بِصِحَّتِهِم ، ويَكْرَهُون الدَّواءَ الْمُرَّ .

[٢٤٦] حَياةُ الشُّعراءِ تَتَرَكَّزُ في جَعْلِ الْحُبِّ الْمُستحيلِ حُبَّاً مُمْكِنَاً .

إذا كانت السِّياسةُ فَنَّ الْمُمْكِن (الحصول على ما يُمْكِن الحصول عَلَيه ، وإنقاذ ما يُمْكِن إنقاذُه) ، فإنَّ الشِّعْرَ هُوَ فَنُّ جَعْلِ الْمُستحيل مُمْكِناً. فالشاعرُ يُحَوِّلُ الهزائمَ النَّفسية إلى انتصاراتٍ وُجوديةٍ ، ويُعيد الحياةَ إلى الْحُبِّ الْمَيْتِ ، ويَفتح العوالِمَ السِّحرية أمامَ الناس للدُّخول مَجَّاناً .

[٢٤٧] إنَّ الإنسانَ الذي لَيْسَ لَدَيْهِ ما يَخْسَرُهُ هُوَ شَخْصٌ مَيْتٌ لَم يَجِدْ مَن يَدْفِنُهُ .

الإنسانُ وَحْدَةٌ واحدةٌ، وكُلٌّ لا يَتجزَّأ. الغَريزةُ لا تَنفصِلُ عَن المشاعر،والذاكرةُ لا تَنفصِل عن الذِّكريات، والرُّوحُ لا تَنفصِلُ عَن الجسَد . والإنسانُ كَيان اعتباريٌّ لا يَسْتَسْلِمُ ، لأنَّهُ قائدُ عَناصرِ الوُجودِ. والإنسانُ حِينَ يَفْقِدُ الثِّقةَ بِنَفْسِه ، يَفْقِد الثقةَ بالآخرين ، فَيَتَسَاوى عِندَه الوُجودُ والعَدَمُ ، ويُصْبِحُ الإنسانُ مَحسوباً على الأحياء ، وهو في عِدَادِ الأمواتِ الذينَ لَم يَعْرِفُوا عُنوانَ المقبرة.

[٢٤٨] المرأةُ تُحِبُّ الرَّجُلَ الذي يَضْحَكُ عَلَيها ويَلْعَبُ بِمَشاعرها .

المرأةُ لَم تُخْلَقْ لإعمارِ الأرضِ وصِناعةِ الحضارةِ. خُلِقَت المرأةُ للرَّجُل. وسيظلُّ تَفكيرُها مُرَكَّزاً على الرَّجُل . إنَّها إلكترون يَسْبَحُ في مَدَارِ الرَّجُل ، ولَن تَستطيع الهروبَ مِنهُ ، لأنَّ الرَّجُلَ كامنٌ في ذاتها ، وعائشٌ في أحاسيسها . يُولَدُ فِيها ويَموت فِيها . وأثناءَ دَوَرَان المرأةِ في مَدَارِ الرَّجُل ، تَتعلَّق بأوهامه وأمراضه ، وتُصاب بأفكاره وذِكْرياته . وهذا التَّعلقُ يُشْبِهُ تَعَلُّق الغريق بِقَشَّةٍ بَحثاً عَن النَّجاةِ . ورِحلةُ البحث عَن النَّجاةِ تَجعل المرأةَ عائشةً في الأوهام والكلام المعسول ، لأنَّها تَعتبر الكذبَ عَلَيها وَسيلةً للحياةِ ، أمَّا مُصارَحتها بالحقائق الْمُرَّةِ فَهِيَ طَريقُ الموْتِ . وإذا اعترفَ الرَّجُل للمرأةِ بالحقيقةِ يُصبِح ضَحِيَّةً لها . وإذا كَذَبَ عَلَيها يُصبِح سَيِّداً عَلَيها، ومَالِكاً لِمَشاعرها .

[٢٤٩] الآلةُ الإعلاميَّةُ الغربيَّةُ تُحَوِّلُ الجاهِلَ إلى مُفَكِّرٍ عَالَمِيٍّ .

الكاتبُ العربِيُّ لَيْسَ غَبِيّاً ولا جَاهِلاً ، لكنَّ مُشكلته أنَّهُ يَنتمي إلى دُوَلٍ فاشلةٍ ومُنهارة ، لا تَستطيعُ أن تُقَدِّمَه للعَالَم . أمَّا الكاتبُ الغربِيُّ فَيَصُول ويَجُول في هذا العالَم ، لأنَّ وَراءَه دَولة قوية تَفتح له الأبوابَ المغلَقة ، كما أنَّهُ يَنتمي إلى مجتمع مُتقدِّم يَحتوي على ملايين القُرَّاء ، ولَيْسَ ملايين الأُمِّيين كما في الحالة العربية . لذلك ، يُعتبَر الكاتبُ الغربِيُّ عَبقرياً ومُفكِّراً وفَيْلسوفاً ، أمَّا الكاتبُ العربِيُّ فَيُعتبَر مُتخلِّفاً لأنَّهُ يَنتمي إلى العالَم الثالث . وهكذا ، يَدفع الكاتبُ العربِيُّ الثمنَ مَرَّتَيْن . الْمَرَّةُ الأُولَى_ تَضيع عَبقريته في مجتمع مُتخلِّف لاهث وراء الخبز، فَيَدفع الكاتبُ ضَريبةَ تَخَلُّف أبناء جِلْدته . الْمَرَّةُ الثانية _ يَختفي تأثيرُه في ضَجيج النظام السياسيِّ القائم على الجعجعة لا الطحن ، فَيَدفع الكاتبُ ضَريبةَ الانكسارِ السياسيِّ للنظام الحاكم .

[٢٥٠] الشَّرْقُ كالمرأةِ الجميلةِ التي زَوْجُها أعْمَى ، والغَرْبُ كالمرأةِ القَبيحةِ التي زَوْجُها شَاعِر.

لَوْ كَانَ هُناكَ فتاةٌ فائقةُ الْجَمَالِ، لكنَّ والدَها عَامِلُ نظافةٍ. وفتاةٌ قَبيحةٌ ومُقْرِفَةٌ ، لَكِنَّ والدَها وزيرٌ . سَيَطْمَحُ الناسُ إلى مُصَاهَرَة الوزير بسبب مكانته الاجتماعية ، ولا أحدَ يُفكِّر في مُصَاهَرة عامل النظافة مَعَ أنَّ ابْنَتَهُ مَلِكَةُ جَمَال . لَوْ كانَ هُناكَ شَخْصٌ عَبقريٌّ ، لَكِنَّه مَقطوعٌ مِن شَجَرة ، وشَخْصٌ غَبِيٌّ لَكِنَّه يَنتمي إلى قَبيلةٍ كَبيرةٍ . سَيَحْصُلُ الغبيُّ على الوظيفةِ في الدَّولة التي تُسَيْطِرُ

عَلَيها القبائلُ والواسطات والمحسوبيات . وسيظلُّ العَبقريُّ في الشارع لأنَّهُ بِدُون ظَهْرٍ . والزَّوْجُ الأعْمَى لَن يَرى لَوْنَ قَميصِ النَّوْمِ لِزَوجته. ولا فَرْقَ بَيْنَ التَّزَيُّن وعدم التَّزَيُّن ، لأنَّ زَوْجَها لا يَرى في الحالَتَيْن . ومَعَ مُرورِ الوَقْتِ ، سَتَكْتَشِفُ هذه الزَّوجةُ أنَّها تَتَزَيَّنُ لِحِيطانِ غُرفةِ النَّوْمِ التي لا تَشْعُرُ بِها . وعِندَئذٍ ، يُصْبِحُ النَّوْمُ هُوَ تاريخَ الأرَقِ والْحُزنِ والانكسارِ والألَمِ .

[٢٥١] الْحُبُّ مِثْل الكَهْرَباء ، لَن تَشْعُرَ بِهِ إلا إذا لَسَعَكَ .

الْحُبُّ هو البحث عن الشَّرارة التي سَتحْرِق حُقولَ القلبِ والجسدِ . لا تَبْحَثْ عن الحبِّ . اترُك الحبَّ يَبحث عنك . سَوْفَ تَشعرُ باللسعةِ بِدُون إبرةِ النَّحلة . تَلْسَعُكَ الذِّكرياتُ الْمُختلِطة ، فَتَشعر بأحاسيس مُتضارِبة ، وتَدُور بِكَ الدُّنيا . تَشعر أنَّكَ في مَركز الأرضِ . وفي نَفْسِ الوقت ، تَشعر أنَّكَ على هامش الأحداث.تَشعرُ أنَّك سَيِّد وعَبْد في آنٍ معاً.هذا هو الْحُبُّ، لَوعةُ الشُّكوك، وغِيابُ اليقين .

[٢٥٢] كَوكبُ الأرضِ بالكَامِلِ لا يُنَاسِبُ الإنسانَ .

كَوكبُ الأرضِ مَنْفَى لا وَطَن . وهذا الكَوكبُ هُوَ قاعةُ امتحان كبيرة . والنَّتيجةُ تَظهر بعد الموْتِ. وهذه الحياةُ الْمُؤقَّتة وَهْمٌ وسَرابٌ. نَتقاتلُ على احتكارِ الأكاذيبِ، ونَتصارعُ على اقتناصِ الرَّماد. إذا كُنتَ تَعتبِرُ كَوكبَ الأرضِ وَطَناً ، فأنتَ البُؤرةُ المركزيةُ للمَنْفَى . إنَّنا نَغرَق في البحر العَميق . مَشغولون بالغَرَقِ والخلاصِ الفَرديِّ ، وهذا يَمْنَعُنا مِن رُؤية بَر الأمان . نَغرَق في الغَرَقِ ، ونَنتظِر طَوْقَ النَّجاة . لكنَّ الإنسانَ العاجزَ عَن إنقاذ نَفْسِه ، لَن يُنْقِذَه الآخرون .

[٢٥٣] المشاكلُ مَعروفةٌ ، والْحُلُولُ مَعروفةٌ ، لكنَّ الأُمورَ تَزداد سُوءاً .

نُورُ الشَّمْسِ خَطَرٌ حقيقيٌّ على الخفافيشِ . الحرِّيةُ أكبرُ تَهديد لِعُشَّاقِ العُبودية . فَمَثَلاً ، إذا اختفت السُّجونُ ، وكَسَرَ السُّجناءُ قُيودَهم ، فإنَّ الحدَّادين والشُّعراءَ هُم الخاسرون . وإذا غابَ المرضُ ، فإنَّ الأطباء سَيُصْبِحُون عَاطِلين عَن العمل . وإذا تَحَرَّرَت بِلادُنا مِن الاحتلال الأجنبيِّ الْمُباشِر وغَير الْمُباشِر ، فَكَيْفَ سَيُتَاجِرُ الحكامُ العربُ بِشِعَارَاتِ الحرِّية والتَّحرُّر والسِّيادة والوَحْدة الوطنية ومُقاوَمة الإمْبِرْيَالِيَّة ؟ . الجميعُ يَعرِفون حُلولَ الْمُشكلات في المجتمع ، ولكنَّ الحلولَ تُشكِّل خَطَراً على هَيمنة الْمُتنفِّذين ، وتُهدِّد سُلطةَ الْمُرْتَزِقَةِ الذين يَسْرِقُون شُعوبَهم . الدَّاءُ والدَّواءُ مَعروفان ، ولا أحَدَ يَتحرَّك ، لأنَّنا نَعتبِرُ الصِّحةَ أكثر خُطورةً مِنَ المرضِ . لذلك ، تظلُّ حَياتنا في دائرة التَّنظير ، وأفكارنا ضائعة في مَتاهة الشِّعارات .

[٢٥٤] كُلَّمَا اقتربَ الإنسانُ مِنَ الفَلْسَفةِ ابتعدَ عَن المرأة .

الفَلْسَفةُ والمرأةُ ضِدَّان لا يَجتمعان. الفَلْسفةُ هِيَ الوَجْهُ الحقيقيُّ، والمرأةُ هِيَ مِكياجُ الأقنعةِ . الفَلْسفةُ تَمنح الإنسانَ فُرصة اكتشاف حقيقة ذاته ، أمَّا المرأةُ فهي تَقضي حياتها هاربةً مِن ذاتها . تُخفِي عُمُرَها الحقيقيَّ في رِحلة هُروبها مِنَ الزَّمان ، وتَبحث عَن رَجُلٍ يَحتضِنها في رِحلة الخوف من المكان . لَن يَجتمِعَ الضِّدان . والإنسانُ _ عُموماً _ هو الهارب الأبديُّ مِن ذاته . يَقتربُ الإنسانُ مِن نَفْسِه فَيَبتعد عَن نَفْسِه ، لأنَّ نَفْسَهُ هي السراب . ويَقترِب الإنسانُ مِنَ الفَلْسفة ، فَيَبتعد عَن المرأة، لأنَّ المرأةَ هِيَ السَّراب. إنَّ كَلِمَةَ الإنسانِ خالدةٌ بِخُلودِ رُوحه، لكنَّ الجسَدَ للتُّرابِ والدُّود.

[٢٥٥] أنا لا أَسْتَحِقُّ أن تُضَحِّيَ أيَّةُ امرأةٍ مِن أَجْلِي .

لا أُقَدِّمُ نَفْسِي قَائِداً للمُجتمَع ، ولا أعتبِرُ نَفْسِي طَاهِراً مُطَهَّراً ، ولا أُلْقِي تَعاليمَ الشرفِ والطهارةِ على الناس ، وأَقُولُ لَهُم : امْشُوا وَرائي . لا أُلْقِي خُطبةَ الطهارةِ على الناسِ مِن البُرْجِ العَاجي، لأنَّني لا أعتبِرُ نَفْسِي طَاهِراً. أنا شَخْصٌ مَكسورٌ ، أُحاولُ أن أُلَمْلِمَ شَظايا قَلبي . أنا غارقٌ في ذُنوبي وأخطائي ، وأُحاولُ أن أُطَهِّرَ نَفْسِي قَدْرَ الْمُستطاع . أعْرِفُ نِقاطَ قُوَّتي ، وأعْرِفُ نِقاطَ ضَعْفي. أدْعُو المرأةَ إلى الابتعادِ عَنِّي، لأنَّني صَفقةٌ خاسرةٌ. لَن أُقَدِّمَ للمرأةِ غَيْرَ أحزاني وانكساراتي. فالأفضلُ أن تَبحث عَن رَجُلٍ غَيري يُحافِظ عَلَيها ، ويُحقِّق أحلامَها . وفي هذا المناخ ، يَكون للتَّضحية مَعنَى . أمَّا التَّضحيةُ مِن أجل التَّضحية ، فهذا مَشروعٌ خاسر ، ولا جَدْوَى مِنهُ .

[٢٥٦] الحياةُ مِثْل لُعبة كُرَةِ القَدَمِ . هُناك لاعبون أسَاسِيُّون ، ولاعبون احْتِيَاطِيُّون .

الحياةُ لُعبةٌ ظَالِمَةٌ مِثْل كُرة القَدَم. قَد يَفوز الفريقُ بأخطاء تَحكيميةٍ ، وَقَد يَفوز الفريقُ السَّيئُ، لأنَّ تَسجيل الأهداف يَختلِف عن الأداء . والفريقُ الأفضلُ لَيْسَ بالضَّرورة هو الفريق الفائز ، لأنَّ هُناك عوامل كثيرة خارجة عَن إرادة اللاعب ، ولا علاقة لها بمهاراته . والحياةُ غَير عادلة ، لأنَّ الناسَ يَصنعونها ويُشكِّلونها حَسَبَ أهوائهم الْمُتضارِبة ، ومصالحهم النَّفعية . واللهُ جَعَلَ العَالَمَ نِظَاماً مُتَوازِناً لا خَلَل فِيه . لكنَّ الإنسانَ دَمَّرَ هذا النظامَ بِجَهْلِه وطَمَعِه وغُروره وحِقْدِه على أخيه الإنسان . الإنسانُ ذِئبٌ يَفترِسُ أخاه الإنسان . وفي هذا العالَم هُناك لاعبون أساسيون يَصنعون حَياتَهم بأيديهم ، ويَفْرِضُون شُروطَهم على الآخرين ، بِحُكْمِ سُلطتهم ونُفوذهم . وهُناك لاعبون احتياطِيُّون ، لَم يَأخذوا فُرصتهم ، أو أنهم عاجزون عَن تقديم أنفسهم كلاعبين أساسيين. رُبَّما كانوا يَمتلِكون الموهبةَ، ورُبَّما لا يَمتلِكونها . ومَهْمَا يَكُنْ مِن أمْرٍ ، فالموهبةُ وَحْدَها لا تَصنعُ المجدَ . العِبْرةُ لَيْسَتْ في الموهبة ، وإنَّما في تَسويق الموهبة . كَيْفَ يَخرجُ الإنسانُ مِن الزِّحامِ ؟. كَيْفَ

يَخرجُ الصوتُ الشخصيُّ مِن ضَجيج الناس ؟ . كيف يُصْبِح الصَّدى صَوتاً ؟ . كَيْفَ يَستطيع الإنسانُ أن يَترك بصمته الشخصية ويَكونَ الأصلَ في عَالَمٍ مَلِيء بالنُّسخ المزوَّرة والْمُقلَّدة ؟ .

[٢٥٧] في العَالَمِ العَرَبِيِّ لا تُسَاهِمُ جَودةُ الكتابِ في انتشارِه، وإنَّما الضَّجةُ الإعلاميةُ الْمُرَافِقة له.

العَرَبُ قَبائلُ مُتناحِرةٌ خَارِجَ التاريخ . وَهِيَ قَبائلُ هَمَجِيَّة هَذَّبَها الإسلامُ ، ونَقَلَها مِنَ البِدائيةِ والتَّخلف إلى قلب الحضارة ، فصاروا قادةً للحضارةِ ، بَعْدَ أن تَوَحَّدُوا على كَلِمَةِ التَّوحيد . وفي وَقْتِنا الحاليِّ ، الإسلامُ غَير مَوجود على كَوكب الأرض. يُوجِد مُسْلِمُون بِلا إسلامٍ. والأُمَّةُ العربيةُ التي هِيَ أُمَّة (اقْرَأْ) لا تَقْرَأ . فَثُلْثُ العربِ أُمِّيون ، لا يَقْرَؤون ولا يَكتبون . وهذه خطةُ صَنَعَتْها الأنظمةُ الحاكمةُ لِتَجهيل الشُّعوبِ، كَي تظلَّ قَطيعاً جاهلاً يُساق إلى الذبح بلا تَفكير ولا اعتراض. وحتَّى الذينَ يَعرِفون القراءةَ والكتابةَ ، نِسْبَةٌ كَبيرةٌ مِنهُم تُعَادِي العِلْمَ والثقافةَ والفِكْرَ ، لأنَّها تَعيشُ في عوالم الخرافات والعادات والتقاليد ، وتَلْهَث وراء رَغيف الخبز . وفي هذا المناخ الموبوء ، يُصْبِحُ نَشْرُ الكُتبِ عمليةً انتحاريةً، وبِلا تأثير، لأنَّ مثلث الإبداع غَير مُكْتَمِل (الكاتب، الكتاب، القارئ). فالقارئُ غَير مَوجود . وإنْ وُجِدَ القارئُ فالسببُ يَعود إلى الضَّجةِ الإعلامية الْمُرَافِقَة للكتاب، أو فضيحة مُرْتَبِطَة بالكاتب أو الكتاب ، أو بسبب مَنع الكتاب . وكُلُّ مَمنوعٍ مَرغوبٌ.

[٢٥٨] عَدَمُ الزَّواجِ كَارِثَةٌ ، لَكِنَّ الزَّواجَ كَارِثَةٌ أكبر .

القوانينُ في المجتمعاتِ الْمُتخلِّفة تَختلف عن القوانين في المجتمعات الْمُتقدِّمة . والتخلف والتقدم في هذا السياق مُرتبطان بالبُنية الإنسانية المشاعرِيَّة لا الثَّورة الصِّناعية المادية . فأمريكا _ مَثَلاً _ هِيَ دَولة مُتخلِّفة ، حتى لَوْ وَصَلَتْ إلى القَمَر والمرِّيخ، لأنَّها دَولة تَجميعية لا تَمْلِكُ حَضارةً تاريخيةً رَاقيةً ، وَهِيَ فاشلةٌ على الصَّعيد الإنسانيِّ . لَقَد دَمَّرَت الأرضَ ، وذَهَبَت لاكتشاف المرِّيخ . تُنْفِقُ المليارات على أبحاث الفضاء وغَزْو الكواكب ، وفِيها ملايين الفقراء والجِياع والمشرَّدين . هذا هُوَ التَّخلف في أبْهَى صُوَرِه . والأمرُ لا يَقتصِرُ على أمريكا ، ولَكِنَّها أعظمُ دَولة في العالَم ، ومَحَط أنظار سُكانِ الأرضِ . إنَّ انهيارَ القِيَم الإنسانية في هذا العالَم سَلَبَ المعنَى مِن مُؤسسة الزَّواج ، فصارَ تَكوينُ الأُسْرَةِ كارثةً حقيقيةً بسبب غياب المنظومة الأخلاقية في المجتمعات . لَقَد فَقَدَت الأُسْرةُ مَعناها في هذا العالَم الماديِّ الاستهلاكيِّ ، وفَقَدَت المشاعرُ حَقيقتها في المنظومة التكنولوجية التي دَمَّرَت العلاقاتِ الاجتماعية ، وقَضَتْ على البُنية المشاعرية . وفي هذا الجو الكئيب ، حيث يُسيطِر على العالَم قِناعُ الحضارةِ لا الحضارةُ ، صارَ الزَّواجُ نِظَاماً

سِلَعِيَّاً قائماً على الْمُقَايَضَة واحتمالاتِ الرِّبح والخسارة ، وإجراءً مِيكانيكياً يَخلو مِنَ الأبعاد الاجتماعية والروحية والرمزية. أعْرِفُ أنَّ الحياةَ مستمرة، ولَن يَتوقَّف الزواجُ. لَكِنَّ الزَّواجَ في المجتمعات المتخلِّفة شَديد الخطورة ، لأنَّه باختصار قِيام الرَّجل بإنقاذ امرأة غريقة لِيَغرق هُوَ . إنَّها تضحية بلا مَعنى . تَضحية من أجل التَّضحية . وهذا هو الوهمُ القاتلُ . وأنا شَخصياً ، اخترتُ العُزوبيةَ (الدَّمار الجزئيَّ) كَي أتفادَى الدمارَ الكُلِّيَّ (الزواج)، وهذه تَجربتي الشَّخصيةُ، ولا أحْمِلُ الناسَ على ما حَمَلْتُ نَفْسِي عَلَيه . لقد ارتكبتُ أخفَّ الضَّرَرَيْن . وقَناعتي في هذا السياق هِيَ : لا فائدة مِن بِنَاء القِيَم الإيجابية إذا كانَ مُجتمعك هادماً . وسيظلُّ الزواجُ هُوَ الكابوسَ الذي أهْرُبُ مِنه . كُلُّ النساء اللواتي أحببتهنَّ مُتحرِّرات ، نظامُ حياتهنَّ يتصادم مَعَ نظام حياتي. لا يَصْلُحْنَ لِتَكوين أُسرةٍ صالحة. ولِكَي أكُونَ مُنْصِفاً ، أنا أيضاً لا أصْلُحُ أن أُكَوِّنَ أُسرةً صالحةً ، ولا أُبَرِّئُ نَفْسي . وعَلَيَّ وَحْدي أن أعيش في عذاب الذكريات .لا أَقْدِرُ أن أعيشَ إلا مَعَ نَفْسِي . لا أستطيعُ أن أتزوَّجَ إلا نَفْسي . أتزوَّجُ نَفْسي وأُنْجِبُ الأحزانَ التي سَتَحْمِلُ اسْمي . أَغْرَقُ في ذَاتي ، وأُولَد مِن ذَاتي ، وأَقْتُلُ ذَاتي لأَجِدَ ذَاتي . والجديرُ بالذِّكر أن مُمارَسة الجِنس تَقتلُ الجِنسَ ، لأنَّ الشَّيْءَ إذا تَمَّت مُواجهته بِنَفْسِ أُسلوبه ونَفْسِ سِلاحه، فإنَّه يَتلاشى، ويَنتقل مِنَ الضِّد إلى الضِّد . تماماً كما يَحدث في الرياضيات، حيث إنَّ السالب إذا ضُرب بالسالب ، فإنَّ الإشارة تُصبِح " مُوجِب " . نَفْيُ النَّفْيِ إثباتٌ .

[٢٥٩] أنا لا أَصْلُحُ أن أَكُونَ أَبَاً ، والنِّساءُ اللواتي أَحْبَبْتُهُنَّ لا يَصْلُحْنَ أن يَكُنَّ أُمَّهات .

لا أُبَرِّئُ نَفْسي مِنَ الأخطاءِ والخطايا . لا وَقْتَ للتَّبريرِ . الوَقْتُ الذي نَقضيه في تَبريرِ أخطائنا يَكفي لإصلاحِها. مُصَابٌ أنا بالخوفِ مِنَ الالتزام. الْحُبُّ عِندَي هُروبٌ مُستمر . أُحِبُّ أن أمشيَ، وأخافُ أن أَصِلَ . لا أصْلُحُ أن أكُونَ أبَاً . شَخْصٌ مَلِيءٌ بالعُقَد النَّفسيةِ . ماذا سَأُوَرِّثُ أبنائي ؟. اكتئابي والوَسْواس القهريُّ وانكساراتي. سَيَخرجون إلى المجتمع مَرْضَى بالوَهْمِ . الرُّومانسيةُ تَختلِفُ عَن الزَّواج . الرُّومانسيةُ مِثْل الْمُعارَضة السياسية ، والزواجُ مِثْل نِظام الْحُكْم ، والمعارَضةُ دائماً أسهل ، لأنَّها شِعارات رنَّانة ومَجَّانية . أمَّا نِظام الْحُكْم فَمَسؤول عن أرواح الناسِ وأحلامِهم وآمالهم . لَم أكُنْ زِيرَ نِساء ، وشِخصيتي تتعارضُ مَعَ هذه الهِوَاية القاتلةِ . مُجَرَّد إعجاب ، أُسَمِّيه حُبَّاً مَجَازاً . أهربُ مِنَ المرأةِ ، لأنَّها تُريدُني زَوْجاً ، وأنا زَوْجٌ افتراضيٌّ فاشلٌ ، وَهِيَ أيضاً زَوجة افتراضية فاشلة . وكأنَّنا نَلعب في الوَقْتِ الضَّائع ، أو نَشترِك في تمثيلية ، ونَلعب أدواراً عَظيمةً تُغيِّر مَجْرَى التاريخ ، ولكنَّ الواقعَ شَيء مُختلِف تماماً . وكلامُ الليلِ يَمحوه النهارُ . وما تأتي بِه

الريـاحُ تأخـذه الزوابـعُ . لا أصْـلُحُ للزَّواج لأنَّـني رُومانسـيٌّ حَـالِمٌ وعَـائشٌ في الأوهـام . كمـا أنَّـني مُصـابٌ بِعُقَـد نفسـية كثيـرة تِجَـاه النِّسـاء مُنـذُ طُفولتي ، وهـذا يَمْنَعُني مِنَ الزَّواج ، وَزَواجي عمليـة انتحارية . أحْمِلُ بِذرةَ انهياري في داخلي . حَياتي مَوجودةٌ على الوَرَقِ ، وغَير مَوجودة على أرض الواقع . انتهتْ حَياتي مُنذُ إصابتي بالوَسْواس القَهريِّ . وُجودُ امرأةٍ في حياتي بالحلال أو بالحرام عَقبةٌ في طَريق تَحقيق أحلامي . وَقَد كُنتُ ذَكِيّاً عِندَما تَخَلَّصْتُ مِنَ النِّساءِ مَعَ احترامي لَهُنَّ ، لأنَّ قاربي لا يَتَّسِعُ إلا لشخصٍ وَاحدٍ . وَلَوْ كانَ مَعي شَـخْصٌ غَيْري ، سَيَغْرَقُ قاربي حَتْماً . أنا البَحَّارُ الوَحيـدُ . لقد هَرَبْتُ مِنَ المرأةِ ، أحَبَّتْنِي أوْ كَرِهَتْنِي ، أنا الخاسرُ في الحالتَيْن . عِشْتُ وَحيداً ، وسَأرحلُ وَحيداً . أنا شَخْصٌ انطوائِيٌّ ومُنعزِلٌ ، وفاشلٌ اجتماعياً . كَيْفَ أُكَوِّنُ أُسْرَةً صالحةً تَكونُ لَبِنَةً أساسيةً في هذا المجتمع المتخلِّف ؟. أنا مَريضٌ نَفْسِيّاً، فَكَيْفَ أُرَبِّي أبنائي وأتعاملُ مَعَ زَوْجتي ؟ . فَاقِـدُ الشَّـيْءِ لا يُعْطِيـه ، ورُبَّمـا يُعطيـه في حـالاتٍ ضَـيِّقةٍ . وبشـكلٍ عـام ، إنَّـكَ لَـن تَجْنِـيَ مِـنَ الشَّـوْكِ العِنـبَ . ومَـعَ هـذا ، فَعِنـدَما أُلْقِي نَظرةً عَلى هـذا المجتمَـع المتخلِّـف ، أُدْرِك أنَّـني عَبقـريٌّ لأنَّني لَم أتزوَّجْ . ففي هذه البيئة الموبوءة ، مِنَ الصَّعْبِ جَدّاً تَكوين أُسرةٍ صالحةٍ . ما تَبْنِيه أنتَ، يَهْدِمُهُ غَيْرُك. مُؤسَّساتُ الهدمِ تتكاثرُ ، وأنتَ وَحيدٌ . والعقلُ الفَرْدِيُّ لا يَهْزِمُ العقلَ الجمعيَّ. أنا أمتلِكُ الْجُرأةَ لأعترِفَ أنَّني مَريضٌ نَفْسِيّاً ، وأوَّلُ خُطوة للعلاجِ هِيَ الاعترافُ بالمرضِ . ولَكِنْ، هَل المجتمَـع الـذي نعيشُ فِيه هُوَ مُجتمَـع الأنقيـاء مِنَ العُيـوبِ والْمُطهَّرين مِنَ الآثامِ ؟ . هَـل سَـأكُونُ الوَردةَ بَيْنَ القُبورِ ؟ . هَل سَأكُونُ الرُّومانسيَّ الْمُفْعَم بالحياةِ بَيْنَ أكوامِ الْجُثَثِ ؟ .

[٢٦٠] لا يُمْكِنُ للإنسانِ أن يُصْبِحَ فَيْلَسُوفاً إلا إذا عَرَفَ كَيْفَ تُفَكِّرُ الْمُومِساتُ .

الْمُومِسـاتُ أخواتُنـا فـي الإنسـانية ، ويَجِـبُ العَمَـلُ على إنقـاذِهِنَّ . وهـذه النَّظـرةُ هِـيَ الشَّـرَفُ الحقيقـيُّ . والإنسـانيةُ وَحْـدةٌ واحـدةٌ لا تَتجزَّأ . وَلَـوْ فَكَّرْنـا فـي مشـاعرِ المومسـاتِ لا أجسـادِهنَّ ، لَطَهَّرْنا المجتمعَ من الرذيلة . إنَّ الناسَ يَحْتَقِرُون الْمُومساتِ لأنَّهُنَّ يَبِعْنَ أجسادَهُنَّ مِن أجْلِ المالِ ، ولا أحَدَ يُفكِّر في إنقاذِهِنَّ ، أوْ إلقاء طَوْق النَّجاة لَهُنَّ لإخراجهنَّ مِنَ المستنقَع . والناسُ غارقون في النِّفاقِ والرِّياءِ . فَمَثَلاً ، هُم يُعظِّمون الحكامَ العربَ ويَحتقِرُون المومسات . والمومِساتُ أكثرُ شَرَفاً وطَهَارةً مِنَ الحكام العرب، لأنَّ المومساتِ يَبِعْنَ أجسادَهُنَّ أمَّا الحكامُ العربُ فباعوا البلادَ والعِبادَ. والناسُ يُلاحِقُون أخبارَ الممثِّلاتِ ، ويَستمتعون بِمُشاهَدة الراقصات ، لَكِنَّهم ــ في قرارة أنفسهمــ يَحتقرون هؤلاء الْمُتاجِرات بأجسادهنَّ . إنَّهُ الحبُّ والاحتقارُ في آنٍ معاً ، وهكذا يُولَد التناقض في التفكير الإنسانِيِّ . إنَّ التَّنظير الفكريَّ عَن الشَّرَف سَهْلٌ جِدّاً ، ولكنَّ الفِكْرَ الحقيقيَّ

هُوَ تَحويل غَير الشريف إلى شَريف . والإنسانُ إذا عَرَفَ كَيْفَ تُفكِّر المومسات ، فإنَّهُ سَوْفَ يَكْشِف أسرارَ المجتمع ، ويَعْرِف نِقاطَ قُوَّته ونِقاطَ ضَعْفه ، فَيُصبِح فَيْلسوفاً قادراً على وَضْع أفكار الخلاص القابلة للتَّطبيق على أرض الواقع .

[٢٦١] الوَسَطُ الأدبِيُّ مِثْل الوَسَطِ الفَنِّيِّ ، كِلاهُمَا قَذِر .

الوَسَطُ الأدبِيُّ _ كالوسط الفَنِّيِّ _ ، كِلاهُما مَوْبُوء وغَير طاهر . بِيئةٌ قَذِرة ، لا مكانَ فيها للمشاعر الدافئة . مناخٌ قائمٌ على الحسد والحقد والمؤامرات والوِشايات والشِّلَلِيَّة . الكتابةُ قِناعُ الكاتب . والأدوارُ الفَنِّيةُ أقنعةٌ للمُمَثِّلين . والأكاذيبُ تَذُوبُ كالشُّوكولاتة تحت شمس الحقيقة . وإنْ لَم تَكُن ذِئباً ، أكَلَتْكَ الذِّئابُ .

[٢٦٢] أفضلُ طَريقةٍ للتَّخلصِ مِنَ الرُّوتين أن تُقَدِّمَ اسْتِقَالَتَكَ .

الوَظيفةُ قاتلةٌ للإبداعِ ، لأنَّها مَحصورةٌ في دائرة الراتبِ الشَّهريِّ ، بِلا مَشاعر داخلية ولا ذِكريات خارجية . الوظيفةُ هِيَ العُبوديةُ الْمُعاصِرة . الإنسانُ يُقَدِّم عُمُرَه مُقابِل المال . ولكنْ ، هَل مَلأَ عُمُرَه بالإنجازاتِ الحقيقية ؟ . مُشكلةُ الإنسانِ أنَّهُ لا يُفَرِّقُ بَيْنَ العَيشِ والحياةِ . لقد جاءَ إلى هذا الكَوكب ، وعاشَ فِيه ، وماتَ فِيه ، لَكِنَّهُ لَم يَسأل نَفْسَهُ عَن الغاية مِن وُجوده .

[٢٦٣] لا أحَدَ يَأخُذُ مَكَانَ أحَدٍ في هذا العَالَمِ .

كُلُّ حَجَرٍ مَوضوعٌ في مَكَانِه . كُلُّ إلكترون يَتحرَّك في مَدَارِه . كُلُّ إنسان يَسيرُ في طَريقِه ، لِيَأخذ مَكَانَهُ المرسوم لَهُ. مَهْمَا كانَ القَمَرُ جَميلاً، فَلَن يَأخذ مكانَ الشمسِ . ومَهْمَا كانت الشمسُ عَظيمةً فَلَن تأخذ مَكانَ القَمَرِ. سَتأخذُ نَصيبَكَ في هذه الحياة كاملاً غَير مَنقوص، ولَن يَأخذ نَصيبَكَ غَيْرُك . فلا تَقْلَقْ على مَصيرِك . فَكِّرْ في الْمَسارِ ولا تُفكِّر في المصيرِ . أنتَ مُطَالَبٌ بالعَمَلِ ، ولا شَأْنَ لَكَ بالنَّتيجة . نَظِّم الأشياءَ الخاضعةَ لِقُدراتِك ، وانظُرْ أمامَك ، ولا تَبْحَثْ عَن الماوَراءِ . ينبغي أن تُفَرِّقَ بين الأشياء المضمونة لَكَ والأشياءِ المطلوبةِ مِنكَ .

[٢٦٤] السِّياسةُ فَلسفةُ التَّرقيع ، والأدبُ فَلْسفةُ الصَّعْقِ .

السِّياسةُ لُعبةُ الأغنياءِ ، ولا يَعْرِفُون كَيْفَ يَلْعَبُونها ، لأنهم يَعتبرونها صَفقةً تِجاريةً ، ووَجاهةً عشائريةً، وحَفلاتٍ في الفنادقِ الفَخْمة. السياسةُ هِيَ فَنُّ قَتْلِ الشُّعوبِ والمشي في جِنازتها. السياسةُ هِيَ أن يَكتبَ القاتلُ قَصيدةَ رِثاء للمقتول. السِّياسةُ في المجتمعاتِ المتخلِّفةِ هِيَ لُعبة قِمار . الحاكمُ هُوَ لاعبُ القِمار . والشعبُ هُوَ الخاسرُ دائماً . أمَّا الأدبُ فَهُوَ تَقديم الدَّواء الْمُرِّ للمريض كَي يَشْفَى. إنَّهُ الصَّعْقُ الكهربائيُّ لإعادة الحياةِ في الجسد القتيل .

[٢٦٥] إذا وَضَعْتَ مَصِيرَكَ في أيْدِي الآخرين ، فَشَيْءٌ طَبيعيٌّ أن يَلْعَبُوا بِكَ .

لَن تَجِدَ شَخصاً يَثِقُ بِكَ أكثرَ مِن ثِقتك بِنَفْسِك . لَن تَجِدَ شَخصاً يَحْرِص على مَصلحتك أكثرَ مِنكَ . أنتَ الطريقُ ، فامْشِ في طَريقِك وَحيداً . ولا تَنتظِرْ ضَوْءَ عَمود الكهرباء . قَلْبُكَ هو المِصباح ، فامْشِ إلى الأمامِ ، ولا تَلتفِتْ إلى الوراء . مَن يَعْرِفْ طَريقَهُ لا يَلتفِتْ أثناءَ سَيْره . اسْبَحْ في بَحْرِ الذِّكرياتِ والأحلامِ وَحْدَكَ ، ولا تَنتظِرْ طَوْقَ النَّجاةِ ، لَن يَأتِيَ أحَدٌ كَي يُقَدِّمَ لَكَ طَوق النَّجاة . فَانْجُ بِنَفْسِكَ. رُبَّما يَبْكُونَ عَلَيْكَ بَعْدَ مَوْتِكَ يَوماً أو شَهْراً، وبعد ذلك سَوْفَ يَنْسَى الناسُ وَجْهَكَ. سَتَكُونُ جُزءاً مِنَ الذِّكرياتِ المنسِيَّة في حُفرة الذاكرة العميقة . فاحْفِرْ قَبْرَكَ بِنَفْسِكَ ، ولا تنتظِرْ حَفَّارَ القُبور . لا تَثِقْ إلا بِيَدَيْكَ وفَأْسِكَ . أرْمَلَتُكَ سَتَتَزَوَّجُ غَيْرَكَ ، وسَوْفَ تَقول لِزَوْجِها الجديدِ كلامَ الحبِّ القديمِ الذي قَالَتْهُ لَكَ يَوماً ما . سَوْفَ يَتقاسمُ أبناؤُكَ المِيراثَ ، وتَذهب إلى النسيان في زَحمة الصراع على الأموال . جِسْمُك هُوَ قائدُ المعركةِ ، وأعضاؤُك هِيَ الأسلحة . أنتَ الْمُخَلِّصُ والْخَلاصُ . خَلِّصْ نَفْسَكَ بِنَفْسِكَ . ولا تَضَعْ بَيْضَكَ في سَلَّةِ الآخرين ، ولا تَلُمْهُم إذا خَذَلُوكَ . لُمْ نَفْسَكَ ، لأنَّكَ خَذَلْتَ نَفْسَكَ بأنْ وَضَعْتَ مَصيرَها في أيدي الآخرين. ومَن وَضَعَ مَصِيرَه في أيدي الآخرين ، فَسَوْفَ يَلعبون به ، وَمَن يَعرِف نِقاطَ ضَعْفِك سَيَقتلك .

[٢٦٦] في التناقضاتِ الاجتماعيةِ الصَّارخةِ ، تَظهرُ مَشاعرُ الناسِ الحقيقيةُ .

لَوْ أحبَّ شَابٌّ مِنَ الإخوانِ المسلمين امرأةً تَنتمي إلى الحزبِ الشُّيوعيِّ . لَوْ أحبَّ زَعيم الْمُعارَضة ابنةَ رئيس الدَّولة. لَوْ أحبَّ عاملُ النَّظافةِ أميرةً تَنتمي إلى أُسرةٍ حاكمةٍ . ما هي التَّغيرات التي تَطْرَأ على خارطة المشاعر ؟ . هل الأحاسيسُ لها علاقة بالمنطق ؟ . الإنسانُ هو الإنسان ، ولَكِنَّ الإنسانَ يأتي إلى هذا العالَم وهو يَحْمِل بَصماتٍ اجتماعية كالجِينات الوِراثِيَّة . والدُّنيا مَبْنِيَّةٌ على التَّفاوُت الطبقيِّ . هَل يَقْبَلُ الحاكمُ أن يَأكل مَعَ المحكوم في صَحْنٍ واحدٍ ؟ . هَل يجب على الإنسانِ أن يُغيِّر جِلْدَهُ حَتَّى يَحْصُلَ عَلى هُوِيَّة جديدة ؟ .

[٢٦٧] أنا لا أَشْعُرُ بالْحَنَان ، فَلا يُمْكِنُني أن أَمْنَحَهُ لِزَوْجَةٍ وأطفالٍ .

قَلبي بَعْدَ الشَّركسياتِ مَات . كُنتُ صَقراً ، وأنا الآنَ حَشَرَةٌ تَخافُ مِن ظِلِّها . إنَّ الأشخاصَ الذين شَاهَدُوني وأنا صَقْرٌ ، لَم يُشاهدوني وأنا حشرة ، والأشخاصَ الذين شَاهَدُوني وأنا حشرة ، لَم يُشَاهِدُوني وأنا صَقْرٌ . أُعاني مِنَ الجفافِ العاطفيِّ . أخافُ مِن نَفْسِي والآخرين . فَقَدْتُ الثِّقةَ بِذِكْرياتي ، وأهْرُبُ مِن أنيابِ الماضي . المشكلةُ كامنةٌ في ذَاتي ، ولا أُبَرِّرُ ضَعفي ، ولا أَلُومُ الآخرين . كُنتُ أرجو أن أكُونَ شَخصاً طَبيعياً يَتزوَّجُ المرأةَ التي أحَبَّها ، ويُكوِّن أُسرةً صالحةً في

مُجتمَع صالح . ولكنَّ الحياةَ على أرضِ الواقع أصعبُ بكثير مِنَ الحياةِ على الوَرَق . لَوْ تَزَوَّجْتُ لَقَضَيْتُ على مُسْتَقْبَلِ المرأةِ التي أحْبَبْتُها وأحَبَّتْنِي ، ودَمَّرْتُ حَياتها . الحنانُ والأمانُ والاستقرارُ مَفاهيم أتحدَّثُ عَنها ولا أشْعُرُ بِها . فَكَيْفَ أمْنَحُها للأُسرةِ والأولادِ وفاقدُ الشَّيء لا يُعطيه ؟! . أُريدُ أن أدفعَ ضَريبةَ الْحُزْنِ وَحيداً ، ولا دَاعِي أن أُوَرِّطَ امرأةً مَعي، أو أُدَمِّر حياةَ أبناء مُفْتَرَضِين . وعَلى أيَّة حال ، لا أمْلِكُ إلا القتال حتَّى الرَّمق الأخير. لا مجال للاستسلام . ولا مَعنَى لِرَفْع الراية البَيضاء ، لأنَّني لا أمْلِكُ رَايةً بَيضاء . سأمشي في طَريقي وَحيداً ، مُسَلَّحاً بالإيمانِ باللهِ ، وأرْجُو أن تَتجذَّر فِيَّ حَقيقة الإيمان ، ومَن عَرَفَ حَقيقةَ الإيمانِ عَرَفَ الأمْنَ والأمانَ . ولا أُقَدِّمُ نَفْسِي كَشخصٍ مُطهَّر مِنَ العُيوب والآثام .

[٢٦٨] أشْعُرُ بالأمانِ حِينَ أكُونُ مُحَاطاً بالكُتُبِ .

الكتابُ هُوَ حياةُ صَاحِبِه . والكلماتُ هِيَ سَنواتُ عُمُرِه . والكاتبُ يُحَوِّلُ دَمَهُ إلى حِبْرٍ ، ويَنقل الأيامَ التي عاشها مِن دائرة الواقع الفاني إلى رَمزيةِ اللغةِ الخالدةِ . وحِينَ أجلسُ بَيْنَ الكُتب، وأُحَدِّقُ فِيها ، أرى حَيَوَاتٍ كَثيرة لأشخاص عاشوا، ورَفَضوا أن يَموتوا . لقد تَرَكوا بَصمةَ الخلودِ بَعْدَ أن استثمروا في اللغةِ ، ولَم يَستثمروا في التراب .

[٢٦٩] وَظيفةُ الكَاتبِ أن يَزْرَعَ . ولا أحَدَ يَعْرِفُ مَوْعِدَ الحصَادِ أوْ هُوِيَّةَ الحاصِدِ .

حَركةُ التاريخِ هِيَ مَسارٌ وَاحدٌ لا ثَغرات فِيه ولا فَواصل . والبَصمةُ الإنسانيةُ على كَوْكَبِ الأرضِ بَصْمةٌ واحدةٌ وَوَحْدَةٌ واحدةٌ. كُلُّ الأنهارِ تَصُبُّ في بَحْرٍ وَاحدٍ.والإنسانيةُ في سَفينةٍ وَاحدةٍ، إمَّا النَّجاةُ مَعَاً أو الغَرَق مَعَاً . والكاتبُ يَتْرُك بَصمته في تاريخ الوجود الإنسانيِّ ، ويَزرع في كُلِّ الحقول . ولَيْسَ مِنَ المنطق أن يُضيِّع وَقْتَه في انتظارِ الحصادِ ، لأنَّ مَوْعِدَ الحصادَ مَجهولٌ ، ولَيْسَ شَرْطاً أن يَكُونَ الزارعُ هُوَ الحاصدَ . المهمُّ أن الكاتبَ أدَّى وَظيفته على أكْمِل وَجْهٍ ، وأوْصَلَ رِسالته إلى الناس ، وقالَ كَلِمَته في هذا العالَم قبل أن يَموت جَسَدِيَّاً . فالكاتبُ يَظَلُّ خالداً ، لأنَّهُ وَضَعَ حياته في قلب اللغة ، واللغةُ خالدةٌ . والكَلِمَةُ تظلُّ في الفَضاءِ ، ولا تأكُلُها الأرضُ .

[٢٧٠] إذا أَرَدْتَ أن تَصِلَ إلى هَدَفِكَ ، فلا بُدَّ أن تُزيحَ نَفْسَكَ مِن طَريقِك .

نَفْسُكَ التي بَيْنَ جَنْبَيْكَ هِيَ عَدُوُّكَ الأوَّلُ . إنَّها العَقَبةُ في طَريقِك . لَن تَصِلَ إلى هَدَفِكَ إلا بالتَّخلص من هذه العَقَبة الكَؤود . إنَّ نَفْسَكَ هِيَ حَامِلَةُ المعنَى . وعِندَما تَحْصُل على المعنَى تَخَلَّصْ مِنها . إنَّ الْهَدِيَّةَ الثمينةَ تُحْمَلُ في كِيسٍ رَخيصٍ . نَحْصُلُ على الهديةِ ثُمَّ نَرْمِي الكِيسَ . فالعِبْرَةُ بالمحمولِ لا الحاملِ . وفَلسفةُ المعنَى هِيَ الانقلابُ . انقَلِبْ عَلى نَفْسِكَ تَجِدْ نَفْسَكَ .

[٢٧١] إنَّ اللهَ ابْتَلاني بالوَسْواسِ القَهْرِيِّ كَي يَمْنَعَنِي مِنَ التَّحَوُّلِ إلى زِيرِ نِساء .

لا تُوجَد صُدفةٌ في هذا العالَم . كُلُّ شَيْءٍ لَهُ حِكْمَةٌ بَليغةٌ . كُلُّ ذَرَّةٍ مَوضوعةٌ في مَوْقِعِها بِشَكْلٍ دَقيقٍ . والإنسانُ الجاهلُ دَمَّرَ جِسْمَهُ ، لأنَّهُ يَلعبُ بِجِسْمِه ، ودَمَّرَ عَقْلَهُ ، لأنَّهُ أهانَ عَقْلَهُ بأنْ حَمَّلَهُ فَوْقَ طاقته . ثِقْ بِعَقْلِكَ ضِمْنَ الحدودِ المرسومة للعَقْلِ ، لأنَّ العَقْلَ إذا خَرَجَ عَن مَدَاره ، سَوْفَ يَخُونُك ، ويُصَوِّرُ لَكَ الأوهامَ كحقائق ، ويَجعل الخيالاتِ واقعاً مَحسوساً .

[٢٧٢] لا فَرْقَ بَيْنَ الضَّوْءِ القَوِيِّ والظلامِ .

الضَّوْءُ لَيْسَ مَقصوداً لِذَاته . الضَّوْءُ وَسيلةٌ لا هَدَفٌ . عِندَما نَمشي إلى الضَّوْءِ في آخِرِ النَّفَقِ ، لا نَمشي حُبّاً للضَّوْءِ أوْ شَوقاً إلَيه ، وإنَّما نَمشي إلى طَريقِ الخلاصِ . المهمُّ هُوَ الشارعُ لا عَمود الكَهْرباء. نَستخدِمُ الفأسَ في مناجم الذهب، للحصول على الذهب، ثُمَّ نَضَعُ الفأسَ جَانباً . ولا أحَدَ يُفكِّر بِلَمَعان الفأس حِينَ يَرى لَمعانَ الذهب . المحكومُ بالإعدامِ يُفكِّر بالموْتِ ولا يُفكِّر في لَمَعَانِ المِقْصلة أوْ بَريقِ حَبْلِ المِشْنقةِ . وحِينَ تَكُونُ الوسيلةُ عَنيفةً ، لا تُوصِل إلى الهدف . وعِندئذٍ، يَتساوَى الوجودُ والعَدَمُ ، وتُصْبِحُ الوسيلةُ مَتاهةً لا طَريقاً إلى الهدفِ . وإذا كان الضَّوءُ قوياً ، فإنَّهُ يَتساوَى مَعَ الظلام ، لأنَّ كِلَيْهِمَا يُؤدِّي إلى الضياع .

[٢٧٣] شَيْءٌ مُؤلِمٌ أنَّني لَن أَجِدَ امرأةً تَبْكي عَلَيَّ بَعْدَ شَنْقي .

ذَهَبَ المعنَى الإنسانِيُّ إلى طَوايا النِّسيان ، وصِرْتُ وَحيداً . أعيشُ في دائرة الذِّكرياتِ . أنا حَجَرُ الرَّحى الذي لا يَتْعَبُ مِنَ الدَّوَرَان. أعيشُ مَعَ وُجوه الموتى، وأنسَى وَجْهي في زَحْمةِ الوُجوهِ. يَختفي صَوتي في ضَجيج أشجارِ المقابرِ . وَاثِقٌ أنَّ شَخصاً مَا سَيَحْفِرُ قَبري ، لَكِنِّي وَاثقٌ أنْ لا أحدَ سَيَبكي عَلَيَّ ، لأنَّ الأمواتَ لا يَبْكُون على الميْت ، والغَرْقَى لا يُفكِّرون في إنقاذ الغريق .

[٢٧٤] الْمُوَظَّفُ المنبوذُ في العالَمِ العربِيِّ هُوَ الذي يُؤدِّي عَمَلَهُ بإتقان .

إذا كُنتَ شَريفاً بَيْنَ اللصوصِ . فإمَّا أن تَهْرُبَ مِن هذا العالَم ، أوْ تُصْبِح لِصّاً مِثْلَهُم ، أوْ يُنظَر إلَيك كشخص شاذ ومَشبوه ، أوْ تَعمل على إصلاحهم . وعمليةُ الإصلاحِ صَعبةٌ للغايةِ ، لأنَّ العقلَ الفرديَّ سَيَصْطَدِمُ بالعقلِ الجمعيِّ . والعالَمُ العَرَبِيُّ هُوَ مِثَالٌ واضحٌ للفَشَلِ والفَسادِ والانهيارِ . لذلك ، فالموظفُ الشَّريفُ الذي يُتقِن عَمَلَهُ يُشكِّل خَطَرّاً حقيقياً على الآخرين الغارقين في الفساد والروتين والْمَلَل ، لأنَّهُ يَكشِف انحرافَهم ، ويَفضَح ألاعيبَهم .

[٢٧٥] الْمُعَلِّمُ الْمُتَمَكِّنُ مَن يَصْنَعُ تَلاميذَ يَتَفَوَّقُونَ عَلَيه .

المعلِّمُ التَّافهُ هُوَ الذي يَقِفُ عَقَبَةً في طَريقِ تلاميذِه كَي يَمْنَعَهُم مِنَ التَّفَوُّق عَلَيه، أوْ يُبْعِدَهُم عَن الطريق خَوْفاً على اسْمِه ومَنْصِبِه ، وكَي يَظَلَّ هُوَ في بُؤرة الضَّوء ، ويَتوارَى التلاميذُ في الظِّل . وهذا الشَّخصُ لَم يَعْرِف حقيقةَ العِلْمِ . إنَّهُ يَعتبرُ العِلْمَ سِبَاقاً للحصول على الشُّهرةِ ، والرَّاتبِ ، والْمَنْصِب . وهذا الانحرافُ الأخلاقِيُّ أكبرُ تَهديد لمسيرةِ العِلْم والعُلَماء . إنَّ التلميذَ امتدادٌ لأستاذِه كما أنَّ الابنَ امتدادٌ لأبيه . وهذا الامتدادُ لا يَعني طَمْس الْهُوِيَّة الشَّخصية ، أو العَيش في ظِلِّ المعلِّم ، وإنما هُوَ امتدادٌ رُوحِيٌّ ، وكُلُّ وَاحدٍ يَتْرُك بَصمته الخاصة . والتِّلميذُ يُكْمِلُ مَسيرةَ أُستاذه ، يَنْشُرُ نِقَاطَ القُوَّة لِمُعلِّمه ويَمْدَحُها ، ويَكْشِفُ نِقَاطَ الضَّعْفِ عِندَ مُعلِّمه ، ويَرُدُّ على أخطائه بأدبٍ وعِلْمٍ . وهذا هُوَ الوفاءُ للعِلْمِ ، لأنَّ العِلْمَ لَيْسَ تَقديساً للأشخاصِ ، ولا تَصنيماً للأفكار ، بَل هُوَ عَقلية النَّقْد والنَّقْض . والتِّلميذُ الذي يَتَفَوَّقُ على مُعَلِّمه ، إنَّما يَصنع تاريخاً مَجيداً لَهُ ولِمُعَلِّمِه مَعَاً .

[٢٧٦] عِندَما يَصِلُ الحِوَارُ إلى طَرِيقٍ مَسْدُودٍ ، فأسهلُ كَلِمَة لِوَصْفِ الخصم هِيَ " عَميل " .

نَعيشُ في مُجتمَعٍ بِدَائيٍّ عَنيفٍ ، لا يَعْرِفُ أُسَسَ الحِوارِ ، ولا فَن الاستماع إلى الطرف الآخَر . مُجتمَعٌ جَاهِلٌ يَعتبِرُ الرَّأْيَ الآخَرَ خِيانةً. مُجتمع يَشُكُّ في نَفْسِه، نِصْفُه عُمَلاء للحُكومة ، والنِّصْفُ الآخَر مُرْتَزِقَة، يَخافون مِنَ الكلامِ، لأنَّهم يَنتظِرُون الراتبَ الشهريَّ . هذه هِيَ نَظرة المجتمع لِنَفْسِه.

[٢٧٧] المرأةُ التي أُحِبُّها ، لا أُحِبُّ أن أتزَوَّجَهَا .

الْحُبُّ هُوَ الْهُرُوبُ مِنَ الْحُبِّ . قَضَيْتُ حَياتي هَارِباً مِنَ الْحُبِّ ، ولا أزالُ هارباً . الرُّومانسيةُ الحالمةُ شَيء ، والزَّواجُ شَيْء آخَر . أعيشُ الْحُبَّ في عوالم الحِبْرِ والوَهْمِ ، ولا أعيشُه في الواقع . أهْرُبُ مِنَ المرأةِ التي أُحِبُّها . لا أُرِيدُها أن تَرتبطَ بإنسان فاشل مِثْلي . لا أُريدُ أن أُوَرِّطَها مَعي . الْحُبُّ هُوَ التَّضحيةُ لا الامتلاكُ. أُحافِظُ على صُورتي كَمَزهريةٍ لا تُخْدَشُ.الزَّواجُ يَكْشِفُ الوُجوهَ، ويَكْسِرُ الأقنعةَ. الحقيقةُ مُخيفةٌ لأنَّها تَجْرَحُ. والالتزامُ صَخرةٌ على ظَهْري تَمْنَعُني مِنَ الانطلاق . أهْرُبُ مِنَ المرأةِ التي أُحِبُّها كَي أَظَلَّ في ذِهْنَها أَيقونةً رَفيعةَ القَدْرِ، وتَظَلَّ في ذِكرياتي حُلْمَاً أُسطورياً بَعيدَ الْمَنال . لا أستطيعُ أن أتَخَيَّلَها في المطبخِ ورَائحتها بَصَل ، أوْ أنَّها تَرْتدي ثِياباً رَثَّةً للتَّنظيفِ وجَلْيِ الصُّحون . المرأةُ التي أُحِبُّها أبتعدُ عَنها ، لأنَّها إذا دَخَلَتْ مَدَاري سَتَحترِقُ . لا أُريدُ أن أَدْفِنَها مَعي في الحياةِ . المرأةُ التي أُحِبُّها أُحَوِّلُها إلى أُنثَى رَمزيةٍ أُسطوريةٍ مُحَاطَةٍ بالضَّوْءِ الوَهَّاجِ . أرى فِيها صُورةَ أُمِّي ، ولا أستطيعُ الاقترابَ مِنها . أبْحَثُ عَن صُورةِ أُمِّي في النِّساءِ . أمشي ولا

أصِلُ . لا أقْدِرُ أن ألْمِسَ الأيقونةَ . كُلُّ تفاصيلِ حَيَاتي هِيَ عَذَابٌ ذِهْنِيٌّ . حَرْبٌ أهْلِيَّةٌ دَاخِلَ جِسْمي . عَقْلي صَنَعَ أمجادي، وَهُوَ الذي سَيَهْدِمُهَا. مَجْدي زَائلٌ ، وَجَسَدي فَانٍ ، وكَلِمَتي باقيةٌ . أحترِقُ مِنَ الدَّاخِلِ . أتفجَّرُ مِنَ الدَّاخلِ . أعضائي تُقَاتِلُ أعضائي . كَانَ هَاجِسُ الانتحارِ يُسيطِرُ عَلى عَقْلي ، لَكِنِّي كُنْتُ أُقَاتِلُ نَفْسِي كَي أَطْرُدَهُ ، وأستعيدَ ثِقَتِي بِنَفْسِي والعالَمِ . أنا مُرتاحُ الضَّميرِ ، لأنَّهُ لَيْسَ لِي زَوجة ولا أبناء . لَيْسَ لِي أُسْرَةٌ أقْضِي على مُستقبلها . لا أُريدُهم أن يَتَعَذَّبوا مَعي . لَقَد وَرَّثْتُهُم نِعْمَةَ العَدَمِ ، وَهِيَ مِن أكبرِ النِّعَمِ .

[٢٧٨] تَعَمَّقْتُ كَثيراً في الفَلْسَفةِ حَتَّى صِرْتُ أشْعُرُ أنَّني عَاجِزٌ جِنسِيَّاً .

طِيلة حَياتي، وأنا أبحثُ عَن شَيء أكثر عُمقاً مِنَ الجِنس . والفَلْسفةُ تَجعل المرأةَ وَرقةً مَحروقةً، ومَشروعاً خاسراً . إنَّ البُنيةَ العقليةَ في الفَلْسفةِ شَديدةُ التَّعقيد ، وَهِيَ عِبْءٌ ثَقيل على كَاهِلِ الإنسانية. أسْبَحُ في أعماقِ الفَلسفةِ فأشعرُ أنَّني أحْمِلُ على أكتافي تاريخَ انهيارِ الحضاراتِ . لَسْتُ عَاجِزاً جِنسِيَّاً ، لَكِنَّ الفَلْسفةَ صَخرةٌ ثَقيلةٌ يَجِبُ أن أحْمِلَها ، وهذا الأمرُ يَجعلني أشعرُ أنَّني عاجزٌ جِنسِيَّاً. لذلك ، لَوْ تَزَوَّجْتُ سأفشلُ في لَيْلةِ الدُّخلةِ حَتْماً ، بسبب الأعباء الثقيلة على كَاهِلي ، والتَّشويشِ الرهيب في ذِهني . والجِنسُ يَعتمِدُ على صَفاء الذِّهْنِ والتَّركيز العالي . إنَّ الفلسفةَ سِباحةٌ في المنطقة العميقةِ تَحْتَ الضغط الهستيريِّ . عَقْلي يَكادُ يَنفجِرُ . كُنتُ أُخَفِّفُ عَن نَفْسي بالبُكاء . أمشي في شوارعِ الليلِ وأبكي . ولا يَرى دُموعي إلا ضَوْءُ القَمَرِ وشَجَرُ الوَداع .

[٢٧٩] الفَيْلَسُوفُ هُوَ شَخْصٌ عَادِيٌّ يَبْحَثُ عَن اللذَّةِ بَعيداً عَن المالِ والطعامِ والجِنْسِ .

مُتعةُ الفَيلسوفِ تَكْمُنُ في التَّنظيرِ لمجتمَع المستقبَل، وتَأسيسِ الأفكار المعرفية القابلة للتَّطبيق . هذه الْمُتعةُ العَقليةُ تَنْقُل الأحاسيسَ البشريةَ مِن دائرة الشَّهوة إلى فَضاء الحياةِ، والحياةُ هِيَ السَّعادة العُظمى بِشَرْطِ اشتمالها على مَعْنَى الْخَلاصِ . ولَوْ سَأَلْنَا المحكومَ بالإعدام: هَل تُريدُ مالاً أَم طَعاماً أَم مُمارَسة الجِنس ؟ . لأجابَ بِلا تَفكير : أُريدُ الحياةَ .

[٢٨٠] عِندَما يَصِلُ الإنسانُ إلى رُتبة " فَيْلَسُوف " فإنَّهُ يَتزوَّجُ نَفْسَه .

الإنسانُ يَبدأ رِحلةَ البَحْثِ عَن إنسانيته ، وحِينَ يَجِدُها يَبدأ رِحلةَ البحث عَن الفِكْرِ الإنسانِيِّ، وحِينَ يَجِدُه يَبدأ رِحْلةَ البحث عَن معنى الفكر الإنسانِيِّ داخل أنساقِ الحياة . وإذا وَجَدَ المعنَى صَارَ فَيْلَسُوفاً. والفَيْلسوفُ شَخْصٌ يَتمتَّعُ بالاكتفاء الذاتِيِّ رُوحِيَّاً، فَيَعْشَقُ أفكارَه، ويَتزوَّجُ نَفْسَه ، ويُصْبِحُ جِسْمُه مُؤسَّسةً قائمةً بِذَاتها . والإنسانُ حِينَ يَصِلُ إلى رُتبة فَيْلَسُوف ، يَسْتغني عن الزَّواج

لأنَّه يَتزوَّجُ نَفْسَه،ويَستغني عَن المرأةِ، لأنَّ جَمَالَ الفِكْرةِ وإغراءَها أقوى مِن جَمَال المرأةِ وإغرائها، ويُصْبِحُ خَالِداً ، لأنَّهُ يَستثمِرُ في فَلْسفةِ اللغةِ وجَسَدِ التاريخ ولا يَستثمِرُ في أجسادِ العَوانسِ ، ويُصْبِحُ مَارِدَاً ، لأنَّ العالَم يَنطفِئُ أمامَه ، وقَلْبَهُ يَمْتَصُّ كُلَّ الصَّدَمات ، والضَّربةُ التي لا تَقتلك تُحييك ، وتَزيدك قُوَّةً . وبشكلٍ عام ، إنَّ الإنسانَ عِندَما يصل إلى رُتبةِ فَيْلَسوف ، يَنطفِئُ العَالَمُ أمامَه، ويَختفي الرِّجالُ والنِّساءُ، فَيَتَزَوَّجُ نَفْسَهُ، ويَتَّحِدُ بِذَاته، ويُصْبِحُ الزمانُ والمكانُ شَيئاً واحداً.

[٢٨١] الْحُلْمُ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ إلا الْحُلْم .

الْحُلْمُ وُجِدَ لِتَغييرِ الواقع، ولَيْسَ مِن أجل النَّوْمِ. لذلكَ، فالْحُلْمُ مُرتبِطٌ بالواقع أكثرُ مِن ارتباطه بالخيالِ . إنَّ الْحُلْمَ والْخَيَالَ هُما القاعدتان اللتان يَقوم عَلَيهما الواقعُ. وهُما وَسيلتان لِنَقل الأفكار الذهنية مِن حَيِّز الْمُمارَسة العقلية إلى أرضِ الواقع . وكُلُّ تَطبيقٍ واقعيٍّ لا بُدَّ أن يَسبقه تَصَوُّرٌ ذِهنيٌّ خَيَالِيٌّ . فالأفكارُ تُولَد في الذِّهن ثُمَّ يَتِمُّ إنزاله على الواقعِ ،كالسَّفينةِ التي تُبْنَى على اليابسةِ ، ثُمَّ يَتِمُّ إنزالها في البَحْرِ ، وكالعِمارةِ التي تُصَمَّمُ على الورق ، ثُمَّ تُبْنَى على الأرضِ .

[٢٨٢] إذا كانت النِّساءُ يَتَسَاقَطْنَ عَلَيْكَ كالذبابِ ، فإمَّا أن تَكُونَ عَسَلاً أَوْ مَزْبَلةً .

كَثرةُ التَّفكيرِ في المرأةِ مَضْيَعةٌ للوَقْتِ ، لأنَّ المرأةَ لا تُقدِّم ولا تُؤخِّر . عَقْلُها مَحصورٌ في الإطار العاطفيِّ ، وجَسَدُها مَنذورٌ للحَمْلِ والولادةِ . ومِقْياسُ الرُّجولةِ لا علاقة له بالْمُعْجَبَاتِ . والرَّجُلُ لا يَنتظِرُ امرأةً تُحِبُّه أوْ تَلْهَث وَراءه لِكَي يَستشعر رُجولته وفُحولته ، ويَعْرِف قُدراته الفائقة . الرَّجُلُ هُوَ الْمُكْتَفِي بِرُجولته ، والمرأةُ لا تَحْكُم لَهُ ولا عَلَيه. عَلَيه أن يَثِقَ بِنَفْسِه بَعيداً عن العلاقات النِّسائية، ولا يَلتفت إلى فِكْرة الْمُعْجَبَات، ولا يَفْرَح بِوُجودهنَّ .ففي مُجتمَع العوانس، مِن الطبيعيِّ أن يَشْعُرَ الرَّجُلُ أنَّ لَدَيه مُعْجَبَاتٍ كَثيرات ، لأنهنَّ يَعْتَبِرْنَهُ صَيداً ثَميناً ، وفَريسةً يجب اقتناصُها.

[٢٨٣] البُكاءُ جُزْءٌ أساسِيٌّ مِنَ الرُّجولة .

أصعبُ شَيء على الإنسان ألا يَجِدَ وقتاً للبكاء . والإنسانُ الذي لا يَبكي لَيْسَ رَجُلاً، وإنَّما حَجَرٌ بِلا مَشاعر . يَنبغي على الرَّجُل أن يَتعوَّد على البكاءِ. ولكنْ ، لا يَبكي بَيْنَ الناس ، بَل يَبكي في غُرفةٍ مُغلَقة ، ثُمَّ يَخْرُج ويَغسِل وَجْهَه بالماء والصابون دُون أن يَراه أحَدٌ، كأنَّ شَيئاً لَم يَكُنْ. البُكاءُ يُزيلَ الضَّغْطَ عَن الرَّجُل، ويُحسِّن مِزاجَه، ويُشْعِره بالراحة والانتعاش والثِّقة بالنَّفْس .

[٢٨٤] الدُّوَلُ الفاشلةُ لا تَبْحَثُ عَن النَّصْرِ أو المجدِ ، وإنَّما تَبْحَثُ عَن تَقليلِ الخسائر .

كُلُّ دَولة تتحرَّك على المسرح الدَّوْلِيِّ حَسَبَ إمكانياتها . وكُلُّ إنسان يَتحرَّك في المجتمَع وَفْقَ قُدراته. والدَّولةُ هِيَ الحاضنةُ للأفراد والجماعات. والفردُ حِينَ يَنتمي إلى دَولة ضَعيفة، فَهُوَ ضَعيف

حتَّى لَوْ كانَ قَوِيًّا وغَنِيًّا ، لأنَّ قُوَّةَ الْمُوَاطِنِ إن لَم تَسْنِدْها قُوَّةُ الوَطَنِ ، سَتَذهب أدراج الرِّياح ، ولَن يَعترِف بها أحَدٌ. والدَّولةُ الفاشلةُ هِيَ قاتلةٌ وضَحِيَّةٌ في آنٍ معاً ، قاتلةٌ لِمُواطنيها ، حَيْثُ قَضَتْ على مُستقبلهم ، وضَحِيَّةٌ لِتراكمات الفساد وقيادةِ الفاسدين .

[٢٨٥] لَن يَتَصَالَحَ الإنسانُ مَعَ إنسانِيَّته إلا إذا قَتَلَ الخوفَ الكامنَ في ذَاتِه .

الخوفُ يَزدادُ بالهروبِ مِنهُ، ولا يَزُولُ إلا بِمُوَاجَهته . والخوفُ يَشُلُّ العقلَ الإنسانِيَّ ، ويَجعله عاجزاً عَن التَّفكير، وخائفاً مِن كُلِّ شَيء. وعِندئذٍ، يَفقد العقلُ ثِقَتَه بِنَفْسِه ، ويَنهار المعنَى الإنسانِيُّ في هذا الوُجود . والطريقةُ الوَحيدةُ لِحماية الإنسانيةِ هِيَ قَتْلُ الخوفِ ، وتَحريرُ الإنسانِ مِنَ الوَحْشِ السَّاكنِ فِيه. وأفضلُ طَريقةٍ للتَّخلصِ مِنَ الخوفِ أن تَقتحمه . إنَّ اقتحامَ الخوفِ يَكسِر حاجزَ الرَّهبة ، ويَبعث الثِّقةَ في النَّفْسِ الإنسانية ، ويُحرِّر الإنسانَ مِنَ الضغوطات ، وإذا تَكَرَّسَ وُجودُ الإنسانِ بِلا ضُغوطات ، فَحَتماً سَيَلتقي بإنسانيته .

[٢٨٦] أعيشُ الْحُبَّ في كِتاباتي ، لأنَّني لا أَجِدُ الْحُبَّ في حَيَاتي .

لَقَد وَجَدْتُ الْحُبَّ في حَيَاتي ، لَكِنِّي أضَعْتُهُ أوْ هَرَبْتُ مِنهُ ، لأنَّهُ كانَ أقْوَى مِنِّي ، ولا أستطيعُ أن أُوَاجِهَ النَّهْرَ الْمُتدفِّقَ ، ولا أُحِبُّ لَعِبَ دَوْرِ البُطولةِ ، لأنَّني لَسْتُ مُؤهَّلاً لِذلك . أعيشُ في وَحْدةٍ قاتلةٍ . ماتَ قلبي ، أوْ خَرَجَ قلبي ولَم يَعُدْ . لا فَرْقَ . فالْحُبُّ غَائبٌ عَن حَيَاتي . لَكِنِّي لا أستسلمُ . بَحَثْتُ عَن الْحُبِّ فَوَجَدْتُه في كتاباتي . أعيشُ مَعَ الكلماتِ التي لا أَخُونُها ولا تَخُونُني . حُبٌّ بِلا خِيانةٍ . هذا أمرٌ يُريحُ الأعصابَ ، ويُزيل الشُّكوكَ مِنَ الصَّدْرِ . والكتابةُ هِيَ انتصاري على هزائمي الواقعية . واللغةُ تَعويضٌ أخلاقِيٌّ عَن خَيباتي الحياتية . إنَّني أُحَاوِلُ النجاحَ في كِتاباتي، لأنَّني فَاشِلٌ في حَياتي الاجتماعية . ولأنَّني فاشلٌ في حياتي الاجتماعية صِرْتُ عَالِمَ اجتماعٍ . [٢٨٧] مَن تَعَوَّد عَلى العَيشِ في المزابلِ سَتَقْتُلُه رَائحةُ العِطْرِ .

يَنبغي على الإنسانِ ألا يَنْظُرَ إلى نَفْسِه كَضَحِيَّةٍ للظروفِ والبيئة ، عَلَيه أن يَصنع البيئةَ بِيَدَيْهِ . لا تَكُنْ ضَحِيَّةً وتَطْلُب الشَّفقةَ مِنَ الآخرين . إنْ وُلِدْتَ في بيئة الضَّحايا ، فَعَلَيْكَ أن تَخْرُجَ مِن هذه البيئة ، وتُقيم قَطيعةً مَعَ الماضي ، وتبدأ حياتَكَ بِكُلِّ عُنفوان . مَن تَقَمَّص قِناعَ العُبودية ، سَيَكْرَه الحرِّيةَ ، ويَعتبرها خَطَراً على حياته . ومَن عاشَ مَعَ بناتِ آوَى ، سَيَعتبر اللبُؤاتِ زَوْجاتٍ خائنات . ومَن اعتادَ جِلْدُه على مَلْمَس القُيود ، سَيَحْقِد على الوُرود في المزهرية .

[٢٨٨] إنَّ المجتمعَ يَفْقِدُ شَرعيته عِندَما يُقَارِنُ بَيْنَ الْمُومِسِ والزَّوجةِ الخائنةِ .

هَـل تَرْضَـى المـومسُ بالحـبِّ العُـذريِّ أَم تُريـد شَـهوةَ الجسـد؟. هَـل تَقْبَـلُ الزَّوجـةُ الخائنـةُ بالرُّومانسـية أَم تُريـد الإشـباعَ الجِنْسِـيَّ ؟. سَـتَكُونُ الرَّاقصـةُ امرأةً فاضـلةً إذا قُورِنَـت بـالْمُومِسِ . لا تُقَـارِنْ بَـيْنَ السَّـيئ والأسـوأ . لا تَقُـلْ : إِمَّـا أن أتعـاطى الْمُخَـدِّرات أَوْ أشـرب الخمـرِ . فـي متاهـة التناقضـات لا مَعْنَـى للمُقَارَنَـات . امْـشِ فـي طَريـقِ الحقِّ ، ولا تَلتفِـتْ إلـى الـوراء . لا تَبْحَـثْ عَـن إسنادٍ خارجيٍّ أو مُسَاعِدِين أو مُعْجَبَات . الحقُّ هُوَ الشَّرَفُ الرَّفيعُ ، فامْشِ في هذا الطريقِ سَعيداً ، حَتَّى لَوْ كُنتَ وَحْدَك . لا تَشْعَرْ بالوَحْشَةِ في طَريقِ الحقِّ إذا كُنتَ السَّائرَ الوَحيدَ. أنتَ الجميعُ، حَتَّى لَوْ كُنتَ وَحْدَك ، والرَّأْيُ يُؤْخَذ بالْحُجَّةِ القَويَّة ، ولَيْسَ بالأغلبيةِ .

[٢٨٩] الفَلْسَفةُ والكَبْتُ الجِنْسِيُّ ضِدَّان لا يَجتمعان .

الفَلْسَفةُ زَوْجتي وَعَشيقتي . وحِينَ أُمارِسُ الفِعْلَ الفلسفيَّ أشعرُ بالاكتفاءِ الجِنسيِّ والعاطفيِّ . والفَلسفةُ نَسَقٌ مَعرفِيٌّ يَعتمِد على التَّطهُّر والتَّطهير . وهذان العُنصران يُنقِّيان الجسدَ الإنسانِيَّ مِنَ الفراغِ العاطفيِّ والكَبْتِ الجنسيِّ والوَحْدةِ القاتلةِ . وهكذا يَتحرَّر الإنسانُ مِنَ الضغوطات الروحية والمادية ، ويُصبِح قادراً على تَحريرِ نَفْسِه ، وتحريرِ المجتمَع . والْحُرُّ وَحْدَهُ هُوَ القادرُ على تحرير الفردِ والجماعةِ ، أمَّا العبدُ فَهُوَ مَشغولٌ بِتَلميع قُيوده ، ولا يُفكِّر بالتَّخلص مِنها .

[٢٩٠] فِعْلُ الكِتابةِ يَتناسَبُ مَعَ طَبيعتي الانطوائِيَّةِ .

الكتابةُ فَنُّ العُزلةِ وذاكرةُ الاعتزالِ . أنتَ تنقطعُ عَن العالَم ، وتَصنع عالَمَكَ الخاص . تُعيدُ تَرتيب الفَوضى المسيطِرة على عناصر الطبيعة . حُروفُ اللغةِ هِيَ النظامُ العَالَميُّ الجديدُ . والطاقةُ الرمزيةُ في اللغةِ هِيَ الطبيعةُ الجديدةُ التي نَعيش فِيها بِلا قَاتِلٍ ولا مَقتولٍ . قَارورةُ الحِبْرِ هِيَ زَوجتي وعَشيقتي ، والقَلَمُ هُوَ سَيفي في مَعركةِ الذِّكرياتِ . انسحبتُ مِنَ الحياة عِندَما أدركتُ أنَّ الحياةَ مَهزلةٌ ، والرَّجُلَ أَراجوز ، والمرأةَ دُميةٌ في مَسْرَحِ العَرائس . لقد قَضَيْنا حَيَاتَنَا نَكْذِبُ عَلى بَعْضِنا البَعْض . اخْتَرَعْنا شِعارات الحبِّ والتَّقدمِ والحضارةِ ، ونَحْنُ خارج التاريخ ، لا أحدَ يَعترِفُ بِنَا . حُكَّامُنا عِصابةٌ مِنَ اللصوصِ ، والشُّعوبُ قُطعانُ الأغنام ، لَكِنَّنا نُتْقِنُ تأليفَ الأغاني الوطنيةِ ، والمتاجَرةَ بالوَحدةِ الوَطنية. نَحْنُ نُقامِرُ بِمَصيرنا ، ولا نَتآمرُ إلا على أنفسنا ، والجاهلُ عَدُوُّ نَفْسِه.

[٢٩١] شَيئان يَلْمَعَان في حَياتي : وَجْهُ الشَّركسية ، وحَبْلُ مِشْنَقتي .

الْحُبُّ هُوَ الموْتُ اللذيذُ ، والعذابُ الشَّهِيُّ . حَياتي حَزينةٌ ، ولحظاتُ السَّعادةِ نَادرةٌ . لذلكَ أنا أكتبُ حَياتي ولا أعيشُها . الْحُبُّ والموْتُ مُخْتَلِطَان ، ويَستحيلُ الفَصْلُ بَيْنَهُما. في النَّفَقِ الْمُظْلِمِ الذي أَمْشي فِيه هُناك شَمعتان تُنيران لِيَ الطريقَ : وَجْهُ الشركسيةِ التي أَحْبَبْتُها ، واخْتَفَتْ

في مَمرَّاتِ الخريفِ البَعيدِ،وحَبْلُ مِشْنقتي الذي يُرْشِدُني إلى مَوْقِعٍ ضَريحي بِلا بُوصلةٍ ولا دَليلٍ سِياحِيٍّ. الْحُبُّ تَحريرُ القَلْبِ مِنَ الذِّكرياتِ . والموْتُ تَحريرُ المكانِ مِنَ الزَّمان . الْحُبُّ والموْتُ مَوْتان يُحرِّران الرُّوحَ مِن سِجْنِ الجسَدِ. وسيظلُّ الموْتُ هُوَ التَّجسيدَ الصَّاعقَ للحياةِ. ولا حَياةَ إلا الموت، ولا مَوت إلا الحياة .

[٢٩٢] لا فَائِدَةَ مِنَ الذِّكرياتِ ، لأنَّ مَلَكَ الموْتِ لا يَعترِفُ بالذِّكرياتِ .

في أحيانٍ كثيرة تُصبِح الذِّكرياتُ مِثْلَ المخدِّرات أوْ حُبوب الهلوسة . الهدف منها الهروب من الواقع المؤلم إلى الأحلام الْمُتخيَّلة التي لَن تَتحقَّق على أرض الواقع. كُلَّما أَردتُ أن أكُونَ رُومانسياً تَذَكَّرْتُ مَلَكَ الموْتِ . كُلَّما تَذَكَّرْتُ الموْتَ انهارَ عَالَمِي .كُلَّما اشتقتُ إلى لَيْلةِ الدُّخلةِ رَأيتُ فِرَاشَ الموْتِ .كُلَّما رَأيتُ عَاشِقَيْن يَضحكان عَرَفْتُ أنَّ الموْتَ سَيُفَرِّقُهما . الأطفالُ يَلعبون بِكُلِّ فَرَحٍ وسَعادة ، والأُمَّهاتُ يُنْجِبْنَ الأطفالَ بِكُلِّ حُبٍّ وسَعادةٍ . الأُمَّهاتُ يُنْجِبْنَ أطفالَهُنَّ للمَوْتِ ، والموْتُ يَحْصُدُ الجميعَ . القَطيعُ يَسيرُ إلى حَافَّةِ الجبَلِ (الهاوية) سَعيداً ، ومُتفائِلاً بالغدِ المشرِق .

[٢٩٣] فَلْسَفتي الحياتِيَّةُ هِيَ النَّظَرُ إلى مَا وَراء لَيْلةِ الدُّخلةِ .

مُشكلةُ البشريةِ هِيَ التَّخندقُ في اللذة دُون النَّظَرِ إلى المسؤولية الْمُترتِّبة على هذه اللذة . لا تَغتَرَّ بالهدوء ، ولا تَطمئِنَّ إلَيه ، بَل انظُر إلى العاصفة المختفية خَلْفَه . ولا تَكُنْ ضَحِيَّةَ الهدوءِ الذي يَسْبِق العاصفةَ . لا تَنظُر إلى العَسَل ، بَل انظُر إلى إبَرِ النَّحل . لا تَنظُر إلى السِّلعة ، بَل انظُر إلى الضَّريبةِ . ولْتَكُنْ فَلْسَفتك ما بَعْد المرأة ، لأنَّ الفَيْلَسُوف يَعتبر المرأةَ نُقطةَ النِّهاية لا نُقطة البِداية ، ويَبدأ مِن حَيْث انتهى الْحُلْمُ الضائع . إنَّ الفَيْلَسوفَ يُؤسِّس فَلسفةَ ما بَعْد المرأة .

[٢٩٤] احتراقي في الرُّومانسيةِ الافتراضِيَّةِ أفضلُ مِن احتراقي في مَلَلِ الحياةِ الزَّوجيةِ .

لَم أتزوَّجْ لأُحافِظَ على بَكارتي الرُّومانسيةِ . لا أقْدِرُ أن أجْمَعَ بَيْنَ الزواجِ والرُّومانسيةِ ، فاخترتُ الرُّومانسيةَ . لا أَقْدِرُ أن أَجْمَعَ بَيْنَ المرأةِ والفلسفةِ ، فاخترتُ الفَلْسفةَ . عِندَما أفْشَلُ في الرُّومانسيةِ ، إنَّما أفْشَلُ لِوَحْدي ، لأنَّني أعيشُ مَعَ ذِكرياتي وأحزاني ، وفَشَلِي لَن يُؤثِّر على أحَدٍ غَيْري . أمَّا عِندَما أفْشَلُ في الزَّواجِ ، فإنَّ أُسْرَةً كاملةً سَتَنهارُ ، وأنا السَّبَبُ. رُبَّما كُنتُ سَأتزوَّجُ لَوْ جِئتُ في زَمَنٍ آخَر ، وعِشْتُ في مكان آخَر . رُبَّما كُنتُ سَأُكَوِّنُ أُسرةً رائعةً لَوْ وُلِدْتُ في زَمَنِ الازدهار ، حيث كانت الحضارةُ العربية الإسلامية تُسيطِر على العالَم . لَقَد وُلِدْتُ في عَصْرِ الانحطاطِ ، وعِشْتُ تَحْتَ الأرضِ ، مُجَلَّلاً بالخِزْيِ والعارِ ، لأنَّني ابْنُ الضَّياعِ، ضَياعِ الأندلسِ

وفلسطين . نَحْنُ أبناء عَصْرِ التَّخلف والهمجية . عِشْنا في مُجتمعاتٍ مُتخلِّفة . وفي المجتمعاتِ المتخلِّفةِ القاتلةِ للرُّومانسيةِ والأحلامِ ، يُصبِح الزواجُ مَقبرةً للحُبِّ . وأنا لا أُريدُ أن أكُونَ قَبراً في هذه المقبرةِ . وفي المجتمعات التي تَحتقِرُ المرأةَ ، يُصبِح الحبُّ انتحاراً تدريجياً .

[٢٩٥] عِندَما عَرَفْتُ حَقيقةَ الأُمَّةِ العربيةِ ، عَرَفْتُ لِمَاذا طَرَدَنا اللهُ مِن فِلِسْطِين والأندلسِ .

العربُ أُمَّةٌ هَمَجِيَّةٌ ، الإسلامُ جَعَلَهَا أُمَّةً رَاقيةً . ولَيْسَ للعَرَبِ حَضارةٌ إلا الإسلام . وعِندَما يَختفي الإسلامُ ، يَعُودُ العربُ إلى الْهَمَجِيَّةِ الْمُتجذِّرة في مَاضيهم . فِلِسْطِين والأندلسُ جَوْهَرَتان ، والأُمَّةُ الْمُنْتَكِسَةُ لا تَسْتَحِقُّهُمَا ، وَلَوْ كُنَّا نَسْتَحِقُّهُمَا لَمَا طُرِدْنا مِنْهُمَا . لا يُمْكِنُ للعَامِلِ في مَنْجَمِ الفَحْمِ، أن يُفَرِّقَ بَيْنَ الذهبِ والتُّرابِ . وبَعْدَ أن باعت الأُمَّةُ العربيةُ شَرَفَهَا مِن أجل رغيف الخبز، صارت المومسُ أكثرَ شَرَفَاً مِنَ الأُمَّة العربية ، لأنَّ المومسَ بَاعَتْ جَسَدَها ، أمَّا الأُمَّة العربية فباعتْ قِبْلَةَ رَسُولِها محمد _ عليه الصلاة والسلام _ .

[٢٩٦] عَلى الْمَرْءِ أن يَخْرُجَ مِن نَفْسِه ثُمَّ يَنْظُر إلَيها .

الإنسانُ الذي يَعيشُ في الوَهْمِ لا يَرى الوَهْمَ . عِندَما يَخرجُ مِنَ الوَهْمِ ، سَيَعْرِفُ الوَهْمَ الذي كان يَعيشُ فِيه . والإنسانُ الذي يَتَخَنْدَقُ في نَفْسِهِ ، يُصْبِح عاجزاً عَن نَقْدِ نَفْسِه وتَقييمها ، لأنَّهُ لا يَرى نَفْسَهُ. وهذا الأعمَى لَن يَتمكَّن مِن مَعرفة نِقاط قُوَّته ونِقاط ضَعْفه. يَنبغي الخروجُ مِنَ الذات، والنَّظَر إلَيها مِن كُلِّ زَوايا الرؤية ، لمعرفة حَجْمِها الحقيقيِّ ، وتَقييم أسلحتها ، ورَدْم ثَغراتها .

[٢٩٧] الكِفاحُ الْمُسَلَّحُ مِن أفضلِ الطُّرُقِ للتَّخلصِ مِنَ الصَّدَماتِ العَاطِفِيَّةِ .

الصَّدَماتُ العاطفيةُ مُؤثِّرةٌ ، لَكِنَّها تَذهبُ إلى النِّسيان . المرأةُ كائنٌ مُحْتَرَمٌ ، لَكِنَّها لا تَستحقُّ إضاعةَ الوَقْتِ مِن أجْلِها . الرَّجُلُ والمرأةُ وُجودُهما وَظيفيٌّ يَتعلَّقُ بالعاطفةِ والجِنسِ والتكاثرِ وإعمارِ الأرضِ . إنَّ وُجودَهما لَيْسَ لُعبةً هُلاميةً مَحصورة في الْخَيَالِ والتَّصوُّراتِ الذهنية . المرأةُ يُمْكِنُ تَعويضها بِشَكْلٍ أَو بآخَر ، والرَّجُل كذلك. لَكِنَّ الوَقْتَ لا يُعَوَّضُ . العُمُرُ أكثرُ أهميةً مِنَ العاطفةِ . الرُّوحُ أكثرُ أهميةً مِنَ الغريزةِ . القلبُ أكثرُ أهميةً مِنَ الجسَدِ . التَّضحيةُ مِن أجْلِ المرأةِ هِيَ تَضحيةٌ مِن أجل قضيةٍ عاطفيةٍ ، لَيْسَ لها تأثير على مَسْرَح الأحداث الكُبرى . المرأةُ لا تَجْعَلُني شَخصاً مُهِمَّاً في هذا العالَم . أنا لا أكتسِبُ شَرعيةَ وُجودي مِن وُجود المرأةِ في حياتي أو غيابِه. إنَّ مَكانتي في تاريخ الوجود البشريِّ تَتحدَّد وَفْقَ العقيدةِ التي أعتنِقُها ، والقضيةِ التي أُدافِعُ عَنها . العقيدةُ الرَّاسخةُ في القَلْبِ ، والقضيةُ الرَّاسخةُ في أرضِ الواقع .

[٢٩٨] أن تَكُونَ قَزَماً بَيْنَ العَمَالِقَةِ أفضلُ مِن أن تَكُونَ عِمْلاقاً بَيْنَ الأقزام .

أنْ أكُونَ تِلميذاً بَيْنَ العُلَماءِ أفضلُ مِن أن أكُونَ أُستاذاً بَيْنَ الْجُهَّالِ . لا أُحِبُّ أن أكُون سَيِّداً بين السبايا . العِبْرةُ لَيْسَتْ في الشُّهرةِ، والبريقِ الإعلاميِّ ، وتَصَدُّرِ المجالِسِ . قُوَّةُ الإنسانِ إنْ لَم تَكُنْ ذاتيةً ، فَهِيَ قُوَّة وَهمية زائلة . قُوَّةُ الإنسانِ كامنةٌ فِيه ، لا يَسْتَوْرِدُها ، ولا يَنتظِر قُدومَها . الإنسانُ القويُّ هُوَ الْمُكْتَفِي ذاتياً ، لأنَّ عِلْمَه في صَدْرِه ، ومَشاعرَه في قَلْبه ، ومَصيرَه في يَدَيْهِ ، ولَيْسَ في أيدي الآخرين ، يَتلاعبون بِه كَيْفَما شَاؤوا . وهُناك أفراد يَظهرون كعمالقة ، لَيْسَ لأنهم عمالقة ، بَل لأنَّ الأقزامَ يُحيطون بِهم. وهذا هُوَ وَهْمُ العَظَمَة الذي يَتَبَخَّرُ مَعَ الأيام . إنَّ العِمْلاقَ هُوَ الذي يُثْبِت وُجودَه بين العمالقة ويَفْرِض عَلَيهم احترامَه . رُبَّما لا يَستطيع أن يُجْبِرَهم أن يُحِبُّوه، ولكنْ بِإمكانه أن يُجْبِرَهم أن يَحترِمُوه، لأنَّ القَوِيَّ يُثِيرُ الإعجابَ، حَتَّى في نُفوسِ أعدائِه . والضَّعيف دائماً مَنبوذ .

[٢٩٩] المرأةُ الأُسطورِيَّةُ هِيَ التي إذا رَأَيْتُهَا زَالَ اكتئابي .

أعيشُ في قَاعِ الْمُسْتَنْقَع. أحتاجُ إلى امرأةٍ تَكُونُ مِثْلَ أشِعَّة القَمَر، تَنتشِلُني مِنَ القاعِ في الليلِ الرَّهيبِ . لا أستطيعُ رُؤيةَ ضَوءِ القَمرِ وأنا في قاع الْمُسْتَنْقَعِ. المرأةُ الأُسطورِيَّةُ هِيَ الأيْقُونةُ القادرة على تَخليصي مِن الاكتئابِ ، وإلقاءِ طَوْق النَّجاة لِقَلبي الغريقِ . وَجْهُها يَفتحُ لِي نافذةَ الأملِ ، يُشْعِرُني بأنَّ الغَدَ سَيَكُون أجْمَل . المرأةُ الأُسطوريةُ هِيَ الحياةُ التي تُشْعِرُني بِجَدوى الحياةِ . ولكنَّ المشكلةَ أنَّنا نَعيشُ في عالَم المِكْياج لا الأساطير . ومَعَ هذا ، فأنا أُؤمِن بإمكانية وِلادة الْمُستحيل في نُقطةٍ ما بَيْنَ الزمانِ والمكانِ ، وسَوْفَ تأتي المرأةُ الأُسطوريةُ بِشُموخ أُنوثتها وعُذوبةِ رُوحِها ، وتُلقي طَوْقَ النَّجاة للغريقِ . أنا الغريقُ ، أنجذِبُ دائماً إلى الأراملِ والْمُطَلَّقاتِ . أرى فِيهِنَّ سِحْرَاً غريباً لا يَراه الآخَرُون . تَنكسرُ الأحزانُ في لمعانِ عُيونهنَّ ، وأجسادُهنَّ أرشيفُ الذِّكرياتِ .

[٣٠٠] الثقافةُ في العَالَمِ العَرَبِيِّ مِثْل امرأةٍ جَميلةٍ لَكِنَّها عَانِس .

عِندَما مَشَيْتُ في طَرِيقِ الثقافةِ ، عَرَفْتُ لِمَاذا يَنتحِرُ بَعْضُ الْمُثقفين . الثقافةُ في العالَم العربِيِّ مُحَاصَرَةٌ بِخُرافاتِ النِّظام الحاكم ، حيث إنَّهُ يَعتبِرُ الثقافةَ وَسيلةً لإدخال المثقفين إلى الحظيرة ، وتَحويلِ الناس إلى قَطيع يُساق إلى الذَّبْح مُصَفِّقَاً للذابح . الثقافةُ العربيةُ تَمتلِكُ مُقَوِّماتٍ عالمية، لَكِنَّها مُحَاصَرَة بين العَصَا والْجَزَرَة ، كما أنَّ العانِسَ مُحَاصَرَة بَيْنَ مِرْآتِها وحِيطان غُرفتها . وفي هذا المناخ القاتل ، لَيْسَ غريباً أن تُصبِح الثقافةُ العربيةُ إرهاصاتٍ للعَدَمِ، وكَياناً للفَراغِ. لا تُوجَد رَحِمٌ ثقافيةٌ في الوطن العربِيِّ ، والأجِنَّةُ المعرفيةُ تَعيشُ في الشَّارِعِ خَارِجَ البِيئة الطبيعية الصِّحية . ولَن

تَتقدَّم بِلادُنا إلا عِندَما يُصبِح المثقَّف مِثْل المطرب ، يَمتلِك حُرَّاساً شخصيين لحمايته مِنَ الْمُعْجَبَاتِ .

[٣٠١] في حَيَاتي لَم يَتَحَوَّل الْحُبُّ إلى زَواجٍ ، وَإِنَّما تَحَوَّلَ إلى ذِكْرَياتٍ ، فَتَزَوَّجْتُ الذِّكرياتِ .

عِندَما غابت الحقيقةُ تَزوَّجْتُ الوَهْمَ لِكَيْلا أشْعُرَ بالوَحْدةِ. أُريدُ أن أقْتُلَ الوَحْدةَ قَبْلَ أن تَقْتُلَني. أخدعُ قَلبي ، وأُوهِمُه أنَّني لا أعيشُ وَحيداً . أعيشُ مَعَ الذِّكرياتِ وفي الذِّكرياتِ . الذِّكرياتُ عَشيقتي فَتَزَوَّجْتُها ، وصارتْ علاقَتُنا شَرعيةً .

[٣٠٢] إنَّ سَمَاحَ الحكوماتِ بِنَشْرِ كُتُبي دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلى أنَّ العَرَبَ لا يَقْرَؤُون .

أحياناً ، يُخيَّل إلَيَّ أن الحلَّ السِّحريَّ لمشكلاتِ الثقافة العربية أن يَعتبر الكاتبُ نَفْسَه جاهلاً. وبذلك يُريحُ نَفْسَه، ويُريح الآخرين، ويَتحرَّر مِنَ الضَّغْط. لا يَتوقَّع تَقديراً مِن أحَدٍ، ولا يَنتظِر شَيئاً مِنَ الدُّنيا. ولكنْ ، هل يَنتهي الأمرُ عِندَ هذا الحدِّ ؟ . هَل تَقرأ الرقابةُ السُّطورَ أَم ما بَيْنَ السُّطورِ ؟ . وهَل الرقابةُ تَعرِف القراءةَ أصلاً ؟ . لا أعْرِفُ مَعنَى الثقافةِ في العالَم العَرَبِيِّ ، ولا جَدْوَى تأليف الكُتُب . فالعربُ خَارِجَ التَّاريخِ ، وثَقافتهم مَحَلِّيةٌ لا يَعترِفُ بِها العالَمُ .

[٣٠٣] الفَيْلَسُوفُ مِثْلُ طَبيبِ الأمراضِ النِّسائيةِ والتَّوليدِ .

اثنان في هذا العالَم يَعْرِفَان المرأةَ على حقيقتها: الفَيلسوف وطبيب الأمراض النِّسائية والتَّوليد. الفَيلسوفُ يَطَّلِعُ على أسرار الرُّوح، وطبيبُ الأمراضِ النِّسائية والتَّوليد يَطَّلِعُ على أسرار الجسد . المرأةُ وَرقةٌ مَحروقةٌ في العَقْلِ الفَلْسَفيِّ ، لأنَّ الفلاسفةَ يَعتبرونها كائناً شَهَوَانِيًّاً عاطفياً مُضَادًّاً للعقلانية. والفَيْلسوفُ يَطَّلِعُ على جَسَدِ المرأةِ عَارِياً مِن مَنظورٍ ذِهنيٍّ، لَيْسَ بِدَافعِ الشَّهوة والغريزة، وإنَّما مِن أجل إنقاذها رَغْماً عَنها . المشاعرُ تَتجمَّدُ . والشَّهوةُ تَختفي . والاعتياديةُ تُسيطِر على أنساقِ الحياةِ . الطبيبُ لا يَستأذنُ مِنَ المريضِ لإنقاذِ حياته ، كَما أنَّهُ لا يُحَاوِرُ المريضَ وَهُوَ تَحْتَ تأثير الْمُخَدِّر أثناءَ العمليةِ الجراحية . وسَيَظَلُّ القَرَفُ هُوَ العاملَ المشترَكَ بَيْنَ الفيلسوف وطبيب الأمراض النسائية والتوليد. كِلاهُما يَطَّلِعُ عَلى نِقَاطِ ضَعْفِ المرأةِ ، وهي في أسوأ حالاتها الرُّوحية والجسدية ، حيث الْمُعاناة والدِّماء والروائح الكريهة .

[٣٠٤] وَظيفةُ الشَّاعرِ هِيَ تَحويلُ الكَلِمةِ إلى رَصاصة .

فَلْسَفةُ الشِّعْرِ مَبْنِيَّةٌ على اللغةِ . واللغةُ هِيَ السلاحُ الحضاريُّ في وَجْهِ أعداءِ الحضارةِ . ووظيفةُ الشاعرِ هِيَ عَسكرةُ الأنساقِ المعرفيةِ ، أي حَقْن الكلام بالعُنفِ الْمُسَيْطَرِ عَلَيه . وهذا العُنفُ الإيجابِيُّ يَجعل الكلمةَ رَصاصةً مَحكومةً بِقَوانين المعنَى وفَلسفةِ الشُّعورِ والخلاصِ الإنسانِيِّ

. واللغةُ تُعيدُ تَعريفَ الكِفاحَ المسلَّحَ حَسَبَ شخصية المعنَى الشِّعْرِيِّ. وَكُلُّ قَصيدةٍ لا تَستنِدُ إلى فَلسفة الكِفاح المسلَّح تَظَلُّ بِلا هُوِيَّة . وعُموماً ، إنَّ الحضارةَ دَخَلَتْ في غَيبوبة ، ووظيفةُ الشاعرِ أن يُعيدها إلى الحياة .

[٣٠٥] أعظمُ أُسْلُوبٍ أدَبِيٍّ هُوَ اللاأُسلوب .

الأُسلوبُ الأدبِيُّ إذا تَمَّ تَعريفُه وحَصْرُه في إطار مُعيَّن ، فهو أُسلوبٌ مَيْتٌ في مَهْدِه . يَنبغي أن يَكون الأسلوبُ مِثْل النَّهْرِ الْمُتدفِّق لا هُوِيَّة لَهُ . ولا أحَدَ يَستطيع أن يَشرب مِن النهر مَرَّتَيْن . الأسلوبُ كالشَّبَحِ يُرَى ذِهنياً ، ولا يُمْكِن الإمساك بِه. والكاتبُ القَديرُ يُغيِّر جِلْدَه باستمرار ، بِمَعنى التَّنويعِ في آلِيَّات الكتابة وتَغييرِ مَنابع الوَحْيِ اللغويِّ ، ولَيْسَ بِمَعنى النفاق ، واللعب على الحِبَال ، ونَقل البُندقية مِن كَتِف إلى كَتِف . وبما أن الأدبَ والفَلسفة مُرتبطان ، فما ينطبق على الأدب ينطبق على الفلسفة، لذلك يُمكِن القَول إنَّ أعظم نظرية فلسفية هي اللانظرية ، وهذه هي النظريةِ الشاملة التي تَقول كُلَّ شَيء ، وتَبحث عَن علاج وُجوديٍّ لكل مُشكلات الإنسان . فالإنسانُ وَحدةٌ واحدةٌ ، وكُلٌّ لا يَتجزَّأ ، ولا فرق بين مشكلة وأُخرى . والفلسفةُ جاءت لعلاج مشكلات الإنسان بلا تمييز . والفَيلسوفُ طَبيبٌ يُعالِجُ كُلَّ الأمراض . والداءُ لا يَتجزَّأ ، والدَّواء لا يَتجزَّأ .

[٣٠٦] مَقْتَلُ عِمَاد الفَايد لَحظةٌ مَفْصَلِيَّةٌ غَيَّرَتْ مَفهومَ العلاقةِ الرُّومانسِيَّةِ بَيْنَ الشَّرْقِ والغَرْبِ .

إنَّ الشرقَ والغربَ جناحا طائرٍ اسْمُه الحضارةُ ، وهذا الطائرُ عاجزٌ عَن الطَّيَران ، والحضارةُ تَنتحِرُ تَدريجياً . والعلاقةُ الرُّومانسيةُ هِيَ علاقةٌ سِرِّيةٌ غامضةٌ ، وبَعيدةٌ عَن الضَّوء ، لأنَّ الضَّوء مُسَلَّط على الصراعات السياسية والعسكرية. والرُّومانسِيَّةُ تَتبخَّرُ في القلوبِ المكسورةِ . والإنسانُ صَارَ يُقَاتِلُ الأشباحَ على كُلِّ الجبَهاتِ ، لأنَّهُ لَم يَعُدْ قادراً على التَّمييز بين العَدُوِّ والصديقِ .

[٣٠٧] إذا أَرَدْتَ مَعرفةَ طَريقةِ تَفكيرِ الإنسانِ ، فانظُر مِن أَيْنَ يَأخُذُ رَاتِبَه .

رَغيفُ الخبزِ هُوَ قانونُ المجتَمَعَاتِ المتخلِّفةِ . لا مَعنَى للإنسان . لا وُجود للثقافةِ . الجائعُ لا يَشْعُرُ بإنسانيته . الجائعُ لا يُفكِّر . مَن يَمنحه الخبزَ يُفكِّر نِيابةً عَنهُ . وإذا كانَ القَمْحُ مُسْتَوْرَداً ، فلا تَسْأَلْ عَن هُوِيَّة الحاصدِ ، ولا تَنتظِرْ مَوْعِدَ الحصَاد .

[٣٠٨] لا مَعْنَى للحُبِّ إذا لَم يَكُنْ قَاتِلاً .

الحبُّ لَيْسَ ضَعفاً. الحبُّ انقلابٌ عسكريٌّ، وسَواءٌ كان ناجحاً أَم فاشلاً، سَيَذهبُ الإنسانُ إلى حَبْلِ المِشْنقةِ . الحبُّ الحقيقيُّ قَاتِلٌ ، يَموتُ الإنسانُ في الحبِّ ، ويَنبعثُ في الذِّكرياتِ .

الحبُّ هُوَ طَريقُ الحقيقةِ والأوهامِ . أحياناً ، يُخيَّل إلَيَّ أنني الْمُدافِعُ عَن حُقوقِ المرأةِ بعد انتحار المرأة . كأنني أكتبُ الأغاني الوطنيةَ بعد ضياع الوطن . دائماً ، نَصِلُ إلى مَحطةِ القِطَارات مُتأخِّرين ، وتَذهبُ الفُرَصُ كما يَذهب القِطارُ ، ولَيْسَ أمامَنا إلا الانتظار في المحطةِ الفارغة ، حَيث البُرودة والوَحشة.

[٣٠٩] الكِتابةُ غَريزةٌ للبَقاءِ ، وَلَيْسَتْ هِوايةً لِمَلْءِ وَقْتِ الفَراغ .

الكتابةُ مِثْل الأكلِ والشُّرب والتَّنفُّس . لا أحَدَ يَسأل نَفْسَه : لماذا آكُل وأشربُ وأتنفَّسُ ؟. واللغةُ لَيْسَتْ لُعبةً ولا هِوايةً. اللغةُ رِسَالةُ الأديبِ، كما أنَّ الوَحْيَ السَّماويَّ رِسالةُ النَّبِيِّ . والأديبُ رَسُولٌ وَحْيُهُ أرضيٌّ ، يُوصِل رِسَالةَ اللغةِ الرمزيةِ إلى الناس ، لإخراجهم مِنَ الوَهْمِ إلى الحقيقةِ . إنَّ الأديبَ لَيْسَ نَبِيّاً ، لَكِنَّهُ يَتَشَبَّه بالنَّبِيِّ ، ويَسيرُ عَلى خُطاه . والوَحْيُ الأرْضِيُّ يُرْشِدُ الناسَ إلى الوَحْيِ السماويِّ .

[٣١٠] فَشِلْتُ في الْحُبِّ لأنَّ أُسلوبي في القضايا العاطفِيَّةِ كأسلوبِ هِتْلَر في القضايا العسكريةِ .

أُقَاتِلُ عَلى كُلِّ الجبهاتِ . كُلَّما فَتَحْتُ جَبهةً عَجِزْتُ عَن إغلاقِها . مَن يُرِدْ كُلَّ شَيْءٍ يَخْسَرْ كُلَّ شَيْءٍ. الانتحارُ العاطفيُّ طَريقُنا إلى بَحْرٍ بِلا شُطآن. بَنَيْتُ إمبراطوريةَ قَلْبي ثُمَّ هَدَمْتُها. أنا الباني الهادِمُ . أنا دِيمقراطِيٌّ مَعَ أحزاني ، دِكتاتورٌ على قَلْبي . نَعيشُ في مُجتمَع الضَّحايا ، كُلُّنا قَاتلون ، لَكِنَّنا نَتقمَّصُ أشكالَ الضَّحايا . نَعيشُ في الزَّنازين ، كُلُّنا سَجَّانون ، لَكِنَّنا نَرْتدي ثِيابَ السُّجناء.

[٣١١] الفَيْلَسُوفُ بَيْنَ قَطيعِ الغَنَمِ هُوَ جُزْءٌ مِنَ الغَنَمِ .

العقلُ الفرديُّ لا يَقْدِرُ عَلى مُوَاجَهَةِ العقلِ الجمعيِّ . أنتَ تَبني ، وَمَن حَوْلَكَ يَهْدِمُ بِلا رَحمةٍ . بَشَرٌ يَقْضُونَ أعمارَهم في بِناءِ القُصورِ الرملية وحِراستها ، والموْجُ الصَّاخبُ يَهْدِمُها بِلا شَفَقة ولا إنذار . لا مَعنى للزَّهرةِ الملوَّنة بين القُبور . لا مَعنى لِقَارُورة العِطر في حاوية القُمامة . لا مَعنى لِدِماء الضَّحايا بين بَراميل النِّفط . لا مَعنى لِقَميص النَّوم المثير في خِزانة الأرملة .

[٣١٢] المرأةُ في حَياتي ثلاثة أنواع : أُحِبُّها ولا أحترِمُها . أحترِمُها ولا أُحِبُّها . أُحِبُّها وأحترِمُها .

المرأةُ ذلك السِّرُّ الغامضُ . وأنا أنقاضُ الذِّكرياتِ . كُلُّ الناسِ كائناتٌ غامضةٌ . كُلُّ القلوبِ أبوابٌ مُغْلَقَةٌ . نَبْحَثُ عَن المفاتيحِ في الخارجِ ، مَعَ أنَّها مَوجودةٌ في الدَّاخلِ . نَبحثُ عَن الكُنوزِ تحت التراب ، ولكنَّ الكُنوزَ الحقيقيةَ فوق التُّرابِ . وإنْ لَم نجد السعادةَ في ذَواتنا ، فَلَن نجدها

مَعَ الآخرين . لَوْ كانت النساءُ قِطعةَ سُكَّر ، لَذَوَّبْتُهَا في كُوبِ عَصيرٍ ، وشَرِبْتُهُ ، وارْتَحْتُ مِن عَذابِ القلبِ وتَعَبِ الجسدِ إلى الأبَدِ . ولكنْ، كُلُّ امرأةٍ بَصمةٌ خَاصَّةٌ ، وهذا يَجعل الفلسفةَ المتعلِّقة بالمرأة شديدة التناقض والاضطراب ، لأنَّ المرأةَ شَخصيةٌ مُتغيِّرة مَحكومة بالعواطف والذكرياتِ .

[٣١٣] أُمَارِسُ الكتابةَ لأُفَكِّكَ عُقَدي النَّفسيةَ ، وَأَصْدِمُ صَدَمَاتي العاطفيةَ .

لا يُوجد إنسان يَخلو مِنَ العُقَدِ النَّفسيةِ أو الأمراضِ النَّفسيةِ ، خُصوصاً في عصر الانحطاط الذي نَعيشُ فِيه، حيث صارَ الرَّجُلُ الآلِيُّ أكثرَ أهميةً مِنَ الإنسان الذي صَنَعَه . وصارَ الإنسانُ يُخطِّط لِغَزْوِ المريخ بَعْد أن دَمَّرَ الأرضَ . وهُناك أشخاص يَمتلكون الجرأةَ على الاعترافِ بِعُيوبهم وأخطائهم ، ويَبْدَؤون رِحلةَ العلاجِ كَي يَجدوا ذواتهم . وهُناك أشخاص يَهْرُبون من الحقيقة الصادمة، ويَعشقون العَيشَ في الوَهْمِ اللذيذ . وهؤلاء يَقضُون أوقاتَهم في تَبرير أخطائهم لا إصلاحها . والوقتُ الذي يَأخذونه لِتَبرير أخطائهم يَكفي لإصلاحِها . ولكنَّ الكُفْرَ عِناد . كِتاباتي الأدبيةُ صَعبةٌ لأنَّها دَوائي لِتَفكيك عُقَدي النَّفسية . والمرَضُ الشَّرِسُ يَحتاجُ إلى دَواء شَديد المرارة وعالي التركيز . شِعْري غامضٌ لأنَّهُ انعكاسٌ لشخصيتي المعقَّدة وأحزاني العميقةِ . الكاتبُ يُفرِّغ تَوَتُّرَه الذهنيَّ في الورقةِ ، كما يُفرِّغ الرَّجلُ تَوَتُّرَه الجِنسيَّ في زَوجته . الورقةُ وِعاء ، والمرأة وِعاء . وأنا أكتبُ الشِّعْرَ لأُفَكِّكَ عُقَدي النَّفسيةَ ، وأكتبُ الروايةَ لأُفَكِّكَ عُقَدَ المجتمعِ النفسيةَ . لَقد لَجَأتُ إلى كِتابةِ الرِّوايةِ لأُمَارِسَ هِوَايتي في التَّحليلِ النَّفْسِيِّ. أنا أكتبُ لأنَّ الكتابةَ تُشْعِرُني بالأمانِ، لأنَّ الكِتابةَ تَحْرُسُني مِنَ الجنونِ والاكتئابِ والمخدِّراتِ والانتحارِ . وَبِدُون الكِتابةِ سَيَكُونُ مَصيري مِثْل مَصير دُودي الفايد .

[٣١٤] لا أحَدَ يَستشيرُ الجاريةَ . النَّخاسُ _ وَحْدَه _ مَن يُحَدِّد السِّعْرَ .

وَظيفةُ الجاريةِ أن تَفْتَحَ فَخْذَيْهَا للرَّجل الذي اشتراها ، لا أن تُعبِّر عَن رَأْيِها للنَّخاسِ ، أوْ تَشْرَح أحاسيسها لِسَيِّدِها الذي اشتراها . إنَّ الجسدَ لا يُفكِّر . الجسدُ صَفقةٌ تجاريةٌ ضِمْن قانون العَرْضِ والطَّلَبِ . ولا يُمْكِنُ للجَارِيَةِ أن تَفتخِرَ أمامَ جَاريةٍ أُخرى ، لأنَّ كُلَّ الجواري بِضاعةٌ في سُوقِ النِّخاسة . والعَالَمُ الذي نعيشُ فِيه هُوَ سُوق نِخاسة . وكما تُباع الجواري تُباع الدُّوَل الضعيفة . والْمُضْحِكُ الْمُبْكِي أنَّ الناسَ يَحتقِرون السَّبايا، ولا يَعْرِفُون أنَّهُم سَبَايا بِشَكْلٍ أو بآخَر. كُلُّنا سَبايا نَتسابقُ إلى سَريرِ القُرصانِ الذي احتلَّ أراضينا ، وسَرَقَ جماجمَ آبائنا . كُلُّنا نَخَّاسون ، بِعْنا شَرَفَ الذِّكرياتِ مِن أجلِ رغيفِ الخبز .

[٣١٥] الإنسانُ مُنذُ وِلادته مَحكومٌ بالإعدامِ .

وِلادتي احتضاراتٌ فَلسفيةٌ . وِلادتي حُكْمٌ بإعدامي ، ولا فُرصة للاستئناف أو الدفاعِ عن النَّفْس . ارتبطَ الوجود بالعَدَمِ مُنذُ نُقطة البداية . والإنسانُ يُولَدُ في مَدار الموْتِ ، ولا فُرصة للإفلاتِ . والحِصَارُ مَفروضٌ على الإنسانِ ، ولا يَمْلِكُ الإنسانُ أن يَكْسِرَ هذا الحِصَار . ولا يَقْدِرُ الْمَحْكُومُ بالإعدامِ أن يُفكِّر بالرُّومانسيةِ . إنَّهُ يَرى مَلَكَ الموْتِ بِقَلْبِه ، ولا يَرى ابنةَ الجِيران . إنَّهُ يَرى لَيْلةَ دُخوله إلى القبرِ ، ولا يَرى لَيْلةَ الدُّخلةِ .

[٣١٦] الحمدُ للهِ أنَّني فَشَلْتُ في الْحُبِّ مُبَكِّراً كَي أتفرَّغَ لِطَلَبِ العِلْمِ .

الحبُّ تَشويشٌ ذِهنيٌّ هائلٌ بِلا فائدةٍ. المرأةُ لا تَمْنَحُكَ الخلودَ . كَلِمَتُكَ هِيَ الخالدةُ والبَصمةُ في تاريخ الوُجود . لقد حَمَاني اللهُ مِنَ الْحُبِّ وأزماته الروحية ، فصارَ جِسْمي مُطَهَّراً لا أثَرَ فِيهِ للتلوثِ ، وصارَ قلبي مَملكةً بِلا مَلِكَةٍ . وَلَوْ تَوَرَّطْتُ في الْحُبِّ لَقَضَيْتُ حَياتي في مطاعمِ الوجبات السريعة، وأنفقتُ سَاعاتِ عُمري في المشي تحت المطر . ولا تُوجَد امرأةٌ تستحقُّ أن أُضَحِّيَ بِعُمُري مِن أجْلِها سِوى أُمِّي . كانَ طَريقُ الحبِّ مَسدوداً . وَمِنَ الطبيعيِّ أن يَبحثَ الإنسانُ عن طريقٍ آخَر، وقد وَجَدْتُ طَريقي في العِلْمِ. ولا أُنثَى في حياتي إلا فَلْسفتي. إنَّها الأُنثَى التي لَيْسَ لها ماضٍ، ولا تَخُونُني ، ولَن تَتزوَّجَ أيَّ رَجُلٍ مِن بَعْدي . الفلسفةُ استثمارٌ في جسد اللغةِ لا جسدِ المرأة. الفَلسفةُ فَنُّ التعاملِ مَعَ أُنوثةِ قَارورة الحِبر لا أُنوثةِ عُلبةِ المِكياج .

[٣١٧] المشكلةُ الرُّومانسِيَّةُ في المجتمَع هِيَ أنَّ كُلَّ رَجُلٍ يَظُنُّ نَفْسَهُ دُودي الفايد .

كُلُّ رَجُلٍ يَعتبِرُ نَفْسَهُ مَلِكَ العاشقين ، وأنَّ الأُنوثةَ كَانتْ بِلا مَعْنَى حتَّى جَاءَ حَضْرَةُ جَنَابِه لِيُعَرِّفَ الأُنوثةَ . وهذا الوَهْمُ القاتلُ نتيجةٌ طَبيعيةٌ لِغُرورِ الرَّجل ، ونَظَرِه إلى جَسَدِ المرأةِ لا عَقْلِها . وهذا الوَهْمُ يُسيطِر على المجتمعات المقموعة سِياسياً ، والمكبوتة جِنسياً .

[٣١٨] الفَيْلَسُوفُ تَاجِرٌ نَاجِحٌ لأنَّهُ يَستثمِرُ في جَسَدِ التاريخِ .

الإبداعُ هُوَ الْحَفْرُ في جَسَدِ التاريخِ ، وتَرْكُ البَصمةِ المعرفيةِ في هذا العالَم . والإنسانُ مَهْمَا كان قَوِيَّاً لا يَقْدِرُ على هزيمة التاريخ . وقُوَّةُ الفَيلسوف تتجلى في قُدرته على صناعة تاريخ جَديد مُنبثِق من التاريخ الأُمِّ. وهذا التاريخُ الجديدُ هُوَ الفِكرةُ التي تَتحدَّى الحاكمَ والمحكومَ على السَّواء.

[٣١٩] المواطنُ العَرَبِيُّ لا دَاعِي أن يَنتحِر ، لأنَّهُ كُلَّ يَوْمٍ يَنتحِرُ .

المواطنُ العَرَبِيُّ البائسُ مَقموعٌ سِياسياً ومَكبوتٌ جِنسياً. مَصيرُه يَتلاعبُ بِهِ الطغاةُ في الداخلِ. ومُسْتَقْبَلُ بِلادِه رَهينةٌ في أيدي الغزاةِ في الخارج . الأحلامُ تَضيعُ ، والحياةُ مُستمرة . لا مَعْنَى للجَمَالِ ، لأنَّ المواطنَ العربِيَّ عَاطِلٌ عَن العمل ، وعاطلٌ عَن الوَطَنِ . ولا مَعْنَى للانتحارِ ، لأنَّ المواطنَ العربِيَّ مَيْتٌ ولَيْسَ حَيَّاً .

[٣٢٠] عِندَما يَذُوبُ المِكْياجُ يَختفي الفَرْقُ بَيْنَ الملِكَةِ وَخَادِمَتِها .

لا فَرْقَ بَيْنَ امرأةٍ وامرأةٍ إلا في نَوعية المِكياج . الأقنعةُ تتكاثرُ ، وعُذوبةُ الرُّوحِ تَضمحِلُّ ، وشُموخُ الأُنوثة يَتَلاشَى. المرأةُ كائنٌ مُصاب بالهلَعِ . تَدْهَنُ وَجْهَها بالمِكياج والمساحيق ، كَي تُصبِح سِلْعةً أوْ دُميةً في مَسْرَحٍ للعَرائسِ . يَجِبُ أن تظلَّ مَرغوبةً وجَميلةً في عُيونِ النَّخاسين والسماسرة. بِضاعةُ الجسَدِ مَحكومةٌ بِقَوانين سُوقِ النِّخاسةِ . لَقَد تَشَابَهَت النِّساءُ في عَالَمِنا ، لأنَّ المِكياجَ هُوَ القِناعُ الذي يُوَحِّدُ الأضدادَ ، ويُذوِّب الفروقاتِ بين الوجوه .

[٣٢١] لَوْ لَم يَكُنْ هُناكَ مَوْتٌ لَتَمَنَّى الإنسانُ وُجُودَ المَوْتِ .

الموتُ هُوَ القُوَّةُ الدافعةُ للحياة ، وَشَرعيةُ الوجودِ الإنسانِيِّ . الموْتُ هُوَ الفِعْلُ التَّحريريُّ وذاكرةُ التَّحَرُّرِ . الموتُ هُوَ فِعْلُ التَّحَرُّرِ وَفَاعِلِيَّةُ التَّحريرِ . وبِدُون الموْتِ لا مَعْنَى للحياةِ ، ولا قِيمة للوُجودِ الإنسانِيِّ. لا شَيْءَ إلا الموْت. الإكثارُ مِن ذِكْرِ الموْتِ هُوَ قِمَّةُ البَلاغةِ اللغويةِ ، ومُنْتَهَى الفَصَاحةِ الإنسانيةِ. الموْتُ حَجَرُ الزَّاويةِ في أعمالي الأدبيةِ والفِكْريةِ . كُلُّ إنسان عَلَيه أن يَذهب إلى الموْت ولا يَنتظره . لَيْسَ بمعنى الانتحار . ولكنْ بمعنى اكتشافِ مَعْنَى الموْتِ وَوَظيفته في الوجود . عَلَينا أن نَقْضِيَ حَيَاتَنَا في دراسة الموْتِ لِنَعْرِفَه قبل أن يَعْرِفَنا . حَفَّارُ القُبور يَحْفِر قُبورَ الآخرين . فهل فَكَّرَ يَوماً مَا مَن سَيَحْفِرُ قَبْرَه عِندَما يَمُوت ؟ . أنا سَعيدٌ بِعُزلتي ، ولا مُشكلة إذا أَهْمَلَني الناسُ ، وَلَم يُقَدِّرُوا أعمالي . اللهُ وَحْدَهُ يَحْكُمُ لِي أوْ عَلَيَّ . والعِبرةُ هي ما بَعْد الموت . إنْ كُنتُ مِن أهل الجنَّة فأنا أرْفَعُ قَدْراً مِنَ الدُّنيا الفانية ، وإنْ كُنتُ مِن أهل النار ، فَلا فَائدة مِن جَنْي مكاسب دُنيوية ثُمَّ الخلود الأبديِّ في العذاب . في الحالتَيْن لا أحتاجُ إلى الدُّنيا ، ولَسْتُ بِحَاجَةٍ إلى الْمُعْجَبِين والْمُعْجَبَات. إنْ ذَهبتُ إلى الجنةِ فلن أتفاجأ ، لأنَّني أعْرِفُ أنَّ اللهَ كَريمٌ . وإنْ ذَهبتُ إلى النارِ فَلَن أتفاجأ، لأنَّني أعْرِفُ ذُنوبي وتَقصيري. رُومانسيةُ الْمُعْجَبَاتِ لَن تُنْقِذَني مِنَ الموْتِ ، والجوائزُ الأدبيةُ لَن تَنْزِلَ مَعي إلى القَبْر . أفضلُ طَريقةٍ لِمُواجَهة الموْتِ هِيَ الموْت ، والميْتُ لا يَموت ، لأنَّ البابَ المفتوحَ لا يُفْتَحُ . هُناك كُتَّاب تَموتُ كتاباتهم بِمَوْتِهم ، وتُدْفَنُ مَعَهم . وهُناك كُتَّاب يَكون مَوْتُهم حياةً جَديدةً لِكتاباتهم. وُلِدْتُ في المقبرة، وعِشْتُ في المقبرةِ ،

وَمِتُّ في المقبرة . الموتُ لَيس شَيئاً جَديداً عليَّ . الحياةُ أُكذوبةٌ ، والموْتُ هُوَ الحقيقة . الفَراعنةُ قَضَوا حَيَاتَهَم في التَّحضيرِ لِمَوْتِهم والاستعدادِ لِمَا بَعْد الموْتِ . فَهَل عاشوا حَيَاتَهم ؟ . هل عَرَفَوا الطريقَ ؟ . كُلُّ شَخْصٍ يُنادي عَلَيهِ الموْتُ. إنَّهُ النِّداءُ الْمُتفجِّر في أعماقِنا. البَعْضُ يُلَبِّي النِّداءَ مُختاراً، فَيَنْتَحِر ، والبَعْضُ يَخضع للمَوْتِ رَغْمَ أنْفِه. ولا بُدَّ مِن مَعرفة الطريقِ . إنَّ الموْتَ هُوَ الضَّوء في آخِر النَّفَق . دَخلتُ في مَدار الموْتِ مُنذُ طُفولتي. طُفولتي دَخَلَتْ في مَدارِ الموْتِ، وَمَن دَخَلَ فِيه لَن يَخْرُجَ أبَدَاً . إنَّهُ النِّداءُ الداخليُّ العَميقُ الآسِرُ الْمُسَيْطِرُ عَلى العَناصر . والتُّرابُ مَرْجِعُهُ إلى التُّرابِ . كُلُّ شَيء يَعود إلى أصْلِه ، كما يَعُود الطِّفلُ إلى حِضْنِ أُمِّه ، ويَعود الطائرُ إلى البَحْرِ في المساءِ الرَّهيبِ . نُقطةُ قُوَّةِ الأطفالِ تَكْمُنُ في عَدَمِ مَعْرِفَتهم للمَوْتِ . لَوْ كَان الأطفالُ يَعْرِفُون مَعنى الموتِ لَمَا ضَحِكُوا ولا لَعِبُوا . الموتُ حَجَرُ الزَّاويةِ في مَشروعي الشِّعري . الموتُ حَجَرُ الزَّاويةِ في بِناءِ الحضارة ، وهو الذي سَيَهْدِم الحضارةَ . الموتُ هُوَ الحقيقةُ الوَحيدةُ في الحياة . والموتُ هو الحياةُ الحقيقية . حياةُ الإنسانِ هِيَ الموت ، لأنَّه يَعيش على هذه الأرض مُنْتَظِرَاً الموت ، وانتظارُ الموتِ مَوْتٌ . ودائماً الانتظار صَعْبٌ ومُؤلِم . إنَّهُ الموت في الحياة . أكثرُ مَا يُضايقني أن الإنسان سَيَموت دُون أن يَكتشف أسرارَ وُجودِه . الإنسانُ غَريبٌ في ذاته ، غريبٌ عَن ذاته ، مَنْفِيٌّ في الزمانِ والمكانِ اللذَيْن يَكْسِرُهُمَا الموْتُ . أيُّها الإنسانُ المِسْكينُ ، حَاوِلْ مَعرفةَ نَفْسِك قَبْلَ الموْتِ ، ولا تَمُتْ إلا وأنتَ نِدَّاً . لا بُدَّ مِن احتراقِ البَعْضِ كَي يُشْرِقَ الآخَرُون . يَسْهَرُ البَعْضُ كَي يَنامَ الآخَرُون . يَمُوتُ البَعْضُ كَي يَعيشَ الآخَرُون . أُحِبُّ أن أُكْتَشَفَ بَعْدَ مَوْتي . أن أظلَّ ذِكْرى في قَاموسِ الذين يُحِبُّونني وَيَكْرَهُونني عَلى حَدٍّ سَواء . يَأتي الإنسانُ إلى هذا العالَم ، وَحَوْلَ عُنُقِه حَبْلُ المِشنقة . وَعَلَيه أن يَفُكَّ هذا الحبلَ في مُدَّةٍ زَمنيةٍ قَصيرةٍ تُمَثِّلُ عُمُرَه . إنَّهُ في سِباق مَعَ الزمن ، والزمنُ لا يَرْحَمُ . وُلِدْنا في المقبرة ، وسنموت في المقبرة . حياتُنا هِيَ الموتُ الحقيقيُّ ، أمَّا الحياةُ الحقيقيةُ فَهِيَ بَعْدَ الموتِ . لا تَبْدَأْ إلا بَعْدَ الموْتِ . الموتُ نُقطةُ البِدايةِ لا نُقطةُ النِّهايةِ . وِلادةُ الإنسانِ هِيَ بَدْءُ العَدِّ التنازليِّ . كُلَّما تَعَمَّقَ الإنسانُ في الحياةِ اقتربَ مِنَ الموت ، وَمُنذُ وِلادته وَهُوَ يَمشي إلى خَالِقه العظيمِ . أنا ابْنُ الموْتِ ، وَلَم أكُنْ في يَوْمٍ مِنَ الأيام ابْناً للحَياةِ . الحياةُ لُعبةٌ ، والموتُ حَقيقةٌ . أنا ابنُ الحقيقة . لَسْتُ مُتَأكِّداً إنْ كَانَ لِحَياتي مَعْنَى ، لَكِنِّي مُتَأكِّدٌ أنَّ لِمَوْتِي مَعْنَى . مَوْتي هُوَ المعنَى الجوهريُّ لحياتي . لا يَقْدِرُ الإنسانُ أن يَنالَ الخلودَ إلا بالموْتِ . كَوكبُ الأرضِ وُجِدَ كَي يُدَمَّرَ ، والإنسانُ وُلِدَ كَي يَمُوت . كأنَّ الموتَ أُمِّي ، والحياةَ زَوجةُ أبي . عُمُري هُوَ حُكْمٌ بالسَّجْنِ مَدى الحياةِ . الدُّنيا سِجْني ،

وَسَوْفَ أَخْرُجُ مِنهُ عِندَما أَمُوت. وعلى الإنسانِ أن يُحسِّن ظُروفَ سِجْنِه ، ولا يُفكِّر في مُغادَرته ، لأنَّ السَّجينَ لَن يُغادِر السِّجْنَ إلا عِندَما يَموت . لَسْتُ وَاثِقاً أَنَّني عِشْتُ ، لَكِنِّي واثقٌ أَنَّني سَأموتُ . الموتُ اكتمالُ الدائرةِ ، وَنُضوجُ المشروعِ ، وإتمامُ المشروعية . وأصعبُ شَيء أن يَموت الأشخاصُ الذين نُحِبُّهم قَبْلَ أن نُخْبِرَهم بِأَنَّنا نُحِبُّهم .

[٣٢٢] الغريقُ لا يَحِقُّ لَهُ أن يُحَدِّدَ نَوْعَ طَوْقِ النَّجاة .

الغريقُ هُوَ الحلقةُ الأضعفُ في السِّياقِ المعرفِيِّ،والعُنصرُ العاجزُ.والعاجزُ لَيس بإمكانه أن يَفْرِض شُروطَه على الآخرين . القويُّ ــ وَحْدَه ــ مَن يَفْرِض شُروطَه. رَدَّةُ الفِعْلِ لا تَصيرُ فِعْلاً، والعَبْدُ لَيْسَ سَيِّداً ، والجاريةُ لَيْسَتْ سَيِّدةً. وصاحبُ الملهَى الليليِّ يَفْرِضُ شُروطَه على الراقصة . والذئبُ البَشريُّ يَفْرِضُ قانونَه على المرأة الْمُغْتَصَبَةِ، وغُزاةُ الخارجِ يُلْقُونَ أوامرَهم على طُغاةِ الداخل.

[٣٢٣] الحكومةُ مِثْل الْمُومِس . تَنْظُر إِلَيك كَزَبُون ، وتَنْظُر إِلَيها كَسَاقطةٍ .

العلاقةُ إشكاليةٌ بَيْنَ القاتلِ والضَّحية ، بين السارق والمسروق . والمشكلةُ الكُبرى أنَّ هُناك تَبادُلاً في الأدوار . فالقاتلُ يَتقمَّصُ قِناعَ الضَّحية ، والضَّحيةُ تَرْتدي وَجْهَ القاتلِ . والجميعُ يَشعر بالظُّلْمِ . وفي أيِّ مُجتمَعٍ ظالِمٍ ، يَشعر كُلُّ فَرْدٍ بأنَّهُ مَظلوم . حَتَّى القاتلُ يَشعرُ أنَّهُ ضَحِيَّةٌ . لكنَّ السؤالَ الصَّاعق : إذا كانَ كُلُّ الناسِ ضَحايا ، فَمَن المجرم ؟ .

[٣٢٤] يَزدادُ شُعوري بالغُربةِ كُلَّما نَظَرْتُ إلى المِرْآةِ .

للأسفِ ، يُولَد الإنسانُ ويَعيشُ ويَموت دُون أن يَعْرِفَ مَن هُوَ . حَقيقةُ الإنسانِ غائبةٌ عَن الإنسان نَفْسِه . وهذا مُنْتَهَى العَجْزِ والتَّقصيرِ . والعجيبُ أنَّ الإنسانَ يُسخِّر حَيَاتَهُ لاكتشافِ العناصر الْمُحيطةِ بِه ، ولا يُفكِّر في اكتشاف نَفْسِه التي بَيْنَ جَنْبَيْه . الإنسانُ ذلك الكائنُ المنفيُّ في هذه الأرضِ ، الغريبُ في الزمانِ والمكانِ . يَعيشُ في غُربةِ الرُّوحِ وسِجْنِ الجسد ، ولَن يَتحرَّرَ إلا بالموتِ . وكُلُّ إنسان يَعيش في غُربة الرُّوحِ ، عَلَيه أن يَعيش في جَسَد امرأة ، كَي يُولَد مِن جَديدٍ بِلا أحزان ولا عُقَد نفسِيَّة . ولا بُدَّ أن يُولَد المجتمعُ مِن جَديد ، سَواءٌ أرادَ ذلك أَم لَم يُرِدْ . فالجنين الذي على وشك الولادة لا يُستشار هل يريد أن يُولَد أَم لا .

[٣٢٥] اللهُ ــ وَحْدَهُ ــ هُوَ الْمَلِكُ الذي لا يُمْكِنُ خَلْعُه .

الملوكُ أشباحٌ مَقهورةٌ تَحْتَ مَجْدِ الْمَلِكِ الذي لا يَموت . الملوكُ كائناتٌ عاجزةٌ تَنتقل مِنَ العُروش إلى المراحيضِ. الملوكُ أكاذيب، مَجْدُهم زائلٌ، يَضعون التِّيجان ، ثُمَّ يَصيرون طَعاماً للدُّودِ بَعْدَ مَوْتِهم . المجدُ لَكَ أيُّها الملِكُ الذي لا تَمُوتُ . لا مَلِكَ إلا الْمَلِكُ .

[٣٢٦] المشاعرُ الإنسانيةُ لا تَسْقُطُ إلا إذا اجتمعَ غَباءُ المرأةِ مَعَ نَذالةِ الرَّجُلِ .

المشاعرُ هِيَ امتدادٌ مَعرفِيٌّ خارج سُلطة الزمان والمكان . والإنسانيةُ هِيَ نَهْرٌ لَهُ مَنْبَعٌ واحد ، وروافد كثيرة . والمنبعُ هُوَ المشاعرُ . وهذا المنبعُ إذا تَلَوَّثَ ، فإن النَّهْرَ كُلَّه يَتَلَوَّثُ ، ويُصبِح عُنصراً قاتلاً في الطبيعة . والمشاعرُ الإنسانيةُ مَنظومةٌ مُتَكَامِلَةٌ ، تَتدفَّق كالنهر بِكُلِّ سَلاسة . والنهرُ لا يُغيِّر مَجراه إلا إذا تَعَرَّضَ لعوامل خارجية مُؤثِّرة . وإذا اجتمعَ غباءُ المرأةِ مَعَ نذالة الرَّجل ، فإنَّ الذكرياتِ تَصيرُ رَماداً ، وتَصيرُ المشاعرُ جُثةً هامدةً .

[٣٢٧] المريضُ أفضلُ مَن يُشَخِّصُ المرضَ .

الطبيبُ يَصِفُ المرضَ مِنَ الخارج ، أمَّا المريضُ فَيَشعر بالمرضِ مِنَ الداخل . والشُّعورُ الداخليُّ أهمُّ مِنَ الوَصْفِ الخارجيِّ . العاشقُ يَعْرِفُ مَشاعرَ الحبِّ أكثرَ مِنَ الشاعر ، لكنَّ الشاعرَ أفضل في عملية الوَصْفِ . الضَّحِيَّةُ تَعْرِفُ الأحداثَ أكثرَ مِن شَاهِدِ العِيان . والميْتُ يَعْرِفُ مَعْنَى الموتِ أكثر مِن حَفَّار القُبور الذي قَضى حَياتَه مَعَ الأمواتِ في المقابرِ .

[٣٢٨] مَن يَتَزَوَّج امرأةً خَائِنةً كالذي يَشتري سَمَكاً في الماءِ .

خِيانةُ الرَّجُلِ مَكشوفةٌ ، لأنَّ الرَّجُلَ يُمارِس الخِيانةَ بِسَذاجة وغُرور . وخِيانةُ المرأةِ مُسْتَتِرَةٌ ، لأنَّ المرأةَ تُمارِس الخِيانةَ بِدَهاء واحترافية . الخِيانةُ هِيَ السَّرابِ في صَحراء الذِّكرياتِ . زَمَان ، كُنتُ أعتقدُ أنَّ كُلَّ امرأةٍ مُتزوِّجة مُخْلِصة لِزَوْجِها ، لأنَّ عَقْلي لَم يَكُن قادراً على فَصْلِ الزواج عَن الإخلاص . كَم كُنتُ سَاذَجاً . لقد انفصلت الرُّومانسيةُ عَن الجِنس ، وانفصلت الذكرياتُ عَن الذاكرة ، وانفصلَ الإخلاصُ عَن الزواج .

[٣٢٩] السِّياسةُ في العالَم العَرَبِيِّ لا تَختلِفُ عَن رَعْيِ الغَنَم .

العربُ أُضحوكةُ العالَمِ بَعْدَما فَصَلوا الإسلامَ عَن العُروبة ، فصاروا أُمَّةً لَقيطةً لا وَزْنَ لها . الْحُكَّامُ العربُ عِصابةٌ مِنَ اللصوصِ وقُطَّاعِ الطُّرُق ، والشعوبُ قَطيعُ غَنَمٍ مُسْتَسْلِمٌ للذبح . أنتمي إلى أُمَّةٍ مِنَ العبيد والسبايا، فَمِنَ الطبيعيِّ أن أعيشَ في سُوقِ النِّخاسةِ. لَم أرَ رِجَالاً في هذه الأُمَّة الفاشلة الْمُسَمَّاة زُوراً بالأُمَّة العربية،فَكَيْفَ أُصْبِحُ رَجُلاً ؟!.العالَمُ العَرَبِيُّ لا يَقْدِرُ على إطعام نَفْسِه بِنَفْسِه ، وبالتالي لا يَقْدِرُ أن يَحكم نَفْسَه . لا مَعنَى للسِّياسة إلا في الدُّوَل التي تَأكل مِمَّا تَزرع .

وفي العالَم العَرَبيِّ البائسِ لا مَعْنَى للسُّلطةِ ولا مَعْنَى للمُعَارَضَةِ ، لأنَّ الشُّعوبَ تَلهثُ وَراءَ رَغيفِ الخبزِ الذي يُقَدِّمُه الأعداء . الحاكمُ العربيُّ ضَحِيَّةُ شَعْبِه المتخلِّف ، والشَّعبُ المتخلِّفُ ضَحِيَّةُ حَاكِمِهِ المجرم اللصِّ . ونَحْنُ ما زِلْنا نَبحثُ عن أسباب انهيارنا ، وَنَدُورُ في حَلقة مُفرَغة .

[٣٣٠] أعظمُ شُعورٍ أن تُصَلِّيَ الفَجْرَ في المسجدِ، وَأَسْوَأ شُعورٍ أن يُحِبَّ الشخصُ امرأةً مُتَزَوِّجَةً.

عِندَما تَمشي إلى صَلاةِ الفَجْرِ ، تَشعر أنَّكَ تَقتحِم هذا العالَم بِكُلِّ ثِقَةٍ . الناسُ نائمون ، أو بالأحرى ، أموات في مقبرة الوجود . وأنتَ حَيٌّ سَاطِعٌ ، تَسيرُ إلى اللهِ . وحِينَ يُحِبُّ الشخصُ امرأةً مُتزوِّجةً تُصبِح مَشاعِرُه في الحضيضِ،ويَحْفِر قَبْرَه بِيَدَيْهِ.قَلْبُهُ يَذبحُ جَسَدَهُ بِلا رَحمةٍ ولا شَفَقةٍ. ورُبَّ امرئٍ حَتْفُه فِيما تَمَنَّاه ، والجاهلُ يَذهبُ إلى الهلاك بِنَفْسِه ، ودُون ضَغط مِن أحَدٍ .

[٣٣١] الْحُبُّ كالبِطِّيخِ لا يُعرَف طَعْمُه إلا بِغَرْسِ السِّكين فِيه .

الحبُّ والعذابُ . الرغبةُ والعُنف . الأضدادُ تُولِّدُ المعاني . لا يُوجَد حُبٌّ خَالِصٌ . الحبُّ كَومةٌ مِنَ التناقضات ، وهذا ما يَجعله حُبَّاً . كما أن الذهب مَخلوط بالتراب في الطبيعة . والحبُّ هو الطبيعة الحقيقية للإنسان . لكنَّ الضغوطات الحياتية تَطْمِسُ مَشاعرَ الحبِّ في النَّفْسِ البَشرية ، وتَكشف الجانبَ المظلم من الإنسان .

[٣٣٢] الشِّعْرُ هُوَ ثَورةُ المعنَى ، وانقلابُ الذِّكرياتِ عَلى الذِّكرياتِ .

الشِّعْرُ هُوَ الطاقةُ الرمزيةُ في حُروفِ اللغةِ ، يُعِيدُ تَرتيبَ المشاعرِ ، ويُنَظِّمُ فَوْضَى الحواس . والأبجديةُ الشِّعريةُ هِيَ انقلابٌ عسكريٌّ على استهلاكِيَّةِ المشاعر . الشِّعرُ قِيمةُ الفَضيلةِ ضِد هَلْوَسةِ الغرائزِ ، وقيمةُ الحضارة ضِد قَتْل الرُّوح . والشِّعرُ ثَورةُ الدَّمِ التي تُعْطِي للحَياةِ مَعْناها . وكُلُّ شَخْصٍ لَيْسَ لَدَيهِ مَعرفة بالشِّعْرِ ، هُوَ شَخصٌ ضَعيفٌ لُغوياً ، وعاجزٌ عن الاستنباط والاجتهاد ، ولا يَقْدِر على اكتشاف أسرار اللغة .

[٣٣٣] أعظمُ مَبادئِ العُلومِ السِّياسيةِ أن تَعتبِرَ السِّياسِيِّين كاذبين .

السِّياسِيُّون حَفنةٌ مِنَ الأوغاد والسَّماسرة . وحُسْنُ الظَّن بِهم دَليلٌ على الغباء . إنَّهم ذِئاب في ثياب الحِمْلان . الدِّيمقراطيةُ بالنِّسبة إلَيهم سُلَّم يَصعدون عَلَيه نَحْوَ السُّلطة ، ثُمَّ يَكْسِرونه . مَشاعرُهم مِثْل عُود الثِّقاب لِمَرَّةٍ وَاحدةٍ فقط ، ثُمَّ تَموت مشاعرهم في الصراع على الكراسي . يَخترِعون شِعارات الوَحْدةِ الوطنية وخِدمة الناس ، وهُم لا يَخْدِمُون إلا أنفسَهم ومصالحهم .

[٣٣٤] أفضلُ مَكانٍ للاختباءِ مِنَ الشُّرطةِ هُوَ مَخْفر الشُّرطة .

اللامُتَوَقَّعُ هُوَ الواقعُ الحقيقيُّ . وعُنصرُ المفاجأةِ هُوَ العنصرُ القاتل . والرُّوتينُ الوظيفيُّ قاتلٌ للإبداع . يَنبغي التفكيرُ خارج الصُّندوق. كُلُّ العباقرة تَمَّ تَصنيفهم كمجانين أو أغبياء أو منبوذين في بداية حياتهم بسبب غَرابة أطوارهم ، وتَصَرُّفَاتِهم غَير المفهومة . وبَعْد أن أثْبَتُوا وُجودَهم ، وتَركوا بَصمتهم في تاريخ الإبداع العالميّ ، فَرَضوا احترامهم على الناسِ كُلِّهم .

[٣٣٥] الشخصُ الذي لا يَعْرِفُ الإمساكَ بالمسدَّسِ ، لَن يَعْرِفَ قِراءةَ مُعَاهَدَةِ السلام .

الهدفُ مِن الحربِ لَيْسَ الحربَ . الهدفُ هو الحصولُ على شُروطٍ أفضل في مُعَاهَدَة السلام . والسلامُ لا يَكون بَيْنَ قَوِيٍّ وضَعيفٍ ، فلا سَلام بَيْنَ الذِّئب والْحَمَلِ . إنَّهُ استسلامٌ للطَّرَف الأقوى . السلامُ بَيْنَ القويِّ والقويِّ . حِوارُ النِّدِّ للنِّدِّ ، والسلامُ يَصْنَعُه الدَّمُ لا الحِبْرُ . كُلُّ حَرْبٍ سَتَنتهي مَهْما طَالَتْ، والمتحارِبُون سَيَجلسون في نِهاية المطاف على طاولة المفاوَضات . إذن ، لا بُدَّ مِن إنهاء الحرب بأسرع وقت مُمكِن ، مِن أجل حَقن الدِّماء ، وتَقليل أعداد الضَّحايا ، والحصول على مَوْقِعِ القويِّ أثناء المفاوَضات .

[٣٣٦] مَن يُحِب امرأةً مَيْتةً سَيَكُونُ وَاثِقاً أنَّها لَن تَخُونَه .

كُلُّ امرأةٍ تَعيشُ في الفَراغِ ، تَضَعُ رِجْلَها على طريقِ الخيانةِ . لقد رَأيتُ نِساءً خائناتٍ كثيراتٍ في حياتي ، فَصِرْتُ مَرعوباً مِن فِكرة الزَّواج . أمَّا الآن ، فأنا مُرتاح البال ، فلا يُمْكِنُ أن تَخُونَني زَوجتي _ مَهْمَا كانتْ ماكرةً _ ، ولَن أكُون زَوجاً مَخدوعاً ، لأنَّني ببساطة غَيْرُ مُتَزَوِّجٍ . وهذا لا يَعني الطعنَ في النِّساءِ . فالخِيانةُ مَوجودة عِند الرِّجال والنِّساء، لكنَّ خِيانة المرأة مَمزوجة بالدَّهاء ، وخِيانة الرَّجل مَمزوجة بالغباء . مشكلةُ الأُنوثة في عالَمنا أنَّ المرأةَ لَم تَعُدْ قِطةً مُغمَضة العَيْنَيْن . لقد فَتَحَتْ عَيْنَيْها في عَصر السماوات المفتوحة . والانفتاحُ دائماً مُخيف .

[٣٣٧] الْحُبُّ مِثْل انتظارِ القِطارِ في المحطةِ . إنْ تَأَخَّرْتَ عَن الموْعِد سَيَفُوتُكَ القِطَار .

القَرارُ الصَّحيحُ لا مَعْنَى له بِدُون التَّوقيت الصحيح . الوقتُ حاكمٌ على المشاعر ، ولَيْسَ العَكْس . والقرارُ الصحيحُ في الوقت الخطأ هُوَ قرارٌ خاطئ . والحبُّ في غَير وَقْتِه عذابٌ مَجَّانِيٌّ . وكُلُّ شَهوةٍ جَاءتْ في غَير مَوْعِدِها أو زَادتْ عَن حَدِّها ، سَتَتَحَوَّلُ إلى ألَمٍ ومُعاناةٍ . والفُرصةُ إذا ضَاعتْ لَن تَعُود ، وهنا تَتجلى أهميةُ اقتناص الفُرَص . والشبابُ إذا ذَهَبَ لَن يَعُود ، وهنا تتجلى أهمية بناء الإنجازات الكُبرى في فترة الشَّباب، لأنَّ الشَّيخوخةَ انتظارٌ للمَوتِ لا تَخطيطٌ للمشاريع.

[٣٣٨] لا أستغرِبُ مِن الذين يَكْرَهُونني . أستغرِبُ مِنَ الذينَ يُحِبُّونني .

لا أَكْرَهُ الآخرين ، ولا أَحْقِدُ على أحَدٍ ، لَيْسَ لأنَّني الشريف الطاهر ، ولكنْ لأنَّني مَشغولٌ بِعُيُوبي وأخطائي . لا أحْقِدُ إلا على نَفْسي ، ولا أكْرَهُ إلا نَفْسي . كُنتُ أعتبِرُ الناسَ جُهَّالاً. لَكِنِّي سَأَلْتُ نَفْسي : لماذا لا أكُونُ أنا الجاهل ؟ . لماذا أُمارِسُ التَّنظيرَ على الناسِ وأنا في أمَسِّ الحاجة إلى نصائح الآخرين ؟ . بَابُ النَّجارِ مُخَلَّعٌ. إذا كان فُلان يَكْرَهُني ، أوْ كانتْ فُلانة تَعتبِرُني حَقيراً ، فلماذا لا أدْرَسُ مَشاعرهما نَحْوي بِهُدوء بَعيداً عن الأنا العُليا وتَضخيم الذات ؟! . لا دُخان بِدُون نارٍ . الناسُ لَيْسُوا مُشكلةً . أنا المشكلةُ ، وعليَّ أن أُعالِجَ عُيوبي ، وأرْدُمَ الثغراتِ في حياتي ، وهذه الثغرات هِيَ نِقاط ضَعْفي القاتلة . لَم أبْنِ جُسورَ التواصل معَ الآخرين ، ولَم أُقَدِّمْ نَفْسي كشخصٍ قَريبٍ مِنهُم، ويَعيش مَعَهم. ولَم أسْعَ لِنَيْلِ حُبِّ الآخرين . لَم يَشعروا أنَّني مِنهُم ومَعَهُم. فلماذا أَلُومُهم عِندَما يَكْرَهُونني أو يَحتقِرُونني ؟. أنا الشخصُ الانطوائيُّ . حَياتي هُروبٌ مُستمر . أهْرُبُ مِن نَفْسي والمجتمعِ . أهْرُبُ مِنَ الذين أحْبَبْتُهُم ، لأنَّني سَأكُونُ عِبئاً عَلَيهم . أهْرُبُ مِنَ الذين أحَبُّوني، لأنَّهم سَيَكُونون عِبئاً عليَّ . أهْرُبُ مِنَ الذين يُحِبُّونني والذين يَكْرَهُونني على حَدٍّ سَواء. ولا أَلُومُ الأشخاصَ الذين يَكْرَهُونني ، لأنَّني أنا شخصياً أَكْرَهُ نَفْسي . كُرْهي لِنَفْسي لا يُعْطِيني فُرصةً كَي أكْرَهَ الآخرين . حِقْدي على نَفْسي لا يَتْرُكُ لِي وَقتاً كَي أحْقِدَ على الآخرين . كُنتُ أُسطورةً وأيقُونةً . وجاءَ الوَسْواسُ القَهْرِيُّ لِيُحَوِّلَني إلى حَشَرَةٍ خائفةٍ مِن ظِلِّها . قَضى الوَسْواسُ القَهريُّ على أعصابي، فَهَرَبْتُ مِن الحياة الاجتماعية . أخُوضُ حَرْباً أهليةً داخل جِسْمي، والعُزلةُ مَفروضةٌ عَلَيَّ كالإقامةِ الجبريَّةِ . أحْمِلُ عَقْلاً يُدمِّرني بِلا رحمة . أنا ضَحِيَّةُ عَقْلي . أنا فريسةُ ذِكرياتي . عَقْلي يَكادُ يَنفجِرُ، وجسدي يَضْمَحِلُّ في مَداراتِ العُزلة. لا أستطيعُ العَيْشَ معَ الناس . اعتزلتُ العَالَمَ لأنَّني مُلَوَّثٌ . أَقُومُ بِعَمليةِ تَطهيرٍ وَتَطَهُّرٍ . دَخَلْتُ إلى الأحزان كي أتطهَّرَ . لا أُحِبُّ مُقَابَلة الناسِ وأنا مُلَوَّثٌ . لا أُريدُ رُؤيةَ الناسِ وأنا مَكسور . لا تَكْرَهُوني يا إخْوتي . ولا دَاعِي أن تُدَمِّرُوني . أنا أُدَمِّرُ نَفْسِي بِنَفْسِي . أَحْمِلُ بِذرةَ نِهايتي في قَلبي المكسورِ ، كالأُمِّ التي تَحمل الجِنينَ وتَعتني بِه ، وهو قاتلها . عَواملُ انهياري كامنةٌ فِيَّ . والوُجودُ الإنسانِيُّ مُرتبطٌ بالعَدَمِ . ولا مَجالَ للإفلاتِ . كُلَّ يَوم أنتحِرُ ، وَمَا زِلْتُ أنتحِرُ . لَكِنِّي سَأُولَدُ مِن مَوْتي إعصاراً لا يَنتهي ، ولَن أرْفَعَ الرايةَ البَيضاءَ ، سَوَاءٌ اعْتَرَفَتْ بِي رَاياتُ القبائلِ أَمْ لَم تَعترِفْ .

[٣٣٩] قُل لِي كَم قِيمةُ فَاتورةِ الهاتفِ أَقُلْ لَكَ مَنْ زَوْجَتُك .

المرأةُ هِيَ رَوائيةٌ بامتيازٍ، لأنَّ حَياتها مَبْنِيَّةٌ على الكذب والثرثرة والتلاعبِ بالأحداث والوقائع. ولَيْسَ غريباً أن تَكونَ أحاديثُ الأُمَّهاتِ والجدَّاتِ هِيَ شُعلةَ الإلهام للروائيين . المرأةُ هي أُكذوبةُ

الصَّدى، تَعيشُ حياتها في التاريخ الافتراضيِّ . تَخترع زماناً لذكرياتها ، وتَبتكِر مكاناً لأحلامها . تَعيشُ المرأةُ بَيْنَ الغِيبة والنَّميمة ، وتُؤسِّس وُجودَها بين القِيل والقال . المرأةُ ظاهرةٌ صَوتيةٌ . تُغيِّر رَأْيَها باستمرار ، لأنَّ الكلامَ لُعبتها. المرأةُ مِثْل الأُمَّةِ العربيةِ بَائعةُ كَلامٍ ، تَصنعُ الشِّعاراتِ الفارغة، ولا يُوجَد تَطبيقٌ على أرض الواقع . سِلاحُ المرأةِ هُوَ لمعانُ دُموعِها . وصَوْتُ دُموعِها هُوَ أزيزُ الرصاص في غابةِ الأحزانِ وذاكرةِ الأحلام الضائعة .

[٣٤٠] الكتابةُ تَكْسِرُ رُوتينَ الحياةِ .

الكتابةُ حَياةٌ جَديدةٌ لها قانون خاصٌّ بها ، هو قانون التمرد . التمرد على الأنماطِ الاستهلاكية والحياة الروتينية الْمُمِلَّة . الكتابةُ تُعيدُ اكتشافَ الدَّهشةِ والبَهجة في الأشياء ، التي تُعْتَبَر عاديةً . ولا شَيْءَ عادِيًّا في الكتابة .

[٣٤١] في الوَطَنِ العَرَبِيِّ تَكُونُ لَيْلةُ الدُّخلةِ مِثْلَ الذهابِ إلى دَائرةِ الْمُخَابَرَاتِ .

المرأةُ العربيةُ جَمَالُها مُتوسِّط ، وتَفتقِرُ إلى العُمقِ الرومانسيِّ . والمجتمعُ يَضغط عَلَيها بِشراسةٍ ، ويَزرع فِيها كَثيراً مِنَ العُقَد النفسية المتعلِّقة بالعُنوسة ، والتقاليدِ ، والعاداتِ ، والخوفِ من المستقبَل ، والقوانينِ العشائرية . والزَّواجُ في البيئة العربية عَلاقةٌ ذات طابع عَسكريٌّ ، لأنَّها مَنظومةٌ ميكانيكيةٌ مُغلَقة ، تَعتمِد على التَّراتُب الوظيفيِّ ، وإصدارِ الأوامرِ ، واستغلالِ السُّلطة ، والقتلِ المنهجيِّ للمشاعرِ والذكرياتِ .

[٣٤٢] لأنَّني فاشلٌ في الْحُبِّ عَلى أرضِ الواقعِ ، أصْنَعُ الْحُبَّ في أعمالي الأدبية .

الخيَالُ نِعْمةٌ إلهيةٌ عُظْمَى ، لأنَّهُ يَنقلنا إلى عوالم سِحرية لا يُمْكِن رُؤيتها على أرضِ الواقع . وهكذا يَصيرُ الخيَالُ تَعويضاً لنا عَن خَيباتنا المتكرِّرة واقعياً ، وفُسحةً للعَيش في فضاء مثاليٍّ حالم . ولأنَّني فاشلٌ في الحبِّ صِرْتُ شَاعراً .

[٣٤٣] المأزِقُ الإنسانيُّ يَتَجَلَّى في دَوَرَانِ الفَرْدِ حَوْلَ الحياةِ دُون أن يَعِيشَها .

الإنسانُ يَلُفُّ ويَدُورُ دُون أن يَدْخُلَ إلى المعنَى . يَضْرِبُ على السَّطْحِ ، ولا يَضْرِبُ في العُمْقِ . يَقضي وَقْتَهُ في دِراسة رَوافدِ النَّهر،لَكِنَّهُ لا يَعْرِفُ مَنْبَعَ النهرِ. يُحَلِّلُ صَوْتَ حَجَرِ الرَّحى،ولا يَعْرِفُ مَركَز حَجَر الرَّحى . يَدُورُ حَوْلَ السُّور ، ولا يَدخل إلى البَيت . يَعيشُ حَيَاتَهُ على الهامشِ سَعيداً ، ولا يُفكِّر في الْمَتْنِ . يَأتي إلى الدُّنيا ويَخرجُ مِنها دُون أن يَعْرَفَ حقيقةَ ذَاتِه والهدفَ مِن وُجوده .

[٣٤٤] إنْ تَزَوَّجْتُ صِرْتُ شَخصاً عَادِيًّا .

الزَّواجُ نظامٌ آليٌّ مُغلَق ، يستند إلى الروتين الوظيفيِّ والْمَلَلِ الجِنسيِّ . والزَّواجُ إنْ لَم يُشْحَنْ بالمشاعر والأحاسيس والذِّكريات بصورة مستمرة ، سَيَتَحَوَّلُ إلى مقبرة حقيقية . ولأنَّني عاجزٌ عَن بَثِّ الرُّوح في الزواج لَم أتزوَّجْ ، فحافظتُ على تَمَيُّزي ، وحَفِظْتُ ماءَ وَجْهي ، ولَم أسْقُطْ ضَحِيَّةً للنظام الميكانيكيِّ الاستهلاكيِّ الذي يُسيطِر على حياتنا ، التي صَارتْ طاردةً للمشاعر ، وقاتلةً للأحلام . الزواجُ في المجتمعات المنهارة هو دَوَرَان في حلقة مُفرَغة . والأنظمةُ القَمعيةُ التي تَحكم المجتمعاتِ المتخلِّفة دَمَّرَتْ كُلَّ شَيء جَميل ، فصارَ المستقبَلُ مَجهولاً ومُخيفاً .

[٣٤٥] الشِّعْرُ الحقيقيُّ بَحْثٌ عَن القَصيدةِ ، ولَيْسَ كِتابةً للقَصيدةِ .

الشِّعْرُ هُوَ رِحلةُ البَحْثِ عَن الألفاظِ والمعاني ، رِحلةٌ لها بِداية ، ولَيْسَ لها نِهاية . والشاعرُ يَمشي ولا يَصِلُ ، لأنَّهُ إذا وَصَلَ ماتَ . الشِّعْرُ سَفَرٌ مُتواصِلٌ ، لا يَهدأ ولا يَتْعَب . الهدوءُ والتَّعْبُ يَنْسِفَان المشروعَ الشِّعريَّ . والشِّعْرُ بَحْثٌ عَن القصيدةِ ، وهذا البَحْثُ هو القصيدة . لا بُدَّ أن تَظَلَّ المغامَرةُ اللغويةُ مُستمرةً في جسد القصيدة ، كَي يَظَلَّ المعنَى الشِّعريُّ مَفتوحاً على كُلِّ الاحتمالاتِ . لا بُدَّ أن تَبقَى القصيدةُ مُجتمَعاً مَفتوحاً ومُنْفَتِحَاً ، كَي تَستمرَّ عمليةُ الولادة في الأنساق الاجتماعية ، وتَستمرَّ عمليةُ التَّفجير في رمزية اللغة الشِّعرية . ورَغْمَ كُلِّ الولادات في جسد القصيدة ، ستظلُّ القصيدةُ هِيَ الأرضَ البِكْرَ ، والنهرَ المتدفِّقَ الذي لا يَجِفُّ .

[٣٤٦] عُقدةُ حَياتي شَيئان : قِيادةُ السَّياراتِ ، ولَيْلةُ الدُّخلةِ .

أكْرَهُ قِيادةَ السَّياراتِ، لأنَّها تُدَمِّرُ أعصابي. تَحْقِنُني بالتَّوتر. شَوارعُنا مَليئة بالفَوضى والصُّراخ. نحن مجتمعات الضَّوضاء . أسْمَعُ جَعجعةً ولا أرى طَحْناً . عِشْنا في الفَوضى ، لأنَّنا شُعوبٌ بَدويةٌ بِدائيةٌ مُتخلِّفةٌ ، ولَم نتعلم لغةَ الحوار الهادئ . أكْرَهُ لَيْلةَ الدُّخلةِ ، أتخيَّلُها مِثْل السِّرداب السِّري في دَيْرٍ قديم ، أو مِثْل قاعة في محكمة التَّفتيش . لَيْلةُ الدُّخلة هِيَ بَدْءُ انتحاري التدريجيِّ ، وَلَوْ خُيِّرْتُ بَيْنَ مُوَاجَهة عَدُوِّي في المعركةِ وبَيْنَ لَيْلةِ الدُّخلة، لاخترتُ المعركةَ، لأنَّ احتمالاتِ الانتصار أعلى . وإذا ماتَ الإنسانُ في المعركة يَموت مَرَّةً واحدة . أمَّا الزَّواج في المجتمعَات المتخلِّفة فَهُوَ مَوتٌ بَطيء . قيادةُ السَّيارات ولَيلةُ الدُّخلة ، تَشْهَدَان على أزماتي الرُّوحية وفَشَلي الاجتماعيِّ. لَم أتَوَقَّعْ في يَوْمٍ مِنَ الأيام أنَّني سَأَحْتَرِقُ وَعُودِي أخضر. كُنتُ أتوقَّعُ أنَّني سَأُدَمَّرُ ، لَكِنِّي لَم أتوقَّعْ أنَّني سَأُدَمَّرُ في فترةِ شبابي . لقد جاءَ الدمارُ مُبكِّراً . انطفأتُ وأنا في عِزِّ شَبابي . احترقتُ وَعُودِي أخضرُ. وَلَوْ كان الانتحارُ مُباحاً لانتحرتُ مُنذُ مُدَّةٍ بعيدة. عليَّ أن أدفعَ ضَريبةَ

الذكرياتِ وَحيداً، وأن أبكيَ على الأطلالِ في المساءِ الحزين وَحيداً . إنَّ الوَحدةَ هِيَ طَريقي لأنَّني أضَعْتُ الطريقَ .

[٣٤٧] فَترةُ اكتئابي مِثْل فَترةِ الحيْضِ للمرأة .

عِندَما أدخلُ في فَترةِ الاكتئابِ ، أفْقِدُ جُزءاً كَبيراً مِن قُدراتي العقليةِ . أسيرُ في النَّفَقِ المظلمِ نَحْوَ الضَّوء كَي أكْسِرَ أحزاني . أحياناً أتناولُ الشُّوكولاتة بكثرة لأُحَطِّمَ اكتئابي قبل أن يُحَطِّمَني . أمشي في شَوارع الليل باكياً ، وأحْرِقُ الشوارعَ بِدُموعي. لا أبْحَثُ عن امرأةٍ أعيشُ مَعَها ، وإنما أبْحَثُ عَن شَخصيتي العَائشةِ في المرأة . أبحثُ عَن صُورتي الغامضة في أشجارِ الشوارع ، وأركضُ وَراءَ أطيافِ الموتى في الليلِ الطويل. أُعيدُ اكتشافَ طُفولتي في مَوْتِ الأزهار، وأنبعِثُ مِن حُطامي.

[٣٤٨] أنا سَعيدٌ لأنَّ كُلَّ النِّساءِ عَجِزْنَ عَن إيقاعي في مِصْيَدةِ الزواج .

المجتمَعَاتُ الإنسانيةُ قاتلةٌ للحُبِّ ، لأنَّها تَغرَق في الإيقاعِ الصِّناعيِّ الصَّاخبِ . الرَّجُلُ الآلِيُّ سَيْطَرَ على الرَّجُلِ ، والمِكياج سَيْطَرَ على الأقنعة . الحضارةُ الحديثةُ هِيَ أُكذوبةٌ ، والتِّكنولوجيا أعْطَت الإنسانَ الرَّفاهيةَ المادية ، وقَتلت فِيه المشاعرَ ، ودَمَّرَت العلاقاتِ الاجتماعية . تَركضُ المرأةُ وراء الرَّجل باعتبارها عَانِسَاً ، فهو الصَّيد الثمين ، والفريسةُ القادرةُ على إخراجها مِن العُنوسة ، وإراحتها من الضَّغط الاجتماعيِّ . المرأةُ لا تَمْلِكُ حقَّ الاختيارِ ، لأنَّها واقعة تحت سَيف العُنوسة ، وَهِيَ في سِباق مَعَ الزَّمن . لَم تَجِدْ أمامَها إلا هذا الرَّجل الفريسة ، فَتُحَاوِل اصطيادَه بالحبِّ والإعجاب ، لَيْسَ لأنَّها تُحِبُّه ، أو أنَّهُ سَيِّد الرِّجال ، وإنَّما لأنَّه الرَّجل الوحيد الموجود أمامَها، فهو مِثْل الزَّبون الوَحيد في مَتْجَرٍ يَخلو مِنَ الزبائن. وَلَوْ تَزوَّجتُ امرأةً فأمامَها مُهِمَّة شاقة ، وهي انتشالي مِن قاع الاكتئاب ، وتَنقيةُ دَمي مِن كُلِّ النساء اللواتي مَرَرْنَ في حياتي . لقد أرَحْتُها مِن هذه الْمُعاناة، وارْتَحْتُ مِنها، وهي ارتاحت مِنِّي. وبذلك نَكون قَد وَصَلْنا إلى مُعادَلة: لا غالب ولا مَغلوب . ونَحْنُ الآن مُتَعَادِلان . أنا سعيد أنني عَانِس . وكَلِمةُ " عانس " تُطْلَق على الرَّجل والمرأة . العُقَدُ النَّفسيةُ تجاه النساء مُنذُ طُفولتي تُسيطِر على علاقتي بالمرأة . وهذه العُقَدُ مِثْل كُرة الثلج ، كُلَّما تَدَحْرَجَتْ ازدادَ حَجْمُها . أنجذِبُ إلى المرأة التي تَكْبُرُني في السِّن . مِنْ كَثرةِ مَا أَحْبَبْتُ وَأَحَاطَني الناسُ بالْحُبِّ لَم أعُدْ أشعرُ بالْحُبِّ . كَثرةُ المِسَاس تُذْهِبُ الإحساس . أحياناً ، أتخيَّلُ أنَّني تَزوَّجْتُ كُلَّ النِّساء إلا المرأة التي أحْبَبْتُها . أقْدِرُ أن أُعْطِيَ جَسدي لامرأةٍ واحدةٍ ، ولكنني لا أقْدِرُ أن أُعْطِيَ قلبي لامرأةٍ واحدةٍ . رُبَّما يَكُونُ عَدَمُ زَواجي

دَليلاً على احترامِ المرأةِ . أنا كَعُنصر الهيدروجين ، هُناك إلكترون واحد في الْمَدَار ، لا أُكَوِّنُ رَوابط ولا علاقات . لا أحَدَ يُشْبِهُني ، ولا أُشْبِهُ إلا عُنصرَ الهيدروجين. قُوَّةُ الهيدروجين في الإلكترون الوَحيد السَّابح في الْمَدَار. قُوَّتُه في أُحَادِيَّتِه . وعُنفوانُ الفَيْلَسوفِ هُوَ عُنفوان عُنصر الهيدروجين . وَقُوَّةُ العُصفور في بَقائه خارج القفص، فإن دخل القفصَ خَسِرَ كُلَّ نِقاطِ قُوَّته، حتَّى لَوْ كانَ القفصُ مِنَ الذهب . تَزَوَّجْتُ نَفْسي ، وأنجبتُ أحزاني . وأحزاني لا تَسمح لِي بالزَّواج مِن أيَّة امرأةٍ . أنا العُنصرُ الذاتيُّ الْمُكتفِي بِذَاتي . وللأسف ، لَم أجِدْ في قَامُوسي الاجتماعيِّ لَفظةَ " الزواج " . ولا تَستطيعُ المرأةُ أن تَتحمَّلَ عُقَدي النَّفسية . لا ذَنْبَ لها أن تَعيشَ مَعَ وَساوسي القاتلةِ . أنا واثقٌ أنَّها سَتَجِدُ رَجُلاً أفضلَ مِنِّي. وعُموماً ، إنَّ الذُّكورةَ صِنفان : أُحادي وثُنائي . الصِّنفُ الأُحاديُّ سَيَفشل في الزواج، والصِّنفُ الثاني سَيَنجح في الزواج إذا تَوَفَّرت العواملُ الاجتماعية المناسِبة .

[٣٤٩] لَم أُكَوِّنْ أُسْرَةً لأنَّني أُريدُ التَّفرغَ لأُسْرتي الحقيقيةِ (اللغة) .

اللغةُ هِيَ أُسْرَتي الْمُقَدَّسَةُ الطاهرةُ الْمُطَهَّرَةُ . هذه أُسرتي الحقيقية . لا أحتاجُ إلى زَوجةٍ تُخْفِي وَجْهَها وراء قِناع المِكياج . اللغةُ وَجْهٌ لا قِناعٌ . لا أحتاجُ إلى أبناء يَعْجَزون عَن حَمْلِ تُراثِ أبيهم الفكريِّ. اللغةُ هِيَ الْخُلودُ الأبديُّ، تَحْمِلُ تُراثي وميراثي ، وتَجعلني خالداً بِدُون تكاثر بيولوجيٍّ. اللغةُ هِيَ العائلةُ الخالدةُ ، والعائلةُ هِيَ اللغةُ الفانيةُ .

[٣٥٠] القُوَّةُ الذاتيةُ لَيْسَتْ مُكْتَفِيَةً بِذَاتِها .

لا يُمْكِنُ التَّعويلُ على القُوَّة الذاتية . ما فائدةُ العقلِ السليم في الجِسْمِ المريضِ ؟ . ما فائدةُ الأخطبوط بِدُون أذْرُع ؟ . لا بُدَّ مِنَ الأذْرُع . قُوَّةُ النهرِ في رَوافده لا مَنْبَعِه ، وقُوَّةُ العُصفورِ في أجنحته لا رُوحِه . قُوَّةُ المرأةِ في قَميصِ نَوْمِها لا جِسْمِها . هكذا يَصيرُ السرابُ حقيقةً ، وتَصيرُ الأطرافُ مَرْكَزاً ، ويَصيرُ الهامشُ مَتْناً .

[٣٥١] بِمَا أنَّ الإنسانَ يَذْهَبُ إلى المِرْحاضِ . إذَن ، لا فَرْقَ بَيْنَ الْمَلِكِ وخَادِمِهِ .

الإنسانُ هُوَ سَبَبُ تَلَوُّثِ العالَم . إنَّهُ مَصْدَرُ النِّفايات في هذا الوُجود . يَأكلُ ويَشربُ ثُمَّ يَذهب إلى المِرْحاضِ ، فلماذا يَتكبَّرُ ؟ . عَلَيهِ أن يَنظُر إلى نَفْسِه لِيَعْرِفَ أنَّهُ مَخلوقٌ عاجزٌ أعْمَاهُ الغُرور . قَبْلَ أن يُفكِّر في صناعةِ الحضارةِ وقِيادة الوجود الإنسانيِّ ، يَجب أن يُفكِّر بالأوساخِ التي تَخْرُج مِنهُ لِيَعرِفَ مُستواه الحقيقيَّ ، ثُمَّ بعد ذلك يُخطِّط لإعمارِ الأرضِ . الغُرورُ هُوَ القَيْدُ في رَقبةِ

الإنسان ، والأطماعُ هِيَ الضَّوءُ القاتلُ الذي يَجذِب الإنسانَ إلى الهلاكِ ، كما يَجذِب الضَّوْءُ الفَراشاتِ إلى حَتْفِها .

[٣٥٢] في المجتَمَعَاتِ المتخلِّفةِ يَتِمُّ تحديدُ قِيمةِ الإنسانِ حَسَبَ نَوعيةِ السَّيارةِ التي يَرْكَبُها .

نَعيشُ في مُجتمع الرِّياءِ . القوانينُ التي تَحكمنا هي قوانين النِّفاق الاجتماعيِّ . القانونُ الذي يُطَبَّق على الفقير ، لا يُطَبَّق على الغنيِّ ، لأنَّهُ فْوَقَ القانون . يَدفعُ المالَ للسُّلطةِ كَي تَمنحه حَقَّ كَسْرِ القانون . كُلُّ شيء يُشْتَرَى بالمال في بلاد الوهم . المعاييرُ الحاكمةُ في المجتمع ماديةٌ بَحتةٌ لا علاقة لها بالأخلاقِ الحميدةِ والمشاعرِ النبيلة.شُعوبٌ تَبيعُ أوطانَها، وتَرقصُ على الأغاني الوطنيةِ.

[٣٥٣] أفضلُ تَعريفٍ للشِّعْرِ هُوَ الشِّعْرُ .

الشِّعْرُ هُوَ الشِّعْرُ . هذا هُوَ التعريفُ الرَّسميُّ . ومعَ هذا، تُوجَد تَعريفات تتعلق بوظيفة الشِّعْرِ في هذا الوجود . الشِّعْرُ عِلاجٌ بالصَّدَماتِ الكَهْربائيةِ ، يَشتمل على عُنْصُرَي المفاجأةِ والصَّدمة ، لِبَعث الحياةِ في قلوب الناس وأجسادِهم . هؤلاء الناسُ الذينَ يَمشون في الشوارع، ويَظُنُّون أنهم أحياء، وهُم_ في حقيقة الأمر _ أمواتٌ . لكنَّ أحداً لَم يُخبِرهم بهذه الحقيقة الصادمة . وَظيفةُ الشِّعْرِ هِيَ إخبارُهم بأنَّهم أموات ، ثُمَّ إعادتهم إلى الحياةِ . والاعترافُ بالمرضِ أوَّلُ خُطوة للعلاج ، ولا فائدة مِنَ الْمُكَابَرَةِ . والشِّعْرُ هُوَ السَّيطرةُ الفَلسفيةُ عَلى الذِّكريات . الذكرياتُ فَرَسٌ جامح ، لا يُمكِن التَّحكم بِها إلا بالشِّعْرِ. والشِّعْرُ طَبيبي النَّفْسِيُّ الذي وَفَّرَ عَلَيَّ الوَقْتَ والْجُهد والمال. أكتبُ الشِّعْرَ بِلُغةٍ مُشَفَّرةٍ ، لأنَّه فَن الرموز . الشِّعْرُ للنُّخبةِ ، ولا علاقة للعَوام بِه . أكتبُ الشِّعْرَ كَي أُؤَرِّخَ للحُبِّ الضائعِ . الشِّعْرُ استعادةُ الزَّمنِ الجميلِ الذي مَضى ، ولَن يَعود في الواقع . إنَّ الشِّعْرَ قادرٌ على إعادته إلى الواقع . سَأعتزِلُ كِتابةَ الشِّعْرِ حِينَ يَغيبُ الحبُّ في حَياتي ، وَهُوَ الآن يَغيبُ تَدريجياً حتَّى يَنطفِئ تماماً . وأنا في سِباق مَعَ الزَّمن . سأعتزِلُ كِتابةَ الشِّعْرِ عِندَما يُصْبِحُ وُجودُ المرأةِ في حَياتي كَعَدَمِهِ .

[٣٥٤] وَظيفةُ المثقفِ أن يظلَّ شَوكةً في حَلْقِ النظامِ الحاكمِ .

المثقفُ هُوَ الصَّخرةُ في طريقِ هَلْوسةِ النظامِ الحاكمِ . يَفضحُ أكاذيبَ السِّياسِيِّين ، ويُدافِع عن الفقراء والمنبوذين في المجتمع، ويَكون صَوْتَ مَن لا صَوْتَ له. الثقافةُ لَيْسَت اجتماعاتٍ في الفنادق الفَخْمة ، واصطياداً للمُعْجَبين والْمُعْجَبَات . الثقافةُ هِيَ نُصرةُ المظلومين . ووظيفةُ المثقفِ تتجلى في إعادة تَرتيب المجتمع الذي جَعله السِّياسِيُّون فَوضوياً وعَبثياً ، لِيَسْهُلَ حُكْمُ الناس

كقطيع الغنم . المثقفُ الحقيقيُّ يَرفض أن يَدخل الحظيرةَ ، ويَمنع الآخرين مِن دُخولها ، لأنَّ دُخولَ الحظيرةِ يَعني أنَّ مَشروع " حَيْوَنة الإنسان " الذي يُؤمِن بِه النظامُ الحاكمُ القَمعيُّ قَد نَجَحَ . وهذا أكبر تَهديد للفرد والجماعة . فالإنسانُ إنسان ، والحيَوانُ حَيَوَان . وأيَّةُ مُحاوَلة للخلط بَيْنَهما سَتُؤدِّي إلى تَدمير شامل للنَّفْسِ البشرية ، وإشاعةِ الفَوضى في عناصر الطبيعة . والمثقفُ هُوَ السَّدُّ المنيعُ الذي يَمنع وُصولَ الفَوضى إلى عناصر الوجود الإنسانِيِّ خاصَّةً ، وعناصرِ الطبيعة عامَّةً .

[٣٥٥] نُقطةُ ضَعْفِ اللصِّ أنَّهُ يَعْلَمُ أنَّه لِص .

المعنوياتُ هِيَ التي تُقاتِل ، ولَيْسَتْ أسلحة الجيوش . إذا كانت بِذرةُ الانهيارِ في داخلك ، فأنتَ مُنهارٌ، ولا دَاعي للبَحث عن العواملِ الخارجية. تنهارُ العمارةُ عِندَما تُفرَّغ مِنَ الهواء . إنَّ الفراغَ الداخليَّ هُوَ الذي يَجعل العواملَ الخارجيةَ قويةً ، ويُغريها بِمُمارَسة الضغط . ما أساءَ إلَيَّ أحَدٌ وَلُمْتُهُ ، بَل ألُومُ نَفْسي لأنَّني مَنَحْتُهُ الفُرصةَ للتطاوُل عَلَيَّ . لا تُضَيِّعْ وَقْتَكَ في شَتْمِ اللصِّ عِندَما يَسرق بَيْتَك ، بَل عَاتِبْ نَفْسَك لأنَّكَ لَم تُحَصِّنْ بَيْتَك . والرَّجلُ الذي تَخونه زَوجته عَلَيهِ أن يَعْرِف ما الذي يَنقصه ، حتَّى ذَهبت زَوجته إلى غَيره ، قَبْلَ أن يُفكِّر في إلقاء مُحاضرة الشرف.

[٣٥٦] الكاتبُ لا يَنتحِرُ إلا إذا فَقَدَ الشَّغَفَ بالكتابةِ .

الكِتابةُ هِيَ شَرَفُ الكاتبِ ، وشَرعيةُ وُجوده ، وأوْسِمَتُه الخالدة . والكتابةُ هِيَ تَجسيدٌ للمُتعة الشخصية التي تَتَحَوَّلُ إلى نظامٍ ثَوريٍّ انقلابِيٍّ ، واللغةُ هِيَ تَطبيق عمليٌّ لأحلامِ الطفولةِ المستحيلةِ. والكتابةُ هِيَ صِناعةُ عوالم مُوازِية ، والعَيشُ في حَيَوَات سِحرية تَتفوَّق على عُمُرِ الإنسانِ القصيرِ .

وإذا أدارَ الكاتبُ ظَهْرَه للكتابةِ، فَقَدَ شَرَفَه ، وصارَ وَصمةَ عارٍ في تاريخ الإنسانية . ولا حياةَ للكاتبِ إلا في ظِلال كتاباته، وحُروفُ لُغته هي الأُكسجين الذي يَتنفَّسه . ولَيْسَ مِنَ الحِكمة أن يَهْدِمَ الإنسانُ مَا بَنَاهُ بِيَدَيْهِ .

[٣٥٧] أنا كالزِّلزالِ لا يُرَى ، لَكِنَّ آثارَهُ تُرَى .

كَلِمَاتي هِيَ الشُّعلةُ ، فلا تَبحث عن عُود الثِّقابِ . أبجديتي الشِّعريةُ هِيَ رَأسُ الْحَرْبَة ، وأنا الجنديُّ المجهولُ.فاحتفِلْ بالنَّصْرِ، ولا تَبحث عَن صَانعِ النَّصر. امْشِ تحت أقواس النصر ، ولا تَنتظِر السَّجادَ الأحمرَ، ولا تَبحث عَن الأوسمة العسكرية. كُنْ نَفْسَكَ مُكْتَفِيَاً بِذَاتِك ، ولا تَنتظِرْ شاعراً يُخَلِّدُ أفعالَكَ . أنتَ الشاعرُ الخالدُ . لا تَنتظِر امرأةً تُلْقِي عَلَيْكَ أكاليلَ الغارِ . أنتَ ذُكورةُ

المعنَى وأُنوثةُ الأبجديةِ ، لا تَحتاج إلى رَجُلٍ ولا امرأة . ماتَ الرَّجُلُ والمرأةُ ، وأنتَ وَحْدَكَ حَيٌّ في الأرضِ الخراب . أنتَ الناجي الوحيدُ مِنَ الزِّلزال لأنَّكَ الزِّلزالُ . اخْتَفَت الذاكرةُ كَي تَظَلَّ الذكرياتُ في بُؤرة الضَّوء. كَلِمَاتي هِيَ الوُجودُ ، وأنا الشَّبَحُ ، فَعِشْ في كَلِمَاتي ، واتْرُكْ الموتَ للموتى . كُلُّنا سَنَذهبُ إلى اللهِ بَعْدَ الموْتِ ، لَكِنَّ العاقلَ مَن يَذهبُ إلى اللهِ قَبْلَ الموْتِ .

[٣٥٨] أن أَعْمَلَ طَبَّالاً في مَلْهَىً لَيْلِيٍّ أفضلُ مِن أن أحْكُمَ شَعباً مِنَ الأغنام .

يَخْسَرُ الشخصُ شَرَفَه حِينَ يَتحرَّك بِعَكْسِ إنسانِيَّته . وعِندَما يَتَحَوَّلُ الشعبُ إلى قَطيعٍ ، يَسيرُ إلى الهاويةِ السَّحيقةِ ضاحكاً . وهذه النِّهايةُ المأساوية تتعارض مَعَ المعنَى الإنسانِيِّ . والراقصةُ التي تَعْرِفُ مَعنَى الرَّقْصِ أفضلُ مِنَ الشَّخص الذي يَجْهَلُ مَعْنَى الإنسانية . والشَّعبُ يُضيِّع وَقْتَهُ في لَوْمِ الحاكم، وتَحميله مسؤولية الانهيار،ويَنسَى الشعبُ أنَّهُ قبائل مُتناحِرة ومُتخلِّفة لا تستحقُّ الحضارةَ.

[٣٥٩] عِندَما أكتبُ أمتلِكُ سُلطةً سِحريةً .

عِندَما كُنتُ فَتَىً حَلُمْتُ بالزَّواجِ مِن الممثلة الأمريكية جُودي فوستر حِينَ أَكْبُرُ ، لَكِنَّني حِينَ كَبُرْتُ عَلِمْتُ أنَّ الملِكَاتِ خادماتٌ في قَصْري. الكتابةُ جَعَلَتْنِي مارداً وعِملاقاً . القَلَمُ هُوَ السَّيف، وأنا أُقاتِل على كُلِّ الجبَهات . صَحيحٌ أنَّ قَصْري رَمْلِيٌّ ، لَكِنَّني أتحدَّى أمواجَ البَحْرِ . صَحيحٌ أنَّ جَسَدي طَعامُ الدُّودِ ، لَكِنَّ قَلبي عائشٌ في قُلوبِ الآخرين ، وكَلِمَاتي خالدةٌ لا تَموت .

[٣٦٠] المرأةُ العربيةُ مِثْل بِرْمِيلِ النِّفْطِ الخام .

المرأةُ العربيةُ هِيَ ضَحِيَّةٌ وقاتلةٌ في آنٍ معاً.تَفْتَقِر إلى أسلحة كثيرة. يَنْقُصُها جَمَالُ الشِّيشانيات، وشُموخُ الشَّركسيات ، ونُعومةُ البُوسنِيَّاتِ ، وعُذوبةُ التُّركيات ، وسِحْرُ الفارسِيَّات . وعِندَما أُجْرِي عَملية مُقارَنة بين هؤلاء النِّساء ، أُدْرِك أنَّ الرَّجُلَ العَرَبِيَّ ضَحِيَّةٌ لِمِكياج المرأة العربية .

[٣٦١] عَالَمُ الرَّاهباتِ في الأدْيِرَةِ يُمَثِّلُ لِي مَا تُمَثِّلُهُ ألف لَيْلة ولَيْلة في العقل الغربِيِّ .

ماذا تَفعلُ الراهباتُ في الأديرةِ ؟ . هذه الأديرةُ التي تَحتوي على الغُرفِ والممرَّاتِ تُشكِّل عالَماً سِرِّياً . حياةٌ تَختبئُ وراء الأسوار . ذِكرياتٌ وأسرار . مَشاعرُ نِساء يُقَاتِلْنَ شَهواتِهِنَّ الجنسيةَ ومَشاعِرَهُنَّ المكبوتة .

[٣٦٢] أجْمَلُ شَيْءٍ في الحياةِ ألا تنتظِرَ أحَداً كَي يُحِبَّكَ أوْ يُسَاعِدَكَ .

لا تَنتظِرْ شَيئاً مِنَ الحياةِ . لا تَنتظِرْ أحَدَاً يَمُدُّ لَكَ يَدَ المساعدةِ . انتظِرْ قَلْبَكَ واذهبا معاً . وسَاعِدْ نَفْسَكَ بِنَفْسِكَ . لا تَتَوَقَّعْ أن يُعَظِّمَكَ الناسُ ، أو يُقدِّروا مَشاعِرَك . الناسُ أمواتٌ يَغْرَقُون في مَلَلِ الحياة الرُّوتينية . لا أحَدَ لَدَيه الوقت لِيَعتنيَ بمشاعر الآخرين. كُلُّ شَخصٍ مَشغولٌ بِنَفْسِه. أحِبَّ حَيَاتَكَ الشخصيةَ فهي النِّعمة الكُبرى،والشخصُ الذي يُحِبُّكَ سَيَبحث عَنكَ لِيَدْخُلَ حَيَاتَكَ. اغْسِلْ يَدَيْكَ مِنَ الناسِ ، إنَّهُم سُجَناء في الذِّكرياتِ ، والسَّجينُ لا يَقْدِرُ على مُساعدة السجين.

[٣٦٣] القانونُ الذي يَحْكُمُ الشريفاتِ لَيْسَ هُوَ القانونَ الذي يَحْكُمُ الراقصاتِ .

الشَّرَفُ دائرةُ ضَيِّقةٌ للغايةِ . الكلماتُ مَحسوبةٌ بِعناية . كُلُّ مَوْقِف يُسَجَّل على الإنسان . والمرأةُ الشَّريفةُ مُقَيَّدَةٌ بِنِظامٍ صارمٍ ، وهذا النظامُ هُوَ السُّور الذي يَحميها . أمَّا المرأةُ الساقطةُ فَهِيَ تَعيشُ حياتها بالطُّول والعَرْضِ ، ولَيْسَ لَدَيها ما تَخسره . وَهِيَ تَنتقِلُ مِنَ الدَّلع إلى الجسد ، لأنَّها بِضاعة تتقاذفها أيدي الزَّبائن . وَسَوْفَ تَفهمُ الراقصاتُ مَشاعرَ الشريفاتِ ، عِندَما يَفهم العَوَامُّ كَلامَ الفلاسفةِ. ومَهْمَا تَغَيَّرَ الزمانُ والمكانُ ، فَلَن تَحْكُمَ الراقصاتُ على الشَّريفاتِ . وَلَو امْتَلَكَت الراقصاتُ جَوازاتِ السَّفَر الدُّبلوماسية ، وفُتِحَتْ أمامَهُنَّ الحدود ، فَلَن يَفْهَمْنَ مَشاعرَ الفلاسفةِ الممنوعين مِنَ السَّفَرِ في الدُّوَلِ البُوليسِيَّة .

[٣٦٤] الفَيْلَسُوفُ عَامِلُ نَظافةٍ في قَلْبِ الإنسانيةِ .

عِندَما يُصبِح الإنسانُ فَيْلَسُوفاً يُدْرِك أنَّ الحياةَ مَهزلةٌ ، وأنَّ المخلوقاتِ أكاذيب . فَتَبدأ رِحلةُ الخلاص . الفلسفةُ عَمليةُ تَطهيرٍ وتَنظيفٍ . والفَيلسوفُ يُنظِّف قلبَ الإنسانيةِ مِنَ الشوائب، فيغدو قَلْبُها نقياً، ومُفْعَماً بالقيم المعرفية التي تُظْهِر جَدوى الحياة، وتُبْرِز أهميةَ المعنَى في الوجود الإنسانيِّ .

[٣٦٥] القَصيدةُ هِيَ الأُنثى التي لا تَحِيضُ ، ولا تَخُونُ ، ولا تُصاب بالشَّيخوخة .

الاستثمارُ في جَسدِ القصيدةِ هُوَ التكاثرُ الرُّوحيُّ العابرُ لِحُدودِ الزمانِ والمكانِ . والاستثمارُ في جَسَدِ المرأةِ هُوَ التكاثرُ البُيولوجيُّ الخاضعُ لِسُلطة الزمانِ والمكانِ . القصيدةُ طاهرةٌ على الدَّوام ، لا فواصل في مَسار الطهارة . والقَصيدةُ مُخْلِصةٌ دائماً ، لا تَعتريها لحظاتُ الضَّعف الغريزية ، لأنَّ القصيدةَ غَريزةٌ وجدانية قائمة بِذَاتها.والقصيدةُ في حالة شباب دائم، لأنَّ تَخترِع زمانَها الشخصيَّ، وتُؤسِّس مكانَها السِّحريَّ .

[٣٦٦] أصعبُ شَيْءٍ عَلى الرَّجل أن يَحتاجَ إلى صَدْرِ امرأةٍ يَبكي عَلَيهِ ولا يَجِده .

المعنَى الحقيقيُّ للأُنوثةِ هُوَ الاحتواء والاحتضان . أن تَحتويَ المرأةُ الرَّجلَ ، وتُسيطِر عَلَيه باستخدام القوة الناعمة. إنَّ قَلْبَ المرأةِ قادرٌ على تَرميم جَسد الرَّجل ، وإعادة تَجميع شَظايا قَلْبِه.

[٣٦٧] إنَّ البِئْرَ التي أَبْصُقُ فِيها ، لا أَعُودُ للشُّربِ مِنها ، حَتَّى لَوْ مِتُّ عَطَشَاً .

لا يَستطيعُ الحصانُ أن يَشربَ مِن النَّهرِ مَرَّتَيْن . أُعطي ظَهْري لِذِكرياتِ الرَّحيل ، وأَكْسِرُ ذِكرياتي ، لأُرَكِّزَ في إعداد حقيبة السَّفَر . قَتلتُ ذَاكرةَ الرياح . لا أُريدُ شَيئاً يُذكِّرني بالماضي . رَاحلٌ أنا . ورِحْلتي ذَهابٌ بلا عَودة ، لأنَّ القِطارَ الذي يَذهب لا يَعود .

[٣٦٨] لَن يَستطيعَ أحَدٌ اغتيالَكَ إذا كانَ قَلْبُكَ هُوَ حَارِسَكَ الشَّخصيَّ .

الخوفُ مِنَ الموْتِ هُوَ الموْتُ . إذا كانَ الموتُ في دَاخِلِكَ فأنتَ مَيْتٌ ، لَكِنَّكَ تتحرَّك في الشوارع ، لأنَّ الشوارعَ هِيَ مَقبرتك . أسماءُ الشوارعِ هِيَ الأسماءُ على شَواهدِ القُبورِ . إذا نَبَعَت الكلماتُ مِن قَلبك ستظلُّ خالداً . اللغةُ تَمنحك الحياةَ ، ولا تُحنِّط جُثتك .

[٣٦٩] إذا كُنتَ إنساناً حَقيقياً سَوْفَ يَزداد ألَمُكَ وتتكاثر مصائبُك .

الإنسانيةُ الحقيقيةُ شَفَّافةٌ ، سَوْفَ تتأثر بِكُلِّ شَيء حَوْلها . والإنسانُ الحقيقيُّ كائنٌ حَسَّاس ، يَعتني بِمَشاعره ومشاعرِ الآخرين . سَيَتعبُ في حياته لأنَّ الحياةَ مليئة بالنفاق والظلم والحقد . سَيَشعر بالمأزق الوجوديِّ ، ويَحمل الصخرةَ على ظَهْرِه ، لأنَّه سَيَأخذ على عاتقه إصلاحَ العالَم .

[٣٧٠] لَن يَشعرَ الإنسانُ بالسَّعادةِ إلا إذا تَحَرَّرَ مِنَ الخوفِ .

الخوفُ الداخليُّ هُوَ العُنصرُ القاتلُ ، لأنَّه يَجعل الإنسانَ مَهزوزاً ، فَيَخاف مِن كُلِّ شَيء ، حتَّى مِن ظِلِّه . أنا مُصابٌ بالخوفِ طِيلةَ حَياتي ، لأنَّني مُصابٌ باكتئاب داخليٍّ مُزْمِن ، والوَسْواسُ القهريُّ يَلتهِمُ أعصابي تدريجياً. الاكتئابُ والوَسْواسُ القَهريُّ هُمَا مَصْدَرا خَوْفي . أخافُ مِن نَفْسي والآخرين . فَقدتُ ثِقَتي بِنَفْسي فاعتزلتُ الناسَ ، لأنَّني صِرْتُ كالزُّجاجِ يُكْسَر مِن أيِّ شَيء ، وإن لَم يُكْسَر سَيُخْدَش . أنا مَهزومٌ أمامَ عَدُوٍّ خَيالِيٍّ ، يَتحرَّكُ كالشَّبحِ ، ولا يُمْكِن الإمساك بِه. عَقْلي يَهْزِمُ عَقْلي. جَسَدي على المذبح ، كأنني صِرْتُ قرباناً . سَأُحاولُ تَرتيب فَوضى أعصابي المكسورة.

[٣٧١] الْمُسْتَغني عَن العَناصرِ هُوَ سَيِّدُ العَناصرِ .

الغِنَى لَيْسَ امتلاكَ الأشياءِ ، وإنَّما التَّخلي عَن الأشياءِ . الاستغناءُ هُوَ الغِنى . والْمُسْتغني هُوَ الغنيُّ . الثروةُ الحقيقيةُ هِيَ العناصرُ التي تَستطيع التَّخلي عَنها ، والعَيْشَ بِدُونها . القوةُ كامنةٌ في

الشُّعور الداخليِّ . قَد تكون غنياً ، وتشعر في قرارة نَفْسِك أنك فقير أو مُحتاج إلى شَيء يَنقصك، وهذا الشُّعورُ الداخليُّ يَمنعك من الاستمتاع بِثَروتك المادية . وهذا يعني أن الثروة الحقيقية هي في المشاعر . لَن تستمتع عندما تكون غنياً بين الفقراء والشَّحاذين ، أو نَظيفاً في بيئة قذرة . وهذا يدل على أهمية البيئة المحيطة في تَوليد المشاعر . إذا اسْتَغْنَيْتَ عَن العناصرِ تَسَاوَتْ عِندَك العناصرُ . فَمَثَلاً ، إذا استغنى الفردُ عن الزواج ، فإن حُبَّ الأميرةِ أو حُبَّ الفقيرةِ سِيَّان ، لأنَّ حالة النَّفْي تتجلى في الحالتَيْن . وإذا تَكَرَّسَتْ حالةُ النَّفْي غابَ معنى الإثبات . إنَّ الاستغناء عن الأشياء يَجعل الأضدادَ مُتماثِلة . والْمُستغني عن الأشياءِ مُتحرِّر مِنَ الحِرْص والقلق ، فَلَيْسَ لَدَيه ما يَخسره ، ولَن يَهتمَّ بِحُبِّ فُلان أو كَراهية فُلان ، لأنَّ الأموات والأحياء عِندَه في مرتبة واحدة .

[٣٧٢] النِّساءُ العَرَبِيَّاتُ يُنْفِقْنَ عَلى المِكياج أكثرَ مِمَّا تُنفِق الدُّوَلُ العربية على البحث العِلْميِّ .

وَظيفةُ الحاكم العَرَبِيِّ هِيَ تَحويل الشعب إلى قَطيع غنم كَي يَسْهُلَ حُكْمُه،وذَبْحُه عند الحاجة. وهذا القَطيع يجب أن يظلَّ جاهلاً ، لأنَّهُ إذا تَعَلَّمَ امتلكَ القُدرةَ على النَّقد والنَّقض ، فيُصبح كياناً مُفكِّراً لا قَطيعاً، وهذا يُسبِّب مشكلات كثيرة للنظام الحاكم الغارق في الفساد . والقناعةُ الثابتةُ عند الأنظمة الفاسدة أنَّ العقل المفكِّر يُشكِّل خطراً على نِظام الْحُكْم ، فلا بُدَّ مِن نَشر الجهل والتَّخلف. يجب أن يظلَّ الشعبُ قَطيعَ أغنام ، لِيَسْهُلَ حُكْمُه وذَبْحُه . وليس مِن حَقِّه الاعتراض . والحاكمُ العَرَبِيُّ هُوَ طَاغيةٌ دَمَّرَ البلادَ وسَرَقَ العِبَادَ، وقامَ بِعَسكرة المجتمع ، وصارَ الشعبُ عَدُوَّاً لِنَفْسِه ، فاقداً للثِّقةِ بِنَفْسِه . والطاغيةُ لا يَظْهَر إلا في مُجتمَع العَبيدِ . والشَّعبُ لا يُمْكِن استغلالُه إلا إذا كانَ مُخَدَّرَاً. وَقَد يُخَدَّرُ بالدِّين، أو الشَّهوات، أو الشُّبهات ، أو الشِّعارات السياسية . وكلُّ الدُّوَلِ العربية هِيَ دُوَل بُوليسِيَّة تُتاجر بالدِّين عن طريق الاستثمار في عُلَماء السلاطين (فُقَهاء الْحَيْض والنِّفَاس). والأنظمةُ القَمعيةُ حَوَّلت الدِّينَ إلى وسيلة لتثبيتِ ظُلْمها وشَرْعنته، وحمايةِ أزلام النظام الفَوضويِّ الذي لا يُتْقِن غَيْرَ فرض الضرائب لسرقة الناس ، والمتاجرة بأحلامهم ومُستقبلهم .

[٣٧٣] الشَّاعِرُ يَسْبِقُ زَمَنَه والناسَ ، لذلكَ لا يُعْرَفُ في عَصْرِهِ .

الشاعرُ هُوَ الرَّائي ، يَرى ما لا يَراه الناسُ . والناسُ مَحصورون في سِجْنِ الزمانِ والمكانِ ، وهُم سُجناء في دائرة ضَيِّقة ، لا يَرَوْنَ ما وراء الجدران . أمَّا الشاعرُ فقد تَحَرَّرَ مِنَ السِّجْنِ لَمَّا اختارَ الشِّعرَ طَريقاً للخَلاصِ المعرفِيِّ . وبالتالي ، صارَ حُرَّاً وقادراً رُؤية الأشياء التي يَعْجَز السُّجناءُ

عَن رُؤيتها . والشاعرُ مَهْما بَلَغَ مِنَ الشُّهرة في حياته ، فَلَن يُعْرَفَ وَلَن يُكْتَشَفَ إلا بعد مَوْتِه . فالشاعرُ قَد حَوَّلَ الصَّدى إلى صَوْتٍ ، والصَّوْتُ يَحتاجُ وَقْتاً طَويلاً كَي يَصِلَنَا ونَفهمه .

[٣٧٤] سُلطةُ قَائدِ المعركةِ على أرضِ المعركةِ أعْلَى مِن سُلطةِ رَئيسِ الدَّولة .

القائدُ العَسكريُّ على أرض المعركة هو الحاكمُ الحقيقيُّ ، لأنَّه يُسيطِر على مَسرحِ العملياتِ وتفاصيلِ الأحداث . والجنودُ يَأتمرون بأمره ، ولا يَتَلَقَّوْنَ الأوامرَ مِن رئيس الدَّولة . وإذا انتهت المعركةُ بالهزيمة فَسَوْفَ يتمُّ تَحميل القائد العسكريِّ المسؤولية كاملةً ، واعتباره كَبْش الفِدَاء ، والتَّضحية بِه ، كَي يَتنصَّل رئيسُ الدَّولة مِنَ المسؤولية ، ويُحافِظ على ماء وَجْهه . وإذا انتهت المعركةُ بالانتصار ، فَسَوْفَ يتمُّ التَّضحية بالقائد العسكريِّ خَوْفاً مِن استحواذه على الأضواء . سَوْفَ يُنسَب الانتصارُ إلى رَئيس الدَّولة باعتباره القائد الرَّمز والمخطِّط الإستراتيجي العبقري ، وهكذا يَحصل رَئيسُ الدَّولة على المجد والشُّهرة والأضواء . وهذا هُوَ قانون اللعبة .

[٣٧٥] أن تَكُونَ المرأةُ عَانِساً أفضلُ مِن أن تَكُونَ مِمْسَحةً لِحِذاءِ زَوْجِها أوْ صَحْناً في المطبخِ .

المجتمعُ الذي يُرَبِّي المرأةَ على أن تَكون مِمسحةً لحذاء زوجها ، هو مجتمع مخابراتِيٌّ قائم على تَقديس الأصنامِ البشرية التي تَضُخُّ ثقافةَ الخنوع في الجسد الاجتماعيِّ . رُكوبُ القِطَارِ لَيْسَ هدفاً بِحَدِّ ذاته . الهدفُ هُوَ الوُصولُ إلى المكانِ الصحيح. إذا جِئتَ في الموعدِ الصحيح، ورَكِبْتَ القِطارَ الخطأ ، فلا فائدة مِن احترامك للوقت ، ولا مَعْنَى في حياتك للزمان والمكانِ . في أحيانٍ كثيرةٍ ، يَكون ظِلُّ الحائطِ أفضلَ مِن ظِلِّ الرَّجُلِ. الزَّواجُ لَيْسَ مَقصوداً لذاته. إذا كانَ الزواجُ طَوْقَ النَّجاةِ في الحياة، فيجب التَّمَسُّكُ بِه. وإن كانَ الزواجُ هُوَ الغرقَ في المستنقَع العميقِ، فَيجب الهربُ مِنه . والجلوسُ في مَحطةِ القِطار أفضلُ مِن رُكوب القِطار الخطأ. والرُّومانسيةُ الحالمةُ على أرضِ الخيَالِ أفضلُ مِنَ الزَّواجِ الفاشلِ على أرضِ الواقع . يَقولون لِي ــ لأنَّني لَم أتزوَّجْ ــ : ارْكَبْ القِطارَ قَبْلَ أن يَفُوتَك ، فتظل في المحطة وَحيداً . فأُجيبهم : وَمَن قال لكم إنَّني أُريد الرُّكوبَ أصْلاً . مُتعتي في التَّجَوُّل في المحطة لا رُكوب القِطارات . وقَد يَجِدُ الإنسانُ حُضورَه الطاغي في الفَراغ ، وقَد يَشْعُر بِلَذَّةِ السَّفَرِ وهو جالسٌ على المقعد في محطة القِطارات . وقد يَكون الانتظارُ أجملَ مِنَ اللقاء .

[٣٧٦] أكتبُ كَي أعْرِفَ لِمَاذا أنا فاشلٌ في الْحُبِّ .

الكتابةُ هِيَ الحقيقةُ التي لا مَجالَ للتَّهَرُّبِ مِنها . إنها ساعةُ الْحَسْمِ . اللغةُ تَكْسِرُ أقنعتنا ، وتُوقفنا أمامَ مَرايا الرُّوحِ كَي نَرى ذَواتنا بِدُون عمليات تَجميل . الكتابةُ هِيَ الإجابةُ الحاسمةُ عن السُّؤالِ الذي يَذبحني وأهْرُبُ مِنه كَي أرتاح : لماذا أنا فاشلٌ في الْحُبِّ ؟ .

[٣٧٧] عَلى الشَّاعرِ أن يَسْأَلَ نَفْسَهُ : هَل أنا أكبرُ مِن قَصيدتي أَم أَصْغَرُ مِنها ؟ .

شَخصيةُ الشاعرِ اعتباريةٌ ، وسُلْطَتُهُ معرفيةٌ . والسُّلطةُ المعرفيةُ قد تَتجسَّد في القَصيدةِ ، وقد تَتجسَّد في الشاعر. فإذا تَجسَّدتْ في القصيدة، تُصبِح الرُّؤيةُ أكثرَ أهميةً مِنَ الرائي . وإن تَجسَّدتْ في الشاعر ، يُصبِح الرائي أكثرَ أهميةً مِنَ الرُّؤية .

[٣٧٨] العَبقريُّ مَن يَعْرِفُ أنَّهُ مَريضٌ نفسِيَّاً ، وَيَبدأُ رِحلةَ البَحْثِ عَن العلاج .

العبقريةُ لا تَنفصِلُ عَن الأمراضِ النَّفسيةِ وحالاتِ الجنونِ الْجُزْئِيِّ . وبعبارة أخرى ، إنَّ العبقريةَ تقوم على رُكْنَيْن : المرض النفسيُّ ، والجنون النِّسبيُّ . وقد تُوصِل العبقريةُ إلى الجنون الكامل (فقدان القوى العقلية) . ففي أحيانٍ كثيرة ، لا يستطيع العقلُ البشريُّ تَحَمُّلَ الضغط الهستيريِّ الذي تُولِّده العبقرية ، فينهارُ العقلُ ، وتنهارُ مَعه القيمةُ الإنسانية . تماماً كالضَّوء القويِّ الذي يَذهب ببصر الإنسان ، ويُحوِّله إلى أعمى . والعَبقريُّ حِينَ يَعلم أنَّه مَريض نفسياً ، يَضع يَدَه على نقاط ضَعفه ، ويَبدأ رحلة البحث عن العلاج . وهذه الرِّحلةُ هي المغامرة الوجودية التي تَكشف للإنسان أسرارَ الحياة ، وتُتيح له أن يَترك بصمته في تاريخ الإنجازات البشرية . ورِحلةُ العِلاجِ هِيَ رِحلة البَحْث عن العبقريةِ والمجدِ الضائع . والعبقريُّ هُوَ الذي يُعالِج نَفْسَه بِنَفْسِه ، ويُداوي نَفْسَه بالتي كَانتْ هِيَ الداء . فالضِّدُّ يُولِّد الضِّدَّ . ولا بُدَّ مِنَ القَول إنَّ الشخصَ الذي يَعتبر نَفْسَه سليماً ولَيْسَ مريضاً نفسياً ، هُوَ شخصٌ غبيٌّ يَجهل حقيقةَ نَفْسِه التي بَيْنَ جَنْبَيْهِ . النَّفْسُ البشريةُ مُختلِطةٌ بالنَّقصِ والقُصورِ والمرضِ . ويَنبغي على الإنسانِ أن يَعترِف بأنَّه مريضٌ نفسياً ، ويَبدأ علاجَ نَفْسِه بِنَفْسِه ، وهذه هي الخطوةُ الأُولَى في طريق العبقرية والإبداع .

[٣٧٩] الشعوبُ تَرقصُ في الملهى النهاريِّ ، وَالرَّاقصاتُ يَرْقُصْنَ في الملهى الليليِّ .

ما هُوَ الشرفُ في أُمَّةٍ فَقدتْ شَرَفَها ؟ . الشَّرَفُ وَحدةٌ واحدة لا تَتجزَّأ . الحكامُ يَرقصون ، والشعوبُ تَرقص ، والراقصاتُ يَرْقُصْنَ . اختلفتْ أشكالُ الرقص ، والمبدأ واحد . الأُمَّةُ أضاعتْ شَرَفَها يَوْمَ أضاعت الأندلسَ وباعتْ فلسطين . وبعد هذه الصفقة الخاسرة ، حَصَرَتْ مَفهومَ الشَّرفِ في غِشاءِ البَكارةِ وجسدِ المرأة . والأُمَّةُ التي فَقَدَتْ شَرَفَها لا تزالُ ترتكب جرائمَ الشرف.

[٣٨٠] لا يُمْكِنُ للفَيلسوفِ أن يَمتلِكَ شَعبيةً في أيِّ مُجتمع .

الفَلسفةُ هي الأداءُ العقلانِيُّ الخالصُ. إنَّها الماء الْمُقطَّر.وَشُرْبُ الماءِ الْمُقطَّر مَحفوف بالمخاطر. والفَيلسوفُ لا يَكتب للناسِ ، بَل يَكتب للعُلَماء الذين هُم نُخبة النُّخبة . والمفكِّرُ لا يَصِلُ إلى رُتبة فَيلسوف إلا إذا أثَّرَ في العُلَماء لا العَوام. وإذا كَانَ الفَيلسوفُ لا يَمْلِكُ شَعْبِيَّةً ، فهذا مَديحٌ له ، واعترافٌ بأنه فَيلسوف ، فهو لا يَهتمُّ بإعجاب الْمُرَاهِقَاتِ ، ولَيْسَ مَعْنِيَّاً أن يَفهمه الناس .

[٣٨١] أكثرُ شَخص يُثير استغرابي هُوَ العاجز جِنسياً الذي يُقْدِمُ على الزَّواج .

العاجزُ جِنسياً هُوَ رَجُلٌ لَدَيه مشكلة جنسية . والعَجْزُ الجِنسيُّ مِثْل أيِّ مَرَضٍ آخَر ، لا يَطعن في رُجولة الشخص . ولكنَّ المشكلةَ تَكْمُن في إقدام العاجز جِنسياً على الزواج ، وكأنه إنسان سليم لا يُعاني مِن أيِّ مَرَض ، ولَيْسَتْ لَدَيه أيَّة مشكلة . وهذه مشكلة بحدِّ ذاتها . فالزَّواجُ مبنيٌّ على الإشباع الجِنسيِّ لا الرُّومانسية الحالمة . وإذا لَم يَحْدُثْ توافق جسديٌّ أثناء مُمارَسة الجِنس بين الزَّوجين ، فإنَّ الخيانةَ الزَّوجية سَتُطِلُّ بِرَأسها على الحياة الزوجية . والمفروضُ أن يَبتعدَ هذا العاجزُ عن قضية الزواج بسبب غياب قُدرته على تحقيق الإشباع الجنسيِّ لِزَوجته ، ويَحفظَ ماءَ وجهه ، ويَصُونَ كرامته . والعاقلُ لا يُعرِّض نَفْسَه للإهانة ، ولا يَدفع الآخرين إلى خِيانته .

[٣٨٢] الرُّومانسيةُ الفاشلةُ في المجتمع المتقدِّم أفضلُ مِن الزَّواج الناجح في المجتمع المتخلِّف .

لا أحَدَ يَهْزِمُ العقلَ الجمعيَّ . لا أحَدَ يُوقِف جَرَيَان النهر . ما تَبنيه يَهدمه الآخرون . هذه البيئةُ الموبوءة طاردة للحُبِّ والإبداع . إنَّه التَّسَمُّمُ الذاتيُّ . لا تَنتظِرْ مَجيءَ العَدُوِّ مِنَ الخارج . العَدُوُّ هو العَدو الداخليُّ . كثيرٌ مِنَ الناسِ يَنتظِرُون الموتَ ، ولا يَعْرِفُون أنَّهم ماتوا مُنذُ مُدَّة بعيدة.

[٣٨٣] اسْتَفَدْتُ مِن أعدائي أكثرَ مِن أصدقائي .

أصدقائي يَمْدَحون نِقاطَ قُوَّتي . أمَّا أعدائي فَيَكْشِفُون نِقاطَ ضَعفي ، فأسعى جاهداً إلى رَدْم الثغرات في حَياتي الشخصية ، وحَياتي الفكريةِ ، وأُحاوِل تَعديلَ مَساري ، وتَحويلَ نِقاط الضَّعف إلى نِقاط قُوَّة . أصدقائي أفْسَدَهُم حُبُّهم لِي . لَم يَسمحوا لأنفسهم أن يَصِفُوا لِيَ الدَّواءَ الْمُرَّ ، أمَّا أعدائي فَقَدَّمُوا لِيَ السُّمَّ ــ وَفْقَ مَنظورهم ــ للتَّخلص مِنِّي ، ولَم يَعْرِفوا أنَّهُ كانَ دوائي الْمُر .

[٣٨٤] في أعمالِنا الأدبية نَصنعُ قَاتِلِينا بأيْدِينا .

نخترعُ شَخصياتِ رِواياتِنا لِنُخَلِّدَ فِيها أسماءَنا ووُجوهَنا . وَبِقَدْرِ ما نُؤثِّر في شخصيات رواياتنا بِقَدْرِ ما تُؤثِّر فِينا . إنَّنا نُسيطِرُ على الشخصياتِ ، وَنَرسم مَساراتِها ، وهي تسيطر عَلَينا فِيما بَعْد،

وتَعيشُ مَعَنا وفِينا ، وتقوم باحتلالنا . الرِّوايةُ إنْ بَقِيَتْ في داخلِ الكاتب وَلَم يَكْتُبْها سَتَقْتُله . شَخصياتُ الرواية تُولَد في دَاخِلي ، وإذا لَم أقْذِفْ بِها على الورق سَوْفَ تُفَجِّرُني وتقتلني . كأنَّ شخصياتِ رواياتنا تَخرج من الورق لتغتالنا . وكأنَّ حروفَ قصائدنا تُغادِرُ الوَرَقَ ، لِتُطْلِقَ عَلَينا الرصاصَ . إنَّها تَقتلنا كَي تُحيينا وتُخلِّد أسماءنا . القصيدةُ مِثْل القُنبلة الموقوتة . يَجب أن تُلْقِيَها وإلا ستقتلك ، وتُصبِح ضَحيةً لها ، مُجرَّد ضَحِيَّةٍ مَنْسِيَّةٍ أو رَقْمٍ تائهٍ بين أرقام الضحايا .

[٣٨٥] قَد يَكُونُ الْحُبُّ شَكْلاً آخَرَ للخِيانةِ .

إذا لَم يَقُمْ أحَدٌ بِسَرقةِ بَيْتِك ، فهذا لا يَعني أنَّ كُلَّ الناس شُرَفاء ، ولا يَعني اختفاء اللصوص مِن المدينةِ . رُبَّما فَكَّرَ أحدُ اللصوصِ بسرقة بَيتك ، لكنَّه طَرَدَ هذه الفِكرة بَعْدَما رَأى البَيت مُحَصَّناً . رُبَّما قامت امرأةٌ بِوَضْع خُطة لخيانة زَوجها ، لَكِنَّها عَجِزَت عَن تَطبيقها ، فعاشت مَعَ زَوجها بِلا مُغامَرات طائشة ، وهو يَظُنُّ أنَّها تُحِبُّه. رُبَّما قَبِلَتْ الفتاةُ بالرَّجُلِ الذي تَقدَّم للزواج مِنها ، لَيْسَ لأنَّها تُحِبُّه ، بَل لأنَّهُ الرَّجل الوَحيد الذي طَلَبَ يَدَهَا ، ولَم تَجِدْ رَجُلاً غَيْرَه ، فوافقتْ عَلَيه خَوفاً مِن شَبح العُنوسة . عِندَما يَخُونُ الإنسانُ مَشَاعِرَه يَفقد إنسانيته . وهذه مُشكلة . لكنَّ المشكلة الأكبر أن تَتحوَّل الإنسانية إلى تَوَحُّش ، وتَتحوَّل الخِيانةُ الباطنية إلى حُبٍّ ظاهريٍّ .

[٣٨٦] إذا رَأَيْتَ ذُبابةً تَطيرُ فَوْقَ العَسَلِ ، ثُمَّ تَحُومُ حَوْلَ أكوامِ القُمامةِ، فلا تَصِفْها بأنَّها حمقاء .

الذبابةُ تَعرِف مَسارَها ومصلحتها ، وتَعْرِف ماذا تَفعل بِدِقَّة . إنها تَرى الأشياءَ مِن زاوية الرؤية الخاصة بها . قد نرى سُلوكَها فنحكم عليها بالجهل أو الغباء ، لأنَّنا نَنظر بِعُيوننا لا عُيونها . وفي واقع الأمر، لا نستطيع أن نَحْكُمَ على اختيارات الأشخاص بِدِقَّة ، لأنَّنا لا نَعرِف تفاصيلَ حياتهم .

[٣٨٧] أَكْرَهُ الشِّعْرَ الْمُعَدَّلَ وِرَاثِيّاً .

الشِّعْرُ هُوَ النَّظرةُ الأُولَى ، والدَّفقةُ الأُولَى ، تَخرج من القلب إلى القلب. والتَّعديلاتُ الكثيرةُ في القصيدةِ تَقتل القصيدةَ ، وتَجعلها عَمَلاً أدبياً صِناعياً لَيْسَ نابعاً مِنَ القلبِ . والتَّكَلُّفُ قاتلٌ للشِّعْرِ ، حيث إنَّه يُحوِّله إلى نمط استهلاكيٍّ ، ويُحوِّل المشاعرَ الإنسانية إلى نظامٍ ميكانيكيٍّ . والتَّعديلاتُ في القصيدة (الكتابة الأُولَى) يَنبغي أن تَكون لمساتٍ خَفيفة لا تعديلات جذرية .

[٣٨٨] كَسْرُ الصَّنمِ أهَمُّ مِن تَحذيرِ الناسِ مِن عِبادته .

إزالةُ الباطلِ هُوَ المعنَى الدقيقُ للحضارةِ المعرفية.لا بُدَّ مِنَ الاجتثاث كَي يَتحقَّق معنى الانبعاث. اخلع الشجرةَ المسمومةَ مِن جُذورها، ولا تُضيِّع وَقْتَكَ في تحذير الناس مِنها ، أوْ إقامة

سياج حَوْلَها لِكَيْلا يَقترب مِنها أحَد. رَكِّزْ على القلبِ لا الأطرافِ . رَكِّزْ على مَنبع النهر لا الرَّوافد . هَاجِمْ رَأسَ الأفعى ، ولا تَنخدِع بِلَمَعَانِ جِلْدِها وتَمَوُّجاتِ جِسْمِها .

[٣٨٩] أكبرُ عِبْءٍ يَحْمِلُهُ الرَّجُلُ هُوَ أن تَضَعَ المرأةُ ثِقَتَهَا فِيه .

عِندَما تَثِقُ فِيكَ المرأةُ فإنها تُقيِّدك ، تَجعلك تَحْسِبُ كلماتك بِدِقَّة ، وتَدرس خُطواتك بِحَذر شديد . وهذه الثِّقةُ الغاليةُ تظلُّ قَيداً في عُنُقِك . سَتَعيشُ في قَلَقٍ دائم خَوفاً مِن خَسارة هذه الثِّقة الأُنثوية . وستحاول الإبقاءَ عَلَيها وتَعزيزها بِكُلِّ الوسائل . أمَّا عِندَما تُهْمِلُك المرأةُ فإنها تُحرِّرك ، وتَجعلك طَليقاً، فَتَبتعد عن التَّكلف والتَّصنع،وتتعامل مَعَ الناسِ وعناصرِ الطبيعةِ على طَبيعتك ، فلا شَيء عِندَك كَي تَخْسَرَه . والذي لا يَمْلِكُ شَيئاً ، يَكون مُتحرِّراً مِن الضغوطات ، فلا يُوجَد شَيء يَخاف عَلَيه . والعَبيدُ لَن يَخسَروا غَيْرَ قُيودهم .

[٣٩٠] الرُّومانسِيَّةُ الحالمةُ سَتُدَمِّرُ الزواجَ .

الزَّواجُ قالب مَحدود ، ونظام جِنسيٌّ اجتماعيٌّ عاطفيٌّ ميكانيكيٌّ مُغْلَق . والرُّومانسيةُ الحالمةُ نظام مَفتوح على الذكريات والأحلام والخيالات . وهذه الرُّومانسيةُ الحالمةُ تَصنع حُبَّاً خيالياً عَنيفاً، لا يُمْكِن سَكْبُه في قالب الزواج المحدود. وبشكلٍ عام ، إنَّ الحبَّ العنيف طاقة خارقة غير محدودة، والزواج إطار محدود غير قادر على استيعاب المعاني الخيالية المتفجِّرة . لذلك ، سَيَفشل الزواجُ الناتجُ عَن حُبٍّ عَنيفٍ وخيالِيٍّ . وفي هذا السياق ، تَبْرُز الفلسفةُ المتناقضة : أحِبَّ المرأةَ التي تَتزوَّجها ، ولا تَتزوَّج المرأةَ التي تُحِبُّها . وبشكلٍ عام ، إنَّ الرَّجل الْمُعتاد على الْمَلَلِ والروتين سَيَنجح في الزواج ، والرَّجل المعتاد على الرومانسية الحالمة سَيَفشل في الزواج .

[٣٩١] الكِتابةُ شَكْلٌ آخَر للدَّمِ النَّقِيِّ لأنَّنا نَكتبُ بِدَمِنا ، ولا نَكتبُ بالحِبْرِ الْمُسْتَوْرَدِ.

الكاتبُ كائنٌ دمويٌّ ، بِمَعنى أنَّهُ يَتعامل مَعَ الدَّم طِيلة حياته ، ولَيْسَ بِمَعنى أنَّهُ مُجرم . إنَّهُ يُحاول جاهداً أن يُنَقِّيَ هذا العالَمَ البائسَ مِنَ الدَّم المسفوح ، ويُجفِّف دِماءَ المذبوحين ، ويَزرع الأملَ في قلب الدِّماء . إنَّهُ يُحوِّل الدَّمَ إلى حِبْرٍ لإنتاج حضارة معرفية قائمة على الحب والتسامح والأحلام الجميلة . والكاتبُ يُضَحِّي بِحَياته لبناء حياة الآخرين . حيث إنَّهُ يَبْذُر سَنواتِ عُمُرِه في قلوب الآخرين كَي يُولَدوا مِن جَديد بَعيداً عَن الدَّم . إنَّهُ يَدفع حياته ثمناً لمواقفه ، ويُقدِّم دَمَهُ رَخيصاً مِن أجلِ حِفْظِ دماء الآخرين . وهذه هِيَ التَّضحيةُ في أسْمَى مَعانيها .

[٣٩٢] لا تَقْدِرُ المرأةُ أن تَستمِدَّ أُنوثَتَهَا مِن سَيَّارةِ المرسيدس .

تستطيعُ المرأةُ أن تَشتري المِكياجَ ومُسْتَحْضَرَاتِ التَّجميل ، لَكِنَّها لا تستطيع أن تَشتريَ عُذوبةَ الرُّوحِ وشُموخَ الأُنوثة . تَستطيعُ أن تشتري زَوْجاً بأموالِها وسُلطةِ عائلتها ، لَكِنَّها لا تستطيع شراءَ الذِّكرياتِ ورِعشةِ الحب . يستطيعُ الرَّجُلُ أن يَشتريَ المقوِّياتِ الجِنسية ، لَكِنَّه لا يَستطيع شِراء الفُحولة . ويَستطيعُ أن يَشتريَ زَوجةً بأمواله ، لَكِنَّهُ لا يَستطيع شراء قلبها . لا بُدَّ مِنَ الهروبِ إلى المعنَى الحقيقيِّ للأشياء ، لأنَّ رُكوبَ سَيَّارةٍ فَخْمةٍ لا يَجعل الأُنثى تجد أنوثتها. لأنَّ مدينةَ البُندقية لَيْسَتْ بِمَأْمَن مِنَ الاحتراقِ. لأنَّ رئيس الدَّولة ليس بمأمن مِنَ الاغتيالِ. لأنَّ السجينَ ليس بمأمن مِنَ القَتَلَة.لأنَّ اللصَّ ليس بمأمن مِنَ السَّرقة.لأنَّ أزهارَ الحدائقِ ليست بمأمن مِنَ الذُّبول. ولا بُدَّ مِنَ القَول إنَّ المرأةَ الشَّعبية كالنِّفط الخام ، أُنوثتها مَخلوطة بالشَّوائب كالذهب المخلوط بالتُّراب،وَهِيَ لا تُرَوِّج لأُنوثتها مِثْل المرأة الأرستقراطية التي تَلجأ إلى الْجَمَال الصِّناعي لا الطبيعي. فهي تَعتمد على المكياج وعمليات التَّجميل واختراع الوسائل الصِّناعية للإغراء والدلال والدَّلع بسبب امتلاكها المال لا الْجَمَال .

[٣٩٣] أستمتعُ بالكِتابةِ عَن حُفَرِ المجاري .

الكاتبُ الحقيقيُّ يُكَوِّنُ أبجديته الخاصة مِن عناصر الطبيعة . وعناصرُ الطبيعة تشتمل على الْجَمَال والقُبْح ، وكِلاهُما نِسْبِيٌّ وضَروريٌّ . وأهميةُ القُبْح لا تَقِلُّ عَن أهميةِ الْجَمَالِ ، لأنَّ النقيضَ يَكشفُ قِيمةَ النَّقيض ، والضِّدَّ يُبْرِزُ أهميةَ الضِّد . وبِضِدِّها تتبيَّن الأشياءُ . والكاتبُ قَد يَكتبُ قَصيدةً جَميلةً عَن الشَّر ، وقَد يَكتب قَصيدةً سَيِّئةً عَن الخير . والكاتبُ الحقيقيُّ يَعْثُرُ على الْجَمَالِ في قُلبِ القُبْحِ ، ويَجِد الطهارةَ في قُلوب الزَّوجات الخائنات. فلا شَيء يَتمتَّعُ بالْجَمَالِ المطْلق ، ولا شَيء يُعاني مِنَ القُبْح المطْلق . لا مَفَرَّ مِنَ العُيوبِ والثغرات . " الحلو ما يكملش " . وسُبحانُ الله الذي كَتَبَ النُّقصانَ على كُلِّ شَيْءٍ ، كَي يَتفرَّد بالكَمَالِ المطْلَق .

[٣٩٤] الفَلسفةُ هِيَ الشُّعورُ بالشَّيخوخةِ في مَرحلةِ الشباب .

الفَلسفةُ هِيَ الحِمْلُ الثقيلُ . إنَّها عمليةُ تَطهيرٍ للأنساق الفكرية والاجتماعيةِ . عِندَما يُصْبِحُ الإنسانُ فَيْلسوفاً يَشْعُرُ أنَّ عُمُرَهُ ملايين السِّنين الضَّوئية ، وذلك بسبب ازدحام الأفكار في ذِهنه ، وكثرة التجارب في خَياله ، وتَعاقُب الحضارات في لُغته الخاصة ، وتاريخ البشرية الذي يُسيطِر على حَرَكاته . الفَيلسوفُ ضَحِيَّةٌ للمُجتمَع . يَسيرُ الناسُ إلى الهاويةِ ضَاحكين ، أمَّا الفَيلسوفُ فَيَتَعَذَّب وهو يُحاول إيجاد طَريقة لإبعادهم عن الهاوية . ولا أحد يَشعر بِه إلا حروف لُغته . إنَّ الفَلسفة تُحَوِّلُ صَانِعَها إلى شَيْخٍ كَبير السِّن وهو في مرحلة الشباب . في كثيرٍ مِنَ الأحيان ، أشعرُ

أنَّني أعيشُ على كَوكب الارض مُنذُ طُوفان نُوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ . أستشعرُ الطوفانَ ، وأكادُ ألْمِسُ الماءَ . كُلَّما سَبَحْتُ في تاريخ الأُمَم الغابرة، اقتربتُ مِن صَدى الذِّكرياتِ، واكتشفتُ الوُجوهَ التي غَيَّبَهَا الموتُ . لَقد تَخَلَّصوا مِن عذاب الانتظار ، ولَيْسَ أمامَهم إلا النَّعيم أو الشَّقاء.

[٣٩٥] أحياناً أتعاملُ مَعَ الفِكرةِ كَما يَتعاملُ الطبيبُ الشَّرْعِيُّ مَعَ جُثةِ امرأةٍ مُغْتَصَبَةٍ .

الفِكرةُ هِيَ أساسُ الوُجود كما أنَّ المرأةَ أساسُ الحياةِ . ولكنَّ الفِكرةَ قَد تَتعرَّض لمشكلاتٍ جذرية تُؤثِّر سَلْباً على كيانها وشرعيةِ وُجودها . والأفكارُ لا تأتي إلى الكاتبِ على طَبَقٍ مِن ذَهب . والكاتبُ الْمُتمكِّن هُوَ الذي يَعرِف كَيْفَ يَتعامل مَعَ الأفكارِ كُلِّها ، الحيَّة والميْتة ، الصحيحة والمسمومة ، الآمِنَة والخطيرة .

[٣٩٦] الكاتبُ العَرَبِيُّ ضَائعٌ في كُلِّ الحالاتِ .

الحاكمُ العَرَبِيُّ هُوَ العَدُوُّ الأوَّلُ للشَّعبِ . حَوَّلَ الشعبَ الجبَانَ إلى عَبيدٍ ، وأدخله الحظيرةَ ، وأغلقَ عَلَيه البابَ،ومَنَعَ النُّورَ مِن الوصول إلى الحظيرة كَي يَظَلَّ العَبيدُ قَطيعَ غَنَمٍ مُستسلِماً للذبح. والأملُ الوَحيدُ في هذا الجوِّ الكئيب هُوَ الكلامُ القادر على فَتْح العُقول ، وتَحرير العبيد من العُبودية . ولا يَخْفَى أنَّ الكلامَ صِناعةُ الكُتَّاب. لذلكَ قامَ الحاكمُ العربِيُّ بِمُحَارَبة الكُتَّابِ الشُّرَفاء الذين رَفضوا دُخولَ الحظيرة ، وقام بالتَّضييق عَلَيهم مَعنوياً ومادياً . وكُلُّ كاتبٍ شَريفٍ سَيَدفع ضَريبةَ مواقفه ، وكُلُّ مَوقِف له ثمن ، ومَا مِن مَوهبة تَمُرُّ بِلا عِقاب . والكاتبُ العَرَبِيُّ يَدفع الثمنَ مَرَّتَيْن . ففي العالَم العَرَبِيِّ ـ الذي يُسَمَّى زُوراً بالعربِيِّ ـ لا يُعْتَرَف بالكاتب إلا إذا كان مِمْسَحةً للنظامِ الحاكم . وفي العالَم الغربِيِّ لا يُعْتَرَف بِهِ إلا إذا أدارَ ظَهْرَه للإسلامِ والعُروبةِ . وبشكل عام، إنَّ الغربَ يَعتبر العَرَبَ شُعوباً بَدويةً بِدائيةً مُتخلِّفة ، لأنَّنا لَم نُقدِّم مَشروعاً حضارياً للعالَم .

[٣٩٧] شَخصيةُ الكاتبِ تَختلِفُ عَن هُوِيَّةِ الكِتابةِ .

الكاتبُ والكِتابةُ قُطْبَان مُتنافِرَان لا يَلتقيان . إنَّ الكاتبَ يَسعى إلى الكَمال في كتاباته ، وتَصوير العالَم المتخيَّل مَمزوجاً بالمشاعر والذكرياتِ . إنَّ الكاتبَ حِينَ يُريدُ مُمارَسة فِعْل الكتابة يَتحوَّل إلى سَاحِرٍ ، ويَعيشُ في أجواء سِحْرِ الكتابةِ . والقُوَّةُ لا تَكْمُنُ في أدوات السَّاحر . القُوَّةُ تَكْمُنُ في شَخصيةِ السَّاحِرِ . وحِينَ يَنتهي فِعْلُ الكتابة يَزول تأثير السِّحْرِ ، ويَعود الكاتبُ شَخصاً عادياً غارقاً في النظام الاستهلاكيِّ الحياتِيِّ.إنَّ الكتابةَ وَصفة سِحرية لِتَحويل الكاتب إلى عِمْلاق ، وحِينَ يَنتهي مِنَ الكتابة ، يَعود إلى حالته الطبيعية ، مُواطِن مَسحوق في مُجتمع مُتخلِّف .

[٣٩٨] الجوائزُ الأدبيةُ مِثْل مُكافأةِ نِهايةِ الخِدمة .

الكاتبُ العَرَبِيُّ هُوَ مُتَسَوِّلٌ ثقافِيٌّ لأنَّ المجتمعَ مُتخلِّف وأعمى . وهذا المجتمعُ لا يُميِّز بَيْنَ الْحَيِّ والميْتِ لأنَّهُ مَيْتٌ . والكاتبُ العَرَبِيُّ البائسُ لا يَقْدِرُ أن يَعيشَ مِن كِتاباته ، فيظلُّ في دائرة الفقر والقلق على مُستقبله ومُستقبلِ أولاده . لَكِنَّه يَتمسَّك بالأمل . قَد يَفُوزُ بجائزةٍ أدبية يَوماً ما ، فَيَتَغَيَّر وَضْعُه الماديُّ إلى الأحسن. وإذا جاءت هذه الجائزة فإنَّها تأتيه في آخر عُمُرِه،وهو يَنتظر الموتَ في أيَّةِ لحظة ، فَيَدفع جُزءاً مِن قِيمة الجائزة للأدوية والعلاجِ مِنَ الأمراض المتكاثرة ، والباقي يَأخذه الوَرَثةُ كَي يَتَمَتَّعُوا بِه بعد أن يَموت الكاتب . وهكذا يَعيشُ الكاتبُ بائساً ويَموت بائساً . ولا بُدَّ مِنَ القَول إنَّ التَّسَوُّلَ الثقافِيَّ أكثرُ خُطورةً مِنَ التَّسَوُّل الماديِّ ، والفَقْرَ الرُّوحِيَّ أكثرُ خُطورةً مِن الفقر الجسديِّ . فالفقر الجسديُّ في أسوأ حالاته قد يُحَوِّل الفردَ إلى جُثة هامدة ، أمَّا الفقر الروحيُّ فيجعل الْحَيَّ مَيْتاً قادراً على الحركةِ ، والموتى المتحرِّكون أسوأ مِنَ الموتى الساكنين.

[٣٩٩] الرُّومانسيةُ في المجتمعَاتِ المتخلِّفةِ كالدِّيمقراطيةِ في المجتمعَاتِ المتخلِّفةِ .

القيمُ المعرفية لا مَعْنَى لها في البيئة المسمومة . والعقلُ العبقريُّ لا فائدة مِنهُ في الجسم المريض . وإذا استقرَّ الْجَمَالُ في المزبلةِ فَسَوْفَ يُصْبِحُ جُزءاً مِنَ المزبلة . وحِينَ تُوضَع المعاني في الألفاظ غَير الْمُناسِبة ، تُصْبِح المعاني مُشَوَّشةً وَفَوضويةً ، وتَزيد المشكلاتِ ، ولا تُقَدِّمُ أيَّةَ حُلُول . والمعاني لا تَمُوتُ إلا إذا أُخْرِجَتْ مِن سِياقها ، كالأسماكِ إذا أُخْرِجَتْ مِنَ الماء . ويُمْكِن القَول : إذا أُخْرِجَ المعنَى مِن سِيَاقِهِ لَم يَعُدْ لَهُ مَعْنَى .

[٤٠٠] الشَّريعةُ هِيَ التي تُوَفِّرُ الغِطَاءَ الشَّرْعِيَّ للأشياء والعلاقات .

لا فَرْقَ بَيْنَ الزواج والزِّنا من ناحية التفاعلِ الجنسيِّ . ولكنْ ما الذي جَعَلَ الزَّواجَ حَلالاً والزِّنا حراماً ؟ . المرأةُ المتزوِّجةُ تَمنح جَسَدَها لِرَجُلٍ ، والمومِسُ تَمْنَحُ جَسَدَها لِرَجُلٍ ، فما الذي جَعل الناسَ يَحترمون الأُولَى ولا يَحترمون الثانية ؟ . إنَّها الشريعةُ التي وَفَّرَت الغِطاءَ الشَّرْعِيَّ للزواج ، وَسَلَبَتْهُ عَن الزِّنا . إنَّ الأمور لا تُؤْخَذ مُجْتَزَأةً ومُنْفَصِلَةً عَن سِياقِها الفكريِّ ومُحيطها الاجتماعيِّ . فالجوُّ العام الذي يُحيط بالأمور له تأثيرٌ بالغٌ . ويوجدُ مسائلُ كثيرةٌ خُلِقَتْ تابعةً لا تتمتعُ باستقلاليةٍ . فلا مَعْنَى لمنبع النهر بلا رَوافد ، ولا معنى للشَّجرة بِلا جُذور أو أغصان ، ولا مَعنَى للجزءِ الظاهر مِنَ الجبالِ دُون امتدادها في باطن الأرض ، ولا مَعْنَى للخِيَام بِلا أوتاد . والأشياءُ غَيْرُ الْمُكْتَفِيَةِ بِذَاتها ، مِنَ الخطأ اعتبارُها كياناً مُسْتَقِلاً وقائماً بِذاته . إنَّ مَعرفة الكُلِّ الجمعيِّ لا تَتحقَّق إلا بمعرفة التفاصيل المرتبطة بهذا الكُلِّ .

[٤٠١] البُوفِيه مَفتوحٌ لَكِنِّي فَاقِدٌ للشَّهيةِ .

المِفتاحُ في يَدِي ، لَكِنِّي لا أملِكُ الرغبةَ لِفَتح الباب والدُّخول . أشياء كثيرة مَاتتْ فِيَّ . الذِّكرياتُ تموت في قَلبي . والدافعُ الداخليُّ مَفقودٌ . الرغبةُ الجوَّانيةُ جُثةٌ هامدةٌ . وأنا الميْتُ الذي يَسْعَى إلى إحياء نَفْسِه بِنَفْسِه. أنا في سِباق مَعَ الزمن. مُطَالَبٌ أنا بالعملِ ، ولَسْتُ مُطَالَباً بالنتيجة.

[٤٠٢] عِندَما يُصْبِحُ الوَطَنُ مَنْفَىً ، والمنفَى وَطَناً ، على الإنسانِ أن يُعيدَ بِناءَ إنسانِيَّتِه .

الوَطَنُ خَرَجَ مِن قِيمته الرمزية ، لأنَّهُ صَارَ قِناعاً لا وَجْهاً . صَارَ الوَطَنُ مَزرعةً لِعِلْيَةِ القَوْمِ ، أمَّا الناسُ العادِيُّون ، فَيُطْلَبُ مِنهُم أن يُضَحُّوا مِن أجلِ وَطَنٍ لَم يَعُدْ مَوجوداً على أرضِ الواقع . الناسُ مُطَالَبُون بِبذْلِ أرواحهم رَخيصةً مِن أجلِ وَطَنٍ مَسروقٍ مِن قِبَل الحاكم وأُسرته وعِصابته . لقد تَكَرَّسَ الشُّعورُ بالنَّفْيِ في الوَطَنِ، وصارتْ شِعاراتُ الولاء والانتماء مُثيرةً للضَّحك والسُّخرية. إنَّ تَحَوُّلَ الوطن إلى منفى والمنفى إلى وطن . يَعني أن الوطن والمنفى ماتا معاً . وعِندَما يَموتُ الوَطَنُ والمنفَى ، لا بُدَّ مِنَ العَيش في جَسَدِ المرأة كَي تُصْبِحَ المرأةُ هِيَ الوطنَ والمنفَى . وهذه العمليةُ الوجوديةُ الرَّمزيةُ تَعويضٌ عَن الْخَيباتِ المتكرِّرةِ . فالمرأةُ ــ في الإطار اللغويِّ الرمزيِّ ــ هِيَ الوَطَنُ الذي لا يَضِيعُ ، لأنها تستمدُّ شرعيةَ وُجودها مِن شَرعية الطاقة الرمزية في اللغةِ . واللغةُ لا تَموت. وعِندَ ضَياع الحضارة ، لا بُدَّ مِن التَّركيز في الرُّومانسية الرمزية الحالمة كَخُطوة لاستعادة الحضارة ذِهنياً ، ثُمَّ استعادتها واقعياً . وَهَكذا يُولَد التاريخُ مِن جَديد ، وتَنتقل الْجُغرافيا مِن جَسد المرأة إلى جسد المكان . وعِندَ ضَياع الحضارة ، يُصْبِح جَسَدُ المرأةِ هُوَ الحضارةَ .

[٤٠٣] عَلِّم العَبيدَ كَيْفَ يَكْسِرُونَ قُيودَهم ، ولا تُعَلِّمْهُم أناشيدَ الحرِّيةِ .

لا فائدة مِن لَمَعَانِ القُيودِ لأنَّها قُيود. والأقفاصُ المصنوعةُ مِنَ الذهب ستظلُّ أقفاصاً . لا فائدة مَن جَمَالِ الوردةِ إذا كانت مَسمومةً. والسُّمُّ قَاتِلٌ حَتَّى لَوْ كانَ طَعْمُهُ لذيذاً.يَنبغي اتِّخاذُ إجراءات على أرض الواقع لتغيير الواقع ، وعدم العَيش في الأوهام والخيالاتِ المرَضِيَّة . وُجِدَ الخيَالُ للثَّورة على الواقع ، وصناعة واقع جديد ، ولم يُوجَد للغَطس في الأحلامِ ، وزيادةِ ساعات النَّوم .

[٤٠٤] الإنسانُ هُوَ السَّجينُ الجاهلُ الذي يَهْرُبُ مِن سِجْنٍ إلى سِجْنٍ .

الحياةُ لُعبةٌ ظالمةٌ، والإنسانُ هُوَ الْمَهْزَلةُ الشاملةُ، يَقضي حَيَاتَهُ في الاعتناءِ بِنَفْسِه . يُزَيِّنُ التُّرابَ مِن أجلِ التُّرابِ. يُجَهِّزُ نَفْسَه كَي يُصْبِحَ وَليمةً للدُّودِ. الأمهاتُ يُوَاصِلْنَ الحملَ والولادةَ كالعادةِ ، والآباءُ يَذْهَبُون إلى أعمالهم كالعادةِ . يُهَرِّبُ اللصوصُ المحتَرَمُون أموالَ الدَّولةِ إلى

الخارجِ كالعادةِ . وأذهبُ إلى الزِّنزانة الانفرادِيَّةِ كالعادة ، وتذهبُ الفتاةُ التي أَحْبَبْتُها إلى الزَّواج مِن غَيْري كالعادة. يُصْبِحُ الإنسانُ رَقْماً.سِجْنُ الإنسانِ في دَاخِلِه فَكَيْفَ يَهربُ مِن نَفْسِه ؟.أنا سَجينٌ، وَقَد قَرَّرْتُ الهربَ ، فماذا الذي يَنتظِرُني ؟ . سَأَخرجُ مِنَ سِجْنِ الحكومةِ إلى سِجْنِ الحياةِ . هُناك سِجْنٌ أكبرُ في الخارج ، لا قُضبان ولا حِيطان ولا عُزلة . أخرجُ مِنَ السِّجْنِ إلى السِّجْنِ ، وفي الحالتَيْن ، أحْمِلُ سِجْني في دَاخِلِي . وبِذرةُ الانهيارِ كامنةٌ في ذاتي . وَوَحْدَهُ الموتُ يُحَرِّر الذات من الذات.

[٤٠٥] إذا تَخَلَّصَ العَالَمُ الخارجيُّ مِنكَ سَتَجِدُ عَالَمَكَ الداخليَّ .

عِندَما يَحتقرك الناسُ ويَرفضونك ، تُصبِح مَنبوذاً وغَريباً بَيْنَهم ، فَتَهْرُبُ مِنهُم إلَيْكَ ، وتُعيد اكتشافَ ذاتك . الحِصَارُ المفروضُ عَلَيْكَ يَمنحك الفرصةَ لإعادة تَقييم حياتك ، وتقوية نقاط قُوَّتك ، وإزالة نقاط ضَعفك ، بَعيداً عَن ضَجيج الحياةِ وضَوضاء الناس . ما دُمْتَ غارقاً في ذاتك فَلَن تكتشف ذاتك، ولن ترى أبعدَ مِنها. إنَّ انقطاعَك عن الناس يَمنحك الفرصةَ للاتصالِ بذاتك. يجب الخروجُ مِن ذاتك كَي تَرى ذاتك ، وتَحكم عَلَيها بشكل دقيق . سَوْفَ تَعرِف أن حصارهم لَكَ لَم يَكُنْ إلا واحة ، تَتعرَّف فيها على الأسرار المختبئة في زوايا قَلبك . وإنْ شَعَرْتَ بِقَسوة السِّجن الاجتماعيِّ الذي تَعيش فِيه ، فَلْيَكُنْ سِجْنُكَ الداخليُّ مَنْبَعاً لنهر الضوء الذي يُعيد الحياةَ إلى الأشياء التي ماتت فِيك . إنَّ الأحلامَ الداخليةَ أفضلُ طَريقة لإبادة الأوهام . وإذا حاولَ الآخرون تَحطيمَك بِعَزْلِكَ عَن الحياة، فلا تَقْلَقْ ، إن عُزلتك هي الحياة.

[٤٠٦] المرأةُ مِثْل الفَرَس الجامح ، لا يُمْكِن إدخالُها إلى الإسطبل .

السيطرةُ على المرأةِ تَعني قَتْلَها . المرأةُ إذا هَدَأتْ ماتتْ . ستظلُّ مُنطلقةً في البَرِّية مِثْل الفَرَس الجامح. ولكنْ، ينبغي إقامة سُور حَوْلَها . إنَّ الرَّجل ــ مَهْما كان قويَّ الشَّكيمةِ وصَعْبَ المِرَاس ــ لا يَقْدِر أن يُسيطِر على المرأة بِسُلطة الأمر والنَّهْي . ولكنَّه يَقْدِر أن يُسيطِر عَلَيها بالقوة الناعمة .

[٤٠٧] التَّعَمُّق في الرُّومانسيةِ قَد يُسبِّب الشُّعورَ بالقَرَفِ مِن مُمارَسة الجِنس .

الرُّومانسيةُ فِكْرةٌ حالمةٌ وهُلامية . إنَّها إبحارٌ في الذِّكريات والمشاعر والوَعْي واللاوَعْي . أمَّا مُمارَسة الجِنس فَهِيَ منظومة ميكانيكية جسدية ، قائمة على مبدأ إشباع التُّراب بالتُّراب . والإنسانُ لَن يَملأ عَيْنَيْه إلا التُّراب .

[٤٠٨] عَلاقتي مَعَ النِّساءِ مِثْل عَلاقةِ الإمامِ ابْنِ حَزْم مَعَ النِّساءِ .

أنا كالإمام ابن حزم تربيةُ نِسْوَان . المرأةُ هي الماضي الذي يَحتلُّ ذاكرتي ، ولَيْسَ لِي حاضر . طَيْفُ النساءِ يَتساقطُ على حُروفِ لُغتي . الماضي مَحفورٌ في ذاكرتي، ويَظهر في أيَّامي التي أعيشُها . أعيشُ الماضي في الحاضر . أعيشُ الماضي مَرَّتَيْن ، وأُواصِلُ الهروبَ مِن وَجهي في المرايا القاتلةِ .

[٤٠٩] الفَراغُ في حَياةِ المرأةِ المتزوِّجةِ سَيَقُودُها حَتماً إلى الخِيانةِ الزَّوجية .

المرأةُ هِيَ كُتلةُ المشاعرِ المتناقضةِ . الفَراغُ في حياتها يَقتل رُوحَها ، وطَبيعةُ مَشاعرِها تَرفضُ الفراغَ ، فتبدأ رِحلة البحث عن معنى الامتلاء . المرأةُ هِيَ اللبُؤةُ التي لا أحَدَ يَعْرِفُ كَيْفَ تُخطِّط لاصطياد الفَريسةِ ، ولا أحَدَ يَعْرِف مَوْعِدَ القَتْل . عُنصرُ المفاجأةِ قاتلٌ . كُلُّنا ضَحايا الذِّكريات . والخِيانةُ لَها وُجوه . وعلى الزَّوْجِ ألا يَغيبَ لِفَترة طويلة عن زَوجته ، وإذا غابَ عَلَيهِ أن يُشْغِلَها بأُمورٍ تُبْعِدُها عن التفكير بالخِيانة، والمرأةُ مَعجونة بالخِيانة . وكُلُّ امرأةٍ لا تُمارِس الإغراءَ مَعَ زَوْجها ، سَوْفَ تُمارِسه مَعَ غَيْرِه . لا بُدَّ مِنَ الإغراء ، لأنَّ الشَّيطان قَد تَجسَّد في المرأةِ . ولا بُدَّ مِنَ القَول إنَّ الخيانة الزَّوجية تَبدأ من أجل كَسْرِ الرُّوتين ، ثُمَّ تَكْسِرُ تاريخَ الرُّوحِ والجسدِ .

[٤١٠] نُقطةُ قُوَّتي أنَّني لا أثِقُ بالنِّساءِ .

عَدَمُ الثِّقةِ بالنِّساءِ ضَرورِيةٌ لِكَي يُصبِح الإنسانُ فَيْلَسوفاً . والنِّساءُ في هذا السِّياق هُنَّ كُلٌّ جَمْعِيٌّ ، ولا أقصد كُلَّ امرأةٍ مُعيَّنة بِذَاتها . إنَّ المرأةَ _ عُموماً _ مَعجونةٌ بالخِيانة والشَّهوانية ، لا قانون يَحكمها ، ولا مَنْطِق يُسيطِر على مشاعرها . قد تَشتمل ضِحكتها على الطعنة القاتلة ، وقد يَشتمل لمعانُ عُيونها على لمعان الخنجر المسموم . خِيانةُ المرأةِ هِيَ ضَربةٌ قاتلةٌ ، لأنَّ خيانتها من منظور فلسفيٍّ ، أمَّا خِيانةُ الرَّجل فضربة مُوجِعة لا قاتلة ، لأنَّه خِيانته مُغامَرة صِبيانية طائشة . وبشكلٍ عام،حِينَ يَفقِد الإنسانُ ثِقَتَهُ بالنِّساءِ يُصبِح فَيْلَسوفاً،وحِينَ يَفقِد ثِقَتَهُ بالواقع يُصبِح شاعراً.

[٤١١] الشَّخْصُ النَّكِرَةُ هُوَ الذي يَعتبر مُمَارَسَةَ الجِنْسِ مَعَ زَوْجَته وَسيلةً للخُلودِ والتَّخليد .

الشخصُ الذي لَيْسَ له بَصمة فكرية في الحياة ، سَيُحاوِل جاهداً ترك بصمة جسدية . والشخصُ الذي لا يَستثمر في قُدراته العقلية ، سَوْفَ يَستثمر في قُدراته الجِسمية . والشخصُ العاجزُ عَن تَوليد الأفكار ، ووضعها في إطار التكاثر العقلانِيِّ ، سَيَلجأ إلى تَوليد الغرائز ، وَوَضعها في إطار التكاثر البيولوجيِّ . وَمَن خَلَّفَ ما مات . إنَّ الخوفَ مِنَ الموْتِ يَدفع الإنسانَ إلى تَوليد أنساق اجتماعية ظاهرها الانتصار على الموت باعتماد ثنائية الخلود والتَّخليد . وهذا هو الاستثمار في جسد المرأة القادر على الإنتاج وإعطاء معنى وُجوديٍّ للتكاثر . إنَّها أحلامُ النِّهاية . شَخصٌ

يُريد أن يُمَارِس الجِنسَ مَعَ زوجته ، ويَعْرِف أنَّ هذه هِيَ الْمَرَّة الأخيرة ، لأنَّه سَيَموت بَعْدَها . سَيَرْمي بكامل ثقله في هذه العملية ، وسيضع فيها كُلَّ طاقته ،كتذكار وتلخيص للذكرياتِ المقتولة ، وأحزانِ الطفولة ، ورغباتِ الذاكرة ، وشَهَواتِ الجسد . سَيُحاوِل إتمامَ العملية بشكل نهائِيٍّ وحاسم ، مَرَّة واحدة فقط وللأبد ، مِثْل عُود الثِّقاب ، تَوَهُّج لِمَرَّةٍ واحدة ، ثُمَّ انطفاء أبدي.

[٤١٢] أُريدُ مِنَ الناسِ أن يَنْسَوْني ، ويَتَذَكَّروا كِتاباتي .

أنسحبُ إلى الظِّلِّ كَي تَظَلَّ أعمالي في بُؤرة الضَّوء . جَسَدي إلى التُّراب ، وكلمتي خالدة . اعْرِفْ لُغتي ولا تَعْرِفْني. كِتاباتي رَأْسُ الْحَرْبةِ ، وأنا غائبٌ في حُضورِ أبجديتي . أموتُ لِتَحيا كلماتي. أُضَحِّي بِدَمي لِيَظَلَّ الحِبْرُ مُضيئاً . أنقلُ قِيمةَ دَمي إلى قَارورةِ الحِبْرِ ، وكُلَّما انطفأتُ اشتعلتْ لُغتي. قَضَيْتُ حياتي هارباً مِنَ الشُّهرة والأضواء ، لَكِنَّني أتوقَّعُ أنَّني سَأَتَحَوَّل إلى أُسطورة ، ولكنْ بعد وَفَاتي. أجيالٌ سَوْفَ تَتوقَّف عِندَ كِتاباتي وأفكاري،أمَّا في حياتي فلا أتوقع أن أحظى بتكريم يَليق بي.

[٤١٣] حَجَرْتُ على نَفْسِي كَي أُرِيحَ العَالَمَ مِنِّي .

لا ذَنْبَ للآخرين كَي يَعيشوا مأساتي الذهنية . كُلُّ إنسان عَلَيه أن يَعيش حياته الشخصية بِحُلْوِها ومُرِّها . لماذا يُضَحِّي الآخرون مِن أجْلِنا ؟ . لماذا يموتُ الآخرون دفاعاً عَنَّا ؟ . هَل يَجب على الحارس الشخصيِّ أن يَموت دفاعاً عن الرئيس مِن أجل الراتب الشهريِّ ؟ . لقد عَزَلْتُ نَفْسي بِنَفْسي لِكَيلا أَكُونَ عَقبةً في طريقِ الآخرين . تَرَكْتُ لهم الْجَمَلَ بِما حَمَل . العُزلةُ طَريقي وتاريخي . لا أصْلُحُ لأيِّ عَمَلٍ يتطلب اللقاءَ بالناسِ . لذلك اخترتُ الكتابةَ التي هِيَ فَنُّ العُزلةِ والاعتزالِ . هاربٌ أنا مِن نَفْسي ، وَمِنَ الناسِ . أركضُ وَراء طَيْفِ المعنى الغامضِ اللذيذِ .

[٤١٤] النجاحُ يَضغطُ على الإنسانِ ، والفَشَلُ يُزيلُ الضغطَ .

النجاحُ يُشكِّل عِبئاً ثَقيلاً على كاهل الإنسان ، ويُحمِّله مسؤوليةً جسيمة ، لأنَّ الناجح مَحَط الأنظار، والأضواء مُسلَّطة عَلَيه، وخُطواته مَحسوبة بِدِقَّةٍ ، لأنَّهُ تحت الْمُراقَبة المجتمعية . أمَّا الفشلُ فلا أحد يَعبأ بِه أو يُعيره اهتماماً . والفاشلُ لا يَنتظِرُ أحَدَاً ، ولا أحَد يَنتظره .

[٤١٥] إذا كَانت غَالِبِيَّةُ قُرَّائِكَ مِنَ النِّساءِ فأنتَ كَاتِبٌ ضَعيفٌ .

عَقْلُ المرأةِ لا يَستطيعُ إجراء عمليات مُعقَّدة لأسباب بيولوجية وعاطفية ونَفسية . لذلك حياةُ المرأةِ سَطحية ، أي إنَّها تَضْرِبُ على السطح ، ولا تَغوص في الأعماق . ووَفْقَ هذه الرُّؤية ، تَكون

أحكامُ المرأةِ خاضعةً للغريزةِ والعاطفةِ بعيداً عن القيم العقلية الكُبرى والقضايا الوجودية الحسَّاسة. وعلى الكاتبِ أن يَكتب للحضارة الإنسانية بَعيداً عَن طَيْفِ الْمُعْجَبَاتِ ، ولا يَنتظِر المديحَ .

[٤١٦] في المجتمعات المتخلِّفة تَنفصل الرُّومانسيةُ عَن الزواج .

التَّخلفُ يَفصِل اللفظَ عن المعنَى . يَفصلُ الحبَّ عَن الالتزام . يَفصِل الرومانسيةَ عَن الزواج . سَوَاءٌ كُنتَ قَوِيَّاً جِنسياً أَم عَاجِزاً جِنسياً ، لا فَرْقَ بَيْنَ الأَمْرَيْن إذا كان زواجُك صَفقةً تجاريةً خاسرةً، والزوجةُ جُثةً هامدةً، والأُسرةُ كَومةَ أنقاض. احْتَرَمَتْكَ المرأةُ أو احْتَقَرَتْكَ، لا فَرْقَ بَيْنَ الأَمْرَيْن إذا كان الحبُّ مستنقعاً للطحالب ، والقلبُ يَغرق في المستنقع . مَعَ مُرور الوقت ، سَيَقتلُ الجسدُ الرُّوحَ، وتتحوَّلُ العلاقة بين الزوجين إلى علاقة أخوية (الأخ _ أُخته) بسبب رُوتين الحياة، والملل الجِنسيِّ ، والحياةِ اليومية الاعتيادية ، حيث التقابل وَجْهاً لِوَجْه ، بلا شَوق ولا حنين . وهذا يَقتلُ الْحُبَّ . يَتحوَّلُ الجِنسُ مِنَ الشَّبَق والشَّهوة إلى إجراء وظيفيٍّ رُوتينيٍّ ، وعِبْء ثقيل على كاهل الزوج. يُصبِح الجِنسُ مِثْل الوظيفة الحكومية ، يَذهب الموظَّفُ إلى العمل بلا فِكْر ولا إبداع، يَذهب إلى العمل لَيْسَ حُبَّاً في العمل والإنتاج ، ولكنَّه أمرٌ مَفروض عَلَيه مِن أجلِ الراتبِ . يُسَجِّل اسْمَه في سِجِلِّ الْحُضُور ، ثُمَّ يَنتهي الدَّوام ، ويَدور في حلقة مُفرَغة . إنَّه مُحَاصَر في دائرة الروتين والْمَلَلِ والاستهلاكية والأحلام الضائعة . تَغيبُ الْمُتعةُ عَن كُلِّ شَيء ، ويُصبِح الجِنسُ مَصدراً للمَلَلِ والألم ، ويُصبِح الزواجُ مَقبرةً للحُبِّ .

[٤١٧] الشَّخْصُ العاديُّ تُعْرَفُ قِيمَتُهُ مِن كَلامِه ، أمَّا العالِمُ فَتُعْرَفُ قِيمَتُهُ مِن كِتاباته .

كلامُ الشخصِ العاديِّ يَدُلُّ على مُستوى ثقافته ، والكلامُ هُوَ الأُسلوبُ . أمَّا المعلوماتُ فَتُؤْخَذ مِن الآخرين . وهكذا يَكون الشخصُ العاديُّ ناقلاً لأفكارِ الآخرين ، يَصُوغُها بأُسلوبه بَعيداً عَن الابتكار والإبداع . أمَّا العَالِمُ فلا بُدَّ أن يَكُونَ مُبْدِعَاً ، وهذا الإبداعُ لا يَتحقَّقُ إلا في كِتاباته التي تَدَلُّ على مُستوى تَفكيره الإبداعيِّ بَعيداً عَن نَسْخِ الآخرين . إنَّ كلامَ الشخصِ قَد يَكُون رَائعاً وجَميلاً ، ولَكِنَّ الأفكارَ مَنقولةٌ بِلا تَفكير ولا إبداع . وهذا يَجعل الشَّخصَ قَصَّاصاً لا عَالِمَاً.وَقَد يَكُونُ الشخصُ مُبْدِعَاً في كِتاباته، ويُقدِّم أفكاراً خَلاقةً،ونَظرياتٍ جَديدة لَكِنَّه لا يُحْسِنُ التَّعبيرَ عَنها كَلامِيَّاً . وهذا يَجعل الشخصُ عَالِمَاً لا قَصَّاصاً . وقد يَجمعُ الإنسانُ بين الأَمْرَيْن .

[٤١٨] البَدَوِيَّةُ إذا ارْتَدَتْ تَنُّورةً فَوْقَ الرَّكبةِ ، لا تُصْبِحُ لاعِبَةَ تِنس .

البدويةُ ستظلُّ بَدويةً ، سَواءٌ عاشت في قصر أَم في بَيت شَعْر . ستظلُّ بدويةً ، سَواءٌ رَكِبَتْ على الحِمَار أَم رَكِبَت سيارة مرسيدس . راعيةُ الغَنَمِ ستظلُّ راعيةَ غَنم ، سَواءٌ ارْتَدَتْ عباءةً مِنَ

الصُّوف أَم قَميصَ نَوم مِنَ الحرير . الأغصانُ لا تُغيِّر حقيقةَ الجذور . والمظاهرُ الخارجيةُ لا تُغيِّر طَبيعةَ البِذْرةِ الداخلية . الانهيارُ كامنٌ في الذات ، وعُقدةُ النَّقْصِ مُتجذِّرة في اللاوَعْي. والتَّنورةُ فَوْقَ الرُّكبة لَيْسَتْ قطعة قُماش بل أيديولوجية متكاملة . وهذه التَّنورةُ مَنظومة فكرية قائمة بذاتها. وَلَوْ تَزَوَّجْتُ امرأةً تَرْتدي تَنُّورةً فَوْقَ الرُّكبة سَوْفَ تتمُّ تَصفيتي جسدياً .

[٤١٩] في أحيان كثيرة نبحثُ عن أشياء في الخارج ، ونكتشف فِيما بَعْد أنها كامنة في داخلنا .

لا تَبْحَثْ عَن الأشياءِ في الخارج . كُلُّ الأشياءِ مَوجودة فِيك . الإنسانُ كائنٌ جاهلٌ ومغرور . دَمَّرَ الأرضَ ، وسَيَذهب كَي يَكتشِفَ المريخ . الغرور يُسبِّب له العمى . يَنظُر إلى الأمامِ بَحْثاً عن الأشياء ، ظَنّاً مِنهُ أنَّهُ بَعيد النظر . وهذه الأشياءُ التي يَبحث عنها مَوجودة في داخله . مشغولٌ باكتشاف الأشياء المحيطة به ، ولم يُفكِّر باكتشاف ذاته . وهذا هو الجهل في أسوأ صُوَره . إنَّهُ عامل في منجم الذهب، يُنقِّب عن الذهب بين التراب والصُّخور، ولا يَعرف أنَّ الذهب مَوجود في قلبه .

[٤٢٠] الشَّجرةُ تُعْرَفُ بِثَمَرِها ونَوعيةِ الخشبِ .

للحقيقة وَجهان . للمَعْنَى لَفظان . الثمرُ والخشبُ وَجهان لِعُملة واحدة . كُلُّ عُنصر له أهميته التي لا يُعوِّضها العُنصر الآخَر . لَيْسَ الذهبُ أكثرَ أهميةً مِنَ الحديد ، ولَيْسَ الفَيلسوفُ أكثرَ أهميةً مِن عاملِ النظافة .

[٤٢١] الفَيلسوف مِثْل تاجر الأسلحة .

يجب ألا تَكُونَ هُناك امرأة في حياة الفَيلسوف ، لأنَّهُ مِثْل تاجر الأسلحة ، قد يَفْقِد حياته في أيَّة لحظة بسبب كثرة الأعداء والنِّزاعات . وعَلَيهِ أن يَثِقَ في سِلاحه الشخصيِّ ، ولا يَثِق بالمرأة ، لأنَّها قَد تُشكِّل اختراقاً أمنياً ، وَمِنْ مَأمَنِه يُؤتَى الْحَذِرُ .

[٤٢٢] جَميعُ العُلَماءِ في هذا العالَم هُم أطفالٌ صِغارٌ مُقَارَنةً مَعَ العُلَماء السابقين .

العُلَماءُ الذين يَعيشون في عالَمنا المعاصِر ، إنَّما يَعيشون على كِتابات العلماء السابقين ، ولا يَقْدِرُون على تجاوزهم ، لأنَّ العلماء السابقين كانوا يَمتازون بالقُوَّة الفِكرية والموسوعية الشاملة وغَزارة الإنتاج وصَفاءِ الذِّهْن. أمَّا العلماء المعاصِرُون فَهُم ضَحايا التِّكنولوجيا، وهذا يَمنعهم من استخدام العقل البشريِّ بالشكل المثاليِّ .

[٤٢٣] الفَيلسوفُ يَحْفِرُ قَبْرَه بِيَدَيْهِ إذا بَدَأَ يُفكِّر كَرَجُلِ أعمال .

الأفكارُ إذا حُشِرَتْ في زاوية الربح والخسارة ماتتْ ، وخَسِرَتْ شَرعيتها . الأفكارُ لَيْسَتْ سِلعةً ، ولا وسيلةً لزيادة الأرصدة البنكية .

[٤٢٤] السَّعادةُ هِيَ عَدَمُ البَحْثِ عَن السَّعادة .

البحثُ عَن السعادة وَهْمٌ، وإضاعةٌ للوقت، وعذابٌ بلا طائل. والحِيلةُ في تَرْكِ الحِيلةِ . السعادةُ لا يُبْحَث عَنها ، وإنما تُعاش .

[٤٢٥] كُلُّ صَاحِبِ نَظريةٍ إنَّما أَخَذَ فِكْرَتَها مِن شَخْصٍ لَمْ يُحْسِن التَّعبير عَنها .

لا تُوجَد نظريةٌ مِنَ الهواء . كُلُّ نظريةٍ كانت فَرَضِيَّةً طَرَحَها شَخْصٌ ما ، ولَم يُقَدِّمْها بالشكل المطلوب لِعَجْزِه عن بناء تَسَلْسُل مَنطقيٍّ لأفكارها ، فَتَلَقَّفَهَا شَخْصٌ آخَر ، وعَرَفَ كَيْفَ يُقَدِّمُها بصورة عِلمية ، ونُسِبَتْ إلَيه. لا يُوجَد صَاحِب نظرية يأتي بها مِنَ العَدَم . وُجودُ البِذْرَةِ يَسْبِقُ وُجودَ الشَّجرةِ. الجذورُ مَخْفِيَّةٌ، والثِّمارُ ظاهرة. وَهُناك مُفكِّرون يُؤسِّسون "نظرياتٍ " خاصة بهم ، ويقومون بترويجها ونشرها من خلال كتاباتهم. وإذا كانت النظريةُ أقوى مِن واضعها ، فإنها تَنتشرُ ويَتَلَقَّفها المفكِّرون الذين يُوصِلُونها إلى الناس . وإذا كانت النظريةُ أضعفَ مِن واضعها ، فإنَّها تموت بِمَوْتِه بسبب طُغيان الشَّخصانية على الفِكرة . والعقلُ المفكِّر حِينَ يَموت ، لا يَأتي أحَدٌ كَي يَفحصَ الأطراف . فالأصلُ إذا سَقَطَ ، سَقَطَت الفروعُ تلقائياً كحجارة الدُّومينو .

[٤٢٦] أتمنَّى أن أفْتَحَ نافذةَ بَيتي فأرى البَحْرَ .

البَحْرُ هُوَ التَّجسيدُ الأعلى للعَودة إلى الطبيعة . البَحْرُ هُوَ الرِّياضيات . كما أنَّ الرياضيات أُم العلوم الطبيعية ، فالبَحْرُ هُوَ أُمُّ العناصرِ الوجودية. إنَّهُ المرجعيةُ العُليا للذكريات والأحلام . ولا بُدَّ للابْنِ التائه أن يَعود إلى حِضْنِ أُمِّهِ ذات مساء . ولا بُدَّ للطائرِ الغريبِ أن يَعُودَ إلى البحر .

[٤٢٧] قد أستطيعُ النَّوْمَ والجيوشُ تُحَاصِرُني لَكِنَّني لا أَقْدِرُ أن أنامَ وَضِرْسي يُؤْلِمُني .

الأَلَمُ الداخليُّ أشدُّ مِنَ الأَلَم الخارجيِّ . العَدُوُّ الذي يَسكن فِيك أشدُّ خُطورةً مِنَ العَدُوِّ الذي يُحاصر بَيْتَك . لَم نَكتشف ذواتنا بشكل حقيقيٍّ ، ولَم نَعْرِف الأسرارَ الكامنة فِينا ، ولَم نُميِّز بين نقاط قُوَّتنا ونقاط ضَعفنا . وهذا جَعَلَنَا نَخْلِط بين أعدائنا وأصدقائنا . وَجَعَلَنَا لا نُفَرِّقُ بين العَدُوِّ الخطير والعَدُوِّ الأشد خُطورةً . لا مَعنَى لحياتنا دون اكتشاف ذواتنا ، ولن نكتشف ذواتنا إلا عَن طريق التَّنقيب في حُطامِ ذواتنا . نَحْنُ الأنقاض ، ولا بُدَّ مِنَ البَحْثِ تحت الأنقاضِ عن الناجين .

[٤٢٨] النُّبُوَّةُ والفَلْسَفةُ هُمَا المجالان اللذان لا يُسْمَحُ للمَرْأةِ بِدُخولهما .

عَقْلُ المرأةِ ضَعيفٌ بسبب عوامل بيولوجية كالْحَيْضِ والْحَمْلِ والولادة . وهذا لا يَطعن فِيها . كُلُّ مَخلوق في هذا العالَم له حُدود لا يَقْدِرُ على تجاوزها . والمشكلةُ في الأشخاص الذين يُريدون أن يَكونوا مَلكيين أكثرَ مِنَ الملِك ، فَهُم يُحمِّلون المرأةَ فوق طاقتها بِحُجَّة المساواة وحقوق المرأة ، ويُريدون مُسَاوَاة عَقْلِها بِعَقْلِ الرَّجل ، وهذا ضِد الطبيعة الْخَلْقِيَّة . لَم تَجِئْ إلى هذا العالَم نَبِيَّةٌ . لَم تَجِئْ إلى هذا العالَم فَيلسوفة . يَنبغي التَّفكر في هَذَين الأمْرَيْن ، لأنهما يُشيران إلى ضَعف المستوى العقليِّ للمرأة .

[٤٢٩] قَتَلْتُ أعصابي وذِكرياتي وأحلامي لأُصْبِحَ فَيْلَسُوفاً .

ضَحَّيْتُ بِكُلِّ شَيء لأُصْبِحَ فَيلسوفاً ، لِتُوضَعَ مُؤلفاتي مَعَ مؤلفات كِبَار المفكِّرين على رَفٍّ وَاحدٍ . الناسُ يُشاهدون الهالةَ البَرَّاقة ، لَكِنَّهم لا يُشاهِدون سَنواتِ العذابِ والألَمِ . لا يُشاهِدون الحربَ الأهلية في جِسْم المفكِّر. يُعْجَبُون بِلَمَعَان النُّجوم،ولا يَعْرِفُون شَيئاً عَن احتراقها أو تَفَجُّرِها.

[٤٣٠] قُوَّةُ الشَّيء لا تَكْمُنُ في ذاته ، وإنَّما تَكْمُنُ في الذِّكرياتِ المرتبطة بِه .

الشَّيْءُ الْمُجَرَّدُ ذاهبٌ إلى النِّسيان ، لكنَّ الذِّكرياتِ المحيطة بِه هِيَ التي تَمنحه التَّألقَ والقُدرةَ على الاستمرارية . إنَّ الذكرياتِ تُخلِّد الشَّيءَ فلا يَموت ، يظلُّ حَيَّاً في القلوبِ . لَوْلا الذِّكريات لَمَا استطاعت المرأةُ السيطرةَ على الرَّجل . لَوْلا الذِّكريات لَمَا عَرَفَ عذابُ الحبِّ طريقَه إلى الخلود . والذِّكرياتُ شَاملةٌ لِكُلِّ شَيء ، لَكِنَّها تتجلى بصورة فَعَّالة في العلاقة بين الرَّجل والمرأة .

[٤٣١] الدُّوَلُ المستقِرَّةُ والْمُرَفَّهةُ لَيْسَتْ في أَمْنٍ وإنَّما في سُبات .

النارُ كامنةٌ تحت الرماد . والسُّكونُ مُخيفٌ لأنَّهُ خُطوة تمهيدية للطوفان . دَوام الحال مِنَ الْمُحَال . وإذا صَفا الشَّيْءُ تَكَدَّرَ . والقَمرُ إذا اكتملَ بَدأ رِحلةَ النَّقْصِ . إنَّهُ الصُّعود إلى الهاوية . لا يَنبغي الخوفُ مِنَ العاصفةِ . يَجب الخوفُ مِنَ الهدوء الذي يَسبق العاصفةَ .

[٤٣٢] يَنتحِرُ الإنسانُ عِندَما يَفْقِدُ القُدرةَ عَلى التَّخَيُّلِ .

الْخَيَالُ لَيْسَ رَفاهيةً ، ولا مَضْيَعةً للوقت . الْخَيَالُ هُوَ الواقعُ الحقيقيُّ . إنَّهُ نافذةُ الأملُ المفتوحة على الغد المشرِق . وبِدُون القُدرة على التَّخَيُّل ، يَغْرق الإنسانُ في مُستنقَع الأحلام الضائعة بِلا طَوق نَجاة .

[٤٣٣] زَهَّدَنِي في النِّساءِ مَعْرِفَتِي بِهِنَّ .

إذا ضَحِكَتْ لَكَ امرأةٌ ، فَلا تَنْظُرْ إلى لَمَعَانِ أسنانِها . انظُرْ إلى لَمَعَانِ الْخَنجرِ في حَقيبتها . لقد ابتعدتُ عَن النِّساءِ لأنَّني أعْرِفُهُنَّ . النِّساءُ مَعجوناتٌ بالخِيَانةِ . زَهَّدَني فِيهِنَّ مَعْرِفَتي بِهِنَّ . عَقْلُ المرأةِ في شَهْوتها الجِنسية . إنَّها كائن لا يُفكِّر ، وإنَّما يَشْتهي . المرأةُ هِيَ المِغناطيس الذي لا يَرْحَمُ بُرادةَ الحديدِ . وَمَن يَطَّلِع على أسرار النِّساءِ ، مِنَ الْمُستحيل أن يَتزوَّج . النِّساءُ بَيْنَ مَجْدِي، وَهُنَّ هَدَمْنَهُ .

[٤٣٤] أجْمَلُ قَصائدي هِيَ التي كَتَبْتُهَا في لَحَظَاتِ انهياري .

عِندَما يَنطفِئُ العَالَمُ أمامي تُضيء القصيدةُ . الشِّعرُ لَيْسَ اكتئاباً مَجَّانياً . الحياةُ أكثرُ صُعوبةً مِمَّا تَخَيَّلْتُ . الحياةُ نَسَقٌ فكريٌّ شديد التَّعقيد ، وهذا التَّعقيدُ يَنعكِس على الْمُنْتَجِ الإبداعيِّ .

[٤٣٥] النَّسْرُ أعظمُ عَامِلِ نَظافةٍ عَلى كَوْكَبِ الأرضِ .

النَّسْرُ هو الذي يُنظِّف النظامَ البيئيَّ مِنَ الجثثِ واللحومِ الْمُلقاةِ في المزابلِ . لا أحَدَ يَنظر إلى هذا الجانب مِن حياة النَّسْر . النَّسْرُ مَحصورٌ في رَمْزِ القُوَّة والشَّرفِ والسِّيادة . يُوضَع على أعلام الدُّوَل ، ولا أحَدَ يُريد أن يَراه وَهُوَ غاطسٌ في المزابل . انظُرْ إلى الأشياء مِن كُلِّ الزوايا .

[٤٣٦] الزَّمَنُ يُوجَدُ في الذِّكرياتِ ولا يُوجَدُ في الواقع .

الزمنُ هُوَ الوَهْمُ اللذيذُ الذي نَعيشُ فِيه . هل الزَّمنُ حركة عقارب الساعة ؟ . هَل الأيامُ تُقاس بالحركة الميكانيكية لعقارب الساعة ؟ . هل الزمنُ هو التَّغيرات التي تَطرأ على الإنسان ؟ . الزمنُ غَير مَوجود إلا في أذهاننا ، والوسيلةُ الوحيدةُ لِقِياسه هي الذكريات . ومَعَ مُرور الوقت يَنحصِر وُجودُ الزمنِ في الذكريات .

[٤٣٧] الحرِّيةُ ببساطة هِيَ أن تنام مَتَى تُريد ، وتَستيقظ متى تُريد .

إذا تَحرَّرت الأنساقُ الحياتيةُ مِنَ الضغوطات الخارجية ، فأنتَ حُر . إذا فَقَدَ الآخرون القُدرةَ على التَّحكم بتفاصيل حَياتك ، وصِرْتَ وَحْدَكَ تَتحكَّم بهذه التفاصيل ، فأنتَ حُر .

[٤٣٨] لَن يُصْبِحَ الإنسانُ كاتباً عظيماً إلا إذا اعتبرَ القُرَّاءَ والنُّقادَ أمواتاً .

اكْتُبْ لِنَفْسِكَ . والشخصُ الذي يُريدك سَيَبحث عَنكَ . اكْتُبْ للتاريخِ والمستقبَل . القُرَّاءُ يَميلون إلى السَّطحية والسَّذاجة ، لأنَّ السَّوادَ الأعظم مِنهُم عَوَام مِن الناحية العِلْمية والفكرية . والنُّقادُ تُحرِّكهم المصالِحُ الشخصيةُ . والجوائزُ مَحكومةٌ باعتباراتٍ لَيْسَ لها علاقة بِجَودة الكتابة. أتمنَّى أن تَكون الجوائزُ الأدبيةُ عادلةً مِثْل لُعبة التِّنس الأرضيِّ ، حيث اللاعب يَعترِض على قرار

الْحَكَمِ ، فتقف المباراة ، وتُعاد اللقطةُ بالتَّصوير التلفزيونيِّ ، ويَظهر الحق أمامَ الجميع ، ولا يتمُّ التلاعب بِه وراء الأبواب المغلَقة . وهذه أُمْنِيَّتي المستحيلة .

[٤٣٩] أقصرُ طَرِيقٍ للثقافةِ هُوَ قِراءةُ أسماءِ الشَّوارِعِ ، وجَمْعِ معلومات عَن كُلِّ اسْمٍ .

أسماءُ الشوارِعِ تُشكِّل ثَروةً مَعلوماتيةً حقيقيةً . وَهِيَ تَشتمل على ذاكرة الوجود بعناصرها البشرية والتاريخية والجغرافية .

[٤٤٠] على الشاعرِ أن يَكتب قَصيدةَ رِثَائِه ، ولا يَمْنَح هذا الشرفَ لأيِّ شَخْصٍ آخَر .

الشاعرُ لا يَترك شَيئاً للصُّدفة أو الاحتماليةِ أو حُسن النَّوايا . عليه أن يَقضيَ حياتَه في الإعداد لِمَوْته ، ولا يَنتظِر إحسانَ الآخرين أو شفقتهم . الشاعرُ يُبْرِزُ الموتَ كَقِيمةٍ سَامِيَةٍ ومَرجعيةٍ عُليا . يَتَّحِدُ الشاعرُ بِنَفْسِه ، ويُعيد تعريفَ حياته ، ويُبْرِز ماهيةَ مَوْته ، ويصنع تاريخاً جديداً للعناصر ، ويَبتكِر جُغرافيا جديدة للألفاظ والمعاني .

[٤٤١] المثقَّفُ العَرَبِيُّ مُصاب بِعُقدة الخواجة ، لأنَّهُ مَهزومٌ داخلياً .

المغلوبُ مُولَعٌ بِتَقليد الغالبِ . بَعْضُ المثقفين العرب الذين يُعادون الإسلامَ والعروبةَ تحت شِعار العلمانية والتَّنوير والحداثة ، يَبْنُون كُفْرَهم على أفكار فلاسفة الغرب مِثْل كارل وماركس وغَيره ، ولا يستخدمون عقولَهم لِيُصدروا قراراتهم الشخصية بالإيمان أو الكفر. حَتَّى في الكفر هُم مُقلِّدون وناسخون . وهذا يُشير إلى مأساة حقيقية وهزيمة نفسية ، وتَخَلُّف ما بَعْدَه تخلف . وجَهْلُ هؤلاء المثقفين الذين هُم عَبيدُ الفكرِ الغَرْبِيِّ وخَدَمُ فلاسفةِ الغربِ ، جَهْلٌ مُرَكَّب لأنَّهم يَعتقدون أنَّ شهاداتهم العِلْمية من السُّوربون وأوكسفورد وهارفارد وغَيرها ، تُؤهِّلهم لِنَقد القُرآنِ والطعنِ في النُّبُـوَّة . وهذه الأوهام التي يَعيشون فِيها ، تتكاثر بسبب جَهْلِهم . إنَّ أساتذتهم الغربيين الحاقدين على الإسلام في الجامعات الغربية لا يُتْقِنُون اللغةَ العربيةَ ، فَكَيْفَ سَيَعْرِفُون أسرارَ اللغةِ ؟ ، وكَيْفَ سَيَفهمون نصوصَ القرآنِ والسُّنةِ القائمة على اللغة العربية ؟ . وللأسفِ ، إنَّ الجاهلَ يَأخذ العِلْمَ مِنَ الجاهل،ويَفْرَح بالشهادة لأنَّها مِنَ السُّوربون أو أوكسفورد.المثقفون العربُ جُهَّال لا يُفكِّرون، ومُقلِّدون لا يُبْدِعُون ، يَعيشون على أفكار فلاسفة الغرب ونظرياتهم ، ولا يُوجَد مُثقف عَرَبِيٌّ يَمْلِك نظريةً خاصةً بِه. والأُمَّةُ العربيةُ لَم تُنْجِبْ أيَّ فَيْلَسوف في القرن العشرين . المثقفُ العربِيُّ كالببغاء ، يُردِّد ما يَسْمَع . وبَعْضُهم يُسمِّي نَفْسَه ماركسياً ، أي يَنْسِبُ نَفْسَه إلى كارل ماركس ، كما يَنسِب الخادمُ نَفْسَه إلى سَيِّدِه ، وكما تُضاف اسْمُ السِّلعةِ إلى مالكها . فلماذا لا يُفَكِّرُ بِحُرِّية، ويعتزُّ بِشَخصيته وهُوِيَّته ، ويَستخدم عَقْلَه الشخصيَّ للإبداع . لماذا لا يستخدمون

عقولهم بَعيداً عن تَقليد الآخرين ونَسْخِ تجاربهم. إنَّ الفَرْقَ الجوهريَّ بين المثقف الغربي (الأصل) والمثقف العربي (النسخة المقلَّدة المزوَّرة) هُوَ أنَّ المثقَّف الغربي يَختار قَرارَه بعد تفكير ، أمَّا المثقف العربيُّ فَيَختار قَرارَه تَشَبُّهاً بالمثقف الغربيِّ . إنَّهُ التقليد الأعمى بلا تفكير ، لأنَّ المثقفَ العربيَّ مَهزومٌ حَضارياً ونَفْسِيَّاً ، وَمُصاب بِعُقدة الخواجة ، والمغلوب مُولَع بِتَقليد الغالب . والمرأةُ الْمُغْتَصَبَةُ دائماً تنظر إلى الرَّجل الذي اغْتَصَبَهَا عَلى أنَّه الفاعلُ الأرقى ، وَهِيَ المفعول به الأدنى (الضَّحية المستسلِمة) . والأُمَّةُ العربيةُ هِيَ المرأةُ المغتَصَبَة ، لذلك لا تصل الثقافة العربية إلى العالمية . ولن تصل إلا إذا أبْدَعَت نظرياتٍ خاصةً بها مستندة إلى تُراث الحضارة العربية الإسلامية. إنَّ الأُمَّةَ العربيةَ هِيَ أُمَّةُ العبيدِ والسَّبايا . شُعوبٌ غارقةٌ في الهزائمِ والْخِزْيِ والعار والعُبودية . شُعوبٌ مُتخلِّفة تعشق الهزائمَ وتَتمسَّك بالقادة المهزومين . فعلى سَبيل المثال ، ونستون تشرشل قاد بريطانيا إلى الانتصار على ألمانيا النازية ، ومَعَ هذا ، أسقَطَه الشعبُ البريطانيُّ في الانتخابات ، وجمال عبد الناصر قَادَ الأُمَّةَ العربية إلى الهزيمة في عام ١٩٦٧، ومَعَ هذا خرج الشعب المصري مُتمسِّكاً بِه ، هذا هو الفرق بين الأحرار والعبيد .

[٤٤٢] الفلسفةُ الحقيقيةُ لا تُولَد إلا إذا تَحَقَّقَ شَرْطان : مَوْت الإنسان ، ومَوْت الفلسفة .

الفَلسفةُ تَبدأ مِنَ الموْتِ . الموتُ هُوَ نُقطة البداية والانطلاق إلى الحياة . إنَّها البِداية مِن لَحظة الصِّفر ، والانطلاق بِسُرعة الضَّوء . إنَّهُ الضَّوء في آخِر النَّفَق . وإذا مات الإنسانُ والفلسفةُ معاً ، انهارت الحضارةُ، وعندئذٍ تُولَدُ الفَلسفةُ الحقيقيةُ التي تَصِفُ أحداثَ النِّهايةِ . وكما أن المرأة تَحْمِل بُوَيضةَ الفَناء في داخلها ، كذلك الحضارة ، تَحمل بِذرةَ الانهيار في داخلها . ولا أحد يستطيع الهروب مِنَ الْمَدَار . وكُلُّ العناصر خاضعة لقانون النهاية .

[٤٤٣] مِنَ السَّهْلِ أن تَتمتَّعَ بالرُّوحِ الرِّياضيةِ عِندَما تَكُونُ فَائِزاً .

القويُّ هُوَ الذي يُسيطِر على أعصابه عِندَ الخسارة . الرَّجلُ يَظهر في الشَّدائد . والصَّديقُ الحقيقيُّ يَظهر في قلب الأزمات . يَنبغي على المرء أن يَقتل أعصابَه ، ويَتعامل مع الصعوبات بهدوء قاتل ، ويَبتعد عن الجعجعة بلا طحن ، لأنَّ الجعجعة ارتباك ، والإنسانُ إذا ارتبكَ غَرِقَ . وعلى الإنسانِ أن يَتقبَّلَ الخسارةَ كما يَتقبَّل الفَوز ، لأنَّ الدُّنيا دَوَّارة . يَوْمٌ لَكَ ويَوْمٌ عَلَيْكَ .

[٤٤٤] غَالِبِيَّةُ النِّساءِ المتزوِّجاتِ غَيْرُ مُتزوِّجات .

الطلاقُ الصامتُ يُسيطِر على العائلات . المشاعرُ تَموت . والعلاقاتُ تَدخل في الروتين الوظيفيِّ والْمَلَلِ الجِنسيِّ . الأحلامُ تَضيع ، والبيوتُ مقابر ، والمجتمع يَتفكَّك ، والحياةُ مستمرة .

[٤٤٥] مِنَ السَّهْلِ أن تَكُونَ رُومانسياً عِندَما تَكُونُ أعزبَ .

الكلامُ دائماً سَهْلٌ ، والرُّومانسيةُ مَنظومةٌ مجانيةٌ بِلا مَسؤوليات . لَكِنَّ العِبْرَةَ في بناء أُسرة صالحة ومُفعَمة بالمشاعر في بَحْرٍ مُتلاطِم الأمواج .

[٤٤٦] تَبدأُ الأحزانُ عِندَما يَتصادمُ العَقْلُ والعَاطفةُ في حُبِّ شَخْصٍ ما .

مَاهِيَّةُ الحبِّ غامضةٌ ومُشوَّشةٌ . تتداخل الذكرياتُ والأحزان والأفراح . هُناك خَلْطٌ بين الإعجاب والحبِّ . ولكنَّ المشاعر الحقيقية تَظهر في التناقضات والأضداد ، وأيضاً تَظهر الأحزانُ .

[٤٤٧] الشاعرُ هُوَ اللصُّ الوَحيدُ الذي يَحْتَرِمُهُ الجميعُ .

الشاعرُ لِصٌّ ، لكنَّ البَراعةَ تَكْمُنُ في أُسلوب السَّرقة . يَسْرِقُ الشاعرُ الألفاظَ والمعاني والذكرياتِ ووُجوهَ الناسِ ، وأحاسيسَ عناصر الطبيعة . ويَصْهَرُ كُلَّ هذه الْمُكَوَّناتِ في بَوتقة اللغةِ الشِّعرية ، فَتَظهر سَبيكةٌ ذات هُوِيَّة خاصَّة ، لَيْسَ فِيها عُنصرٌ دَخيلٌ ، ولا ذَرَّةٌ شاذَّة . والشاعرُ لَن يَصِلَ إلى الذِّرْوةِ إلا إذا طَهَّرَ صَوْتَه مِن كُلِّ الأصواتِ الأُخرى ، وصارَ صَوْتاً لا صَدى .

[٤٤٨] عَلى الإنسانِ أن يَتَعَلَّمَ مِنَ السُّلحفاةِ .

إنَّها تُواصِل المشْيَ ، وتَعمل بِجِد وَفْقَ الظروفِ الْمُتاحةِ ، ولا تَنْدُبُ حَظَّها لأنَّها بَطيئة ، ولا تَعترِض على إرادةِ اللهِ ، حَيْثُ خَلَقَها بَطيئة . إنَّها تَعرِف إمكانياتها ، وتَستخدمها في أقصى مَدى مُمكِن ، وتَستمِرُّ في المشْيِ ، ولا تَلتفِت أثناءَ سَيرها ، لأنَّها تَعرِف طَريقَها بِدِقَّة. وَهِيَ تَقوم بواجبها على أكْمِل وَجْهٍ . والإنسانُ مُطَالَبٌ بالعملِ لا النَّتيجة . مُطَالَبٌ بالمشْيِ ، ولا علاقة له بالوُصول .

[٤٤٩] عِندَما أُفكِّر كشاعر أُحِبُّ النِّساءَ . وعِندَما أُفكِّر كَفَيْلسوف أَكْرَهُ النِّساءَ .

الشاعرُ هُوَ فَيْلَسوفُ المشاعرِ والذِّكريات . والمرأةُ هِيَ قُطبُ الرَّحى الذي يَتكوَّن من المشاعر والذكريات . أمَّا الفَيلسوفُ فَهُوَ شَاعرُ الموتِ والانطفاءِ . والمرأةُ هِيَ حَبْلُ الشَّيطان ، ومَركزُ الإغراء . إنَّ الشاعرَ يَعتبر المرأةَ هِيَ الوَردةَ المطحونة بين حَجَرَي الرَّحى ، أمَّا الفَيلسوف فَيَعتبر المرأةَ هِيَ فَكِّي الكَمَّاشة الذي سَيُطْبِقُ على الحضارة . وإذا نظرَ الإنسانُ إلى المرأة نظرةً فلسفيةً ، سَيُدْرِك أنَّ الجِنسَ ورقةٌ مَحروقةٌ ، وأنَّ المرأةَ باعتبارها بُؤرة الجِنس هِيَ ورقة محروقة

أيضاً . إنَّ الشاعرَ هو السَّنَد الحقيقيُّ للمرأة ، فهو يَرفع معنوياتها ، ويَتغزَّل بجمالها ودلالها ، ويَضحك عَلَيها بالكلام الناعم ، ويَجعلها تحيا في الأحلام والرومانسية ، والمرأة تحب الرَّجل الذي يَضحك عَلَيها ويَكذب عَلَيها . أمَّا الفَيلسوف فهو العدوُّ الأول للمرأة ، لأنَّه يَكسر قناعَها ، ويَكشف ألاعيبها ، ويصدمها بالحقيقة الْمُرَّة ، ويُحطِّم معنوياتها لأنه يَعتبرها عُلبة مكياج ، ودُمية في مسرح العرائس .

[٤٥٠] عَلى الشَّاعرِ ألا يَكْتُبَ قَصَائِدَ لأيَّةِ امرأةٍ بِخَطِّ يَدِهِ .

الكِتاباتُ بِخَطِّ اليَدِ هِيَ وَثائق رسمية ، قد تُستخدَم ضِدَّ الشاعر أو الكاتب في أيَّة مرحلة من مراحل حياته ، أو بعد مَوته . وقد يَتعرَّض للابتزاز ، وقد يَخسر اسْمَهُ ومكانته الاجتماعية .

[٤٥١] عَلى كُلِّ إنسانٍ أن يَصْنَعَ أُسْطُورَتَهُ الشَّخصيةَ قَبْلَ أن يَمُوت .

الإنسانُ في سِباقٍ مَعَ الزمن. قَد يُحاصِره الموتُ في أيَّة لحظة. لذلكَ عَلَيه أن يَستغلَّ كُلَّ لحظة. وحياتُه هي الفُرصةُ الوَحيدةُ أمامَه كَي يُحوِّل نَفْسَه إلى أُسطورة سَامِيَةٍ ، كَي يَجعل مِن أحلامه أيقونةً خالدة . والإنسانُ الخالدُ هُوَ الذي يُحوِّل عُنصرَ التُّرابِ في جِسْمِه إلى طاقةٍ ضَوئيةٍ باقيةٍ .

[٤٥٢] لَيْسَ مُهِمَّاً أن تَكُونَ مُتَكَامِلاً كَي تُبْدِعَ . المهمُّ أن تَسْتَغِلَّ نِقَاطَ قُوَّتِكَ .

لا تنتظِر أن تُصبِح مليونيراً لِتَبدأ مشاريعك . ابْدَأ بما يَتوفر لَكَ مِن إمكانيات . لا بُدَّ مِنَ التَّخطيط والاستعداد، لأنَّ الاستعدادَ للمعركة أكثرُ أهميةً من أحداث المعركة. الذكاءُ هُوَ الوُصولُ إلى أبعد نُقطة بأقل تكلفة . والإبداعُ هُوَ تغييرُ زاويةِ الرؤية ، واختيارُ طَريقٍ لَم يَمْشِ فِيه الآخرون. احذَرْ أن تَخُونَ نَفْسَكَ ، ثُمَّ تُطالِب الآخرين بالإخلاص لَكَ . لا تَلُم الذئبَ إذا كان الراعي عَدُوَّ الغنمِ. لا تَنتظِر ولادةَ أحدٍ ولا مَوت أحدٍ كَي تَبدأ المشيَ في طَريقك.ابدأ الآنَ، والآن ابدأ. لا تَكُن كالابن الذي يَتَمَنَّى مَوْتَ أبيه كَي يَرِثَه ويَستمتع بأمواله . يُصبِح الأبُ عَقبةً في طريق أحلام ابنه ، فَيَتَمَنَّى الابنُ زَوالَ تِلك العَقَبة . يُصبِح مَوْتُ الأبِ حَياةً جديدة لابنه ، والبِدايةُ تنطلق من النِّهاية ضِمن حَلقة مُفرَغة . اكسِر الحلقةَ المفرَغة، وكُن أنتَ الرَّائي والرُّؤيةَ . كُن السائرَ والطريقَ.

فِهْرِس

مقدمة.....٥
١_ الفيلسوف والعانس.....٧
٢_ سوسيولوجيا الجنس (البُنية الاجتماعية للطاقة الجنسية).....٣٢
٣_ صرخة الأزمنة.....٥٦
٤_ سِفر الاعتراف (شرح صرخة الأزمنة).....٧٤
فِهْرِس.....٢١٠